الجمهورية الجزائريّة الدّيمقراطية الشّعبية
وزارة التّعليم العالي و البحث العلميّ
جامعة الجزائر – 2 – أبو القاسم سعد الله
كليّة العلوم الإجتماعية و الإنسانيّة
قسم علم النّفس
مخبر علم النّفس العيادي والقياسي

إدراك الذّات و العلاقات في التّشنّج المهبليّ

- دراسة عيادية إسقاطية لخمسة عشر امرأة جزائرية متزوّجة -

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه نظام "ل.م.د." في علم النفس العيادي

إعداد الطّالبة
مرسلي عائشة

إشراف الأستاذة
دليلة سامعي–حدادي

السنة الجامعيّة

2019 – 2020

الجمهورية الجزائريّة الدّيمقراطية الشّعبية

وزارة التّعليم العالي و البحث العلميّ

جامعة الجزائر – 2 – أبو القاسم سعد الله

كليّة العلوم الإجتماعية و الإنسانيّة

قسم علم النّفس

مخبر علم النّفس العيادي والقياسي

إدراك الذّات و العلاقات في التّشنّج المهبليّ

- دراسة عيادية إسقاطية لخمسة عشر امرأة جزائرية متزوّجة -

Self-perception and relationships in vaginismus

- A projective clinical study of fifteen married Algerian women –

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه نظام "ل.م.د." في علم النفس العيادي

إعداد الطّالبة

مرسلي عائشة

إشراف الأستاذة

دليلة سامعي-حدادي

السنة الجامعيّة

2020 – 2019

الجمهوريـة الجزائريّـة الدّيمقراطيـة الشّعبيـة

وزارة التّعليم العالي و البحث العلميّ

جامعة الجزائر – 2 – أبو القاسم سعد الله

كليّة العلوم الإجتماعية و الإنسانيّة

قسم علم النّفس

مخبر علم النّفس العيادي والقياسي

إدراك الذّات و العلاقات في التّشنّج المهبليّ

- دراسة عيادية إسقاطية لخمسة عشر امرأة جزائرية متزوّجة -

-

Self-perception and relationships in vaginismus

- A projective clinical study of fifteen married Algerian women

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه نظام "ل.م.د." في علم النفس العيادي

إعداد الطّالبة
مرسلي عائشة

إشراف الأستاذة
دليلة سامعي–حدادي

أعضاء لجنة المناقشة

إسم ولقب الأستاذ(ة)	الدّور	الجامعة
أ.د. بن خليفة محمود	رئيسا	جامعة الجزائر2
أ.د.حدادي سامعي دليلة	مقرّرا	جامعة الجزائر2
د. زيوي عبلة	عضوا	جامعة الجزائر2
د. بوشيشة كتيبة	عضوا	جامعة الجزائر2
د. حلوان زوينة	عضوا	جامعة بويرة
د. فرقاني لوهاب	عضوا	جامعة بجاية

السنة الجامعيّة

2020 – 2019

People's Democratic Republic of Algeria
Ministry of Higher Education and Scientific Research
Algiers - 2 - Abul-Qasim Saadallah University
Faculty of Social Sciences and Humanities
Department of Psychology
Clinical and Standard Psychology Laboratory

Self-perception and relationships in vaginismus

- A projective clinical study of fifteen married Algerian women –

Thesis submitted to obtain a Ph.D., the LMD system. In Clinical Psychology

Student
Aicha Morsli

Supervisor
Dalila Samai-Haddadi

Undergraduate year
2019-2020

People's Democratic Republic of Algeria
Ministry of Higher Education and Scientific Research
Algiers - 2 - Abul-Qasim Saadallah University
Faculty of Social Sciences and Humanities
Department of Psychology
Clinical and Standard Psychology Laboratory

Self-perception and relationships in vaginismus

- A projective clinical study of fifteen married Algerian women –

Thesis submitted to obtain a Ph.D., the LMD system. In Clinical Psychology

Student Aicha Morsli

Supervisor Dalila Samai-Haddadi

Discussion Committee Members

Professor	Position	Affiliation University
Phd.Pr. Ben Khalifa Mahmoud	President	Algiers2 University
Phd.Pr. Dalila Samai-Haddadi	Thesis’s director	Algiers2 University
Phd. Zioui Abla	Member	Algiers2 University
Phd. Bouchicha Katiba	Member	Algiers2 University
Phd. Halouen Zouina	Member	Bouira University
Phd. Fergani Louheb	Member	Bejaia University

Undergraduate year
2019-2020

"إنّي رأيتُ أنّه لا يكتب إنسان كتابًا
في يومه إلاّ قال في غده: لوْ غُيّر هذا
لكان أحسن. و لوْ زِيدَ كذا لكان
يُستحسن، و لوْ قُدّم هذا لكان أفضل،
و لوْ تُرك هذا لكان أجمل.
و هذا من أعظم العبر. وهوَ دليل
على إسْتيلاء النّقص على جملة البشر".

"العماد الأصفهاني"

(١١٢٥-١٢٠١م)

''Le but de la recherche n'est pas de tout voir, de se défaire de ses implications. Il n'est pas non plus de pointer ''l'essentiel'' en soi-même ni dans la situation étudiée, comme s'il y'avait une ''essence'' fondatrice, un noyau dûr et unique qui pourrait tout expliquait si seulement on pouvait toucher le bon bout. Le but est plutôt d'élucider une ou quelques-unes des multiples composantes qui se combinent pour produire des faits dans le monde''.

R.Kahn (1986)

الإهداء

إلى من جرع الكأس فارغا ليسقيني قطرة حبّ

إلى من كلّت أنامله ليقدّم لنا لحظة سعادة

إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهّد لي طريق العلم

إلى القلب الكبير، والدي العزيز

إلى من أرضعتني الحبّ و الحنان

إلى رمز الحبّ و بلسم الشّفاء

إلى القلب النّاصع بالبياض، والدتي العزيزة

إلى كلّ من في الوجود بعد الله و رسوله، إلى أمّي و أبي، إلى كلّ طالب مُجدّ بعدهُما أهدي هذا العمل العلميّ علّه ينير دربه، و يفتح بصيرته، فيتخذ القرار الصّائب، لأجل حياة أساسها الاختيار المسؤول.

كلمة شكر

إلى أساتذتي الكرام الّذين حملوا أقدس رسالة في الحياة و بذلوا جهودًا كبيرة في توطئة درب العلم لنا، أقدّم أسمى آيات الشكر والإمتنان و التّقدير. إلى من أناروا دربي و اتّخذتهم نبراس الطّريق الّذي اخترته بدءا بمن علّمتني مسك القلم، وصولا إلى أستاذتي الموقّرة حدّادي- سامعي دليلة الّتي صبرت معي في تخطّي صعوبات البحث العلمي، وأخذت بيدي بين تعدّد مناهجه و تنوّع مصادره.

شكرا

و **شكر خاصّ** لتخليد العرفان الّذي قدّمه لي عدد من المقرّبين في وقت ضاقت فيه سبل الانفراج. أوّل هؤلاء الأفاضل، أستاذتي الّتي أحترمها الأستاذة حدادي–سامعي دليلة، و الثّقة الّتي وضعتها فيّ بأن يسّرت عليّ ولوج عالم تكنولوجيات الكتابة؛ في نفس الباب حبيبتي فهيمة حبّة و إخوتي زكريا، إبراهيم و محمّد، دون أن أنس ثلاث سيّدات: غنية رموش، نظيرة بن عزوز وَ سامية بوديسة لتحمّلهنّ وجودي معهن في المكتب على امتداد أربع سنوات من التّربّص.

شكري الخالص إلى أستاذ أعانني على تغيير مسار حياتي و انفتاحي على العلم و المعرفة السيد ع.

يسّر الله لكم مثلما يسّرتم لي بتسخير منه عزّ وجلّ سبل إتمام عملي الأكاديميّ هذا.

فهرس المحتويات

الإهداء .... ث
فهرس المحتويات .... ح
قائمة الجداول .... ر
ملخّصات الأطروحة........ ز
مقدّمة........ 15
الجانب النّظريّ........ 18
الفصل الأوّل: إدراك الذّات........ 19
I-الفرق بين الإدراك و التّصوّر 21
II-الفرق بين الأنا و الذّات 24
III -تعريف الذّات لغة و اِصطلاحًا 27
1 -الذّات لغة 27
2 -الذّات اصطلاحا 29
IV-النّظريّات النّفسيّة و النّفسية التّحليليّة حول الذّات 31
1 -النّظريّات النّفسية التّحليليّة........ 32
3 -المقاربات النّفسية غير التّحليليّة حول الذّات........ 38
V -بعض المفاهيم المرتبطة بإدراك الذات 49
1 –النّرجسيّة 50
2 -الصّورة الجسديّة 51
3 -المخطّط الجسديّ........ 53
VI -السّياقات النّفسية المساهمة في بناء إدراك الذّات 55
1 –الكبت 55
2 –التّقمّص 56
3-التّكوين العكسي 56
4-الارتداد أو النّكوص 57
5-التّبرير 58
6-الإجتياف 58
7 –المثلنة 58
VII-إدراك الذّات و علاقته بتقدير الذّات 59
VIII-إدراك الذّات والهويّة الجنسية و الأنثويّة 62
IX -العذرية والعفّة، علامة أنثويّة ثانويّة........ 69
X-اضطرابات إدراك الذّات 75
الفصل الثّاني: إدراك العلاقات........ 82
I-ماهية الموضوع أو الآخر 84

II-تعريف إدراك العلاقات 88
III-مفهوم العلاقات لغة واصطلاحا 91
1 -مفهوم العلاقات لغة.. 91
2-مفهوم العلاقات إِصطلاحا 93
IV -النّظريّات المفسّرة لإدراك العلاقات... 95
1 -النّظريّات التّحليليّة 95
2 -النّظريات النّفسية–الاجتماعية 96
3 -النّظريّات الظّواهراتيّة... 98
4-النّظريّات المعرفيّة–السّلوكية 100
5 -المقاربة النّسقيّة لإدراك العلاقات.. 101
V -معايير العلاقات السّويّة 103
1 -اللّيبيدو و الاستثمار النّفسيّ.. 104
2 -سيكولوجية الحبّ و التّعلّق 106
3 –النّرجسية 109
4 -التّحويل و ضدّ التّحويل... 111
5 –النّزوات 112
6 –الهوامات 122
VI-مبادئ العلاقات الموضوعية 124
1 -مبدأ اللّذة-اللاّلذّة 124
2 -مبدأ الواقع 125
3 -مبدأ القصور 126
4 -مبدأ النرفانا 127
5 -مبدأ الثّبات 129
6 -مبدأ إجبار التّكرار 130
VII -أنواع العلاقات الموضوعية 131
1-العلاقة بالموضوع المبكر 132
2-العلاقة بالموضوع الإنتقالي 133
3 -العلاقة الأوديبية.. 137
4 -العلاقة الموضوعية التّناسلية.. 138
VIII-خبرات العلاقات الموضوعية.. 140
1 -خبرات الإشباع/الإحباط 141
2 -خبرات اللّذّة/الألم.. 143
3 –الكفّ 144
4 -العقد النّفسية 146
IX-باثولوجية العلاقات الموضوعية 148

1 –التّثبيتات 148
2 -الإعتمادية و التّبعية الانفعاليّة.. 150
3 –الالتحامية 152
4 -هوام المشهد البدائيّ... 153
الفصل الثّالث: التّشنّج المهبليّ.. 161
I-ماهية الجنسانية و التّشنّج لغة و اصطلاحا 166
1 -ماهية الجنسانية و التّشنّج لغة... 166
-ماهية الجنسانية والتّشنّج في قواميس العلوم الإنسانية وعلم النّفس التحليليّ 167
2-ماهية الجنسانية وَالتّشنّج اصطلاحًا 169
II-ماهية الجنسانية في الثّقافة العربية 171
III -التّنظير للجنسانية البشرية 175
1 -النّظريّات التّحليليّة.. 176
2 -أبحاث Kinsey في الجنسانية.. 180
3 -النّظريّات السّيكولوجية... 181
4 -النّظريّات الأنثربولوجية والإجتماعية 185
5-النّظرة البيولوجية 187
IV -ماهية الجنسانية الأنثوية 188
V -جنسانية المرأة العربية 189
VI -التّنظير للجنسانية الأنثوية 193
1 -وجهات النّظر الفرويدية حول الجنسانية الأنثوية.. 193
2 -وجهات النّظر التّحليليّة المعارضة للفرويديّين حول الجنسانية الأنثويّة.. 199
VII -الاختلالات الجنسية الأنثوية 209
1 -ماهية الاختلالات الجنسية الأنثوية.. 210
2 -التّشنّج المهبليّ كاختلال جنسيّ أنثويّ... 211
VIII -التّنظير للتّشنّج المهبلي كاختلال جنسيّ أنثويّ.. 214
1-التّفسير التّحليليّ للاختلالات الجنسية الأنثوية 214
2-التّفسير المعرفي–السّلوكي.. 224
الإشكالية.. 231
الجانب المنهجي.. 239
الفصل الرّابع: منهجية البحث.. 240
I-منهج البحث 242
II-مجموعة البحث 244
III -أدوات البحث 250
1 -المقابلة العيادية... 251
2-الاختبارات الإسقاطية 255

2-1-اختبار بقع الحبر (Rorschach)..256
2-2-رسم الشّخص كتقنية إسقاطية و أداة بحثية...266
3-الدّلالة السيكولوجية للألوان 294
IV -الدّراسة الاستطلاعية 306
الفصل الخامس: دراسة الحالات وتحليل أوّلي للنّتائج 326
V-عرض مفصل للحالة الأولى 328
VI-عرض مفصّل للحالة الثّانية 341
VII-عرض مفصّل للحالة الثّالثة 356
VIII -جدول تحصيلي يختصر الحالات الباقية...372
IX-مناقشة أوّلية لنتائج هذه الحالات 382
الفصل السّادس: التّحليل العام للنّتائج...394
خاتمة عامّة...406
قائمة المراجع المعتمدة في البحث...410
فصل الملاحق 437

قائمة الجداول

رقم الجدول	محتوى الجدول	الصّفحة
1	خصائص مجموعة البحث	250
2	رمزية لوحات بقع الحبر	260
3	الملخّص الشّكلي لنتائج بروتوكول الحالة	265
4	دلالة مؤشّرات إدراك الذّات في النّظام الإدماجي	265
5	دلالة مؤشّرات إدراك العلاقات في النظام الإدماجي	266
6	مراحل تطور رسم الشخص بالتّقدّم في العمر(Baldy، 2008)	272
7	التّطوّر الزّمني لرسم الأنف، العين، الفم (Baldy، 2008)	273
8	الملخّص الشّكلي لحالة الدّراسة الاستطلاعية	317
9	الملخّص الشّكلي للحالة المفصّلة الأولى	334
10	جدول حوصلي لاستراتيجية الحالة في التعامل مع الوضعيات العلائقية	334
11	الملخّص الشّكلي للحالة المفصّلة الثانية	349
12	جدول تحصيلي لاستراتيجية الحالة في التعامل مع الوضعيات العلائقية	349
13	الملخص الشّكلي للحالة المفصّلة الثالثة	367
14	جدول تحصيلي لاستراتيجية تعامل الحالة مع الوضعيّات العلائقية	367
15	جدول تحصيلي يلخص الحالات الإثني عشر الباقية	375

ملخّصات الأطروحة

إدراك الذّات و العلاقات في التّشنّج المهبلي

– دراسة عيادية إسقاطية لخمسة عشر امرأة جزائرية متزوّجة –

الملخّص

تعاني بعض النّساء الجزائريّات من اختلال في جنسانيتها بسبب تشنّجات مهبلية لاإراديّة دفاعيّة تمنع كلّ فعل إيلاج. عرضية هستيرية تكشف عن تحويل المكبوتات الجنسية إلى العضو الّذي يجسّدها. تناقضية بين التّخلّي عن وضعية قبل–أوديبية وتجاوز حبّ الأب نحو موضوع راشد. إخصاء أنثوي يخلّ بالمرحلة التناسلية وَيفترض تشوّها في طبيعة إدراك الذّات والعلاقات الموضوعية بتحريض تشنّجات مهبلية تختلف درجاتها باختلاف نواتج الصّراعات الضمنفسية الّتي تعيشها كلّ حالة.

لتقصّي مدى التّرابط بين السّياقات "ضمن" النّفسية والتّفاعلات "بين" الشّخصية في عرضية التّشنّجات المهبلية إرتأينا تطبيق المنهج العيادي بدراسة الحالات في ظلّ اختباريِ الرّورشاخ ورسم الشّخص الإسقاطيّيْن، إضافة إلى مقابلات عيادية بحثية في نوعها غير الموجّه لاستقصاء المكبوتات اللاّشعورية.

قد ترجع هذه الإشكالية إلى توظيف ميكانيزمي الكّف، الفكرنة والتّسامي لأجل التّماهي الفالوسي باستثمار نزوة السّطوة لإخصاء الآخر وَتجريده نزويا لخفض التّوتّرات الجنسية وتعبيراتها العاطفية. وقد تكشف عن حبّ طفوليّ يستثمر الجزء العلويّ من الجسد باستنكار الجزء السفلي منه بسبب فوبيا الفالوس العملاق و هوام تدمير داخل الجسم.

الكلمات المفتاحية: إدراك الذّات – إدراك العلاقات الموضوعية – الجنسانية الأنثوية – التّشنّج المهبلي – اختبار الرّورشاخ نظام إدماجي – رسم الشّخص – المقابلة العيادية غير الموجّهة.

Résumé

Plusieurs femmes algériennes mariées vivent difficilement leur sexualité à cause de spasmes vaginaux involontaires repoussant toute tentative d'accomplissement de l'acte sexuel.

Cette problématique peut être liée à une ambivalence entre dépasser l'amour du père vers un objet adulte, ou à une castration féminine…qui suppose une mauvaise perception de soi et de l'autre conséquence des conflits intrapsychiques de chaque femme.

Elle peut être liée à des mécanismes d'inhibition pour une identification phallique carapace à contrôler l'effet pulsionnel et affectif perturbateur des objets sexuels ; cela peut même révéler la phobie d'une destruction de l'intérieur du corps.

Dans notre quête de l'ampleur interactif entre processus ''intra'' et ''inter'' par la symptomatologie vaginale involontaire, nous avons choisi d'appliquer la méthode clinique en étudiant les cas à l'épreuve des tests projectifs, Rorschach Système Intégré et dessin du bonhomme, en plus des entretiens cliniques non directifs à viser de recherche pour mieux investiguer les refoulés inconscients.

Mots-Clés : Perception de soi – Perception des relations objectales – Sexualité féminine – Vaginisme – Rorschach Système Intégré – Dessin du bonhomme – Entretien clinique non directif.

Abstract

Several married Algerian women have difficulty living their sexuality because of involuntary vaginal spasms repelling any attempt to perform the sexual act.

This problem can be linked to ambivalence between going beyond the love of the father towards an adult object, or to a female castration… which supposes a bad perception of oneself and of the other consequence of the intrapsychic conflicts of each woman.

It can be linked to mechanisms of inhibition for a shelled phallic identification to control the disturbing instinctual and affective effect of sexual objects; it can even reveal the phobia of a destruction of the interior of the body.

In our quest for the interactive magnitude between "intra" and "inter" processes through involuntary vaginal symptomatology, we have chosen to apply the clinical method by studying the cases to the test of projective tests, Rorschach System Integrated and drawing of the man, in addition to the non-directive clinical interviews to be aimed at research to better investigate the unconscious repressed.

Key-words : Self-perception -Perception of objectal relations – Female sexual – Vaginimus dysfunction - Rorschach test Exner system – Draw-a-person test - Non-directive clinical interview.

مقدّمة

"شوفي يا بنتي، حبيتي تفريها ديري راسك في ساشي كحل"، نصيحة أمّ لابنة لها تجد صعوبة في اكتمال الفعل الجنسي وتجسيد أنوثتها بتقبّل الجنس الآخر. نصيحة ذكّرتنا بوصاية أمّ بريطانية لابنتها المقبلة على الزّواج و الّتي أعربت لها عن مخاوفها: " fermes les yeux et penses à l'Angleterre". لا أثر للفروق الدّينية أوالإثنية أوالهوية السّياسية ولا حتّى المستوى التّعليمي، تساوت الأفكار والتّخمينات الأنثوية حول الإدراكات الجنسانية وصورة الآخر وإدراك نوعية العلاقة به!

يقول مدير المعهد الصّحي الجنسي بجامعة هارفارد أنّ العلاقات الجنسية المنتظمة تساعد على تحقيق العديد من الفوائد الصحية: علاج الأرق، تهدّئة القلق وتشفي من الإحباط والاكتئاب، أفضل وسيلة للاستمتاع بالحياة، تنشّط الدّورة الدّموية وتقوّي العضلات، تضبط اضطرابات الحيض وآلام عسر الطّمث، تزيد البشرة نضارة وتألّقا، تعدّل من الإفرازات الهرمونية وتقلّل من إصابة الرّجال بالبروستاتا، تزيد من الخصوبة الأنثوية، تشفي الآلام العضلية والظّهرية لأنّها تحقّق استرخاء عضليّا عميقا يطلق عليه بالسّكينة والطّمأنينة...

ماذا لو تغيّرت أسس التّوريث الاجتماعي عبر–الجيلي لتتوجّه نحو تلقين هذه المعرفة ودحض غيرها من المتداول بين النّساء: "رجال ما فيهمش الأمان؟ ما كاش لي دات خوها ولا بوها غير لي دات عدوها؟ كيد النساء كيدين ومن كيدهم جيت هارب؟ المرأة شيطان خلقت من الضلع الأعوج؟ المرأة شاورها وخالف رايها؟....".

توريث لعداوة بين الجنسيْن تصعّب من زرع الثّقة بين المرأة والزّوج حيث يقبل كلّ منهما على موضوع الحبّ الّذي اختاره أواختاروه له بكراهية كامنة تنفّر من رغبة التّعمق في معرفة الآخر بسبب أفكار مسبقة تكفي لتأكيد العجز بالمقاومة والإنكار لأنّ الآخر معتدي، ماكر، يتحيّن الفرص... معتقدات اجتماعية سلبية تشوّه إدراك الأنا للآخر

ولا ترغّب في الحميمية معه، بل تفضّل تواجده خارج حيّز الأمان الشّخصي لحفظ الذّات والأنا ممّاهو مرعب أو سيّئ.

نضيف إلى ذلك ما توارثناه من محظورات حول الخوض في مثل هذه المسائل وإلزامية التّكتّم لأنّ تربيتنا تمنعنا من التّعرّض لهذه الأسئلة بالبحث والاستجواب لما فيها من تأشير على غياب الحياء والحشمة وقلة العفة ومخالفة ضوابط حياة الجماعة.

قالت لنا إحدى المتشنّجات: "أنا ملّي نعرف يمّا وملّي بلغت وهي تقول لي بلاكي، ردّي بالك ما تروحي مع حتّى واحد، ما تبعي حتى وحدة تديك لكاش بلاصة، بلاكي مول الحانوت، بلاكي صحاباتك بلاكي بلاكي بلاكي...هذا واش دّيت من عند يمّا حتّى راني في ثمن سنين ومازال ما فريتهاش؟".

إنّ قراءة ما بين سطور هذا القول أوما أسلفنا ذكره، يكتنف توجيه انتباه و تنبيه سلبيّ نحو الآخر وتحذير منه ليخرج الأنا بقناعة: هل يلتقي العدوان ويرتميان في الأحضان؟ إنّنا نهيّئ بناتنا وأبنائنا لأن يدخلوا ساحة معركة لا بيتا تحتاج طمأنينته إلى المعاشرة في ظلّ تفهّم حاجات الذّات والآخر والسّعي بالمستطاع لإشباعها.

معاناة نفسية سببها إشكالية جنسية أنثوية تتغاضى عنها الأبحاث السّيكولوجية خاصّة في أوطاننا العربية التّقليدية، لتركّز على التّسامي باستقصاء موضوعات الذّكاء الانفعالي والذّكاء الاجتماعي، التّوحّد، صعوبة التّوافق الزّواجي، الميول الجنسية الانحرافية، الصّدفية و السّرطانات بأنواعها، فرارا أومقاومة على قول صفوان لأصل المعاناة، تختصره أولى لوحات تفهم الموضوع: عجز أمام موضوع راشد.

تَندُرُ الأبحاث السيكولوجية في الجنسانية الأنثوية واختلالاتها الوظيفية بالتّركيز على حوافّ الإشكاليات النّسوية تدعيمًا للمتوارث الاجتماعي والمرأة الفالوسية متغاضين عن الرّاحة النّفسية في تفريغ التّوتّرات السّوماتية النّزوية...ربّما هي تخوّف من الخوض في خفايا الميول الذّاتية أوعلى حدّ قول أحد العلماء لأنّ البحث السّيكولوجي في الجنسانية هو

تقصّي لآثار العنف الوالدي وتبخيس المرأة، الخوف والجرأة أكثر منه بحثا في هذه الحميمية.

تكشف جنسانية المرأة والرّجل أيْضًا عن طبيعة إدراكاتها للعلاقة الموضوعية المبكّرة والاستعدادات النّفسية للانتقال إلى مرحلة تناسلية راشدة، تؤكّد أو تدحض عجز أو قدرة الأنا والآخر على تأدية الدّور الأنثوي بتحمّل المسؤوليات واتّخاذ قرارات تثبت فردانيّتها ونضجها. أمّا وإن عجزت فهو نكوص إلى مرحلة تثبيت سابقة أوديبية أوقبل-أوديبية، وقد يتّصل بتطبيع اجتماعي تتوارثها عن طريق تماهيات بالأمّ البدائية، الماترياركا الخفية لصالح باترياركا ظاهرة بفضل الدّور النّسوي الكامن الّذي يخدمها مازوشيّا بتكوين شخصيات هستيرية ترغب بالممنوع و تتخوّف من تجسيده.

قامت Kennedy, Doherty et Barnes(1995) بدراسة سيكوميترية لحالات التّشنّج المهبلي الأوّلي نقلا عن Gehring et Chan(2001)، محاولة استكشاف مناحى الشخصية لجماعة من النساء وأزواجهم بعد الخضوع لعلاج نفسيّ بسبب هذه الإشكالية. أظهرت النّتائج مستوى تقدير ذات شخصيّ متدنّي لدى النّساء مقارنة بالأزواج، إضافة إلى وجود مشاعر سلبية مكبوتة حول تصوّراتها لأجسادها، واستدخالها لمكتسبات مشوّهة عن الجنسانية تؤثّر سلبًا على العلاقة بالشّريك.

جاء خوضنا في الجنسانية الأنثوية للبحث في اِرتباط إشكالية اختلالها الوظيفي المتمثّل في التّشنّج المهبلي بعرقلة في السياقات التّطوّرية لدى امرأة دون غيرها من حيث عامليْن محدّديْن إدراك الذّات وإدراك العلاقات الموضوعية وتأثيراتها على اقتصاديتها اللّيبيدية.

الجانب النّظريّ

الفصل الأوّل: إدراك الذّات

" ليس الفتى من يقول كان أبي

و لكن الفتى من يقول ها أنا ذا"[1]

تمهيد

يقرّ العلماء اللّغويّون أنّ مصطلحات العلوم تمتلك أهمّية خاصّة تربطها بتاريخ الكلمة وصيغِها النّحوية، فهي معيار النّضج في التّأليف من ناحية، تضفي على الموضوعات البحثية تحديدات تكسيها خصوصية متميّزة من ناحية أخرى، تنعكس في توحيد المسائل المتشعّبة، وتجميع جزيئات الظّواهر المدروسة بطريقة تسهّل الفهم والاستيعاب على قارئها.

لأجل ذلك، يُحتّم عليْنا التّخصّص العلميّ استخدام مصطلحات دقيقة أثناء الصّياغة التّأليفية، تجعل الباحث-الكاتب يتحيّن زمكانية المصطلح المستعمل في تركيب الجمل المُصاغة، مع إضفاء التّعريف والتّنكير عليْها تارة، حتّى تُحقّق المعنى المُراد تبليغه، ومراعاة ترابطها و السّياق الّذي تُستثمر فيه لتصف الحالات النّفسيّة المُتابعة، وتترجم التّمثيلات الذّهنية الحاوية لها ولمضامين موضوع البحث قيْد المناقشة تارة أخرى.

من هنا، توجّهنا بادئا ذي بدء نحو البحث المعجميّ في مصطلحيْ "الإدراك" و"التّصوّر" وإمكانية ترادفهما أوتضادهما، وكذا مصطلحيْ "الأنا" و"الذّات"، فتصفّحنا مختلف معاجم اللّغة العربية واللّغة الأجنبيّة، ثمّ موسوعات علم النّفس بصفة عامّة والتّحليل النّفسيّ بخاصّة.

[1]- لمّا تولّى الحجّاج بن يوسف الثّقفي شؤون العراق، أمر مرؤوسه أن يطوف ليلا، فمن وجده بعد العشاء ضرب عنقه، فطاف ليلة فوجد ثلاثة صبيان فأحاط بهم و سألهم: من أنتم، حتّى خالفتم أوامر الحجاج؟ فبادر كلّ واحد منهم بسرد أبيات يمدحون فيها مراتب انتمائهم العائلي، فأحجم المرؤوس عن قتلهم. لمّا وقفوا بين يدي الحجاج، كشف عن حالهم، فإذا الأوّل ابن حجام، و الثّاني ابن الخباز و الثالث ابن حائك. فتعجب الحجاج من فصاحتهم، و قال لجلسائه: علّموا أولادكم الأدب، فلولا فصاحتهم لضربت أعناقهم، ثمّ أطلقهم و أنشد:

كن ابن من شئت و اكتسب أدبا

يغنيك محموده عن النسب

إن الفتى من يقول ها أنذا

ليس الفتى من يقول كان أبي

I- الفرق بين الإدراك و التّصوّر

تحصل المعرفة بماهية الإدراك والتّصوّر والتفرقة بينهما كوظيفتيْن نفسيتيْن، بالبحث في أصول هذه المصطلحات أوّلا ثمّ سيرورة الوظيفتيْن في تحقيق الفردانية.

تفسّر معظم المعاجم مصطلح "الإدراك" و"التّصوّر" بالتّداخل المتناوب بينهما. يشير منجد الطّلاّب (1986)، إلى أنّ مصدر مصطلح "الإدراك" هو الفعل "أَدْرَكَ"، فقيل، "أدرك الشّيء": لحقه؛ "أدرك المسألة: علمها؛ و"أدرك الشّيء ببصره: رآه". إجمالاً، يدلّ مصطلح "الإدراك" في هذا المعجم على بلوغ الشّيْء المطلوب والإحاطة به بحصول المعرفة والتّعلّم.

أمّا مصطلح "التّصوّر"، فمصدره من الفعل "صار، يَصُور، صَوْرًا"، فقيل: "صار الشّيء: أماله إلى نفسه" أي شكّل له صورا من إدراكاته الحسية الداخلية؛ وهو ما يظهر في قوله "تصوّر الشّيء: توهّم صورته وتخيّله"، أو"تصوّر له الشّيْء: صارت له عنده صورة وشكل"، فتحدث المعرفة بالشّيْء.

ومجمل ما قدّمه هذا المعجم، أنّ إدراك المسألة هو العلم بها، بعدما كوّن لها صورة وأعطاها شكلا يميّزها عن غيرها من المسائل فيعرفها في محيطها.

ربط المعجم العربي الأساسيّ (Larousse، 1991) بين الإدراك و التّصوّر، فقيل: "أدرك يُدرك إدْراكًا، أدرك منه حاجته: بلغها ونالها"، "المعنى: فهمه وتصوّره". فأن أُدرك يعني أنّ أتصوّر الشّيء وأشكّل له صُوَرا وتمثّلات ذهنية، وفق ما تمليه عليّ أعضائي الحسّية حينها بالانتباه إلى التّفاصيل المميّزة للموضوع وفق مدخلات حسية قبلية، فهو إدراك حسيّ في الفلسفة و علم النّفس. و نفسه، الإدراك الواعي، أي درجة سامية من الإدراك والتّصوّر. على هذا الأساس، أقام علم النّفس الإدراكيّة، نظريّة في التّعليم، تقرّ أنّ ما نتعلّمه هو إعادة للتّكوين الإدراكيّ للفرد يسقطه في تصوّراته وإدراكاته الآنية كقاعدة توقّعيّة.

هي العملية الّتي يحدّدها معجم مفاهيم علم الكلام المنهجية (2016)، بالاستقصاء، أيْ بلوغ أقصى الشّيْء والوصول إلى غايته. فأن تُدرك الشّيء، أن تقف على أقصى ما فيه، وألمّيْت به في تمامه وكلّيته فكنت مُدركا له. وقد يكون "الإدراك" ببلوغ "أعمق" أعماق الشّيء، أوما يُطلق عليْه ب"الدّرك". وبهذا يعرّف العلم الإدراكي على أنّه العلم العميق والبعيد.

التّداخل ذاته بين المصطلحيْن نجده في المعاجم الأجنبية، ف"الإدراك" حسب معجم (Micro Robert، 1978)، هو الوظيفة الّتي تتصوّر بها النّفس الموضوعات باستحضارها أو استرجاع المصطلحات المعرّفة لها في حالة غياب صورتها أو رمزها...وتقديمها للحواس.

تستمدّ قواميس وموسوعات علم النّفس تعريفها للإدراك والتّصوّر ممّا أدرجته المعاجم اللّغوية. ف"الإدراك" نشاط، أوعمليّة اِنتقائية، تحدث نتيجة إنشاء ذهنيّ، يربط بين عالميْن أوّلهما خارجيّ-موضوعيّ يشمل على الموضوع الّذي اِنتبه إليه الفرد، وآخر ذاتي-داخليّ يحمل إحساسات وصور مستدخلة قبلا حول الموضوع محلّ الملاحظة فتحصل المعرفة.

تكتسي مُدركاتنا وفقا لذلك، معنى يظلّ متشظّيا يقول الفينومينولوجيون بين مدّ "الذّاتية" وجزْر "الموضوعية" في نوع من التّجرّد. فتساهم شدّة المنبّه، تكراره، تغييره، غرابته وتعارضه مع الأرضية الّتي تحتويه (fond/figure) تارة، والتّهيّؤ، التّوقّع، الدّوافع، الميول والانفعالات، عيوب الأعضاء الحسيّة، وحتّى التّقييم الاجتماعي والمعايير الثّقافية الّتي يترعرع الفرد فيها تارة أخرى، في أن ندرك إلاّ ما نريد إدراكه.

"وعيْن الرّضا عن كلّ عيْب كليلة   ولكن عيْن السّخط تُبدي المساويا"[2]

[2]- نُسب البيْت إلى الإمام الشّافعي (819م)، و هي مقطوعة مؤلّفة من أربعة أبيات وردت في ديوانه (رويّ الياء). و معنى البيت: عندما تكون راضيا على شخص ما فإنّك ترى إيجابيته، و تتغافل عن سلبيّاته و المآخذ عليْه، بل تجد لها الأعذار حتّى لو كانت، فعينك كليلة أيْ مُغضية – تغضّ النّظر عنها. و بالعكس فإنّك إذا استأت من شخص، فلا ترى فيه بابًا "يفتح على الخير"، بل هو الشّيْطان بعيْنه.

وتعرّف الموسوعات النّفسية "التّصوّر"، على أنّه "توهّم الصّورة وتمثّلها"، للدّلالة على "الحقيقة" و"الهيئة" و"الشّكل" و"الصّفة" و"الظّاهر" من الموضوع محلّ العلاقة. وعليْه، فعندما أنتبه لذاك الموضوع أستحضر تلقائيا بقاياه اللّفظية فتحدث المعرفة والعلم بالشّيء المُدرك.

يحدث الإدراك والتّصوّر أيْضًا بعيدا عن كلّ تخمين، عبر خطوات متتابعة ومتسارعة بدايتها الشّيء أوالموضوع المطلوب إدراكه في العالم الخارجي، وسطها تلاحق الصّور الذّكروية عنه وفقا للإدراكات والإحساسات الذّاتية الدّاخلية المُحَرَّضة آنيّا، ونهايتها حدوث المعرفة والعلم بالشّيْء مصحوبة بعبارة "عرفته، إنّه...".

تتقارب هذه التّفسيرات الموسوعية وما أتت به النّظرية التّحليلية. فالمطّلع على معجم مصطلحات التّحليل النّفسي للابلانش وبونتاليس(1987)، يجد أنّ Freud.S. يربط نشاط الإدراك بالوعي، وأسماه نظام إدراك-وعي. فأن أُدرك يعني أن أعي علاقتي الحالية بموضوع ما وفق مبدأ اللّذّة أوالألم الّذي يصحب إثارات هذا الموضوع والعالم الخارجي، فهو "تصوّر الشّيْء إضافة إلى تصوّر الكلمة المطابقة له..." (لابلانش وبونتاليس، 1987، ص182).

من وجهة نظر موقعيّة، يقع نظام إدراك-وعي على حوافّ الجهاز النّفسي كفاصل أوناقل بين العالم الداخلي والخارجي للفرد. يُوظّف هذا النّظام من وجهة نظر اقتصادية طاقة تتمتّع بحرية الحركة وزيادة استثمار هذا العامل أوذاك من الموضوع المُدرَك، فينتبه الجهاز قبل-الشّعوري والشّعوري وفق ما حرّضه نظام إدراك-وعي من إعادة معايشة للموضوع المُدرَك. أمّا من وجهة نظر وظيفية، يتعارض نظام إدراك-وعي وأنظمة البقايا الذكروية المتعلقة باللاّشعور وقبل-الشعور، فهو لا يحتفظ بأي أثر دائم للإثارات.

فلا مجال إذن حسب Freud، للتّخمينات في الإدراك ولا حتّى في التّصوّر؛ ذلك أنّ الإدراك يكمن في القدرة على استقبال الخصائص المحسوسة للموضوع المُدرَك وِامتزاجها بتصوّر الشّيْء وتصوّر الكلمة، فيحدث تطابق بين المدلول والدّال عليْه

فتحصل المعرفة. خلاصة النّظرية الفرويدية هي أنّ التّصوّر استرجاع لإدراك-وعي سابق، وارتباط للموضوع بآثاره حسب Laplanche et Pontalis (1987).

فلا ترادف ولا تضاد إذن بيْن الإدراك والتّصوّر، بل هُمَا متداخلان ومتعاضدان. ووجود التّصوّر كما يقول Freud هو في الأصل ضمانة لواقعية المُتصَوّر، باستحضار ما سبق أن أدرك و وُعيَ فيما مضى، من خلال إعادة إنتاجه عن طريق الصّور والكلمات المصاحبة لها.

ختامًا، يقول كانط أنّ التّصوّرات دون الإدراكات فارغة، والإدراكات دون التّصوّرات عمياء (العبيدي. ح.م.، 2008).

II- الفرق بين الأنا و الذّات

تتكوّن البنية النّفسية حسب ما يقرّه النّفسانيّون، من ثلاث سلطات: ما نحن عليه حقيقة، كلّ تلك الصّفات الوجودية التي كنّا عليها، وكلّ أولئك الأفراد الّذين انبثقتُ منهم وتفرّدتُ عنهم. بنية حدّدها Freud في الأنا، الأنا الأعلى والهو؛ وَ نر لها أحد تلامذته Jung.C.، بالقناع، الظلّ، الأنا، الذّات، الأنيما والأنيموس.

تتشكّل هذه البنية عمومًا من علاقة ثنائية بين ال"أنا" وال"نحن"، بين "الذّات" و"الآخر"، "الذّات" و"الموضوع". تبني هذه العلاقة حدود الأنا النّفسيّة والجسدية و تحقّق الشّعور الوجداني بها عبر خبرات نزوية ليبيدية تُدركها "الأنا" وتعيشها "الذّات" في تفاعل البيئتيْن الخارجيّة والدّاخلية.

ال"أنا"، "Pronomen"، ضمير يعني حرفيّا باللاّتينية "بديل الإسم"، وتخصّ الفاعل بالمعنى النّحويّ. ضمائر منفصلة شخصية، تُسمّى أيضا ضمائر اِنعكاسية-وصفيّة أو اِنعكاسية-توكيدية، تُعبّر عن الحالة الذّاتية وموقف المُتحدّث/الفاعل من الآخر في علاقته به.

اِستعملت "أنا" في القرن 3 ق.م في أوربا، تحت ستار "نحن" الفردية، لتدلّ على "نحن-أنتم" و"نحن-هم"، عند ختم قرارات ومراسيم الامبراطورية الرّومانية الّتي كان يحكمها آنذاك ثلاث حكّام، لإضفاء الموضوعية، كلّ ماهو موثوق وحقيقي، بعكس ال"أنا" الّتي تعتمد على الانطباعات والميول الشّخصية.

إنّ تضاد ال"أنا" وال"نحن"، يضاهي تضاد "الذاتية" التّقليدي ب"الموضوعية"، اللّتان تُترجمان في اللّغة الانجليزية الحديثة بكلمتيْ "subjectivity" و"objectivity"؛ حيث ترجع الأصول اللّغوية الأولى لمصطلح subject إلى الانجليزية الوسطى soget، suget، وsuglet، والفرنسية القديمة subjectus وsubjectum لاتينية من *sub* أيْ تحت. وكان معنى الجذر اللاّتيني واضحًا في المعاني الانجليزية المبكّرة: شخص تحت سلطة مولى أوسيّد.

في حين أنّ مصطلح object يرجع إلى objectum، لاتينية من *ob* نحو، ضدّ، في سبيل. وكان معناها في الانجليزية المبكرة: موقف معارض في النّقاش، كما لا يزال في الفعل object يعترض وفي objection اعتراض وobstacle عقبة.

دخلت ال"أنا" عند Descartes ضمن جدلية شرطية تربط وجودها بعملية التّفكير (الذّات المفكّرة حسب المعنى الألماني ل subjective)، ما يعني أنّ شرط مادية ومحسوسية وجسدانية و موضوعية ال"أنا" هو استعمال موضوع الفكر أوالذّات (objective حسب المعنى الألماني المعتمد في الاستعمالات الفلسفية) أو"الأنا البدني" حسب Freud أو"الأنا الجلدي والأنا المفكّرة" ل Anzieu.D. من خلال التّحليل الضمنفسي لأجل التّعرّف على ماهية الأنا مقارنة بالآخر-الذّات وتحديد هدفها الوجودي، بعد انفصال الذّاتي "الأنا" عن الموضوعي "اللاأنا"، واكتساب إمكانية استعمال الضّمير "أنا" وتأدية الدّور المنوط به وكذا معارضة الآخر بقوله "لا" حتّى يُعترف به ككيان مستقلّ.

تعتبر الأنا في التّحليل النّفسيّ مرجعًا رئيسيّا يعتمد كينونته السّطحية-الشّعورية ليؤمّن مصالح الشّخص في كليّته (الذّات)؛ تشرف على تفريغ الإدراكات الحسية والغريزية في

العالم الخارجي بعدما تُخضعها لمبدأ الواقع و تُبعدها عن مبدأ اللّذّة، فمبدؤها العام هو الألم، إذ تعمل جاهدة باعتماد الكبت، القمع والإنكار...على التّوفيق بين إثارات الهو ورغباته، و تحذيرات الأنا الأعلى وترهيباتها حسب .Groddeck.G، والعالم الخارجي لحفظ الذّات من الاضطرابات النّفسية العصابية والذّهانية، موظّفة ميكانيزمات مثل الإسقاط، الكبت والإنكار.

تتمثّل الذّات، يقول Kohut، في بنى نفسية، عاطفية ومعرفية تعكس إدراك الفرد لنفسه في علاقته التّفاعلية الواقعية مع موضوعات مهمّة بالنّسبة إليه، وفي تفاعل هواميّ مع المُمثّلين الدّاخليّين لتلك الموضوعات الهامّة. ويُعرّفها Kernberg على أنّها البنية بين-الشّخصية المُشكّلة عبر تمثّلات لها وللعواطف المُتّصلة بتلك التّمثّلات. أمّا Jung فيرى فيها التّفرّد والتّميّز عن الموضوع أوالآخر. في حين يختصرها Freud في اللّفظة الألمانية "Es"، وما يعادلها في الفرنسية "Ça" و"Soi"، وهي مجموع النّزوات الّتي تميل إلى التّفريغ وفق مبدأ لّذّة-ألم الموجودة باللاّشعور.

تتولّى الذّات-الموضوعية-الجوهرية-التّفسيرية مهمّة تجسيد الأنا عبر حدود بدنية يبنيها الوعي و الإدراك الحسي-الشّعوريّ. فهي حقيقة أنطولوجية محسوسة، ثابتة، منطقيّة، تهتمّ بالرّأي الخارجي، وتتشكّل من الآخر إلى الذّات. أمّا الأنا الذّاتية-الاستبطانية فهي تتطوّر من الذّات إلى الآخر، هدفها الوجود باعتماد الاستبطان والفهم الخاصّ لكنهها، لذلك فهي ذات زائفة متغيّرة لامنطقية، تُبنى على المعاناة؛ تستثمر الموضوعات الخارجية ليبيديا في تحقيق مبتغاها من الحياة، هدفها التّمظهر، ومهمّتها التحايل والمراوغة والاستغلال. بينما الذّات، هي الحقيقية، لأنّها نرجسية تتّخذ من نفسها موضوعا تستثمره ليبيديا بهدف التّواجد، لا أكثر ولا أقلّ، حسب البعض المتبقّي من المختصين بالنّفس البشرية.

بهذا تتميّز الأنا عن الذّات بكون الأولى سلطة نفسية تحدّدها وظائفها التّكيّفيّة، فهي موضوع إدراكي-وعي لما يحيط بي ويجري بداخلي، بينما تمثّل الذات الشّخص في

كليّته، أو ما يطلق عليها Jung بالأنا المُوسّع، موضوع شمولية النّفس تشترك مع الهو في اللاّشعور.

III- تعريف الذّات لغة و اِصطلاحًا

نشهد في الآونة الأخيرة تزايد الاهتمام بالفردانية وتطوير الفرد على مستوى كفاءاته الخاصّة بتوجيه اهتماماته نحو العناية بذاته، تقديرها وتجسيد احترام الغير بحبّه لها، فظهرت عبارات تأكيد الذّات، تحقيق الذّات، تطوير الذّات...عملًا بتيّار التنمية البشرية الّذي يُشجّع على تسيير ذاتيّ فرديّ، واستقلالية تحقّق اتّزانه واستمراريته كشخص واع بكينونته الجسدية والنّفسيّة.

حتّم علينا هذا الانشغال و الاستعمال المنتشر لمصطلح "الذّات" أن نلتفت أوّلا إلى أصوله اللّغوية العربية أوّلا ثمّ الأجنبية، ثمّ استعمالاتها العلمية كجزء من النّفس البشرية.

1- الذّات لغة

أ-مفهوم الذّات في قواميس اللّغة العربية

يصنّف النّحّاة مصطلح "الذّات" تحت لفظة "ذات"، وهي إسم مؤنّث لأحد الأسماء الخمسة "ذو"، والّذي يعني "صاحب": "ذو مال=صاحب مال"، "ذو القرنيْن=صاحب الظّفيرتيْن" ...بنفس المعنى يتحدّد إسم "ذات" وفق ما يُلحق به من مفردات، فإذا قيل مثلا "ذات الصّدر" يُقْصد به الفكر أو السّر أي ما يحتويه الصّدر ويشكّل جوهره؛ "ذات البيْن": الحال أي جوهر ما يظهر للعيان؛ ويقال "أصلحوا ذات بينكم" أي حالكم الّتي تجتمعون عليْها. "ذات اليد": ما تملكه، يقال "قُلتُ ذات يده" أي ما ملكت يده.

ف"الذّات" إذن، هي ما يصلح لأنْ يُعلَم ويُخبَر عنه كأساسيّ و جوهريّ؛ ما يُحدّد ويُعيّن مادّية الفرد من خلال حضوره الجسدي والظّهور الفكري.

ب-مفهوم الذّات في قواميس اللّغة الأجنبية

يُترجم النّحويّون مصطلح "الذّات" في اللّغة الفرنسية بلفظة "Soi"، وفي اللّغة الانكليزية إلى "id, self"، من الألمانية "Es, Selbst". وهو اسم مذكّر، بعكس تأنيثه في القواميس العربية. أمّا أصوله اللاّتينية فهي: "sui"، "sibi" أو"se".

ظهر هذا المصطلح في قواميس اللّغة الأجنبية على أنّه ضمير يشير إلى المفرد العاقل والغائب، أي الشّخص الثّالث حسب اللّغة الأجنبية (ما يُعادل في لغتنا العربية ضمائر هو/هي، أنتَ/أنتِ المُفردة). يقصد به الشّخص بعينه، في حدّ ذاته: "il est maître de soi، هو متحكّم في زمام نفسه".

نادرا ما يُستعمل مصطلح "Soi" منفردا، يقترن على الغالب بحرف جرّ ليتّضح المقصود من توظيفه في العبارة: "en soi، في حدّ ذاته"؛ "l'en soi، الشّيء في ذاته"؛ "entre soi، فيما بينهم"؛ "le pour soi، الشّيء لذاته". أمّا "Le soi"، فيدلّ عن الشّخص سيّد حاله، أي من يملك شيئا، يتميّز أو يتفرّد به عمّن دونه.

ت-مفهوم الذّات في قواميس مصطلحات علم النّفس وعلم النّفس التّحليلي

تستمدّ هذه القواميس نظرتها للذّات ممّا تتداوله النّظريات النّفسية والنّفسية التّحليليّة، فجاء المصطلح للدّلالة على الشّخصية تارة أو الأنا تارة أخرى، أو سلطة نفسية شاملة تغطّي المستوييْن الشّعوري واللاّشعوري. و قد نجدها أيضا مرادفة لمصطلح "الشّعور" أو "الشّخص" المعادل للموجود الشّعوري بوصفه ذاتية "جسد"، وهو ما تصبّ فيه عبارة James.W. (1842-1910) البسيطة "شخصيّ"، "لي"، "ملكي ويخصّني". فالذّات إذن تحقيق كامل للموجود الإنساني ككيان مادّيّ متميّز عن الكينونات الأخرى.

يرى Piéron.H. (1987) في قاموسه لعلم النّفس (الطّبعة السّابعة)، أنّ الذّات هي ما يحدّد الفرد في وحدته باستعماله متحدّثا عن نفسه عبارة "أنا بالذّات"، ما يقابله في عبارة

المصريّين "هو بشحمُ و لحمُ"، أي كينونة جسدية تقترن بالوعي ضمن علاقة بالعالم الخارجي عبر ميول نزوية فطرية ومحتويات لاشعورية مكبوتة.

حسب ذات القواميس، يصف Freud الذّات، بذلك الجزء اللاّشعوريّ من الأنا؛ أوْ ما أسماه ب"الهو"، "Es, Selbst"؛ وهي تخصّ الطّبقات العميقة من الجهاز النّفسيّ تعبّر كما نعرف عن جُملة النّزوات الفطرية و المحتويات المكبوتة بسبب رقابة الأنا.

يصفها .Virel.A(1977)، في قاموسه لمصطلحات علم النّفس والعلاجات النّفسية، بمخطّط تنظيميّ مشترك أو نمط بدائيّ أصلي موروث ينشط ضمن التّركيبة النّفسية الّتي يحدّدها الفرد أو الجماعة في مبدأ اختبار الواقع.

تُنظّرُ .Klein M لذات التّفسير؛ فهي تعرّف الذّات على أنّها الوحدة الأصيلة للفرد، تغطي الشّخصية في شموليتها (طغيان الهو على الأنا)، متواجدة سلفا عند إدراك انفصالها عن اللاّذات. يُحوصل Jung تلك النّظريّات ويقول بأنّها مركز و كليّة في نفس الوقت، فهي مستقلّة تتملّص لرقابة العقل والإرادة لأنّها لاشعورية تُوجد النّفس من خلاله محورها التّطوّري الحقيقيّ.

2- الذّات اصطلاحا

نتداول في تواصلنا الاجتماعيّ مصطلح "الذّات" للإشارة إلى توافق حديثنا عن خصائص فرد بعيْنه دون غيره من الأفراد فنقول: "هذا هو"، "هو بالذّات" أو "هو بالذّات والصّفات". فما يحدّد ذات الفرد هو الخصال و الخصائص الوصفية للصّورة الجسدية لذاك الشّخص محلّ الحوار أو النّقاش.

أمّا ما يصْطُلح عليه العلماء عن الذّات، فهي عند الفلاسفة بادئًا، ما يُقوّم به غيره، أيْ ما يتحدّد في مفهوم "الهُوَ هُوَ" الّذي تداوله الفكر اليوناني في تحديد كلّ كينونة تتميّز عن غيرها من الكينونات في وجود الآخر.

الذّات هي الماهية، ما به الشّيْء هو هو، و يُراد به حقيقة الشّيْء و الوجود أمام الآخر. يتحقّق الوعي الذّاتي-الجسدي بها من اعتراف الغير بها كما يعتقد Hegel، باعتبار أنّ الآخر "هو ذلك الّذي ليس هو أنا، ولستُ أنا هو"، أيْ، "أنا أكون أنا...حدس ذات موجودة بالذّات" حسب Welt.E.(1979)، علمًا أنّ الموجود حسب الفيلسوف الوجودي Jasper.K. مُعطى لنا في انشقاق الذّات عن الموضوع، فكوننا "ذات" هو كوننا نعرف ونمتلك ملكة التّفسير.

أمّا علماء النّفس فيرون في الذّات، جهازا نفسيّا جوهريّا يبني فردانية الشّخص وتميّزه عن الغير، عبر ما تختبره "الأنا" من تجارب اختبار الواقع تُكسب "ذات" الفرد صورة جسدية ومخطّطا لها يُميّزها عن اللاّ-ذات.

يسعي الفرد إذن لأن يصنع ذاته ويخترع لها كيانًا يتجسّد حسب Williams R.(2005) ضمن علاقات تحدّده وتدعمه كوِحْدة مستقلّة بصفات لا تنطبق على من سواه من البشر.

فتحقيق الشّعور والوعي بالذّات لا يكون إلاّ من و بالآخر،ذلك أنّ الإنسان مشروع وجود يبني شخصيته بممارسات وتعاملات مع اللاّ-أنا عملا بقول المتنبّي (صلاح صالح، 2003):

ودعْ كلّ صوت غير صوتي فإنّني

أنا الصّادح المحكي والآخر الصّدى[3]

و عليْه، الذّات حسب هي مُدركات و قيم الفرد حول نفسه أثناء تفاعله مع البيئة. يستمرّ نموّها وتغيّرها باستمرار التواجد في علاقات مع الآخرين. علمًا أنّ هذا الآخر هو في نظر الذّات، الكلّية المزدوجة للكينونة الذّاتية وتقويضها في الآن نفسه، فهو يتداخل

---

[3]- الصّراع بين الإنسان و الإنسان يجعل كلّ منهما آخر، وفق ما يقوله أبو عفش من ذات المرجع:

أنت "الآخر" و أنا "أخر الآخر"

كلانا يملك الحقّ لكن، لا أحد يملك الحقيقة

نعم، يخلد الشّرّ.

ويتمرأى في سلسلة غير منتهية من الانشطارات الذّاتية في علاقة الذّات بالذّات، لا تنتهي إلاّ بانتهاء الوجود البشري في الزّمان والمكان. فالانفصال عن اللاّ-ذات هو الاستقلالية-الحرية، أيْ انجاز للذّات في الصّراع والخَلق. فتتشكّل وفق معنييْن حسب رأي شحاته ح.(2008): الذّات كفكرة الفرد عن نفسه، والذّات كفاعل يبرز من حيث عمليّات تحكم سلوك الفرد وتوافقه بتوظيفه للتّفكير والتّذكّر والإدراك لما يحيط به.

IV- النّظريّات النّفسيّة و النّفسية التّحليليّة حول الذّات

نظّر العديد من العلماء النّفسانيّين للذّات في مواجهة الآخر، فانصبّت الدراسات حول النّرجسيّة والهويّة النّفسيّة؛ بينما توجّه آخرون للتّمييز بين الأنا والذّات في ترادفهما أو تضادهما أو حتّى تكاملهما. أمّا اِتّفاقهم فجاء حول منبع تشكّل الذّات ضمن العلاقة المبكرة بالموضوع: صورة ومخطّط جسديّيْن يتماشيان وما يفكّر فيه أو يتّخذه من قرارات تتجسّد في السّلوكات ونمط الحياة الّذي يؤكّد و يُحقّق وجوده مع الآخر.

وعلى هذا الأساس انقسمت الدّراسات الّتي اهتمّت بالذّات إلى ثلاثة فئات: دراسات ميتاسيكولوجية، تبحث في تصنيف الذّات ضمن الموقعية الفرويدية الثّانية؛ دراسات سيكوباثولوجية تهتمّ بالأمراض النّفسية ذات المنشأ قبل-تناسلي؛ ودراسات تطوّرية نمائية، توجّهت إلى البحث في آليات وميكانيزمات تطوّر الذّات والوعي بها.

وجاء اختيارنا لهذه النّظريّات تماشيا والإشكالية المدروسة الّتي سوف تبحث في ترابط الفرديّ بالآخر ضمن صراعات ضمنفسية واضطرابات علائقية ليبيدية، وموروثات بين-جيلية تمنح البيئة الاجتماعية من منظور التّحليليّين الجدد أهمية في بناء تصوّرات وإدراكات الفرد عن ذاته.

1- النّظريّات النّفسية التّحليليّة

أ-الذّات من منظور Jung. C.G.

Jung.C.G. (1961-1875) عالم نفساني وطبيب عقلي، اِنشقّ عن التّوجّه الفرويدي المنادي بالحتمية الجنسية، ليضع نظريّته في علم النّفس التّحليليّ الّتي تجعل من الذّات مركز الشّخصية إن لم تكن الشّخصية في كلّيتها؛ زيادة عن دورها المتناقض المتمثّل في بناء تفرّدها عبر أنماط أوّلية مسبقة.

يشبّه Jung الذّات بالشّمس الّتي تدور حولها الأرض. ترتبط كينونتها بالتّفرّد بعيدا عن الموضوع المبكر، بالانفصال النّفسي بعد الابتعاد الجسدي المّادي عنه.

جمع Jung في نظريّته للذّات بين مفاهيم الشّمولية، الكليّة والمركزية، لكن كمهام غائية لها غير مُكتملة، تجمع فيها بين أنظمة النّفس المختلفة (الظّلّ، القناع، الأنيما والأنيموس)، أنماط أوّليّة مسبقة تؤدّي في مواجهة الأزمات النّفسيّة إلى ترابط النّسقيْن النّفسيّيْن الجزئيّيْن، الشّعور واللاّشعور، عبر مركز مشترك لها هو الذّات.

تعيش الذّات عبر هذه المواجهة خبرات واعية تسمح للأنا بتوسيع حدودها، شريطة، يقول Jung "أن تسمع لصوت من هو أعلى منها، الذّات"، لأنّها تغطّي حسبه، "ليس فقط النّفس الواعية بل حتّى الجزء اللاّواعي منها، فتشكّل بذلك شخصية شاملة، تلك الّتي نحن عليها" (Jung، 1934)، أوما يُطلق عليها "devenir soi-même".

ب-الذّات من منظور المدرسة البريطانية

ينتسب لهذه المدرسة كلّ من Guntrip, Fairbairn, Winnicott et Balint. اِهتمّوا بالعلاقة المبكّرة بالموضوع و استثمارها لطاقة ليبيدية ضمنفسية وبين–شخصية تساهم في بناء الذّات الحقيقية.

يؤكّد Balint، أنّ الفرد يقيم منذ ولادته علاقة بموضوعات المحيط تجسّدها خبرات معاشية بين-شخصيّة وجودية، أكثر ممّا هي موضوعية تستثمر الطّاقة اللّيبيدية بصفتها الاعتمادية النّفعيّة لاستعادة النّرفانا المفقود.

تكتسي هذه الخبرات طابعًا بنيويّا ديناميّا سمّاها الذّات، مبدأ تنظيمي للتّطوّر اللّيبيدي هدفه تنظيم و احتواء الصراعات الضمنفسية وبين-الشخصية بتوظيف ميكانيزمات تكيّفيّة.

توصّل Fairbairn بعْد دراساته لحالات الفصام، إلى أنّ الاندفاعات الطّاقوية لا تنفصل كما يدّعي .Freud. S عن بنية الموضوع أو الأنا النّفسية، بل تمثّل النّمط الدّينامي للبنيات الباطنية للنّفس ولا تنفصل عنها، تمثّل حيوية أشكال نشاطات الأنا-البنية.

بالنّسبة ل Fairbairn، يبدأ الرّضيع حياته بنسق ذاتيّ موحّد يبحث عن العلاقات كحاجة أولى للتّمتّع بالحبّ اللاّشرطي وليس لأجل الإشباع النّزوي فقط حسب ما يردّده الفرويديّون.

في حالة الإحباط، تتشكّل ذواتيْن فرعيتيْن متصارعتيْن، إحداهُما ليبيدية ترغب في إقامة علاقة مع موضوع مثير، وأخرى مقاومة للّيبيدو ومرتبطة بالموضوع السيئ تنفر من أية علاقة موضوعية ليبيدية مع الآخر. ينشأ عن هذا الصّراع والتّوتر ذاتٌ مركزيّة وفق الاستعمال اليونغي، تُسمّى أيْضًا أنا-الواقع، تُبْقِي على الذّواتيْن الفرعيتيْن مكبوتتيْن حفاظًا على هويّة الفرد.

ذاك هو الطّابع الدّينامي والبنية النّفسية الدّاخلية للفرد، المنظمة لعلاقاته الموضوعية، والّتي اصْطلح عليها Fairbairn بلفظة الأنا أوالذّات.

إذا ما سيطرت إحدى الذّواتيْن الفرعيتيْن و فشلتْ الذّات المركزية في كبتهما، تحلّ الباثولوجيا ويفوّت الفرد فرصة توحّد الذّواتيْن تحت ذات موحّدة مركزية.

استخلص Guntrip من عمله كعياديّ أيْضًا في فهم معاش الأشخاص النكوصيّين حبيسي الماضي، العاطفي، التّحفيزي والعلائقيّ، أنّ الأنا هي ذات الشّخص، أو نسق رقابيّ يضبط النّزوات، أو جزء من الشّخص في كلّيته.

يُؤكّد Guntrip أنّ "الذّات" هي الشّخص في كلّيته، وقد كتب يقول، معلّقا على Winnicott أنّ الرّضيع نفسية كاملة، تمتلك عند ولادته طاقة كامنة لأنا آدميّ، يتطوّر إلى أنا حقيقيّ أو ذات شخصيّ حسب نوعية العلاقة الأمومية واستثمارها لهذه الطاقة الكامنة.

ما يقصده، أنّ الفرد يولد وحدة كاملة ومنتهية المنشأ، لا يبدأ جزئيّا ثمّ يكتمل. وحاجته الملحّة والمبكّرة للعلاقات الموضوعية ليس إلاّ لترسيخ ودعم تطوّرها وإستقلاليتها عبر الاستثمار السّويّ لها للخروج من الالتحامية.

ت-الذّات من منظور Winnicott

سمح تخصّص Winnicott في طبّ الأطفال بالإطلاع على مسار النّموّ النّفسي والانفعالي والاجتماعيّ للطّفل، والبحث في نوعية الرّوابط الّتي يقيمها مع محيطه و موضوعاته.

مثل سابقيه من البريطانيّين (Balint، Fairbairn، Guntrip)، إمتنع Winnicott(1971) عن تحليل ما يجري في حياة الطّفل المبكرة على ضوء نظرية اللّيبيدو، لأنّ الإشباع النّزويّ لا يكفي، في رأيه، حتّى يشعر الرّضيع بوجوده وبأنّ الحياة حقيقية وتستحقّ أن تعاش. فهو أيْضا في حاجة إلى علاقة موضوعية ذات نوعية تتّسم بالإحتضان والملامسة الجيّدتيْن والكفيلتيْن بتوفير تكيّف حيويّ ونشط لحاجات الطّفل تسمح له باختبار موثوق بالكمال، والشّعور بالذّات الّذي ينبثق تدريجيّا ويظهر، عبرالشّعور بالإندماج (استمرارية الوجود والكينونة)، والإحساس بالشّخصنة (التميّز والاستقلالية).

وعلى هذا الأساس، إبتدع Winnicott مصطلحيْ "الذّات الحقيقية" و"الذّات المزيّفة"، وربط كُلّا منهما بنوعية العلاقة الموضوعية والمرحلة الانتقالية وتجربة الإبداعية والاستكشاف عن طريق اللّعب في توظيف شخصه في كليته وتأكيد ذاته في المحيط.

لنتذكر أن Winnicott يرى في الذات ما يبرز قدرة الكائن البشري على أن يكون في علاقة حيوية مع الواقع الخارجي شريطة أن تكون هذه العلاقة إبداعية.

ث-النّظرة التّطوّرية للذّات

ينظر التّطوّريّون من أمثال .Mahler.M و.Erikson.E إلى الذّات على أنّ أساسها وراثيّ. وقد كان Erikson أوّل تحليليّ وضّح أنّ وراثية الذّات وتشكيل هويّتها يرتبطان بالتّفاعل بين العوامل الاجتماعية والثّقافية، وظهور أزمة المراهقة.

اِعتمد Erikson في تنظيره للذّات لفظتيْ "الأنا" و"الذّات"، باعتبار الأولى نواة الثانية ومصدر الوعي بها وبالعالم الخارجيّ عبر سيرورة الأزمات الّتي يمرّ بها الفرد خلال مراحل حياته (أزمة المراهقة أوالدخول في حياة الرشد) وما تولّده من هشاشة وتفعيل لقدراته الكامنة الجديدة ضمن تفاعلاته الاجتماعية.

تتشكّل الهويّة حسب Erikson (1956) من مركبتيْن بنيويّتيْن: "هويّة الأنا"، أوْتجربة "أنا" الفاعلة في ضوء وظيفة نفسية_اجتماعية مركزيّة، وفق عبارة:"إنّني في كامل قواي العقلية وقادر على التّصريح بما أراه وما أفكّر فيه"؛ و"هويّة الذّات"، أو أنا المالكة أو "الذات"، لانفعالات، اندفاعات، ذكريات، انطباعات، صورة جسدية، دور اجتماعيّ إدماجي... تترابط أثناء تجارب الأنا، فتُدرك هذه الأخيرة كنواة الوعي بالذّات وبالعالم الخارجيّ حيث أمتلك هوية متماسكة في حدود الواقع الاجتماعي، أو ما يسمّيه Erikson (1968) ب"أنا الجماعة".

أقرنت Mahler(1975) الذّات وتشكيل هويّتها على غرار Jung بسيرورة التّفرّد والانفصال عن الموضوع المبكر. وترى في هاتيْن السّيْرورتيْن، ميلادًا نفسيًا ثانيًا يقوم على الوعي بالذّات مانْ يبلغ الطّفل خمسة أشهر، لحظة أولى الانفصالات الحركية النّشيطة وبداية أولى معالجات الموضوع يدويّا باكتشاف وجه وجسد الأمّ يطبعه تنبيه حسي خاصّ.

اِستلهمت أبحاثها من دراسات .Spitz.R على الرّضيع واستثمار العلاقات بالموضوع برجوعه اصطلاحيّا إلى الأنا النّفسي، وكذا أعمال .Piaget.J حول توفّر الموضوع لإثارة الوعي بالذّات.

تُعرّف Mahler (1975) الانفصال على أنّه اِنْبثاق أنا الطّفل خارج الالتحامية التّلاحمية مع الأمّ عبر وظائفه الاستقلالية الأخرى (إدراك، ذاكرة، معارف، اختبار الواقع، الحركة...) المساعدة على التّحرّر وإقامة حدود أو حوافّ الذّات. أمّا التّفرّد، فيتمثّل في التّجربة الذّاتية والإنجازات التي تطبعها خصائص الطفل الفردية المميّزة .

تهتمّ Mahler خصوصًا بالسّياقات الضمنفسية المؤدية إلى أعطاء معنى للهوية ، والشعور بالكينونة كفرد منفصل ومستقل ليس جسديا فقط عن أحدهم، بل في اختلاف تصوّرات الذّات المُسْتدخلة عن تصوّرات الموضوع، والوعي أيْضًا بالهويّة الجنسية المماثلة أوالمختلفة عن هويّة موضوع الرعاية، ضمن سيرورتيْ الانفصال–التّفرّد.

ج-الذّات من منظور التّوجّه بين–شخصيّ

يتّفق روّاد هذا التّوجّه Sullivan، Bowen و Laing، على تأثير العوامل بين–الشخصية والاجتماعية في تشكيل هوية الذّات وسلوكات الفرد، رافضين النّظرة التّحليلية الّتي تركّز على العوامل الضّمنفسية.

وضع .Sullivan.H.S(1953) بالتّعاون مع .Horney.K، .Fromm.E، .Thompson.Cl، و.Erikson.E أسُس العلاج النّفسي للعلاقات بين–الشّخصية القائلة بقيام العلاقات الموضوعية على مخلّفات العلاقة المبكرة بالأمّ؛ كما لا يُمكن دراسة الشّخصية خارج نطاق علاقاتها بين–الشّخصية الّذي تنبثق منه.

وفق نظرة Sullivan، يمتلك الفرد دينامية نشطة أوْ ما يسمّيه بذات فعّالة أو نسق الذّات، ينتج مباشرة عن العلاقات بين–الشّخصية، يُعْتَمد في إشباع الحاجات وخفْض التّوتر. فالذّات واختبار الهويّة يقومان على المرجعيّة الغيرية، حيث يشارك الآخر في تفرّد الذّات

وفق ما يُطلق عليْه ب"ملكي/خاصّ بي" ميزة نسق الذّات وإشكالية العلاقات بين- الشّخصية في "الفردية الفريدة" (1953)، أو الشّخصنة أو الذّات المميّزة لما يجري في العائلة (Bowen.M.، 1978).

تتلخّص فكرة نظريّة Bowen في متغيّريْن هامّيْن: درجة توتّر الفرد ودرجة اِندماج الذّات: تكون الذّات أقلّ تمايزًا عندما تكون الوظيفتان الانفعاليّة والفكرية متمازجتيْن. والفرد ذو الذّات المُتميّزة يحافظ على موضوعية انفعالية، و يبقي على علاقته ببعض الأشخاص حتّى وإن جرفه نسق هائج.

يُكتسب تمايز الذّات حسب Bowen ، ضمن الرّحم العائلي و الضغط العاطفي للجماعة. والأفراد الأسوياء منه ليسوا أكثر تمايزا عن ذاك الذي يوصف أنّه ذهاني منهم؛ لأنّ هناك كتلة اِلتحام عاطفي للأنا العائلي لا يمكّن هذه الأخيرة من الاستمرار معًا.

تكشف نظرية Laing عبر مؤلّفه "الذّات والآخرون، 1961" عن العلاقة العكسية بين بناء الهويّة الإنسانيّة والغيْر، و تفسّر أهمية العلاقة بالآخر في إدراك و تشكيل الذّات وَ وعي الآخر أيْضا بكينونته؛ ما يُمكن تلخيصه في نوع من التّكامليّة بين الذّات والآخر في بناء الهويّة الذّاتية لكلّ منهما.

يقصد Laing أنّه غالبًا، ولسبب دفاعيّ، نلغي الفاصل بين ماهو في الواقع عمّا نعرفه أنّه موجود أصلاً، ونلتزم بما نعرف. هذا ما قاده إلى التّفكير في تعريف هويّة الذّات على أنّها قصّة نحكيها لأنفسنا حول من نكون؛ ونظرًا لحاجتنا إلى تصديق هذه القصّة نقوم بطمس صورة أو قصّة أخرى عن ذواتنا أكثر بدائية و ترويعًا.

ففي مؤلّفه حول (الذّات/الأنا المجزّأة، 1960)، عرض نظرة إنقسامية للذّات شبيهة بتلك الّتي تداولها Winnicott. فقد أشار إلى أنّ الذّات تنقسم بسبب التّوتّر الّذي يُهدّدها إلى "ذات/أنا داخليّة" و"ذات/أنا مُزيّفة" (دون حياة) مُتقمّصَة.

3- المقاربات النّفسية غير التّحليليّة حول الذّات

جلب مصطلح الذّات على خلاف "النّرجسية" ذو المنبع التّحليليّ الصّرف، اِهتمام معظم إن لم نقل كلّ المختصيّين والعلماء النّفسانيّين بمختلف توجّهاتهم النّظرية، حتّى تلك التي تبتعد عن النّظرة التّحليلية الميتافيزيقية_الظّواهراتيّة، السّلوكية، الاجتماعيّة_المعرفيّة والنّسقيّة_، الّتي ترى في الذّات تجربة شخصية محضة.

أ-الذّات من منظور المقاربة الظّواهراتيّة

تهتمّ الظّواهراتية بدراسة الظّاهرة الّتي ينبثق من خلالها الفرد ويتجسّد كذاتٍ مستقلّة عن الآخر العامّ المُستدخل في صورة النّموذج.

يبحث روّاد هذه المقاربة، في تحديد الكينونة الذّاتية من خلال الإجابة عن سؤال واحد: كيف يُدرك الفرد ذاته وينسّق مُجْمل إدراكاته ليجسّدها في سلوك معيّن دون آخر؟

حسب L'Écuyer(1978)، تتضمّن المقاربة الظّواهراتيّة تياريْن متكامليْن في دراسة مصطلح الذّات: أوّلهما التّوجه الاجتماعيّ الّذي يؤكّد على دور المجتمع في اِنبثاق الذّات (من أكون في علاقتي مع الآخرين؟)؛ و ثانيهما التّوجّه التّفرّدي الّذي يهتمّ بالميزة الفرديّة للتّجربة الذّاتية (من أكون؟) و عوامل الإنتاجية الدّاخلية، دون إغفال البُعد التّفاعلي وأهمية العلاقة بالآخر حسب كلّ من James، Baldwin، Cooley، Mead، Wallon، Allport، Symonds، Combs و Snygg المهتمّين بتحليل المُركّبات الأساسيّة للذّات.

1-الذّات من منظور James.W.

يطلق James William(1890) مصطلح الذّات، على مجمل ما يمكن أن يطلق عليْه الفرد لفظة (ملك لي)، ليس فقط جسده وقدراته الجسمية، بل حتّى ملابسه، بيته، شريك حياته وأبناؤه، أجداده وأصدقاؤه، سمعته وعمله، أراضيه وأحصنته وباخرته وحسابه المصرفيّ.

يُدرك في الحقيقة .James.W نمطيْن منفصليْن للذّات، "الأنا/me" وضمير المتكلّم "أنا/I".
يحدّد النّمط الأوّل مجموع الصّفات الذّاتية الظّاهرة فيما يمتلكه الفرد كخاصّ به وشخصيّ. تتشكّل هذه الأنا المالكة في حدّ ذاتها من الأنا المادّية (جسدي، ممتلكاتي)، "الأنا الاجتماعية" (علاقاتي، أدواري وشخصيتي) و"الأنا الرّوحية" (ضميري، قيمي، ميكانيزماتي النّفسية).

يضيف إليْها James "الأنا المفكّرة" الّتي تضفي البُعْد الذّاتي والشّعور بالهويّة الشّخصية من خلال الآراء والأفكار الّتي يُدلي بها الفرد كذاتٍ عن تجربته الحياتية النّشطة: الإستمرارية، التّفرّد "التّمايز" والفعل الإرادي (أنا أردت ذلك).

2-الذّات من منظور .Mead.G.H

في حين، أكّد Mead George Herbert في مؤلّفه "التّفكير، الذّات والمجتمع" (1934)، على الدّور الاجتماعيّ الّذي يلتزم به الفرد في المجتمع ويساعد على اِنبثاق الذّات، ك"منتوج مجتمعيّ".

وعلى هذا الأساس، تتطوّر الذّات حسب .Mead.G.H وفق مرحلتيْن:

-في تواصله وتحاوره مع الآخر، حيث يقارن الفرد داخليّا ردود أفعاله تجاه الآخر، وكذا ردود أفعال هذا الأخير تجاهه و مع الآخرين، فتتشكّل لديْه صورة عن ذات مُكتملة.

-عليه أن يُدمج بداخله الجزء الخاصّ بحصّة "الآخر العامّ"، ما يرسّخ بالذّات شعورًا بالوحدة والاستمرارية، تتجلّى في التّصرفات الاجتماعية الّتي تندرج ضمن حقل الخبرة المباشرة للفرد المستخلصة من طريقة تعامله مع ظاهرة زمكانية ما، أسماها بعوامل البنية أوالتّشكيلة الذّاتية.

هذا المجموع المنظّم من تصرّفات الآخر، أوْ ما يسمّيها Mead "الأنا/moi" باعتبارها موضوعا فكريّا و يناقضها ب"أنا/Je" للمتكلّم والّذي يعرّف كردّ فعل جسمي تلقائي على تصرّفات الآخرين.

و هو ما يمكن مراجعته في نظرة Erikson بالأنا الفاعلة والذّات المالكة، في الوقت الّذي يقارن فيه Mead بين "الأنا المنظّم" لتصرّفات الآخر، الموصوفة أحيانا كشخصيّات تاريخية لا تصبح واعية إلاّ إذا ما تمّ انجازها فعلا، بعدما يستجيب لها "أنا" المتكلّم، وكلاهما يشكّلان الشّخصية مثلما تظهر عليه خلال التّجربة الاجتماعيّة.

3-الذّات من منظور Allport.G.

يُعرف Allport Gordon (1968) ببحثه طول حياته عن نظرية للشّخصية يمكنها الإلمام بثراء وتعقيد التّصرّفات الإنسانيّة. أمّا فيما يخص الذّات، فهو يطرح علينا سؤالا: هل مصطلح الذّات ضروريّ؟ وقد ألّف حوله مقالاً يتساءل فيه عن نوعية المصطلحات الّتي يجب استعمالها في التّحدّث عنها حتّى لا تطمس الحقيقة وتعيق التّقدّم في علم النّفس الإيجابي الّذي يحاول تأسيسه.

اِقترح Allport تسمية كلّ ما يتعلّق بالتّجربة الّتي تعيشها الذّات بال"شّخصيّ"، متفقّيا نظرية James. هذه الخصوصية هي أصل الشّعور بالحقيقة التي تجسّد هدف وقيمة التّصرّفات الإنسانية، علمًا أنّها ليست فطرية بلْ تتطوّر مع الوقت.

يميّز Allport.G. ثمانية وظائف خاصّة أوْ شخصيّة تميّز ذاتX عن ذاتY، يمكن تسميتها بوظائف الذّات: الإدراك الجسديّ، هوية الذّات، تقدير الذّات، عِتْق الذّات، صورة الذّات، التّفكير المنطقي (سياق ثانوي)، الجهد المركزيّ والتّجربة المعرفيّة.

يشترك Goldstein Kurt، Maslow Abraham وَ Rogers Carl كأخصّائيّين نفسانيّين في تفعيل الذّات كهدف العلاج النّفسيّ. يؤكّد هؤلاء على أهميّة التجربة الشّخصية كخطوة إمتلاك الفرد الذّاتي لأفكاره، صوره و مشاعره المُدركة كملكٍ له و تخصّه في إنتمائه إلى العالم الخارجيّ.

تستند نظرتهم على النّظرية العضوية للشّخصية الّتي تشير إلى:

-أولوية الكلّ المنظّم عن الوظائف المعزولة،

-القدرة الإيجابية الضّرورية للجسم، لتطوير قدراته،

-تحقيق الذّات أوْ تفعيلها كهدف موحّد للمشروع الإنسانيّ القائم على تفاعل بين العضويّ والنّفسيّ؛ علمًا أنّ ما يجعل تفعيل قدرة عضوية على حساب أخرى، يحدّده أساسا المحيط الّذي تتأقلم معه هذه العضوية.

يرى Goldstein.K.(1940)، أنّ حاجات الجوع، والحاجات الجنسيّة، القوّة، الفضول، إلخ، ماهي إلاّ مبدأ عضويّ يتطوّر على أساسه الجسم نحو الاكتمال والتّحقيق الكليّ للفرد. واللاّشعور هو تلك الخلفية الّتي يعتمدها الجسم لإخفاء القدرات غير المُفعّلة والمَرَضيّة، قدرات مهملة تؤدّي إلى اِختلال النّظام نتيجة عزلها عن المُحقّقة.

4-الذّات من منظور Maslow.A.

على خلافه، عُرف شريكه في البحث العلميّ Maslow Abraham(1968)، بالمؤسّس للقوّة الثّالثة لعلم النّفس و هي علم النّفس الإنسانيّ، علما أن الأوْليَان هما التّحليل النّفسي والسّلوكية.

تنصّ نظريّته على أنّ لكلّ فرد إرادة صحّية نشطة، قوة تدفعه إلى تحقيق قدراته الإنسانية: لأنّه يمتلك في طبيعته رغبة نحو كينونة دائمة، نحو تحقيق كامل وَممتاز لإنسانيّته، مثلما تطمح البذرة لأنْ تكون شجرة، الشّبل لأن يكون نمرًا وَالمهر لكينونته كحصان...

في نظريته للتّحفيز، اِقترح Maslow.A.(1954)، تمييز الحاجات القاعدية (الجوع، الأمن، العاطفة...) عن الحاجات الثانوية و الّتي تتمثّل في حاجات التّطور وَتحقيق الذّات (العدالة، الطّيبة، الجمال، الوحدة، إلخ)، فكلّ ما يلهم الفرد إلى طريق تحقيق الذّات والتّطوّر الذّاتي هو الحركيّة الّتي تمليها عليه طبيعته الخاصّة. وحدها هذه الأخيرة يمكنها أن تؤدّي إلى تجربة سامية نحسّ من خلالها أنّنا أكثر إندماجًا، أكثر توافقية مع العالم و مع الذّات،

نشعر أثناءها بنَشْوة الفرح و الكمال. نظرة نوعًا ما روحانية، تدفعنا إلى أن نسمّي مرضيّا كلّ حركة تعيق تحقيق الذّات والعلاج النّفسي.

5-الذّات من منظور Rogers.C.

وأخيرًا، Rogers Carl(1954) وهو مبتكر العلاج غير الموجّه و المُتمركز حول العميل. يُعرّف السّلوك كمحاولة هادفة تتّجه من الجسم وَ إليْه لإشباع حاجاته، مثلما يختبرها وَوفق إدراكه الخاصّ للمضمون الّذي تنبثق منه.

يًدرك هذا الجسم على أنّه ينشط عبر منبع مركزيّ طاقويّ، يُستخدم في الحفاظ وتحسين خبرته بالحياة. و هو ما اِصطلح عليه Rogers بالذّات، و الّتي يحدّدها كمظهر منظّم للإدراك...يتقبّله الوعي بخصائصه وكفاءاته الخاصّة في علاقة الذات بالآخرين وبالمحيط؛ القيم و الخصال المقترنة بالخبرات و الموضوعات، الأهداف و المثل العليا المدركة بقيمتيْها الموجبة أو السّلبية.

يُصبح جزء من الحقل الإدراكي النّاتج عن تفاعل ذات الفرد مع المحيط، دالاّ بالنّسبة إليْه ويشكّل ما يُعرف بالحقل التّجريبي، أوما يسمّى ب"الذّات الظّاهراتية". تتأثّر بالطّريقة الّتي ندرك بها العالم الخارجيّ و تصقل السّلوكات.

حسب Rogers، في حالة ما إذا أغفلت الذّات بعض كفاءات أو قدرات الجسم أثناء خوضها لتجربة ظاهراتية ما، يتطوّر صراع يرغمها على إتيان سلوك يتأرجح بين إنكار أو تشويه الخبرة الكلية الّتي يصبو إليْها الجسم، فيضيق حقل خبرته الذّاتية. حينئذ تفقد الذّات، يقول Rogers، اِتّصالها بواقع الجسم.، وبالتّالي يتقلّص التّقبّل الإيجابي من محيط المشاعر الّتي يشعر بها هذا الجسم. من هنا، نفهم لماذا يفسّر Rogers القلق بالتوتّر الظّاهر على ذاتٍ تشعر أنّ اِعترافا أو ترميزا لبعض الخبرات سوف يكون مدمّرا للجسم؛ فيصبح الهدف من العلاج في هذه الحالة هو تسهيل التّطابق بين الذّات و الحقل الظّاهراتي للخبرة. فإذا ما لم تتوافق الذّات مع الخبرة المعاشة، يمرّ العميل بمرحلة يدرك خلالها ذاته

كموضوع ويتوجّه نحو حالة تكون فيها الذات مساوية للخبرة، أفضل من ذلك مترادفة والوعي الذاتي بهذه الخبرة، يقول Rogers (1958).

تتلخّص الذّات من منظور المقاربة الظّواهراتية في أنّها تتشيّد على أساس التّصرّفات الإنسانية المستدخلة من الخبرة المعاشة للفرد، وتطبعها خاصية "هذا ملك لي"، يقترن من خلالها مصطلح الذّات بقيمة إدماجيّة ضروريّة.

ب-الذّات من منظور المقاربة السّلوكية

حذّر السّلوكيّون من الخوض في دراسة الأعماق و نصحوا بتجنّب استكشافها لأنّها قد تكون غير مقبولة علميّا في ضوء المنهجيّة المتّبعة في هذه المقاربة القائمة على العلاقة الكلاسيكية بين المثير والاستجابة. ما جعل منظّروها يتباحثون مصطلح الذّات بطريقة سطحية وفق ما إستنبطوه من العمل العيادي و العلاج النّفسيّ، شريطة ألاّ يُمنح ذلك قيمة مفصلية لأنّ الذّات لا تقع على مستوى الأفعال أو الأحداث الّتي يمكن قياسها (L'Écuyer، 1978).

إنتقلتْ هذه المقاربة خلال سنوات 1965–1970 تحت تأثير نظريّات التّفاعليّة في الاتّصال، من الحتميّة البيئيّة (قهرية المثيرات البيئية على الفرد) إلى الحتميّة التّبادليّة الّتي تؤكّد على التّفاعل التّبادليّ المستمرّ بيْن عوامل الضّبط الدّاخلية المسؤولة عن تشكيل الذّات و العوامل الخارجيّة، فيصبح الفرد حينئذ مقيّما لسلوكه الشّخصيّ و معزّزا لنفسه في آن واحدٍ، باستحداث مستوى وظيفيّ يمكّنه من التّحكّم في تصرّفاته بأدنى حدّ ممكن من الضّغوط و التّعزيزات الخارجيّة.

1-دراسات Mischel في الذّات

هي نظرية قريبة من تلك الّتي طوّرها Rotter حول إدراك "محلّ الضّبط" بنوعيْه الخارجيّ و الدّاخلي: حيثُ يكون الضّبط داخليّا عندما ندرك الأحداث الإيجابية و/أو السّلبية كنواتج نشاطاتنا الخاصّة تحت الضّبط الشّخصيّ (Lecourt، 1982). ويرتبط هذا

الضّبط في دراسات Mischel(1973) بمهلة المكافأة الّتي إذا ما طالت صعُب الضّبط والتّعلّم الاجتماعي المعرفي. فتظهر الاختلافات الفردية على مستوى هذا التّعلّم في خمسة متغيّرات:

- الكفاءات الشّخصية (القدرة على المعرفة و انجاز العمل).

- استراتيجياته التّرميزية (طريقته في تصنيف وضعية خاصّة).

- توقّعاته.

- قيمه الذّاتية المؤثرة على طريقة حكمه على نواتج سلوكه.

- وأخيرا، نظام توازنه الدّاخلي (حسن التّعامل مع مجمل القواعد والمعايير الدّخيلة على الوضعية المعاشة).

2-دراسات Mahoney في الذّات

اِهتمّ Mahoney(1974) بالذّات في مجال العلاج النّفسي. ربطها بقوّة الإرادة أوْ قدرة الشّخص على الضّبط الدّاخليّ بتغيير البيئة وَ من ثمَّ تغيير المثير المولّد للسّلوك والاستجابة غير المرغوبة، مع تحديد صُور وأشكال المكافأة أو العقاب المناسبيْن، ما يساعده على التّمييز بين الذّات و اللاّ-ذات و إعادة بناء إدراكاته لسلوكاته باعتماد التّدريب على ملاحظة الذّات، بتثبيت و تقوية الأسباب الّتي تثير استجابات مرغوبة في بيئته.

من هنا اِقترح Thoresen et Mahoney (1974) و Kanfer(1980) العلاج النّفسيّ للتّسيير الذّاتي على غرار المقاربات المعرفية مثل العلاج المطلق الانفعالي ل Ellis (1970) أو العلاج القائم على إعادة البناء المعرفي ل Beck(1976) المطبّق خاصّة على حالات الاكتئاب.

3-دراسات Markus للذّات

بحث Markus(1977) و من بعده Monteil(1993) في موضوعاتية مصطلح الذّات فيما يُطلق عليْه بمخطّطات الذّات، و هي بُنَى و خُطط معرفية ترسّخت في الفرد أثناء خبراته الماضية و ما يقوم به لتنظيم أو تبرير سلوكه فتتشكّل لديْه نظرة عن نفسه، كقوله "أنا شخص مستقلّ" أو "أحبّ أن يُعجب بي الآخرون".

4-نظرية Bandura حول الذّات

اهتمّ Bandura(1977) بالذّات الفعّالة؛ و يعرّفها على أنّها قناعة يمتلكها الفرد حول قدرته على تأدية السّلوك و تحقيق المهمّة الّتي تتطلّبها وضعية ما، بعد استجابته للمؤثّرات الخارجية من خلال ملاحظتها ثمّ معالجتها بالتّفكير، التّخطيط، و توقّع ردود الأفعال الخارجية على سلوكاته و تصرّفاته.

اِنتقد Bandura(1977) الحتمية البيئية و أكّد على الحتمية التّبادلية بين الفرد والبيئة. ويقصد بذلك أنّ الفرد يمتلك ذاتًا تمنحه بعض الحرية في التّصرّف، لأنّ النّاس لا يندفعون ذاتيًا بفعل القوى الدّاخلية ولا قهرًا تحت تأثير المثيرات البيئيّة، بل إنّ الوظائف النّفسية ناتجة عن تفاعل مستمرّ بين الفرد و المثيرات البيئيّة.

وعليْه، فإنّ أفضل الطّرق العلاجية بالنّسبة إليْه، هي تلك الّتي تسمح للفرد باختبار مباشر لكفاءته في الضّبط الذّاتي وتدعيم ثقته الشّخصية في السّيطرة على الأحداث في ضوء التّنظيم البيئيّ و الدّوافع الخارجية و تقييم تفضيلاته من أجل سلوك مرغوب يخدم و يدعم مكاسبه.

ت-الذّات من منظور المقاربة الاجتماعية–المعرفية

يشترك منظّرو هذه المقاربة في تصوّر الذّات كعامل ديناميّ للسّياقات المعرفيّة للفرد، واشتقّوا من هذه النّظرة بعض النّواتج لفهْم الشّخصية. فهُمْ يميلون إلى التّفكير في الذّات

بألفاظ الفاعل باِعتبار الكائن البشريّ بنية حيّة نشطة مرتفعة الأداء، يبني خبرة ذاتية محرّكة للتّطوّر المعرفيّ.

لذلك ربط مفكّرو هذه المقاربة معرفة الذّات بنوعية انتباه الفرد، ثمّ تأثير هذه المعرفة على تعديل السّلوكات الاجتماعية (Wicklund et Duval، 1972) و تكوين الشّخصية.

و بهذا، يتحدّد تعريف الذّات كتكوين معرفيّ منظّم ومتعلّم من المدركات الشّعورية والتّصوّرات والتّقييمات الّتي تحدّد خصائصها وما يعتقد أنّ الآخرين في المجتمع يتصوّرونها عنه من خلال التّفاعل الاجتماعيّ معهم؛ فينمو تكوينيّا كنتاج لهذا التّفاعل إلى جانب الدّافع الدّاخليّ للفرد في تأكيد ذاته (شحاته.ح.، 2008).

1-نموذج Kelly للذّات

يشير Kelly(1955) إلى أنّه من بين الحاجات المركزية للكائن البشريّ هو التّنبّؤ والسّيطرة على أحداث محيطه، و منها ماهو مشترك عند كلّ الأفراد، هو التّمايُز بيْن الذّات واللاّ–ذات، والّذي تتمثّل وظيفته في الحفاظ على الشّعور بالسّيْطرة على أفعاله الخاصّة.

يعتبر هذا العامل حسب Kelly(1955)، أساسا جزء من نسق معرفيّ يرجع إلى مجموعة أحداث من بين أخرى تعيشها الذّات كفاعل ابتكاريّ يبني وحدة و كمالية و كلّية الشّخصية الفردية.

2-نموذج Blasi للذّات

يشير Blasi(1979) إلى أنّ النّظريّات المعرفية للشّخصية تكشف عن بنية جدّ موضوعية للذّات. فالتّأثير المتبادل بينها و بين دينامية النّشاط المعرفي يساعد على تشكيل الذّات والوعي بوجودها ككيان متميّز، يطرح السّؤال المعرفي و يحدّد نموذج الاستجابة المعرفية الّتي يعطيها بنفسه وفق افتراضاته، رغباته و معتقداته، كفاعل، ثمّ اختياره الإقدام أو العزوف عن هذه الخبرة الذّاتية.

أشارت دراسات تطوّرية أُنجِزت على الرّضيع في الولايات المتّحدة الأمريكية حول تكاملية الاختبار الميداني و البنية المعرفية التّجريبية، أنّ الفرد الفاعل عند استعماله لخبرة ذاته العارفة، المسيّرة والضّابطة بكفاءة لنشاطاتها المعرفية، يلعب دورا فعّالا في نوعية إنتاجيّته.

3-نموذج Flavell et Wellman للذّات

تحدّث كلّ منهما عن ذاكرة انعكاسية للتّعبير عن الوعي لدى الفرد الفاعل، طفلا كان أو راشدا، بممارسة نشاط للحفظ و التّذكّر، وعي يساعده على إيجاد، إعادة بعث و إعادة بناء معطيات تُحفَظ بالذّاكرة.

في دراسات ميدانية–تحليلية ل Lewis et Brooks–Grunn(1979)، حول دقّة الاكتساب التّدريجي للطّفل للمعرفة بالذّات بالتّعرّف على صورته في المرآة أو في صُور فوتوغرافية و تلفازية، وكيفية ترسّخ لفظة الذّات بكشفه عن التّماثل بين أفعاله وآثارها. ما يوحي ببداية تشكّل التّصوّرات و الخطط و الأفعال الذّاتية المرتبطة بسياقات داخلية.

حسب هؤلاء، تستلزم معرفة الذّات تمييزها عن العالم الخارجيّ، و بين موضوع اجتماعيّ وغير اجتماعيّ، فيحدث انبثاقها ضمن بيئة معرفية و تحفيزية حيث تكون تجربة التّماثل، التّقليد، الألفة، التّعاطف تجربة فاصلة في التّفاعلات الّتي تربط الذّات بالموضوعات الاجتماعية.

فقد توجّه Epstein(1973) و Klein(1970–1976) في نفس المعنى لتوضيح كلّ حسب طريقته، كيف تسمح لفظة الذّات بتأسيس تمفصل أفضل للسياقات المعرفية والتّحفيزية لدى الفرد، غالبًا ما يُنظّر لشدّتها الوظيفية في المعرفة أو العاطفة.

في ظلّ هذه الأبحاث، تردّنا الذّات المتشكّلة كموضوع معرفيّ و كسياق و محرّك للنّشاطات المعرفية إلى فاعل حيّ و ملموس تذبّ فيه عواطف و انفعالات تُفعّل نشاطاته. فليس هناك معرفة حقّة بالذّات و بالغير، إلاّ بتأدية الفرد لدوره كفاعل ضمن السّياق

المعرفيّ القائم على الربط بين المثير و الاستجابة المرغوبة، ضمن تجربة ذاتية أساسها اختبار الفرد لافتراضاته و توهّماته حول موضوعات معرفية نرجسيّة بحتة.

ث-الذّات من منظور المقاربة النّسقية (Bateson)

في ظلّ هذه المقاربة، أعيد النّظر في تعريف عدّة مصطلحات مفتاحية في علم النّفس وعلم نفس الذّات خاصّة كالتّعلّم، السّياق الذّهني، الاتّصال، الفصام...إلخ. كما أدمجت عدّة نظريّات منها السيبرنتيكا[4]، نظريّة الأنساق ونظرية المعلومات.

وضّح Bateson على غرار جماعة من الفلاسفة أنّ فكرة الفرد عن ذاته تتضمّن جملة من الفرضيّات الكامنة عادة في علاقته ببيئته، يستخدمها كقواعد لتفسير إدراكاته وتجاربه الذّاتية. وفي هذا السّياق، حدّد الذّات كجزء من الشّخصية، فهي كالأنا، تمثّل مجاميع عادات، إدراكات و أفعال تكيّفيّة تُسْتنكر في سياقات التّواصل بين أعضاء العائلة الواحدة لدرجة أنّ كلّ واحد منها يعاني من فقدان للهويّة. أمّا الإرادة الواعية بها ومحاولة ضبطها(Bateson، 1959) مثلما تدّعيه جمعيّات مكافحة الإدمان على الكحول، فهي وهمية لأنّ الذّات تتشكّل على بدايات خاطئة تفسد الطّبيعة الحقيقية لها و حقيقة علاقتها بالآخرين، زيادة على التفافها بتحريضات خارجية تصعّب الضّبط الذّاتي، ما يُبطل تحفيزات المدمن فيفوز الكحول أخيرًا.

أمّا عند مطابقة المقاربة النّسقية ل Bateson بالمنظور التّحليليّ، فإنّ الذّات شبيهة بالأنا-تمثال عند Lacan، والّذي يكشف عن وَهْم الأنا في فرض نفسها كسيّدة مطلقة لنشاطات الفرد؛ أو الوظيفة الاستعلائية لها حسب Jung، والّتي تكشف عن إمكانية أيّ شيء في أن يكون على علاقة مع شيء آخر؛ و أخيرًا Winnicott، الّذي أكّد على تفاعلية الذّات واندفاعها في بعض الأحيان لإبداعية الموضوعات الخارجية إحياء لضرورة استمرارية

---

[4]- أو علم التّحكّم: و هو علم يُتيح لإنسان أو آلة أوتوماتيكية أن يُوجّها و يُضبطا و أن يبلُغا هدفا معيّنًا(إدريس.س.، 2013، قاموس المنهل (فرنسي–عربي)، ط1، ص340)

العلاقة بالموضوع. أبعاد أساسية للتجربة الذّاتية تشكّل هوية الذّات، تنظّم سلوكاتها الخاصّة وعلاقتها بالغير، والّتي يسمح لها مصطلح النّرجسية بتمفصل تركيبيّ أفضل.

تتّفق النّظريّات المذكورة حول تفاعليّة العلاقات الموضوعية بين-الشّخصيّة والضّمنفسيّة، حيث تضمن نوعية الأولى وصلاحها سواء الثّانية ونجاح تفرّدها عبر تصوّر ذاتيّ متميّز يحمل بصمة موقف الآخر من الأنا و يعكس وعي هذه الأخيرة بوحدة شخصيتها و شعورها بذاتها، نفسيّا، جسمانيّا، اجتماعيّا و حتّى انفعاليّا، فهي تنمو وَتتطوّر ليبيديّا من لحظة تشكيلها إلى وقت استثمارها للمدلولات و الدّلالات المستدخلة مع موضوع ليبيديّ آخر: ذاتي، جسمي، ملكي، خاصّتي، شخصيّ، أفكاري، مشاعري، جهودي، صورتي، آرائي، معتقداتي، حاجاتي، صفاتي،...و أيْضا دوري في ممارسة توجّهاتي الحياتية بكلّ حرية ومسؤولية.

فالذّات حسبهُم إذن، وصف وتقييم يعكسان مجمل تصوّرات الفرد عن نفسه، و يكشفان عن تاريخه الشّخصيّ، وصيرورته أكثر تميّزا عن الآخر ضمن التفاعلات العلائقيّة.

V- بعض المفاهيم المرتبطة بإدراك الذات

تنكشف حقيقة الفرد و إدراكه لذاته و للآخر في علاقته الموضوعية المبكّرة واللاّحقة، خاصّة عند بلوغه المرحلة التّناسلية الرّاشدة. فنظرات اللاّ-أنا واللاّ-ذات تدفعه لأن يتفحّص و بطريقة نرجسية أناه و ذاته. حقّ نرجسيّ و شخصيّ لكلّ فرد يستثمر جسده ضمن هذه التّجربة اللّيبيدية الفريدة من نوعها، يكشف خلالها عمّا استدخله و تقمّصه وما شكّله من تصوّرات حول وعيه بجسده في واقعيّته وصُوَرَه الهوامية و كذا سياقاته النّفسية و تاريخه الشّخصيّ و ميكانيزماته التّكيّفية مع المحيط.

يُدرك حينها أنّه جسد و أنّه يمتلك واحدًا هو مصدر و مصبّ تصوّراته، نزواته، رغباته وإدراكاته...الذّاتية عن نفسه وعن الآخر. فيواجه آنئذ اِمتحان نرجسيّته، مخطّطه الجسدي

المُستبطن، و صوره الدّاخلية عنه ومختلف ترميزاته الّتي تبني في مجملها هويّته المشخصنة.

1- النّرجسيّة

يتداول الأوروربيّون خرافة حول زهرة النّرجس الشّريرة حسبهم، يُحذّرون من خلالها كلّ خطيب مُقبل على الزّواج من تقديمها لزوجته المستقبلية، لأنّها إذا ما اشتمّت عطرها فسوف تعشق نفسها إلى الأبد فتتناساه ولا تُغرم به أبدًا. فيصبح حالها من حال زوجة أب الثّلجة البيضاء، الّتي تستشير يوميّا مرآتها: "مرآتي، يا مرآتي، أخبريني أنّي الأجمل في الكون!".

يفسّر محتوى الأسطورتيْن ما يشتمل عليه مصطلح النّرجسيّة من جانبها المرضيّ. مصطلح ظهر على يد .Nücke.B عام 1899 يُحوصل من خلاله دراسة عالم الجنس الإنكليزيEllis.H.H (1859-1939) حول الغلمة الذّاتية، ميل الفرد إلى اتّخاذ ذاته موضوعا جنسيّا فاعتمد توجّها انحرافيا لإشباع نزواته بعيدًا عن استثمار الموضوعات الخارجية ليبيديّا، ويسمّى حينئذ فردًا "نرجسيّا".

اسم شخصية أسطورية إغريقية "نرجس/Narcisse"، عشِقَ ذاته بإفراط و اِتّخذ منها موضوع هيامه و اِهتمامه الجنسيّ منذ أن تراء له خياله على صفحة ماء النّبع الّتي كانت له أداة معرفة و وعي و عشق.

يكتنف مصطلح النّرجسية على بُعديْن: سويّ و مرضيّ. أمّا السّواء النّرجسيّ، فيتمثّل في مرحلة ليبيدية تطورية مبكّرة يُطلق عليْها التّحليليّون اسم مرحلة النّرجسية الأوّلية حيث لا يفرّق الطّفل أثناءها ما بين ذاته و موضوع رعايته، و يعتقد آنئذ أنّ موضوعات اللّذّة كائنة فيه. تنبني هذه النّرجسيّة عبر النّظرات المرآتية التّي تشكّل من خلالها الأمّ صدى الطّفل عن نفسه وعن الآخرين تجاهه. مرحلة مرآتية تتوحّد على غرارها الموضوعات اللّيبيدية الجزئية و تتشكّل تصوّرات الموضوعات الخارجية. أمّا إذا ما بلغ هذا الطّفل

المرحلة التّناسليّة و أصبح راشدًا، و عجز عن توظيف موضوع حبّ خارجيّ ليبيديّا تقهقر إلى نرجسيّة ثانويّة يدخل حينها في نرجسية مرضية تظهر في تثبيت نرجسيّ ونكوص إلى غلمة ذاتية يستثمر خلالها ذاته كموضوع ليبيديّ لإشباع نزواته و تغذية ملذّاته.

يرى .Rosolato.G (1978)، أنّ النّرجسيّة محور يبني النّفس البشريّة على مدار مراحل الحياة، وهي حسب Winnicott (1961، 1962 و1975) إسهامات أساسية ومهمّة في تحقيق صورة جسدية موحّدة، و مستثمرة إيجابيّا تساعده على إقامة علاقة موضوعية مُرْضية. يعتبرها .Widlöcher.D(1978) النّواة التّشكيلية للأنا تتأسّس عبر استدخال صورة أمومية معيّنة تتماشى و نوعية الاهتمامات الأولية...في حين يعرّفها .Anzieu.D (1974، 1976) على أنّها الغلاف الذّاتي، الجلديّ و الصّوتيّ على حدّ االسّواء، الّذي يشكّل حاجزًا حاميًا في تشكيل التّخطيط الأوّليّ للوحدة الجسدية واللّيبيدية وبناء الهويّة والفردانية.

يختصر .Freud.S، .Lacan.J و.Kernberg.O النّرجسية في سوائها ومرضيتها في سريان الطاقة الليبيدية بين مركّبات الفرد النّفسية، تصوّراته عن ذاته وعن الآخرين. أمّا إذا ما كانت مرضية فهي هوية بأنا مضخمة، متمركزة حول ذاتها و متناسية غيرها، تنتقده، تتجنّبه عبر ميكانيزم التّماهي–الإسقاطي به.

2- الصّورة الجسديّة

« L’image de mon corps passe par celle imaginée dans le regard de l’autre » Bouasse.H. (1934).

هي صورة توحّد بين ما تختلجه النّفس ويعيشه الجسد في تواصله مع المحيط. ثلاثية دورة مستمرّة، أدمجها الطّبيب النّفسي والمحلّل النّمساوي .Schilder.P(1935) في نظريّته عن الصّورة الجسدية. يختصرها في صورة ذهنية للصّفة الشّكلية التي يتّخذها جسدنا ويظهر عليها بالنّسبة إلينا. تبنّت هذا المفهوم من بعْده .Dolto.F عام 1984، وتعمّقت في دراسته معتمدة على مرحلة المرآة التّطوّرية والصّورة المنعكسة للعالم

Lacan.J. وأهمية هذه المرحلة في تغيير الطّفل لإدراكاته الذّاتية الأوّلية عن جسده، فتوصّلت إلى أنّ الصّورة الجسدية، صورة ذاتية، هوامية، شخصية، شبقية_ليبيدية ولاشعورية تقوم على اندماج ثلاثة صور فرعية لكنّها متكاملة، أوّلها الصّورة القاعدية أو الأساسية متماثلة عند عامّة البشر "image de mêmeté d'être" يستدخلها الفرد عن ذاته في تماهيه بالصّور الجسدية للغير فتضمن وجوده ككائن حيّ؛ صورة وظيفية حركية يشتقها الفرد من الوضعيات الجسمية الّتي يتّخذها أثناء تأديته للنّشاطات الحيويّة اللاّزمة حسبه، لإثبات هويّته و تفرّده ضمن محيطه و علاقاته الموضوعية؛ وأخيرا صورة شبقية، تحقّق هويته الجنسية من خلال الإشباعات النّزويّة الّتي يستشفها من العلاقة الموضوعية التّناسلية بالآخر المُغاير، و ما تحتويه من ملذّات و آلام..تجسّد هواماته في أفعاله، أقواله، إيماءاته، سكونه، و وضعياته. تعتمد كلّ هذه الصّور في تشكّلها و اكتمالها على نرجسية الفرد و منحى تطوّرها خلال مراحل تطوّره النّفسيّ و العاطفيّ.

تتشكّل الصّورة الجسدية ضمن العلاقة الموضوعية بسياقاتها ضمنفسية و بين_شخصية ومراحلها التّطوّرية الالتحامية_الاعتمادية، الانفصالية_الاكتئابية ثمّ التّفرّدية_الاستقلالية وأخيرًا التّناسلية_الغيرية للفرد طفلا ثمّ راشدًا، مستثمرًا الأنا الجلدي_الصّوتي، ومتحسّسًا لنوعية الاهتمامات الّتي يتلقّاها من الموضوع وما تعكسه من إحساسات وعواطف عبْر نظراتها ونبرات صوتها وكذا تعبيراتها الانفعالية في محاوراتها وبين أحْضانها ومداعباتها.

فالصّورة الجسدية بانية/كاشفة عن التّاريخ النّفسي و الشّخصيّ لكلّ فرد، تتأكّد مع اِكتساب اللّغة و بداية عمليّة التّرميز؛ فهي بصفتيْها المبكّرة والآنية، حصيلة نابضة بالحياة عن تجاربنا العلائقية و ذكريات معاشنا العاطفي، الّتي يُحرّضها تفاعلنا الحاضر و يدفعنا إلى تكرارها بحْثًا عن المألوف الآمن.

قد تضطرب هذه الصّورة مثلما هو الحال بالنّسبة للقلق البدائيّ التّفكّكي في الذّهانات، حيث يتزامن و التّطوّر اللّيبيدي قبل_اللّغوي، ويتمثّل في قلق فقدان الطّفل ذكرًا كان أو

أنثى(قلق الخصاء) لجزء أو أجزاء من جسده و هو شبيه بتخوّف المتشنّجات من فقدان غشاء بكارتهنّ. من هنا جاءت إمكانية تصحيح اضطراب الصّورة الجسدية باعتماد تقنيّات التّفريغ التّحليلية، أو أعمال النّحت و الرّسم، الموسيقى و التّمثيل...

3- المخطّط الجسديّ

« La conscience de mon corps, ce n'est pas la connaissance d'un bloc isolé, c'est un *schéma postural*, c'est la perception de la position de mon corps par rapport à la verticale, à l'horizontale et à certains axes de coordonnées importants du milieu dans lequel il se trouve » (M-P, 1967)[5].

أيْ تخطيط للجسد في فضائيّته و حركيّته. و المخطّط في نظر Piaget.J. مؤشّر تنبّئيّ على الإرتقاء الذّهني لدى الطّفل ما-قبل عاميْن، ذو طبيعة حسّ-حركيّة (رؤية وتتبّع الموضوع، تناول الأشياء والإمساك بها...). حيث كلّما كبر الطّفل زوّد هذه الأطر التّخطيطية بمكتسبات جديدة خلال عمليّتيْ الاستيعاب و المواءمة.

أشار Wallon.H. منذ 1958، إلى أهمية الحركة و البصر في الوعي بالجسد. فهما وظيفتان جسديّتان تساعدان على الانتقال المتكرّر بين سياقات تصوّر الأشياء وتصوّر الكلمات في بناء معرفة ذاتية و شخصية عمّن نكون، و كيف نكون، بإسقاط إدراكات قبلية لتأكيد أو دحض الفرضيّات المصاغة حولها.

ظهر مفهوم المخطّط الجسدي مع نهاية القرن 19 على يد Bonnier(1893). يشير إلى شعور الفرد باحتواء جسد، كيان مادّيّ محسوس و مرئيّ للأنا و للآخر في حركاته، تنقّلاته، و وضعيّاته، معرفة ميكانيكية يدعمها إمتلاكه لقدرة تحديد زمكانيته في الفضاء، و كذا تسمية مختلف أطرافه و أعضائه الحشوية، و حتّى الوضعيات الجسدية الّتي يتّخذها في نشاطاته الحيوية، و كذا تقييمه لقدراته الحركية و كفاءاته البدنية و مهاراته الأدائية. فهو مخطّط تشريحيّ و وظيفيّ لجسدنا البيولوجي.

---

[5]- Andrieu.B. et Al., 2010, Le corps en Acte, p.60.

ترتبط هذه المعرفة الجسدية حسب التّحليليّين بالمرحلة الشّرجية خاصّة، مرحلة تعلّم تقديم الهدايا لموضوع الرّعاية، واِكتساب تعلّم النّظافة و الاهتمام بالجسد. نرجسية سويّة تسمح له ببناء ولم لا تصحيح حسب ما يقترحه .Ajuriaguerra.J، مخطّطه الجسديّ عبر اِنطباعات ملمسية تائهة، حركية و بصرية، نشطة تتجدّد على الدّوام بين معطيات آنية وماضية. فهو إذن، حصيلة ديناميةٍ تمنح لأفعالنا، و حتّى لإدراكاتنا، الإطار الفضائي المرجعيّ حيث تتشكّل مدلولاتها.

أمّا بمصطلحات .Anzieu.D، فهو إدراك فرديّ لأنانا الجلدي، يكشف لنا كيف هو جسدنا، و كيف ينتظم في الفضاء. و هو بتعابير .Freud.S صادّ الإثارات، مقرّ تكوين النّزوات والتّوتّرات النّاجمة عنها، بينما الصّورة الجسدية هي مكان تكوين تصّورات عنها. هو في ظلّ نظريّة .Winnicott.D.W، القدرة على أن يكون الفرد وحيدًا و أن يجتاز مرحلة الموضوع الانتقالي بنجاح.

يتشكّل المخطّط الجسديّ تدريجيًا بدءًا بالأنا-جسد يتلمّسه الموضوع حين يرعاه، ثمّ الأنا-واقع عندما يتلمّس و يتحسّس هو جسده وجسد الموضوع الّذي يرعاه. يُواكب تشكّله التّطوّر الحسّ-حركيّ عبر تجارب التّمايز والانفصال عن الموضوع المبكر. فهو بذلك شعوريّ، قبل-شعوريّ و لاشعوريّ بعكس الصّورة الجسدية الّتي تكون أساسًا هُوَامية ولاشعورية. في ذات السّياق تؤكّد .Dolto.F على نوعية وفردانية هذا المخطّط، واِرتباط تشكّله بالفعل النّشط، والحركة الدّائمة عبر آليات المحاولة والخطأ، وتصدّي عقبات تحقيق الذّات و حصول الأثر المستهدف في المحيط.

يعتلّ المخطّط الجسدي إذا ما أصيب الفرد بصدمات دماغية أو اعتلالات وظيفية أو خصائية مسّت أحد أعضائه الجسدية، مثلما هو حال المبتورين.

VI- السّياقات النّفسية المساهمة في بناء إدراك الذّات

ظهر مصطلح الدّفاع لأوّل مرّة سنة 1894 في دراسة Freud.S. عن أعصبة الدّفاع النّفسية ثمّ في دراستيْن تاليتيْن إيتولوجيا الهستيريا، وملاحظات أخرى حول أعصبة الدّفاع النّفسية. يعرّفها ذات العالِم، بجميع أساليب وطرائق الأنا في تصدّيه لمنازعاته مع التّمثّلات والوجدانات الأليمة. ويتمثّله Widlöcher في مجموع السّياقات النّفسية الّتي تهدف إلى الحدّ من الصّراع النّفسيّ الدّاخليّ؛ في حين يُضمّنه Laplanche.J. et Pontalis.J.-B.(1987) مجمل العمليّات الهادفة إلى اختزال وإزالة كلّ توتّر يعرّض تكامل وثبات الفرد الإحيائي والنّفسيّ للخطر.

تُسمّي Freud.A. تلك السّياقات بميكانزيمات الدّفاع أوْ أوَاليّاته أو حيله، يعتمدها الأنا للحفاظ على اِسْتقراره تحت تهديدات الهو و نزواته. فهي استراتيجيّات الأنا اللاّشعوريّة والبدائيّة جدّا، تنشأ ضمن العلاقة الموضوعية قبل-التّناسليّة، تحجز الطّاقة اللّيبيدية الّتي كان على الأنا أن يستخدمها بفاعلية أكثر في نشاط الذّات. تعمد هذه الميكانيزمات إلى تشويه الحقيقة أو إخفائها و إنكارها حتّى تقلّل من التّوتّر وتُجنّب الفرد الحالات السّلبية كالصّراع، الإحباط، والضّغط النّاتج عن تجاربه مع موضوع الرّعاية.

قد تعوق هذه الميكانيزمات النّمو النّفسيّ و اللّيبيدي فتتّخذ صفة العَرَض و تكشف عن ضُعْف الأنا في إحداث التّآلف بين كلّ ما يُعرض عليْه من مطالب، وما يلجأ إليْه من إنكار للخطر بالكبت، أوْ يطرح عنه خارجًا ذاك القلق عن طريق الإسقاط، أو يثبُت مكانه، أو يتراجع...فهي إذن أساليب وقائية توافقية تحقّق التّوازن النّفسيّ والإندماج النّفسو-اجتماعيّ للفرد فتحميه من فقدان تقديره لذاته.

1- الكبت

هواستبعاد للأفكار والخبرات الخطيرة والمهدّدة من الشّعور إلى اللاّشعور، باستنفاذ طاقة نفسية كبيرة تُعرَف بعمليّة تشتت الطّاقة (وهي عكس تركيز الطّاقة النّفسية في الهو).

ويحدث الكبت في مرحلة ما قبل–التّناسليّة حيث تكون الأنا غير ناضجة و ضعيفة وفي حاجة إلى طرق لمواجهة الخطر. كثيرا ما تقوم الأنا بهذا الكبت بإملاء فتصبح عملياته صورًا داخلية للنّواهي والتّحريمات الّتي يفرضها الأبوان على الطفل.

2- التّقمّص

وهو الميكانيزم الذي يسمح بتكوين الأنا والأنا الأعلى. ويُعرف على أنّه امتصاص لخصائص الموضوع الخارجيّ لتصبح خصائصًا للفرد فيتوحّد الطّفل مع الأب مثلا ويصبح مشابها له، مقلّدًا لسلوكه و يكتسب بذلك قيم المجتمع ومعاييره فيتمثل شخصية الأب ويجعلها جزءا من شخصيته. قد يكون التّقمّص حسب Freud.S. تقمّصًا كليّا لخصال الأب وسلوكاته، أو لخصلة من خصاله، كما قد يكون تقمّصًا هستيريا. للتّقمّص الثّاني قيمة نكوصية يختزل الفرد الموضوع المفقود في الخصلة المُدركة. وكأنّ هناك نوع من الفيتيشيّة وتخيّل لهوية الموضوع المفقود محصور في هذه الخصلة. و كأنّه يبتكر الموضوع من خلال هذه الخصلة المحدّدة له في نظره.

وقد ينتج عن التّقمّص الإحباط و القلق فيحدث ما يعرف بالتّقمّص النّرجسيّ. و يوجد أيضا التقمّص القائم على تمثّل ما كان آباؤه يتوقّعان منه لأجل استعادة الحبّ الأبوي الّذي فقده. فالطّفل في هذه الحالة يتمثّل ما للأبوين من معايير و قيم تتكوّن على غرارها الأنا المثالية.

3- التّكوين العكسي

وهو استبدال الاندفاعات المهدّدة و الخطرة باعتقادات عكسية. هدفه خداع الأنا. و مثال ذلك الأمّ الهستيرية الّتي تكره لا شعوريّا طفلها يمكن أن تستحدث نحوه حبّا مُبالغًا فيه كي تضمن اِستمرار كبت كراهيتها له.

ويعرّفه Laplanche.J. et Pontalis.J.-B.(1987) بالموقف أو المظهر النّفسيّ الخارجيّ المُعاكس للرّغبة المكبوتة، حيث يشكّل ردّة فعل ضدّها. تتّخذ التّكوينات العكسية قيمة

عرضية، من وجهة نظر عيادية انطلاقا ممّا يُبديه الفرد من تصلّب و تكلّف واِضطرار يؤدّي إلى نتيجة معاكسة لتلك المُتوخّاة على مستوى الشّعور، كأن ينقلب الإفراط إلى تفريط.

وقد أشار.Freud.S(1905)، في مؤلّفه "ثلاث مقالات حول نظرية الجنس"، إلى الدّور الّذي تلعبه التّكوينات العكسية، باعتبار أنّها تنشأ خلال مرحلة الكمون، في إقامة سدود نفسية كقوى مضادّة من الإشمئزاز و الحياد و التّزمّت الخُلقيّ كيْ تتمكّن من القمع الفعّال لذلك الانزعاج النّاتج عن النّشاط الجنسيّ.

4- الارتداد أو النّكوص

النّكوص هو العودة لسلوك كان يُمَارس في فترة مبكّرة من حياة الفرد وسبق الإقلاع عنه. ذلك أنّه كلّما تعرّض الأنا للإحباط حنّ إلى فترات ماضية من حياته، كانت خبراته فيها أكثر كمالا. تتزايد شدّة هذا الحنين بفعل عامليْن وثيقي الصّلة فيما بينهما: درجة التّردّد الّتي يتقبّل بها الأنا أساليب جديدة للإشباع، والدّرجة الّتي يكون عليها تثبيته على أساليب أسبق من الإشباع.

ويؤكّد.Laplanche.J. et Pontalis.J.-B(1987) على أنّ النّكوص يعني التّراجع إلى أساليب من التّعبير و التّصرّف ذات مستوى أدنى من ناحية التّعقيد و التّمايز؛ أمّا بالمعنى الزّماني فيفترض النّكوص عودة الشّخص إلى مراحل ليبيدية سبق له أن تجاوزها في نموه.

فقد ترى الأسوياء من النّاس أيْضًا يرتدّون أو ينكصون من حين إلى حين بغية التّخفّف من القلق فتراهم يدخّنون أو يقضمون أظافرهم أو يكسرون القوانين أو يصطنعون أسلوبا طفوليا في الحديث أو يخربون ممتلكات الغير، أو ينهالون باللّوم والتّوبيخ على أكباش الفداء.

5- التّبرير

وهو ميكانيزم يعادل الكذب. يبحث الفرد في العالم الخارجي عن عذر مقبول يبرّر ما يقوم به من أفعال لا يرضى عنها المجتمع. فهو يحاول إضفاء تفسير متماسك من وجهة نظر منطقية، ومقبول من وجهة نظر خلقية لموقف أو فعل أو فكرة أو شعور، وتأخذ هذه الحيلة شكلا منطقيّا لخداع الذّات حتّى تخفّف الشّعور بالذّنب وحتّى يسهل على الأنا تقبّل السّلوك وانفعالاته.

6- الإجتياف

أو الاستدماج؛ حيث تعني *intra* في اللاّتينية الدّاخل و*jacere* الإلقاء أو الإسقاط: الإسقاط داخلا. هو مفهوم أدخله Avenarius، ويذهب إلى أنّ الاستدماج أو الإجتياف هو إدماج محظور للصّورة المدركة في داخل وعي الفرد، وأيْضًا إدماج المُثل العليا في أفكار الذّات.

أمّا التّحليليّون فيرون فيه آلية نفسية تسمح للأنا باستدخال ماهو خارجا عنها. أيْ يستدخل الفرد الموضوعات الخارجية و صفاتها هواميا و يتّخذها نموذجا لسلوكاته؛ كاستدخال الموضوعات الجيّدة ذاتيّا لتقوية الأنا.

7- المثلنة

هي عملية نفسية يلحق الأنا بالآخر صفاتًا و قيمًا إيجابية مبالغًا فيها ترفع الموضوع إلى مرتبة الكمال (mettre l’autre sur un piédestal). كأنْ يُمثلن الأهل أو المعّلم(ة)...فيسلك الفرد أسلوبهم في الحياة حسب Laplanche.J. et Pontalis.J.-B.(1987) كيْ يتماشى وتوقّع السّلطة تجاهه.

قد تكون المثلنة أوّلية بدائية و مثلنة عصابية. تشاهد هذه الأخيرة خاصّة عند الأفراد المكتئبين، في شكل تكوين عكسيّ يدحض العدوانية ضدّ الموضوع ويكبتها للتّقليل من الشّعور بالذّنب: بما أنّ الموضوع مثاليّ لدرجة قصوى، فلا يحقّ للفرد أن يوجّه إليه

الملاوِم. تبقى صورة الموضوع في هذا النّوع من المثلنة واقعيّة. أمّا المثلنة البدائية فإنّها تخلق على العكس صورة هوامية عن الموضوع المُدرك على أنّه جيّد كلّية، قويّ جدّا، خال من التّجارب الفاشلة والنّقائص العادية. وهو حال المرضى النّرجسيّين أو الحديّين أو المراهقين و المختصّين النّفسانيّين.

تؤكّد Klein.M. على الدّور الدّفاعي للمثلنة ضدّ النّزوات التّدميرية، وهي تتلازم مع انشطار مفرط ما بين الموضوع الجيّد الّذي تعرّض للمثلنة (الثّدي الأمومي المتوفّر دومًا ولا ينضب) و الموضوع السّيّئ الّذي تدفع سماته الإضطّهادية إلى نبذه.

VII- إدراك الذّات و علاقته بتقدير الذّات

"مرآتي يا مرآتي، من هي أجمل الجميلات؟".

يتساؤل البشر عادة بشأن طبيعتهم البشرية، ويبحثون دومًا في الذّات والمحيط: من أكون؟ كيف تكوّنت؟ لماذا يختلف عني X؟ "وعلاش النّساء لوخرين اجتازوا الامتحان و أنا ما قدرت؟"...استفسارات حتّمتها العلاقة بالآخر وتُختصر في مضمون كلمتيْن جوهريّتيْن: الذّات و المعرفة.

أن أعرف ذاتي يعني إدراك سويّ وَ واضح لمن أكون و لماذا أختلف عن غيري. وجودية لكنّها تقييميّة تقديريّة، يمكن اختصارها في مقولة عمر بن ع.العزيز: "رحم الله امرئ عرف قدر نفسه"، و"إعرف نفسك بنفسك" السّقراطيّة. كلاهما يتحدّثان عن حبّ الذّات من معرفة قيمتها عند صاحبها. حبّ تعوّدنا وصمه بالباثولوجية لأنّه ينمّ عن أنانية وتمركز حول الذّات يعيق في سلبيته الانفتاح على الآخر، و في اعتداله "حب لأخيك ما تحبّ لنفسك" تعاطف مع هذا الغيريّ وَ نرجسيّة يرى فيها Kohut، Jung وحتّى Freud سَوَاءٌ يُوجّه اختيارنا لموضوع الحبّ ويحقّق ذواتنا ضمن تنوّع العلاقات الموضوعية "dans un jeu de miroir" يذكّرنا بزوجة أب الثّلجة البيضاء و هي تقصد كلّ صباح

مرآتها/مستشارتها النّفسية بحثًا عن تقدير أيْ تحديد قيمة (نفسية، وجودية، ذكائية، اجتماعية...) لتكوين رأي حول من نكون (نفسيّا، وجوديّا، ذكائيّا، اجتماعيّا...) بما يعكسه الموضوع من تقبّل أوْ نبذ لمن نحن و ما يراه الغير عنّا. فسائلة المرآة بحثت عن إيجابية أوْ سلبية ما يعكسه مظهرها من جمال وكفاءة وما مدى تأثيره في الآخر.

فالذّات المنعكسة[6] في نظر.Cooley.C (1902)، تنحصر فيما يتوقّعه الفرد عن مظهره، أهدافه، أفعاله، طباعه، و طُرُق كينونته في طريقة نظرة الآخر إليْه وتصوّراته السّمعية أو البصرية، اللّمسية أو حتّى الصّامتة الّتي يقرأها فيه عنه. فكلّ إيماءة منه، كلّ إشارة، وأيّة ردّة فعل، أو تعليق، رأي...هي تقدير مستدخل ومعروف عن الذّات وعمّن نكون، هي تذكير لتقدير إيجابيّ أوْ سلبيّ للأنا من الموضوع، هي إدماج وتبرير لنوعية الإحتضان و الرّعاية الّتي عهدها منه، هي إفصاح عن أسباب الكفّ أو الإقدام على أهداف و طموحات اِرتبطت بتقبّل أو اِزدراء موضوع حبّنا ممّن نكون و لماذا كنّا و كيف سنكون. أمّا.James.W (1842–1910) فيحدّد تقدير الذّات فيما أنجزناه في حياتنا، فهو يعتمد كلّية و أساسًا على ما ندّعي أنّنا كائنوه مقابل ما جسّدناه.

يُشتقّ تقدير الذّات من اللاّتينية œstimare بمعنى قدّر الشّيء و أعطاه قيمة عدديّة أو معنويّة بصفة إيجابية أو سلبية. ويعتبر من الأبعاد المهمّة في بناء الأنا أو الذّات السّويّة؛ يقوم على ثلاثة ركائز أساسية: الثّقة في الذّات والتّحرّك قُدُمًا نحو تحقيق تفرّدها دون مخاوف من اِنتقادات الغير؛ معرفة الذّات والإيمان بقدراتها والرّضا عنها في مساوئها وإيجابيّاتها، حبّ الذّات بالإستماع إلى رغباتها وطموحاتها وحمايتها ممّا قد يؤذيها.

يمكن اِختصار هذه القواعد في عبارة ألجأ إليْها أحيانا مع المفحوصين عبر تمرين تكراريّ نردّد خلاله "رغم ما يحدث معي وما أشعر به من...أتقبّل نفسي وأحبّها كما

---

[6]- Soi réfléchi/soi-miroir.

هي". نوع من الحبّ النّرجسيّ غير المشروط الّذي يغذّي الذّات ويتقبّلها في نقائصها وكماليّاتها، في نجاحاتها وتجاربها الفاشلة...بعيدا عن كلّ انتقاد سلبيّ لها.

يكون تقدير الفرد لذاته ومعرفته بها، لاشعوريّا مستدخلاً في المراحل الأولى من العلاقة بالموضوع المبكر، خلال النّرجسية الأوّلية، عبر احتوائه و صدّ الإثارات عنه بتحويلها من α إلى درجة β الأقلّ وقعًا عليْه، تحفظ تماسك وتواصل مختلف طبقاته النّفسية والاستثمار السّويّ لطاقته اللّيبيدية.

أهمل المحلّلون النّفسانيّون تقدير الذّات وَ ركّز معظمهم على المؤثّرات السّلبية من علاقة الأنا بالموضوع و بناء الذّات. تُكبتُ في شكل تصوّرات وتجارب سيّئة زيادة على صراعات الأنا الدّائمة بين أوامر الأنا الأعلى و نواهيه ومتطلّبات الهُو النّزوية وإلحاحاتها، تطرح بها أرضًا تحت وطإ القلق وَالعقد النّفسية كالخصاء، فتنشغل الأنا بالدّفاع لاستمرارية وجودها مستعملة ميكانيزمات تقيها التّوتّرات النّاتجة وتحفظها من التّفكّك.

يشيرAlfred.A.(1870-1937) إلى فطرية انخفاض تقدير الذّات و ارتباطه بعقدة النّقص الّتي تدفع بالفرد إلى الحُلم على مدار حياته بتحصيل الشّعور بالقوّة و السّيطرة على الغير كتحقيق للذّات و استرجاع لما انتُهِك منها.

بينما يربط Jung.C.G(1875-1961) تقدير الذّات بتشكيل صورة عنها تتماهى والكمال الإلهيّ، عبْر تحقيق كليّ للأنا و للذّات بتجسيد رغبات و حاجات ما يُمليه صوت الطّفل الدّاخليّ "كنْ أنتَ".

أمّا Satir.V.(1916-1988)، من مدرسة Palo Alto و عضوة بفرقة العمل لتعزيز تقدير الذّات و المسؤولية الشّخصية و الاجتماعية، ترى أنّ تقدير الذّات هو نبض حياة العلاج العائليّ، و مؤشّر الصّحّة العقلية لأفرادها. و معاناة العائلات إنّما يرجع إلى إهمالها لتعزيز احترام و تقدير ذوات أفرادها.

وفي نفس السّياق، يصف المؤلّف Kohut نوبات الغضب النّرجسية ردًّا على إصابة تقدير الشّخص لذاته، و الّتي قد تتّخذ شكل العدوان أو الغضب أو القوّة التّدميرية.

ينخفض تقدير الذّات حسب.Berne.E(1910-1970) مؤسّس علاج تحليل الرّوابط التّفاعلية، فيؤدّي بالفرد إلى تضخيم دور الضّحية لديْه مع ميله إلى التّلاعب بالآخرين عن طريق المبالغة في الضّعف أو السّلطة و عجزه عن مفاوضة حاجاته و إشباع نزواته مع راشد من ندّه.

في حين يربط .Branden.N(1994) انخفاض تقدير الذّات بظهور القلق و الاكتئاب والفشل المدرسي و ضعف أداء العمل و الخوف من العلاقة الحميمة و تعاطي الكحول والمخدرات و العنف العائلي و السلبية المزمنة و الاعتمادية، إلخ.

VIII- إدراك الذّات والهويّة الجنسية و الأنثويّة

"Je suis « un être qui implique l’être d’autrui en son être »" (J.-P. Sartre, 1943).

ليْس صحيحًا...

أنّ جسد المرأة لا يؤسّس شيْئا

ولا ينتج شيْئا...ولا يبدع شيْئا...

فالوردة هي أنثى...و السّنبلة هي أنثى...

و الفراشة و الأغنية و النّحلة

و القصيدة هي أنثى.

أمّا الرّجل فهو اِخترع الحروب و الأسلحة

و اِخترع مهنة الخيانة...

و زواج المُتعة...

ليْس صحيحًا أنّ جسدك قليل التّجربة...

وقليل الثّقافة...

فجسدك ذكيّ جدّا

ومُتطلّب جدّا...

و مُبَرْمَج لقراءة المجهول

و مواجهة القرن الواحد و العشرين!!

ليْس صحيحًا أنّ جسدك لم يكمل دراسته العالية...

مهما أمتعنا الشّاعر قبّاني.ن. بتعبيره في بعض قصائده عن واقع الأنثى، فإنّه يبقى شعرًا يروّح عنّا و يمضي في سبيله (بن قادة.أ.، 2013، ص306)، بينما تنكشف حقيقة المرأة، تصوّرها لجسدها وأثر المُخيّلة الفردية والجماعية في بناء المخطّط الذّاتي الخاصّ بها في الاجتهاد البحثيّ، علمًا أنّ التّحدّث وَالكتابة عنها محفوفان كما قالت مُسّيْكة برّ، بالمخاطر لسهولة الزّلل نحو الشّؤون القلبية و الرّوحية و صعوبة اِتّباع منهج البحوث العلمية وَجعل الخوض فيه موضوعيّا أكثر منه روحيّا و ميّالا لعنصر الهويّة الجنسية الأنثوية الّتي نشترك فيها.

لذلك سوف نبحث في هوية الأنثى من حيث استدخال علامات الأنوثة و التعايش معها كهوية جنسية منفردة، وفق دينامية تحليلية تدرس ديناميات العلاقة بين-الشخصية وكذا الضمنفسية لذات المرأة فيحصل التّعريف بها. أمّا البين-شخصي فنخصّصه للإطار الثّقافي الّذي ترعرعت فيه ذاتها وَتشكّلت، وبصم جسدها الأنثوي؛ في حين نحمّل الضمنفسي كلّ ما يتعلق بالعقد النفسية خاصة عقدة الخصاء وعقدة النّقص، بالإضافة إلى حسد القضيب و العدوانية ضدّ الموضوع الأوّل لأنه حرمها من الفالوس وورّثها "جرحا نرجسيّا صادما".

تحتاج دراسة الهويّة في عصرنا اِهتمامًا مثل ما لقيته دراسة الجنسانية والهستيريا في عهد .Freud.S. تأزّم يستلزم التّدخّل باعتماد مرايا محدّبة دون المقعّرة منها. خاصّة و أنّ الهُويّة، بضمّ الهاء، مصطلح مستحدث في اللّغة العربية، مشتقّ من ضمير الغائب "هُوَ"، أيْ الشّخص عينهُ؛ و هو المدلول ذاته في ترجمتها بلفظة Identité، حيث Id تعني "هو" أو "الهو" في النّظرية الفرويدية لِإرتباط الهُوية بالجنس، فهي تحقّق شعورًا غريزيًّا بالإنتماء إلى الجماعة خاصّته والتّماهي بها في قدسيّتها أو دونيّتها: حيث إنّ فظاظة أعضاء الأنثى التّناسلية الشّبيهة بالجرح تقول (.Paglia.C ترجمة ربيع.و.، 2015) والمذكّرة بقلق الخصاء، هي رمز لعدم إمكانية الخلاص من الطّبيعة الأرضية السّفلية والشّخصانية الأكبر لدى المرأة مع ميلها إلى الخنوع و الخضوع؛ بينما بروز الأعضاء الذّكرية يمنح الرّجل ميزة التّركيز و الإسقاط و السّيطرة و الموضوعيّة و النّفوذ.

لا نكاد نجد هويّة كائن اِرتبطت بجسده أكثر من اِرتباط أنثاه به، خاصّة المرأة، عبر محادثاته الكثيرة لها بدْءًا بعلامات البلوغ و طقوس الرّباط، ثمّ الزّواج و اِحتفالاته، والتّعرّف المتأخّر على الممارسة الحميمة و اِتّباع قواعدها الاجتماعية ثمّ الحمل والإنجاب ...تجارب هويّة أنثويّة تحدّد موقعها في الأسرة و المجتمع، وتكشف عن حيازتها لجسدٍ يُحسّ، يعمل، يبتكر، يحلم و يتخيّل، يطلّ على واقع الآخرين الجسديّ ويلتحم بمفردات العالم وأشيائه(.Bernard.M، 2000). ضفْ إلزامية إبراز الحشمة كصفة أنثوية ضرورية تكسبها صفة الملاك عبر اللّباس الواسع، والصّوت المنخفض، الحضور الباهت والطّاعة العمياء يفقدان جسدها أيّ حضور واقعيّ فعّال، على قول السّباعي.خ.(2001).

جندر أنثويّ نشأ إذنْ ضمن غلبة الجنس الذّكري على الأنثوي. جنس تُجسّده الذّات، ويؤكّد قوّة تذكيره وتأنيثه بروز عضو خاصّ، يُعزّز التّفرقة بين الجنسيْن ضمن هيمنة معادلة الجنس/المقدّس على المخيال الاجتماعي في مجتمع الجماعات (قنيفة.ن.، 2017)، يستدمجها التّوظيف النّفسي لأجل وظيفة اقتصادية تسيّر الحياة النزوية (سامعي-حدادي.د.، 2007) لكليْهما وخاصّة المرأة. فثبّتَ مركز ومكانة الرّجل، بينما تأرجح مركز

المرأة ومكانتها عبر العصور والحضارات، فارتقت تارة إلى مصفّ الملائكة، وبلغت حتّى مرتبة الآلهة[7]، وشغلت حينًا العرش فأدارت شؤون الأمّة وساست قادتها، واِنخفضت حينًا آخر فنُبِذت واِضطّهدت وأحرقَتْ لأنّها من السّحرة و المشعوذين، وهذا كلّه وفقا لهوامات و توهّمات الرّجال ورغباتهم في هذا "الجنس".

عبر تجوالنا الحضاري، وجدنا أنّ الرّجل نِصْفُ إلٰه، و أرقى مخلوقات الله، يذود عن الممتلكات و تقع تحت سلطانه زمام الأمور؛ أمّا المرأة فهي "لعنة و وباء فتّاك، أفظع من السّمّ و أخطر من الأفاعي"، تُدفن حيّة، تُحرق أو تُباع مع أمتعة الزّوج إذا ما فارق الحياة. هي الشّرّ المجسّم. و "العاهر" الّتي خذلت الإلٰه اهرمزد وانضمّت إلى عدوّه أهرمان أيْ الشّيطان؛ هي المياه المُؤلمة الّتي تقضي على السّعادة و المال في المجتمع. يعتبرها الكثيرون شرّا لابدّ منه، و يرى فيها كونفوشيوس متاعًا يباع و يشترى. غالبًا ما يتخلّص منها الصّينيّون بإغراقها في الماء، أو تقديمها طعامًا للخنازير... و حسبها في شريعة حمورابي في عداد الماشية المملوكة. أصبحت ملكة، تحكم، و ترث و تسيّر أمور أسرتها في الحضارة المصرية، لكنّها تحكم عليها بالموت إذا ما كانت شُبهةٌ بطهارتها.

رأى فيها سقراط، أكبر منشأ للأزمة و أوسع مصدر للانهيار في العالم، فهي تشبه شجرة مسمومة ظاهرها جميل، لكن عندما تأكل منها العصافير تموت حالا. خصّها أرسطو بشؤون التّدبير المنزليّ و الأمومة و الحضانة، و صنّفها ضمن الثّلاثة الّذين لا يمتلكون حق التّصرّف في أنفسهم: العبد و الطّفل و المرأة...وُئدت في الجزيرة العربية خوفًا من العار و الفَقر و السّبي. وشُنّت من أجلها الحروب مثل حرب البسوس الّتي دامت أربعين سنة.

[7]- عبد المصريّن القدماء "إيزيس" بوصفها الأمّ و الرّمز الأنثوي الفعّال. فكانت رمز الخصوبة و النّماء (مسكيّة برّ، (1996، ص20). و لا نغفل موقف Jeanne d’Arc، من قائدة ساعدت لويس السابع على اعتلاء العرش إلى مشعوذة أعدمت حرقا و عمرها 19 سنة.

أمّا جسدها فهو مصدر للفوضى و بوّابة للشّيْطان طردت آدم من الجنّة؛ وهو من الثّلاثة الّذين لا يُقهرون: الشّغف والثّروة و جسد الأنثى. فهي مخلوق الضّلالة و مخلوق جهنّم، خُلقت من ضلع أعوج، و جسدها موضوع كلّ المخاوف و مبتدأ الشّرف و منتهاه. وحبسها في بيتها هو الضّامن الّذي لا محيد عنه لشرفها.

غدت الأنوثة بمجيئ الإسلام أصالة لأنّها المستقرّ، و التّربة الصّالحة للنّسل وإِمتداد الحياة؛ وأمّا العلاقة الّتي تربطها بالذّكر فهي ميثاق غليظ، يقوم على أساس متين من اللّطف والمودّة والرّحمة. لها مثْل ما على الرّجل من الأدوار والمهمّات على أساس التّكامل الإنساني بما فضّل الله بعضهم على بعض، لتحقيق نفس الأهداف و المرامي، أمّا التّفاضل بين الذّكر والأنثى فعلى أساس التّقوى. لكن شتّان بين ذلك و حال النّساء اليوم.

أضحى جسد المرأة وعاء لمعان إِجتماعية و"موضوعًا للخطاب الرّمزي" نحتته المقدّسات والطّابوهات؛ هو على قوْلBartello.M.، مادّة سسيولوجية ذات خسوفات، تُبْنى على أساسها الهويّة الجماعية و هويّة الأنثى؛ هو منتوج ثقافيّ قيميّ تؤسِّس به الجماعة العلاقة مع الآخر والتّفاعلات مع المحيط، إِستحدث طقوسًا مقولبة للجسد الأنثويّ، أهمّها مراسيم الرّباط كما قُلنا وإِحتفالات الزّواج وما يحوفها من ترقّبات تكشف عن علاقة تشكّل الذّات الجزائريّة بالمعطى الاجتماعي الواقعي، حيث أنّ عذرية الجسد في بُعديْها الرّمزي و المادّي جدّ مثمّنة ومصرّح بها يوم الإفضاء تأخذ قيمة تميّزٍ ترقى بالفتاة إلى الطّهارة النّموذجيّة...علمًا منها أنّ جسدها ملك عامّ للعائلة وجب عليْها الحفاظ عليْه.

كلّ هذا يستبطنه اللاّوعي الفردي، الذّكريّ والأنثويّ، في شكل تفسيرات جندريّة إِصْطَبغت بكلّ التّنميطات المشتقّة من التّفرقة بين الذّكورة و الأنوثة، و هيمنة قدسيّة الأولى على المخيال الاجتماعي، فبات إدراك المرأة لجسدها و وعيها بذاتها وحسّها بالهويّة، يخضع في معظمه إن لم نقل في جُلّه إلى معايير جماعة الإنتماء الثّقافية وتمثّلات وتصوّرات المخيال الاجتماعيّ(Guej.F.، 1991). يكبت الفرد طفلاً هذه الرّسائل المشفّرة

كما يُسمّيها.Laplanche.J على شكل تمثيلات للأشياء تعاود الظّهور فيما بعد ظهورًا مشفّرًا يعبّر عن تلك الرّغبة الّتي لم تمتلك إلاّ وعيًا جزئيّا حين تسلّمها، تبقى فاعلة في تجربته التّناسلية كراشد.

تظهر فاعلية هذه المكبوتات في أساليب السّلوك و الإحساس و التّفكير الّتي يعبّر بها ال"أنا" و الذّات أيْضا، عند محاورتها الآخر أوعند تلقّيها خطابه ضمن منحى حضاري متوارث يفترض وجود المُتخاطبيْن وجودًا حيّا يستبقي فرديّتهما وخصوصيّاتهما ويتعذّر معهما استبدالهما.

يرتبط مصطلح الهويّة منذ بواكير الفكر الفلسفي بمجموعتيْن كبيرتيْن تتّصلان بنمطيْن من المواقف: الجوهراني والإسماني. أمّا الأوّل، فيُسْند إلى الإيمان بحقائق جوهرية، بماهيات ساكنة و أصيلة في آن واحد، أكثر منطقية، تجمع الفئات ذات العنصر المتماثل، وتضمن دوام عناصر كلّ فئة و اِسْتمراريّتها في الزّمن: فهي الإنتماء المشترك: مماثلة الآخر و المماثلة عبر الآخر. ما يعني أنّه لا توجد هويّة دون غيريّة. أمّا "الإسماني"، أو ما يُمكن تسميته بالوجودي، منطقه "ليس هناك جوهر، بل وجود ممكن": فهو مترادف والاسم الّذي يدلّ على الموقع النّسبيّ و التّسلسليّ زمنيّا لكلّ شخص.

ومن أبرز وجهات النّظر الّتي تتنازع الصّواب في تعريف الهويّة أيْضًا: التّصوّر الموضوعاتي الّذي يعرّف الهوية كجوهر ثابت و مستقرّ يقاوم التّطوّر، و يُخضِع الأفراد والجماعة؛ و التّصوّر الذّاتاني، الّذي يحيل الهويّة إلى مجرّد إحساس بالإنتماء أوْ تماه مع جماعة متخيّلة؛ و التّصوّر العلائقيّ الّذي يحدّد الهوية بكونها بناء يُبنى في علاقة تقابل فيها مجموعة مجموعات أخرى تكون في تماس معها.

في حين تحدّد وجهة النّظر التّحليلية وفق ما سبق ذكره، الهويّة في السّعي الحثيث للوعي بالذّات وتحقيق الشّعور بوحدتها، وتفرّدها عن اللاّـأنا ، باعتماد سياقات التّماهي وسياقات الاستدخال والإسقاط، واِعتراف الموضوع بنفسه ومن الآخرين عبر مجمل

السّياقات الدّينامية الأخرى ضمن علاقات موضوعية واستثمارات ليبيدية. يُدرك خلالها الفرد أهمية هويّته في لحظة مأزومة يواجه فيها المختلف: رفض، نبذ، توتّر يرتدّ لأجله إلى مكوّناته الأصلية الّتي تميّزه عن الآخر، فيحسّ بضرورية الحفاظ على هذه المكوّنات مهما كانت التّحدّيات. حالها حال الطّفل الّذي ينازع أباه لأجل أمّه، لكن ماإن يُدرك أنّها "تحسد الرّجال على فاعلية الحركة"[8]، يتخلّى عنها و يتقمّص الآخر الكبير و يتماهى معه، ولو بخصلة منه. بذلك يصبح التّنافس حول الإمتلاك والتّمظهر محرّك الحياة العلائقية والاجتماعية، وتمسّ حتّى فضاء العلاقات الحميمة و الشّبقيّة (Fromm.E.، 1976).

تتشكّل الهويّة إذنْ في هذا المنظور على عدد من المبادئ: الوحدة، أي إدراك صورة رمزية موحّدة عن الذّات؛ مبدأ الثّبات، أي ثبات هيكلي و بنيويّ في جميع المتغيّرات الأصيلة في الذّات و الأنا؛ مبدأ التّماهي مع مثال الأنا دون أن يغفل التّفرّد وفق مبدأ الإختلاف عن الآخر الكبير لكن ليس لدرجة الإقصاء؛ مبدأ الدّيمومة و الإعتراف بذاته ونفسه في تميّزها مع إعتراف الآخر بها، ما يسمح له بتكوين شعور بالإنتماء والأمان والدّيمومة ضمن الجماعة الواحدة. علمًا أنّ الهوية تعليمة من الآخر الكبير، يعرّفها Badiou.A.(2017)، وفق صيغتيْن للنّفي "بداخلي، عنصر يحدّد هويّتي، وهو ما لا يمكنني أن أقول أنّني لست كذلك، على الرّغم من أنّه في الغالب ليس لي يد فيه"[9].

تعتبرالهوية تشكيلة دينامية و جملة من الاستدماجات التّخطيطية للجهازالنّفسيّ، و إدراك الفرد لذاته ضمن جدلية صراعية بين الفرد و الآخر الكبير. فاكتسابها ليس بالسّهولة الّتي قد نلمسها في الكلمات الّتي تصف سيرورتها، و لتحقيقها عليه أن يدمّر تلك الموضوعات هواميّا كما يقول Winnicott.D.، و يبتكر أخرى من استعداد فطريّ تكامليّ بين لقاء

---

[8]- صالح.ص.(2003): الأنا و الآخر عبر اللّغة السّردية، ص162.

[9]-«En moi, l'élément proprement identitaire, c'est ce dont je ne peux pas dire que je ne le suis pas, bien que pour l'essentiel je n'y sois pour rien. »

الجزء المركزيّ من النّفس والشّخصية المنفطرة على فكرة "أنا هو" و الشّخصية الإثنية الّتي تكشف عن الأجواء الاجتماعية و الثّقافية الّتي يُنسب إليها الفرد.

هويّة اقترنت باعتمادية الإشباعات النّزوية على الإحتواء الجسدي و نوعية رعاية الموضوع لجسد الطّفل و تنمية مشاعر الوجود بداخله(.Winnicott.D، 1978؛.Kahn.M، 1976؛ .Laing.R، 1971،1970،1969). نشأت ضمن عقدة الخصاء و حسد القضيب والرّغبة في الفالوس، فتشكّلت على صراعات ضمنفسيّة وبين – شخصية بسبب عقدة النّقص الّتي ورثتها عن الأمّ و فقدان عضو رغبة هذه الأخيرة في الأب؛ وهذا الشّعور بالعجز العضوي والنّفسي، يسبّب الكبت المتواصل للمشاعر، وهو ما يحرّك في الفرد حسب .Adler.A(1870-1937) البحث عن تعويض شعوره ذاك بالاستعلاء، أو الشّعور بالذنب أو الغيرة أو الحقد أو الأنانية و الشعور بالنقص و الدونية. و قد يجد الفرد نفسه عاجزاً عن إظهار هذه المشاعر بسبب الخوف من العقاب أو الخجل من ردة فعل الآخرين تجاهها، أو يلجأ لطرق منحرفة تولّد غريزة حبّ الذّات وغريزة حبّ الاستطلاع وغريزة حبّ التّملك... أو بالعمل على النّبوغ في ميادين الفحولة فتصبح امرأة فالوسية متنكّرة لجنسيّتها الأنثوية؛ وإمّا أن تتعصّب لجنسها باستثمار طاقتها النّفسية في العدوان و العنف في تعاملاتها مع الجنس النّقيض. فتضطرب الهويّة، ونجد منها على حدّ قوْل.Erikson.E (1968) حالات: تعليق الهويّة إذ يفقد الفرد أيّة قدرة في التّعرّف إلى هويّته بسبب تعرّضه إلى اِضطرابات نفسية؛ أو اِنغلاق الهويّة ينتج عنه انعدام الشّعور بالهوية الخاصة به لأن الأشياء كانت تفرض عليه من الخارج؛ وأخطرها تفكّك الهوية و ضُعْف في فهمها نتيجة تعرّض الأفراد للاضطهاد و سوء المعاملة خصوصا في مرحلة الطّفولة.

IX- العذرية والعفّة، علامة أنثويّة ثانويّة

« Nous le savons, les personnages féminins restent bien souvent confinés dans un univers de non-dit » (Montardre.H., 2002).

اِرتبطت الهويّة الأنثوية منذ الأزل بالعُذرية والعفّة، واِلتصق بهما التّفكير البدائيّ الغيبيّ لأجل تحصين المرأة وتهذيب طبيعتها الأنثوية الجيّاشة، وبناء حضارة بشريّة.

تفكير يُنسِب للأشياء الجامدة إحساسًا، ويجعل لها أرواحًا وانفعالات قد تتسلّط على النّاس؛ ومن ذلك تفسير غُلمة الرّجال بسيطرة الرّوح ساطور من أرواح الغابات على قدرة الرّجال الجنسية وإشباقها، فيقال إنّه Satyriasis[10]، ومثل ذلك تفسير غلمة النّساء بسيطرة Nymphe[11] من الأرواح الهائمة على الأنثى، فيكون تعطّشها الدّائم للجنس الّذي لا يرتوي بسبب تسلّط هذه الرّوح، ومن هنا كان اسم الاضطراب Nymphomania.

تخوّفت المجتمعات من هذه الشّهوانية، فسنّت لها ضوابط، وفرضت عليْها عددًا من الميكانيزمات اعتبرت كغلاف ثقافي، يحتوي الفرد، يحميه و يقولبه بقمع أو تأكيد خصائص من الشّخصية أو طباعًا تفضيلية، تشكّل جزءًا إيديولوجيّا واجتماعيّا ثقافيّا لاشعوريّا من الأنا، يعيش في كنفها و يتقمّص معتقداتها فتُشكّل هويّة متميّزة و متفرّدة.

أمّا الهوية الأنثوية، فقد جُبلَتْ على الطّهارة و العفّة والتّواضع؛ وترعرعت على التّضحية والتّنازل، ولجوئها أكثر من الذّكر إلى توظيف ميكانيزم التّسامي و الإعلاء، فتوجّه اللّذّة إلى فعل مقبول اِجتماعيّا، لعَدَم أحقّية المرأة بجسدها، فهو ملك لغيرها قبل ذاتها، وعُذْريّتها حقيقة ثقافية، يتمّ تحديد قيمتها، مدلولها، علامتها، و حتّى جوهرها، من خلال المُثل العليا للحضارة و قِوَاها المُهَيْمنة (Guay.S.-A.). وتمثّل الأصول الثّمينة الخاصّة باللّيْلة الأولى، حيث يختبر و يثبت الرّجل فحولته و تثبت الفتاة صدق عفّتها

---

[10]- Satyriasis: من satyre في الأسطورة اليونانية و الرّومانية القديمة، و هو نوع من الإله،عاش، حسب الأسطورة، في الغابة وكان له أرجل وأقدام وأذنان وذيل عنزة. Satyriasis تعني القوّة الحيوية للطّبيعة. فرط الجنسانية أو النشاط الجنسي القهري لدى الرجال. يظلّ القضيب لدى بعضهم في بعض الأحيان في حالة توتر متشنج مصحوبة بخفقان حاد. هذا الحادث هو الفرط الجنسي الإغريقي. قد يتحول إلى مرض السيلان (gonorrhée)، مع مرور الوقت، يفقد المصاب وزناً في خاصرته والأرداف. أخيرًا، لوحظ أنّ النبات المعروف لدى القدماء تحت اسم Silenus inflata/Aphrodes، هو صورة عن هذا الإله الإغريقي المسنّ، ذو البطن الكبيرة ولكنّه مليئ بالحكمة ...

[11]-Nymphe: الحوريّات في الأساطير اليونانية والرومانية، هي آلهة ثانوية، ضمن مجموعة كبيرة من الأرواح النّسائية المرتبطة بالطبيعة. يشتقّ إسمهم من الكلمة اليونانية القديمة númphê التي تعني عادة "الفتاة الشّابّة"، أو الشّابة الّتي بلغت سنّ الزّواج، أو"الخطبة" أو"العذراء". في الواقع ، تجسد الحوريّات الأنشطة الإبداعية والإنتاجية للطّبيعة. ترتبط في بعض الأحيان بمكان أو عنصر معيّن، ويمكن أن تكون موضوعًا للعبادة المحلّية. و قد ترافق في بعض الأحيان آلهة أخرى، فتشكّل معها موكبًا. تولّد عن اسمهنّ مصطلح nymphomania"الشهوة الجنسية"، لأنهنّ اشتهرن بتعدّد مغامراتهنّ. في الواقع ، غالبًا ما تربطهنّ الأساطير بـsatyre ، وبالتّالي الميل الجنسي لفرط الخيال الجنسي.

(Bouhdiba.A.، 1975). بينما يرى Freud.S. في العُذْرية، حقّ الحيازة الحصرية طويلة الأمد للرّجل على المرأة، وتأسيسها لعلاقة الخضوع التّامّ، وضمان اِستمرارية الزّواج المدنيّ. فهي إذن جوهر اِحْتكار الزّواج الأحادي، وصدّ مُيُول تعدّدية الزّوجات الّتي تهدّده وتترصدّه. علمًا أنّ الخضوع سمة في الجنس الأنثوي.

أقبلت المجتمعات غالبًا على ختان البنات، لأنّه مدعاة لِلشّرف، واِجتنابٌ للعار أو الإقصاء الاجتماعي، باعتبار شرف القبيلة من عفّة الفتاة وطهارتها. فارتبطت هذه الأخيرة بصورتيْن متناقضتيْن، هي من جهة مُقدّسة تقبل التّأليه لأنّ طبيعة اللّذّة الّتي يجدها الرّجل في قُربها خارقة، ومن جهة أخرى، هي تحرّض على نوع من الدّنس. واِجتماع المُقدّس والدّنس في كيان المرأة، يثير القلق لدى الشّعوب (Cazeneuve.J.، 1958): يثير الأوّل بطابعه الغريب والغامض الّذي لا يُقهر، نوعا من التّخوّف والرّعب؛ بينما يثير الثّاني، التّقزّز والنّفور. وللإحاطة بهذا القلق والتّوتّر، احتَكمت المجتمعات اللّجوء إلى تقنيّات "رْباط" أو"تصفيح" كحزام آمن ضدّ "شيطانية المرأة"، كنوْع من الخصاء والخفاض الذّاتي[12]، والنَّذْر بالعفّة والكفّ للرّغبات الجنسية (Houziaux.A.، 2008). طُرق تحصينية تمتدّ أصولها إلى ممارسة الخفاض[13] قديمًا، والختان الفرعونيّ أو التّبتيك لدى المصريّين وفي بعض بلدان إفريقيا.

إنّ تعريجنا على تاريخ إستحداث أساليب قامعة لرغبات المرأة الجسدية، ليْس إلاّ لكشف تجسيد الأفراد للميول الجنسية القديمة، المُزاحة على حقّ اللّيلة الأولى[14] أو حقّ التفخيذ في

---

[12]- une forme d’automutilation, d’autocastration.

[13]- جاء في لسان العرب أنّ الختان للرّجال و الخفض للنّساء. الختان أو الختن هو قطع القلفة أو الغرلة و هي الجلدة الّتي تغطّي حشفة الذّكر. و قد عُرف عند المصريّين و اِقتبسه اليهود منهم، و لربّما كان فدية لتضحية الأولاد، يكتفي الإله بأخذ جزء من كلّ. و كان الختن من سنن العرب الجاهليّين، و من لا يُختن يُعتبر أغلف أو أقلف أو أغرل. و قد أخذ الإسلام بسنّة الجاهليّين و دعاه التّطهير. أمّا الخفاض عند النّساء، فهو قطع الجلدة الّتي تكون أعلى الفرجيْن مثل عُرف الدّيك بين الشّفريْن. و كان شائعا عند شعوب أفريقيا كالحبشة، و السّودان و في جنوب آسيا وأندونيسيا، وكان من سنن عرب الجاهلية أن تمارسه نساء مختصّات بالخفض، و تُدعى من تتولاّه بالخافضة أو المبظرة. و تدلّ الأحاديث المروية على أنّه كان في عهد الرسول(ص)، فقد رُوي أنّ خفّاضة تُدعى أمّ عطيّة قد اِمتهنت الخفض في المدينة و كانت تبالغ في الإستقصاء، فأرسل إليْها الرّسول(ص):"إذا خفضت فأشمّي و لا تنهكي فإنّه أسرى للوجه و أحظى عند البعل" (أيْ لا تبالغي في الختان، أشمّيه،أيْ، أتركي موضع الختان أشمًا مرتفعًا و لا تنهكيه بالقطع). [أنظر: الزّواج عند العرب؛ حياة الحيوان ج7].

[14]- **jus primae noctis** :ou le droit de cuissage, appelé aussi droit de jambage et parfois droit de dépucelage, est une légende vivace selon laquelle un seigneur aurait eu le droit d'avoir des relations sexuelles avec la femme d'un vassal ou d'un serf la première nuit de

العصر الوسيط ببعض المجتمعات. وهو حقّ أجازه القانون بسبب "المرشت" أو الضّريبة الّتي يدفعها التّابع إلى سيّده كتعويض ماديّ له عن الخسارة المادية إذا ما زوّج اِبنته إلى غريب؛ أو غرامة على المبلغ الّذي كان يتوجّب على الزّوج أن يدفعه لكاهن الرّعيّة أو لأيّ سلطة كنسيّة أخرى لقاء السّماح له بأن ينام مع زوجته في اللّيلة أو اللّيالي الأولى من الزّواج. وقد عُهِد في أوربا بهذه المهمّة إلى رجال الدّين المخصيّين، لأنّ فيهم أمان من الإحبال. وقد شاركهم في ذلك الملوك و رؤساء الإقطاع لتماثل قدسيّتهم بتلك الّتي يختصّ بها رجال الدّين. وقد عُرفت هذه العادة عند العرب القدامى، ومنهم طسم و جديس، و سامْ بن نوح عرب العاربة، أو العرب البائدة الّذين أبادتهم الحروب والغزوات لأنّ ملك طسم المسمّى عمليق، اِعتدى على ملك جديس ففض بكارة أخته ليلة زفافها.

يُرجع كلّ من .Freud.S و.Jung.C.G، الاستعانة برجل غريب في فضّ البكارة إلى لجوء الإنسان البدائيّ إلى ميكانيزم الإسقاط والإزاحة. فما رفضه النّرجسيّ لهذه المهمّة إلاّ إسقاطًا لانزعاجاته الدّاخلية الخاصّة به على موضوعات خارجية يزدريها؛ وتخوّفا من الدّم لأنّه مقرّ أو منبع الحياة، يجسّد قانون حظر قتل الرّجال و التّحصين ضدّ التّعطّش والرّغبة في سفك دم الأصول؛ وإزاحة منه لعقدة الخصاء على المرأة لتدفّق دم الحيض منها؛ و لأنّها تُخصيه إذا ما تقمّص أنوثتها من كلّ نشاط رجوليّ و شراسة يحتاجها للصّيد أو المحاربة.

لذلك فحيثما خشيَ البدائيّ خطرًا، سنّ مُحرّما، يقول .Freud.S(1918)، وحوّل صورة الآلهة على من يستعين بهم كبدائل عن الأب، يؤكّدون عجز الفتى أمام الأنا الأعلى

---

ses noces. Ce « droit » réservant la défloration à un seigneur aurait été une déclinaison du droit de quittage ou de formariage, qui a réellement existé, qui obligeait un serf voulant marier sa fille en dehors du fief de son seigneur à payer au dit seigneur trois sous en échange de son autorisation symbolique du mariage. Une conception mythique largement répandue autrefois et minutieusement rapportée par James George Frazer dans *Le Rameau d'or*, voulait que le vagin des vierges soit un nid de serpents (serpent dans la culture) d'où l'origine du droit de cuissage, c'est-à-dire la coutume qui voulait que, lorsqu'une vierge se mariait, elle était déflorée par le chaman ou le chef de tribu avant de partager la couche de son mari. Le sens de ce rite était alors clair car, investis d'une puissance sacrée, ces personnages étaient les seuls qui pouvaient affronter le danger mortel de la première union.

ورقابته؛ ويكشف، حسب Freud، عن قلق أوّل اختبارات الفحولة في مواجهة مشقّة أوّل علاقة حميمية وما يُثقلها من عواقب، خاصّة وأنّه يجب أن يكون هناك تدفّق للدّم.

تكتسب البكارة والعُذرية على مستوى قطرنا الجزائريّ، أهمّية عُظمى، فوُضعت لها طقوس لرعايتها كالتّصفيح أو "رْباط"، لضبْط و تعديل ميول الفتاة الشّبقية. فهي طقوس حماية، ميكانيزمات تجميد مخاوف الأمّهات لقناعتهنّ الكبيرة بفعاليّاتها. هي طريقة إيحائية و طقوسية ترميزية توهم صبيان الجنسيْن بصرف النّظر عن الجنس خارج حدود الزّواج (Benmiled، 1988)؛ وتشكّل نوعًا من القمع الهلوسي للرّغبة، تستدمج معها نفسية الفتاة فكرة أنّها "حصن لا يُنتهك". تبدو غير عقلانية، لكنّها جزء لا يتجزّأ من واقعنا(Ferreira، 1966)، النّفسي والاجتماعي. تتمثّل في مجموعة من المعتقدات العائلية، والقناعات البشرية، ومؤشّرات عمّا هو مطلوب، ومسموح به أو بالعكس محظور (Andrey، 1983) على أعضاء الجماعة[15].

تمارس هذه الطّقوس قبل البلوغ و بعد اكتساب اللّغة حتى تتمكّن البنت من تكرار الجملة اللاّزمة لإتمامها؛ قبل دخول رياض الأطفال أو المدرسة، لاعتقاد وجود أخطار على العذرية خارج البيت. تتكفّل بهذه المهمّة جماعة من النّسوة، تترأسها امرأة عجوز متمرّسة، تستعمل أدوات (شفرة حلاقة، قُفل جديد بمفتاح، خيوط نسج الزّرابي، سكّين بالنّسبة للرّجال) يجب الإحتفاظ بها لحين زواج البنت لأجل طقوس الفتح. أمّا إذا ما بلغت الفتاة فيُمارس عليها في المناطق الحضريّة طقس آخر، يتمثّل في حبسها في البيت وتدريبها على كلّ أنواع النّشاطات النّسوية، كنوع من الحماية و وسيلة لحفظ الشّرف والعذرية[16]. وتتعلّم مختلف طرق التّضحية للفوز بالأنا المثالي وتحقيق النرجسية، بقتل النّفس وحرمانها ملذّات الحياة الجنسية، لتحصيل التّعويض عن ذلك بإقامة طقوس

---

[15]- أنظر مقال، فاطمة موسى و أخريات حول العذرية و أسطورة الرُباط في الشّرق الجزائريّ، 3/2009.

[16]- أنظر مقال، فاطمة موسى و أخريات حول العذرية و أسطورة الرُباط في الشّرق الجزائريّ، 3/2009.

الاحتفال. ورفضها لكلّ مُتْعة واستمتاع بالجنس والأمومة، بتطبيق قانون الزّهد على نفسها، هو نوع من الخصاء (Lacan.J.، 1966، 1994)، يُعاش ككبرياء وتعويض عن النّرجسية الفالوسية؛ وكبت هذه الأخيرة، والتّضحية بالذّات والأنا، هوتنازل عن السّلطة وبحث عن الطّاعة، تنازل عن الثّروات وميْل للفقر، تنازل عن رغبات الجسد وبحث عن العفّة، ميكانيزمات لتطهير الحياة ومنحها نوعًا من القداسة.

يُفسّر التّحليليّون هذا التّنازل بالتّسامي والإعلاء لنزوات مازوشية أو اِنتحارية، باستثمار نزوة تقيّم على أنّها انحرافية، في فعل مقبول اجتماعيّا. هو تقييم إيجابي للصّورة الذّاتية، و تقرّب من الأنا المثالية، الّتي يمنحها Freud.S.(1923) وظيفة الرّقابة والمثلنة، ويرى فيها Lacan جوهر النّرجسية. نوع من الحبّ المثالي للأنا، على صورة Narcisse، سببه اِصطدام الرّغبة في الذّات بالواقع الّذي يعيق تجسيدها، فتتحوّل إلى نزوة الموت: نزوة القتل (قتل الآخر و سلبه سلطته الّتي تمنع نزوة الرّغبة في الذّات)، نزوة التّدمير (تدمير الواقع الّذي يعيق تحقيق الرّغبة في الذّات)، نزوة انتحارية (قتل الأنا الّتي لا يمكنها أن تتطابق و مثالها)، نزوة التّضحية بالذّات (الأنا كبش الفداء؛ التّنازل عمّا لا يمكنه أن يكون مُطابقا لمثال الأنا) أيْ تأليه للحياة المثالية وتحصيل للإمتنان الأكبر (Rosolato.G.، 1978).

يُختزل هذا التّحصيل للمثالية و بلوغ العفّة و الطّهارة، في مجتمعنا بجملة تحصين للعذرية ضدّ الرّغبات النّزوية، بهدف بناء حضارة إنسانية ما كانت لتكون، لو لم تُعتقل المرأة في عقر جسدها، وبين جدران بيتها! حضارة و حياة مجتمعية اِنبنت على تحريم الجنس وحظر الرّغبة! لماذا؟

جملة "أنا حيط و أنت خيط"، تجسيد رمزيّ لقدرة المرأة على إخصاء الآخر وتعجيزه أمام أنوثتها. لذلك، يُفضَّل عند بعض الشّعوب رجل قويّ للّيلة الأولى، يقول Freud.S.(1923)، حتّى لا يرضخ أمام المرأة ولا تصيبه عدوى النّجس من معاشرتها.

اِتّخذت المُتشنّجات مهبليّا من هذا الوهم الأسطوريّ واقعًا لحياتهنّ، في وضعية يصعب معها التّنازل عن تحصين و توظيف لمثالية دامت سنين "شدّيتها ثلاثين سنة باش يدّيها هو في دقيقة!"، لأنّ هذا الوهم تناسى الحقيقة العلمية حول هذا الغشاء، وتعدّد نوعيّاته، أو غيابه لدى بعض الفتيات.

هذا ما يفتح علينا إلزامية التّعريج على اِضطرابات إدراك الذّات، لما اِرتبطت به هويّة الفتاة بطقوس خرافية.

X- اضطرابات إدراك الذّات

يرتبط إدراك الذّات كما سبق و أن أشرنا إليه بنوعية العلاقة الموضوعية والتّجارب الحسّية الّتي يعيشها الفرد في كنفها. لذلك يمكننا القول أنّ هناك تفاعل انعكاسيّ بين اضطراب هذا الإدراك أو الوعي بالذّات و تذبذب التّفاعلات بين-شخصية وتأثيرها على السّياقات الضمنفسيّة.

يُصنّف التّحليليّون اضطرابات إدراك الذّات إلى الذّات المزيّفة، النّرجسية الثّانوية و ما ينبثق عنهما من حالات حدّية و تصنيفات ذهانية. حيث أنّ المرضى النّرجسيّين والحديّين على السّواء، يتعرّضون خلال مراحل بناء الذّات لصدمةٍ ناتجة عن ثغرات في رعاية الموضوع للطّفل، ما يدفع هؤلاء الأفراد إلى اعتماد ميكانيزم التّماهي الكلّي بالموضوع والتّمسّك بـ "الذّات العظيمة" الّتي تتميّز بهوام العظمة.

تحدّث Freud عن أثر النّرجسيّة على النّموّ النّفسيّ و اللّيبيديّ للفرد، وعواقب سوائها أو باثولوجيّتها على بلوغ المرحلة التّناسلية واختيار موضوع الحبّ. تؤدّي النّرجسيّة في بُعدها المرضيّ إلى عدّة حالات نفسية مرضيّة، نذكر منها:

-**الهستيريا** الّتي تنبني على هشاشة نرجسية أنثوية، بالإضافة إلى موضوع أموميّ مُبكر غير فعّال كصادّ للإثارات أوْ حاوي نفسيّ آمن لطفلة استحوذت عليها الهوامات. فموضوع سيّئ كهذا، قد يُؤثّر على صلابة و فعالية الحدود بين الدّاخل والخارج عن جسد

الطّفلة، الأنا و اللاّ–أنا، فيولّد معاشات اِكتئابية توقعها مثل بطل الأسطورة، نرجس، في عشق ذاتها مُسْتبعدة الموضوع الخارجيّ، بسبب عمى هستيري لمْ يتعرّف على صورته المُنعكسة على سطح الماء وظنّها شخصًا آخر، يؤكد غموضا في إدراك ذاته، ناتج حسب Freud (1910) عن الإثارة الزّائدة المتولّدة عن النّظر إلى الذّات، و الّتي توجّه فيما بعد حسب ذات العالِم(1914)، الاختيار النّرجسيّ لموضوع الحبّ، عند كلّ من المنحرفين، المثليّين والنّساء.

-**الهوس العصابي،** الّذي تولّده النّرجسيّة كدفاع ضدّ جنسنة شديدة: ضدّ صراعات نزوية وضمنفسية شديدة، ضدّ تهديدات بفيض نزويّ مفرط، وضدّ تقرّب ملحاح من المحارم. يتضخّم الأنا حينئذ نتيجة الكمية اللّيبيدية المتدفّقة عليْه مثلما هو الحال في جنون العظمة والانسحاب النّرجسيّ، ضدّ–العلائقيّ، يمنع ظهور الرّغبة في الآخر فينكص به إلى القلق الأوديبي، و إلى رغبة الأمّ في الأب و اِسْتبعاد المشهد البدائيّ، و/أوالأمّ المثيرة جدّا بالنّسبة لطفلها، بينما يعمل التّجميد اللّيبيديّ، حسب تعبير .Green.A على كبت وقمع الحركات اللّيبيدية.

-**الذّات المزيّفة،** وعقدة الموضوع السّيّئ –إن صحّ التّعبير. تعكس ملامح هذه الأمّ وتعبيراتها الوجهية و طريقة استجابتها لحاجات رضيعها اِرتباكًا و خوفًا تجعل صغيرها متناقضًا و خاضعًا على الدّوام لها حتّى يكسب رضاها. ينمو أناه بتقدير منخفض للذّات، يُحتّم عليْه تطوير طبائع علائقية مثالية تجنّبه غضب الآخر ونبذه له. ما يكشف عن استثمار الفرد لذاتٍ تتماشى و توقّعات المحيط منها ليحفظ أناه وراء غلاف اجتماعي متصلب يمنعه من التّعبير الصّادق عن رغباته ونزواته.

ينتج هذا الاضطراب حسب .Winnicott.D.W عن خلل في المراحل اللّيبيدية التّطوّرية المبكرة، عندما عجزت الأمّ عن قراءة و فهم رغبات طفلتها، فقامت بإشباع نزواتها وفق اختياراتها لتجبرها على الخنوع و الخضوع.

يميّز Winnicott خمس حالات نفسية للذّات المزيّفة:

-حالة الذّات المزيّفة الّتي غطّت الشّخصية بالكامل ، حيث يترك صاحبها انطباعًا من "الزّيف" في العلاقة، جاعلا الذّات الحقيقية مخفية تماما عن الآخرين. الأمر الّذي يجعله يعاني من التّوتّر و عدم التّوافق في حياته الاجتماعية.

-حالة الذّات المزيّفة الّتي يحفظ الفرد في ظلّها أناه/ذاته الحقيقية من محيط يعتبر ضارّا بالنّسبة إليه.

-حالة الذّات المزيّفة الّتي يحاول الفرد من خلالها إيجاد تكيّف مع المحيط لتسمح للذّات الحقيقية بالتّعبير عن نفسها.

-يتقمّص الأنا شخصيّات تكون بمثابة الذّات المزيّفة تسمح للذّات الحقيقية بالتّعبير عن حالها من خلالها.

-حالة أخيرة للذّات المُزيّفة تظهر عبر التّصرّفات المثالية و الأخلاقية المتوافقة ومتطلّبات المجتمع، تقيم من خلالها علاقة تجنّبية تحمي الذّات الحقيقية الّتي تكشف الأنا عنها متى رأت ذلك مناسبًا و مع من ترغب في إطلاعه على حقيقتها.

ينجم عن هذه الذّات مختلف أنواع الاكتئاب و الفصام، نذكر منها:

الكآبة أوْ كما يسمّيها Hippocrate "البعبع[17]" لاستحواذها على نفسية الفرد و تعارضها مع الهوس. حيث يعتبر هذا الأخير جنونا شاملا، بينما يشير الأوّل إلى جنون جزئيّ يقول Widlöcher. و تكشف الحالتان عن فقدان كليّ أو جزئيّ لموضوع حبّ اِنتُزع من الوعي و لم يصبح موجودًا في الواقع، فيفتقر الأنا ويشعر بالنّقص، و يلغي تدريجيّا الاستثمار الليبيديّ لموضوع بديل عنه؛ ما دفع Freud في 1915، إلى ربط الكآبة بالحداد على هذا الفقدان. ومن أعراضه: الكف، فقدان القدرة على الحبّ و العمل، فقدان الاهتمام بالعالم

---

[17]- La bête noire.

الخارجي و انخفاض الشّعور بالذّات، اضطراب إدراك الذّات و زيادة تأنيبها و توجيه الملاوم إليها، مع الشّعور بالعجز مزاج اكتئابي سيّئ قد يبلغ في الحالات الشّديدة درجة الهذيان والبحث عن العقاب. فقلق فقدان إدراك الموضوع يحيي شعورا بإدراك الفقدان الحقيقي له. و استثماره يعني إدراكه ثمّ تصوّره، لكن المكتئب لم يبن هذا التصوّر لأنّ الموضوع كان غائبا، من هنا تنشأ الاعتمادية و يصاب الفرد في حالة الكآبة نرجسيّا أي ينخفض تقديره لذاته الّذي يبلغ أدنى الدرجات.

الفصام أو التّفكّك، و يعني في لفظه اللاّتيني إنقسام الفكر. و قد يصيب هذا الانشطار العاطفة أيْضًا، زيادة إلى أعراض: التّنافر، اللاّمبالاة بالواقع، الإنكفاء على الذّات مع طغيان حياة داخلية غارقة في النّشاط الهوامي لكنّه سيّئ التّنظيم. ويرى فيه Bleuler (1911)، تراخي في التّرابطات و فقدانها للتّماسك، نتيجة طغيان السّياقات الأوّلية النّاتجة عن النّكوص إلى مرحلة النّرجسية الأوّلية، ما يسبّب تشويها في الأفكار ويعكس اختلالات في وظائف الأنا.

يرتبط هذا المرض بتشويه للواقع، وعزوف عن العلاقات بين-الشّخصية، بسبب اِنسحاب الاستثمار اللّيبيدي من الموضوعات الخارجية و توجيه الطّاقة اللّيبيدية نحو الذّات مسبّبة تضخيم الأنا أو توهّم المرض (Freud، 1914). وهو ما جعل Jung (1875-1961) يقول أنّ الفصام، شكل من أشكال الحياة النّفسية، تتميّز بانتشار النّماذج الأوّلية والأصلية.

و مع حلول الثلاثينات، أشارSullivan (1892-1949) إلى تأثير العلاقات بين-الشخصية في ظهور الفصام، و حدّدها Searles(1965) في العلاقات الوالديّة بالأبناء وما قد تؤدّي إليْه من جنون لاعتمادهم على الرّابطة المضاعفة[18] في تعاملهم معهم.

---

[18]- رسالة والديّة للأبناء تتّسم بالتّناقض عبر تعبيراتها الانفعالية، و تأرجحها بين التّنبيه و الإحباط، كأن أسلّم هدية لشخص تتضمّن غضبا أو كرها في فعل ذلك.

فالفصام عمومًا، هو عيب في الأنا و في تصوّر العلاقة أنا–موضوع مبكر–نزوات، يتّصل بصعوبة أوّلية لدى المريض في تكوين تصوّر عن ذاته و عن العالم الّذي يفترض أنّه يحوي نزواته. فقد أشارت العديد من الدّراسات إلى أنّ السلوك الوالدي قد يلعب دورا هامّا في نموّ و تطوّر الطّفل و ظهور مشكلات سلوكية لديه Campbell(1995)؛ Greenberg et Speltz et Deklyen(1993)؛ Stratton.W.(1990).

تكشف الحالات المذكورة عن تثبيت في المراحل قبل–التّناسليّة، حيث يتميّز أفرادها حسب Lacan، ب"أنا" ضعيفة تعتمد كلّية في اِتّساقها و اِندماجها على ديمومة العلاقات الموضوعية الجيّدة.

خلاصة الفصل الأوّل

"إن محاولة مراجعة الأبحاث الّتي تُجْرى عن الذّات أو متابعتها، يشبه محاولة الحصول على شربة ماء من خرطوم إطفاء الحريق"(Baumeister، 1998).

حظي مفهوم الذّات باهتمام واسع من قبل الفلاسفة وعلماء النّفس، حتّى غدت أيّ نظرية تبحث في الشّخصية لا تغفل الذّات كمكوّن أساسيّ لها. فقد شكّل فهمها شيئا هامّا، دفعهم ودفعنا للبحث في مكوّناتها ومكنوناتها، باعتبارها هي الشّخصية وقوامها، تدرك وتفكر وتنفعل وتختبر. فهي البنية الّتي تحدّد وتكشف عن انتظام الجهاز النّفسي، والمجال العلائقي الّذي تحيا فيه. تعمل على وحدة الشّخصية وتماسكها وتناسقها وتمدها بالتوازن والثبات.

يتأرجح إدراك الذّات بين الواقع، الهوام و التّرميز؛ و يتلخص في ثلاثة أبعاد نفسية محدّدة: الصّورة و المخطّط الجسديّيْن والهوامات اللاّشعورية المرتبطة بكلّ منهما، والتّرميز الضّمنفسي للقوالب والعلاقات بين-الشّخصية الّتي تحرّضها. يبرز تفاعل هذه الأبعاد الثلاثة التّنظيم الهرميّ لإدراكات الفرد عن ذاته عبر مختلف استثماراتها اللّيبيدية.

تدعم هذه التّفاعلات ثلاث سياقات ضمنفسية:

-سياق جسدي-نفسي تستند فيه الصّورة عن الذّات على المخطّط الجسدي و صورته اللاشعورية؛

-سياق نزويّ-نرجسيّ يستثمر هذه الصّور عاطفيّا في جوّ من الحبّ والتّقدير الإيجابي للذّات؛

-سياق علائقيّ بين-شخصيّ تساهم نظرة الآخر الكبير و الّذي يليه في تشكيل صورة عن الذّات.

يرتقي الوعي بالذّات ضمن علاقة موضوعية جيّدة، وخبرات حسّية استجابت لطلبات الفرد طفلا، فانعكست عبر نوعيّتها صورة اعتراف الآخر به واعترافه هو بنفسه، أو ما

يُطلق عليه العلماء بالاستجابة الاجتماعية الّتي تتزامن وتعلّم اللّغة واستثمارها في تمييز الذّات عن اللاّـذات. ما يسهّل عليْه تحقيق فردانيته وانفصاله عن الأمّ وعن الموضوعات البديلة و العلائقية الأخرى، وامتلاكه للقدرة على حلّ العقد النّفسية المختلفة وتجاوزها كعقدة أوديب أو قلق الخصاء.

إذا أُدركت الموضوعات و الذّات على أنّها سيّئة تولّد الألم و يُهدّد الأنا اللاّأمن، فيقلق الفرد و يشعر بالحرج و النّبذ...لأنّ الذّات يقول Hume.D.(1711-1776)، ليست كيانًا لكنّها أشبه بحزمة من الأحاسيس، لأنّ حياة الفرد سلسلة من الانطباعات تتخلّل علاقاته وترتبط بعضها ببعض من خلال الذّاكرة.

يدرك كل فرد العالم بطريقة فريدة، وتمثّل هذه الإدراكات الشّعورية واللاّشعورية في انتظامها و اتّساقها المجال الظاهراتي له و لمفهومه عن ذاته؛ تعكسه الخبرة الّتي، على الرّغم من التّغيّرات المحتملة تحتفظ خلالها الذّات بهذه الطّبيعة المنمّطة والمتكاملة والمنظّمة، تتجسّد في اكتساب عدد من الصّفات: الوعي، الأمانة، الحرية، الثقة. إضافة إلى وعيه بقدراته وإمكاناته وانفعالاته مع توفر رؤية دقيقة وتصوّرات واضحة عن العلاقات بين-الشّخصية و الاستثمار الإيجابيّ لها، مع إمتلاك القدرة على الابتعاد أو الانفصال حيث يتمتع بحرية الإبداع و العفوية والاستقلالية علاوة على الخصوصية.

الفصل الثّاني: إدراك العلاقات

"يمكن وصف الإنسان بأنّه كائن اعتماديّ يرضخ لبعض الحاجات،
و يطمح للاستقلال" (Blase.P.، 1623-1662)

« La perception c’est, d’entrer en contact corporel avec le monde » (Merleau-Ponty).

تمهيد

سنّة الخالق أن يَقدُمَ الأطفال من راشد، عاقل، واعي، قادر على التّزاوج ثمّ التّوالد، يسير على خطى آدم وحوّاء عليْهما السّلام. فبداية الخلق والخليقة براشديْن فيها الحاجة إلى اكتمال النّضج لمباشرة العلاقة مع موضوع حبّ يتفاعل معه لتعمُر الأرض. وما حاجة الفرد طفلاً إلى موضوع راشد إلاّ ليلقّنه أسس بناء هويّة نفسية إنسانية وأخرى اجتماعية دون أن ننس الهوية الجنسية التّمايزيّة للكائنات البشريّة.

لذلك، يسعى الإنسان منذ اللّحظة الأولى من كينونته إلى البحث الحثيث عن موضوع حبّ أوّليّ يأتي من خلاله، يُسنده ويستند إليه، موضوع جيّد، صاد للإثارات، يخفّف عنه توتّرات العالم الخارجي ليتعلّم عقلنتها ضمنفسيّا؛ يقيم معه علاقة خدماتية إشباعية، ليبيدية تواصلية، تبدأ ثنائية ثمّ تصبح ثلاثية تمتّن كينونته وتبني هويّته الجنسية أنثويّة كانت أو ذكوريّة.

زدْ على أنّ طبيعته الاجتماعية تكشف عن الأصل المُشترك بين الأنا والآخر: فتصوّرنا لذواتنا لا يكون بمعزل عن صورة الآخر عنّا و لدينا (Harley،1999)، علاقة تصوّريّة ذهنية تُبنى على حاجة كلّ منهما إلى التّواصل والإرتقاء مع الآخر، فتشترطه في أوّليّات نشأتها أكبر و أنضج منها، أو متكافئيْن متقاربيْن بعدها، حسب نوعية العلاقة المستهدفة والرّابط المنشود.

لا ينفكّ المختصّون النّفسانيّون بمختلف توجّهاتهم يؤكّدون على أهمّية العلاقات بين الأنا والموضوع في بناء حياة نفسية صحّية، أساسها تماسك وَ وحدة مختلف جوانب الشّخصية، الجسمية والعقلية والاجتماعية، وإكسابها طابعا مميّزا، يَدخُلها الأنا مبكّرا في شكل تعلّق وإرتباط ضروريّيْن بالأمّ يختبر من خلالهما الإعتمادية والالتحامية المرتبطتيْن بالإشباع الفيزيولوجي، وتقفّي بصمة "هذه هي أمّي" فيتشبّث بها ويتواصل

معها محتضنا إيّاها متلامسًا معها جلديّا ومستثمارًا إيّاها ليبيديّا وموظّفًا مبادئ دينامية تخدم سواء العلاقة كمبدأ الواقع و مبدأ اللّذّة.

فكلّ علاقة موضوعية مبكّرة هي علاقة بين-شخصية و ضمنفسية تستوحي التّبعية الانفعالية، صراعات نزوية، تشكيل تصوّرات و إدراكات عن الأنا والذّات والموضوع، وقد تخلّف تثبيتات ونكوصات، وتحرّض ميكانيزمات واستراتيجيّات دفاعية تكيّفيّة تحفظ بقاء الأنا و الموضوع.

تنشأ العلاقة من إقامة صلة انفعالية للأنا بالآخر يكتنفها تحريض إدراكيّ وتعلّم خفيّ بهدف الارتقاء والنّضج. أساسها إدراك الارتباط أيْ النّسق النّاشئ بين شركاء هذه العلاقة: الأمّ والأبناء، الأب والأبناء، الأمّ والأب، الأبناء والوالديْن. تهيّئ التّفاعلات الارتباطية في النّسق العائليّ للاستثمارات اللّيبيدية والاجتماعية مثلما تعدّه للتّبادلات الشّبقية.

فمن هو الآخر الّذي ترتضيه الأنا؟ و ما حاجة الأنا العلائقيّة له؟

I- ماهية الموضوع أو الآخر

قبل أن نتحدّث عن العلاقة أو العلاقات الّتي يقيمها الفرد مع محيطه وعناصره، خمنّا أن نتطرّق لهذا الآخر الّذي سأقيم معه علاقة و سوف استثمره ليبيديّا. فإدراكنا لوجوده هو إدراك لعلاقة تربطنا به و تلزم عليْنا حضوره في حياتنا. فمن هو هذا الآخر أو الغيريّ أو الموضوع؟

إذا ما ألقيْنا نظرة خاطفة على لغويّة كلّ مفردة من المفردات السّابقة، وجدنا أنّ الغيْر لُغويّا، هي مصدر الإسم من غيّرَ و أحدث الاختلاف، و الغيريّة بذلك، هي خلاف العينيّة، وهي كوْن كلّ من الشّيْئيْن خلاف الآخر. أمّا الآخر، فهي بمعنى الغيْر و جمعها آخرون. في حين، تتصدّر مفردة الموضوع، من فعل وَضَعَ، يضعُ و موْضعًا و موضوعًا، الشّيْء

خلاف رفعه؛ أثبته في مكان. والوضْع في لغتنا العربية يتّصل في مُجمله بالإذلال والإهانة، نقّص ممّا له عليْه شيئا[19].

يتّفق العلماء النّفسانيّون والاجتماعيّون الّذين اِهتمّوا بالقضايا المتّصلة بالذّات، على أنّ ثمّة تلازم بينها كمفهوم وبين هذه المفردات، حيْث أنّ اِسْتخدام أيّ منها يستدعي تلقائيّا حضور الآخر. فالموضوع/الآخر/الغيريّ في نظرهمْ، لا يحتمل دالاً واحداً، بل يتبدّل عند كلّ واقعة تبعاً للحال الّتي يتطرّق منها للآخر: فالآخر هو الماهية الشّخصية الّتي تختلف عنّي و تشاطرني المكان في زمن معيّن من حياتي. وكما يكون معروفاً للذّات وقريباً منها فإنّه يكون أحياناً غامضاً، في أماكن بعيدة وفي أزمنة مختلفة. وكما يكون الآخر فرداً يكون أحياناً جماعة. هو الذّات أو الذّوات الأخرى؛ هو من يُنظر إليْه على أنّه نقيض الأنا، وغايتها المنشودة؛ هو عند Machiavel، الحاكم النّاصح العاقل الّذي يواجه لؤم المحكوم وجُبْنه؛ هو الأخ الأكبر وعيْنه الضّابطة في نظر جورج أورويل (1984)؛ هو القوّة العظمى الّتي تنافس نظيرتها في السّيطرة على البقيّة المهزومة؛ هو بالنّسبة Harley.V. (1999) الأجنبيّ والخارجيّ عن الأنا؛ وهو الواجب سبر أغواره... إنّ الآخريّة متولّدة من الأنا، ومولّدة لها. والآخر هو من يختلف عنّي و يشبهني في نفس الوقت. هو من ييسّر عليّ إدراك هويّتي واِختلاف هويّته عنّي.

يصوغه الفلاسفة، في شكل مبدأ الهوية، فهو في كينونته يكون هو هو، وبالقياس إلى الغير يكون مخالفاً له (Aristote). وأمّا Descartes فتوصّل إلى أنّ وجود الغير في إدراك الحقيقة ليس ضروريّا، والاعتراف بهمْ لا يأتي إلاّ من خلال قوّة الحكم العقليّ حيث يكون وجود الغير وجودا استدلالياً. في حين اِعتبر Hegel وعي الذّات بنفسها يكون باعتراف الغير بها، والعكس بالعكس. وبهذا تدخل الأنا في صراع حتّى الموت مع الغير، وتستمرّ

---

[19]- فهل يعني هذا أنّ التّحليل النّفسي الكلاسيكي اِعتمد هذا المصطلح في تعبيره عن الآخر، ليكشف عن نظرة الثّقافة الغيريّة الأرثدوكسية الّتي اِنبثق منها للمرأة، على أنّها موضوع خدماتي، تقريبًا شيْئيّ، مسخّر للآخر، يسهر على تلبية حاجاته و راحته؟

العلاقة بينهما في إطار جدلية العبد والسّيد، فيكون وجود الغير بالنّسبة إلى الذّات وجودًا ضروريّا. وأمّا Sartre فيطرح العلاقة المتبادلة بين الأنا والآخر في إطار ظاهراتي. فالغيْر هو ذلك الّذي ليس هو أنا ولست أنا هو. وبمجرّد الدّخول في علاقة معرفيّة معه، بمعنى تحويله إلى موضوع، ننظر إليه كشيْء خارج عن ذواتنا ونسلب منه جميع معاني الوعي والحرّية والإرادة والمسؤولية.

الآخر في الجنس، يقول خضر.ع.(2017)، هو من يقسم العلاقة بين المرأة والرّجل إلى ثلاث حقب: "الواحد والآخر" حيث التّكامل و الالتحامية، والثّانية "الواحد دون الآخر" حيث علاقة الهيمنة، والأخيرة "الواحد هو الآخر" وهي مبشّرة بعهد جديد من العلاقة بين المرأة والرّجل.

لا يتمّ الوعي بالذّات والآخر، إلاّ بعد التّعرّف على الفارق بين الذّات واللاّذات، أيْ إدراك التّمايز بين من أنا و من أنت/هو/هي؛ فيؤسّس جملة من المعتقدات حول نفسه والآخر الخارجيّ، يقيمها من خبراته الحسّية المبكّرة معه.

يشير مصطلح الموضوع، حسب .Hinshelwood.R.D، إلى معاش لاشعوريّ أو توهّم موضوع ملموس موجود فعليًا داخل الأنا (الجسم)، يمتلك دوافعه ونواياه تجاه الأنا والموضوعات الأخرى. فهو في نظر التّحليليّين، يتّصل بثلاثة جوانب رئيسيّة:

-باعتباره متلازمًا مع النّزوة: فيه ومن خلاله تحاول النّزوة الوصول إلى هدفها، أيْ إلى نمط معيّن من الإشباع، سواء مع شخص كامل، أو موضوع جزئيّ. كما قد يكون موضوعًا واقعيّا أوْ موضوعًا هواميّا.

-أو باعتباره متلازمًا مع الحبّ أو مع الكراهية: تقوم العلاقة موضع البحث عندها، ما بين شخص كليّ أو رُكن الأنا، وبين موضوع مستهدف هو ذاته أيضًا باعتباره كليّا (شخص، كيان، مثل أعلى أو خلافه)؛ تلازمه صفة غيريّ objectal.

-وأمّا بالمعنى التّقليدي الّذي يتبنّاه علم النّفس وفلسفة المعرفة، فيُطرح الموضوع كمتلازم مع الشّخص الّذي يُدرك ويُعْرَف: إنّه يبدو متّصفًا، بخصائص ثابتة و مستمرّة تتمتّع بحقّ الإعتراف العامّ بها من قبل جميع الأشخاص، وبصرف النّظر عن الرّغبات والآراء الفردية وَصفته في هذه الحالة موضوعيّ objectif.

وقد يُدرك الموضوع على أنّه داخليّا (المرحلة الشّرجية)، فيكون في نظر Strachey.A.، إمّا فيزيائيّا محسوسا(Abraham.K)، خياليا (مثل الأنا الأعلى عندFreud.S.)، أوْموضوعا هواميّا يجعل الموضوع الخارجي داخليّا (Klein.M.).

عموما، يكشف التّحليل النّفسي عن عدّة مسمّيات للموضوع، فنجد: الموضوع المبكر، الموضوع النّزوي، الموضوع الجزئيّ، الموضوع الكليّ، الموضوع الجيّد/السّيّئ، الموضوع الدّاخلي/الخارجيّ، الموضوع الهوامي، الموضوع المستدخل/المُسقط، الموضوع المفقود/المسترجع، الموضوع المستدمج، الموضوع الفموي، الشرجي، القضيبي، الموضوع قبل-التّناسلي، التّناسلي، الموضوع الشّبقي، الموضوع الجنسي، الموضوع الحقيقي/التخيّلي، الموضوع النّرجسي، الموضوع المضطّهِد، الموضوع الآمن، الموضوع الحامي وموضوع الحبّ.

تُشْتقّ هذه الصّفات من الهوامات المُتنوّعَة والمُحتملة للموضوع في التّاريخ الطّفلي وفق تجربة الإشباع النّزوية: فهو لا ينتظم فيها إلاّ اِنطلاقا من قدرته على إتاحة خفض التّوتّر بأقصر الطّرق المُمْكنة، تبعًا للأساليب الّتي تتلاءم مع نشاط كلّ منطقة مولّدة للغلمة. والأهمّ من كلّ هذا، فهي تشير إلى ما يشكّل بالنّسبة للشّخص موضوع جاذبية، أوموضوع حبّ، وبشكل عامّ تدلّ على شخص كامل.

يسمّيه Lacan، الآخر الكبير(A)، الّذي يُخبر و يختبر الأنا معه على المستويات الثّلاثة الواقع، الخيال والرّمزيّ، في هواماته وتصوّراته و نزواته؛ يرتبط اكتساب اللّغة بوجوده الحقيقي، ويُشار إليْه في هذه الحالة كموضوعيّ objectif.

وفقًا للتّعدّدية في مسيّمات الموضوعات الّتي يدخل كلّ منّا معها في علاقة منقادًا لاشعوريّا نحو هذا النّوع دون ذاك، يرتبط الاختلال اللّيبيدي التّناسلي الّذي تعيشه المتشنّجات مهبليّا، هو جزئيّ أوديبيّ، شبقيّ لا تناسليّ، حاوي، مانح للّذّة، مشبِع غير مُحبِط، يجب أن يكون جيّدًا...شروط تجد منبتها ضمن العلاقة المبكّرة.

II- تعريف إدراك العلاقات

علّمني أستاذ الرّياضيّات أيّام كنتُ طالبة في صفّه أنّ عناصر المجموعة الواحدة ترتبط فيما بينها بعلاقات، و قد يقيمها كلّ عنصر مع نفسه أو مع غيره. تنقسم هذه العلاقات إذن إلى ثلاثة: اِنعكاسية، يتعلّق كلّ عنصر فيها بذاته؛ تبادلية ثنائية تجمع بيْن كلّ عنصريْن مختلفيْن؛ وآخرها علاقة متعدّية تتعدّى الثنائية إلى طرف ثالث على نحو صديق صديقي هو صديقي، فتجمع ثلاثة عناصر في علاقة واحدة. فهي أيْضًا علاقات داخلية ضمنية وأخرى خارجية نسبية.

تقوم هذه العلاقات الحسابية على تكميمات "أكثر"، "أكبر"، "أصغر"، "يساوي"، "بين" و"محصور" و"سبب" علاقات ثنائية أو متعدّية تفاضليّة تنظّمها و ترتّبها.

بتطبيق هذا المنطق الرّياضيّ في مجال النّفس البشرية، نجد أنّ كلّ واحد منّا تربطه مع ذاته علاقة اِنعكاسية اِستبطانية، نرجسية سويّة، تتعدّى حدود السّواء إذا ما تجاوزت منطق العلاقات الموضوعية؛ و قد تصبح علاقة ثنائية-تبادلية-تواصلية مع قرين له يُماثله أوْ يختلف عنه في الجنس؛ كما قد تتجاوز الثنائية إلى ثلاثية أوديبية إمّا بانضمام عنصر جديد، أو بإلحاح الحاجة إلى ثالث لفهم الآخر ضمن تعدّدية تكشف عن ضعف الأنا في تجاوز عقبات الاعتمادية و الالتحامية مع الموضوع المبكر أوْ بديله.

هي باختصار علاقات بين-شخصية، تتخلّلها تفاعلات ضمنفسية، أساسها دلالات خطابات الآخر الكبير وإحساسات الأنا في تجربة الإشباع معه، تجسّدها تصوّرات وَرموز وصراعات تستثير بدورها ميكانيزمات دفاعية تكيّفية تبني الهويّة عبر مبدأيْ الحياة والموت والاستثمار النّزوي. هي في نظر Lacan و Freud رابط اجتماعيّ، لا يقع خارج الفرد بل داخله؛ فهو ذاتيّ مُستدخل مبكّرا ثمّ موضوعيّ مُسقط.

تُدرك العلاقات أيْضًا على أنّها لحظة تفاعلية يصبح الآخر في نظر Lacan وَ-Merleau Ponty مرآة للذّات، أوْ مرآة اجتماعية تطوّر الوعي الذّاتيّ والوعي بالآخر، فيكتشف كلّ منهما سماته وصفاته النّوعية و اِرتقاءه ضمن المجمل العالم الموضوعيّ.

تُدركها .Klein.M، على أنّها معاش لاشعوريّ، يُجسّد الأنا خلاله الموضوع الخارجي كنموذج تنظيم هواميّ تشكيليّ لشخصية الفرد. فيصبح الثّدي المستدخل نواة مركزية لكلّ العلاقات الموضوعية اللاّحقة توظّف الهوامات المعاشة على المستوي الجسديّ. وفي دراسة قام بها Trevarthen(1980)، Chamberlain(1987)، حول قدرات الوعي لدى الرّضّع، توصّلا إلى أنّ هؤلاء يشكّلون دلالة دقيقة عن حقيقة العلاقة أمّ-طفل، يستدخلونها على أنّها داعمة ومساندة له نفسيّا، أو مزعجة تتمثّل في الأنا الأعلى، الآمر والنّاهي.

يتأسّس إدراك العلاقات بعامليْن أساسيّيْن: إدراك الفضاء الّذي تقوم فيه العلاقة بالآخر، وإدراك زمان قيام هذه العلاقة. أمّا الإدراك الأوّل فيرتبط بسؤاليْن محوريّيْن: كيف يتموقع الآخر بالنّسبة للأنا؟ وكيف يتموقع كليْهما في المحيط الّذي يحتويهما؟

يحصل الإدراك المكاني لموضوع ما اِنطلاقا من مرجعيْن إثنيْن: إمّا أن يقع الموضوع خارج جسم الأنا، ويكون كلّيّا أو جزئيّا أو انتقاليّا؛ و إمّا أن يكون داخليّا. يسمّي Berthoz (1997)، Howard(1982) و Wade(1992) التموقع الأوّل بالتّمركز الخارجي[20] أي إيثار

[20]- exocentré ou allocentré.

الموضوع عن الذّات. بينما يسمّى التّموقع الثّاني بالتّمركز حول الذّات[21]. تشكّل الذّاتوية أو الأنويّة إحدى القواعد المنظّمة للسّلوك المُوجّه نحو الفضاء خارج الجسم (Jeannerod، 1988؛ Jeannerod et Biguer، 1987).

يصحب هذا الإدراك إدراك زماني لعلاقة الأنا بالآخر، فهو وعي بزمنية الأنا والذّات بإطراد زمنية الرّغبة والبناء اللّيبيدي والتّأثيرات المتناقضة والمتضاربة في اللاّشعور. فقيام علاقة بالموضوع والتعلّق به، هو محاولة إدراك واستدخال الاختلاف بين تطابق الزّمنية الذّاتية لرغبات الأنا وَ زمنية الآخر الكبير وَ رغباته، وَكذا تكوين التّوافق بينهما حتّى يتكيّف. تناسق تستدمجه الأنا بمرور الوقت مع احتمالية شعورها بعدم القدرة على التّحمّل في حالة ضعفها.

الإدراك الزّماني هو إدراك لتوارث الشّرائع جيلا عبر جيل من خلال جدلية تقمّصية أوديبية محدّدة تتضمّن بقاء القديم في كلّ أوديب جديد، آثار مُثُلِ الماضي في ذاتية الأجيال الجديدة. فالزّمن في التّحليل النّفسي هو زمن التّحويل.

إنّ أوّل ما يدركه الفرد في العلاقات و يعيه عن الآخر، الآخر الحميم (أنت) المتمثّل في موضوع الحبّ الأوّل، الوالديْن أو البديل عنهما...ثمّ يتطوّر وعيه وفهمه فيتعرّف على (نحن) الأقرب المتمثّل في أفراد أسرته. ثم تتوسّع دائرة علاقاته إلى موضوعات خارجية إذا ما استوى فضاؤه الإنتقالي فيدخل عالم الأقران والأصدقاء في عالم اللّعب والدّراسة، ثمّ راشدًا زملاء العمل... ثمّ المجتمع برمّته، كفاعل ومتفاعل ضمن علاقات عديدة بتعدّد موضوعات تجاربه الإشباعية. فإدراك العلاقات هو إدراك زمكاني ليبيدي تنظيمي بنيوي هوامي للأنا والذّات والآخر.

---

[21]- égocentré.

III- مفهوم العلاقات لغة واصطلاحا

يحتاج فهم الظّواهر الإنسانية واستبطان مكنوناتها بحثا أوّليا في أصولها اللّغوية. دلالة مفاهيميّة تكشف عنها القواميس والموسوعات والكتب العلمية، تيسّر الرّبط بين المعنى والمحسوس لكلمة علاقة، جمعها علاقات، فنأخذ بجانب من أسباب استعمال هذا المفهوم في هذه الصّياغة التّعبيرية دون أخرى لتفعيل قيام ارتباطات بين الشّيْء محلّ الحديث وما يحيط به من الأشياء لتحقيق حضوره.

1- مفهوم العلاقات لغة

تكتسب المصطلحات دلالة لغوية وأخرى اصطلاحية تخصّ مجال توظيفها العلمي. يذلّل تفسيرها اللّغوي تارة صعوبة استيعاب دورها في سواء أو باثولوجية الجهاز النّفسيّ الّتي قد تصيبه أو تلحق بركن من أركانه.

أ-العلاقات في قواميس اللّغة العربيّة

يُشتقّ مصطلح "علاقة" من "عَلِقَ، عُلُوقًا وعِلْقًا وعَلَقًا" فلانًا وعلِق به: هويَه و أحبّه. وجاء بمدلول الصّلة، الارتباط، القرابة الّتي تجمع فرديْن أو أكثر، فتكون مصدرا للصّداقة، الخصومة، المنيّة، أو ما تتبلّغ به من العيْش وتتعلّق به من صناعة أو معيشة أو غيرهما. وهو يدلّ أيْضًا على ما تعلّق بالإنسان من مال و زوجة وَ ولدٍ.

يترادف مصطلح "علاقة" والارتباط بشخص عبر أواسر الحبّ أو الكراهية. يحوصلها معجم لغة الفقهاء في تشكيل الحرف الإبتدائيّ منه، حيث إذا ما فُتحت العين، فهو مصطلح يدلّ على ما ارتبط بالمعاني؛ وأمّا كسر العين، فيشير إلى ما له صلة بالمحسوس من مثل عِلاقة السّيف: ما يُعلّق عليه السّيف ونحوه؛ عِلاَقَةُ الثِّمَارِ: مَا تَعَلَّقَ عَلَى الأَشجار من الثِّمار: الْجُزْء الدَّقيق من ورقة النَّبات يحمل في طَرَفِه صَفِيحَتها.

ب-العلاقات في قواميس اللّغة الأجنبيّة

يرجع أصل مصطلح "علاقة" إلى اللّغة اللاّتينية relationem من relatus بمعنى référer، rapporter، أيْ تحليل ما يقوم بين الأشياء من ترابط بالرّجوع إلى...أو الاستعانة ب... لوصف العلاقة بينها بالنّقل أو السّرد.

تفسّر قواميس اللّغة الأجنبية، مصطلح "علاقة" بحالة شيْء يتمسّك بآخر في اِرتباط وثيق بينهما. ومن جانب الفلسفة، مصطلح الارتباط بين شخصيْن، أو شيْئيْن، لا يمكن استخدام أحدهما دون استحضار الآخر؛ وهي شبيهة بعلاقة الأب بالابن والابن بالأب. كما قد يعني المصطلح، الشّخص الّذي نتّصل به بتوظيف وسائل وآليات التّواصل والإعلام، وقد يتعدّى إلى أكثر من شخصيْن.

وقد يصف المصطلح ما يقوم من تبادلات ومراسلات في التّجارة والسّياسة. وقد يرتبط بفعل relater أيْ سرد الأحداث الّتي عايشها المتحدّث بالرّبط والوصل بينها؛ أوْ سردها بهدف إقامة علاقة مع الآخر من خلال مشاركته الأحداث المسرودة.

على العموم، يشير مصطلح العلاقات إلى النّسبية التّرابطيّة بين شيئيْن أو مادّتيْن أو موضوعيْن، يمثّل أحدهما السّبب أو العرَض و يعبّر الثّاني عن النّتيجة الحاصلة.

ت-العلاقات في قواميس مصطلحات علم النّفس

تُعرّف "العلاقات" في المعجم الموسوعي لعلم النّفس .Norbert.S(2001)، بالرّجوع إلى مصدرها "التّعلّق" الّذي صاغه .Bowlby.J في السّمة الأوّلية للميْل إلى الارتباط؛ ما يكشف عن أصول وجدانية لدى الإنسان والحيوان على حدّ سواء، تختلف عن مفهوم التّبعية الانفعالية الكلاسيكي.

والواقع أنّ هذه التّبعيّة، الأساسية في كلّ نظريّات التّعلّم الاجتماعيّ، تُعرّف أنّها ميْل ثانويّ خاصّ بحالة من عدم النّضج ولا يرتبط بشخص معيّن. أمّا الارتباط، فإنّه لا ينطوي بالضّرورة على عدم النّضج. بل محفور في طبيعته أن يدوم، شأنه شأن العلاقة

بالموضوع، صلة بين فرد وآخر. ولكنّه أيضا، على وجه الخصوص، يفترض المَيْل الأصليّ والدّائم إلى البحث عن الاتّصال بالغير.

ومن آليّات الارتباط، العناق، الصّراخ، الإرضاع والبحث عن الدّفء. ويُدرَك من هذا المنظور، بوصفه إقامة منظومة بين شركاء: منظومة الأمّ_الطّفل، الأب_الطّفل، منظومة الطّفل_الرّفاق...

تلاحقت عبر مؤلفات Baldwin، Janet، Wallon أنّ الإنسان منذ ولادته، موجود اجتماعيّ؛ فللأنا والآخر أصل مشترك. تبرهن الملاحظات والتجارب على أنّ تصرّفات الارتباط تهيّئ للسلوكات الاجتماعية و للتّفاعلات الجنسية من جهة أخرى، ولكنّها تتميّز عنها.

2- مفهوم العلاقات اِصطلاحا

إن جوهر علاقة الأنا بالموضوع، وعلاقة الآخر بالذّات، هي تلك العلاقة الأساسية المُتمثّلة في تولّد مفهوم الذات ومفهوم الآخر لدى الفرد. حيث غدت هذه العلاقة موضوعا للفكر والمعرفة، إذ أنّه دون معرفة الآخر يظلّ التّعامل معه في حدود ضيّقة، نتصوّرها حسب ما نريد و وفق ما نرغب، لا على ماهي عليْه في واقع الأمر.

تُعرّف أيْضًا على أنّها علاقة تبادلية بين الذّات والآخر. طريقة يتصوّر بها كلّ منهما موضوعاته و الكيفية الّتي يدمجها في نشاطاته و تأثيرات ذاتية الأنا على الموضوع، والعكس بالعكس. ففكرة الفرد عن نفسه ومدى تقبّله لها، ونظرته للآخرين من حوله تُعْتبر من المحرّكات الأساسية لسلوكه العلائقي.

تكشف بنية العلاقة بالموضوع عن بنية الشّخصية، لأنّها تكوين، حلّ وسطٌ بين الإدراك الهواميّ للآخر أو الموضوعات واستراتيجيات الدّفاع المفضّلة؛ إنّها النّتيجة المُعقّدة والكاملة لتنظيم معيّن للشّخصية.

يُشير Maslow إلى العلاقة بصفتها إنسانية ذات خصائص جيّدة تُرضي حاجاتنا الأساسية. ويسمّيها Janet، Socius أيْ الشّريك الّذي يقاسم الذّات حياتها النّفسو-اجتماعية، و يشاركها الخبرات الجزئية والمواقف الّتي يمرّ بها كلّ منهما أثناء محاولات التّكيّف مع المحيط. فلا يُدرِك أحدهما الآخر إلاّ عبر الدّلالات الرّمزية المتبادلة، والصّراعات المستمرّة معه.

في عام 1915، أكّد Freud على تشكّل العلاقة الموضوعية بالتّحريض النّزويّ من داخل الجسم في شكل اندفاعات، تتوافق و الحاجة المقضية عن طريق الإشباع وخفض التّوتر النّاتج عنها. يحرّكها ميكانيزم التّماهي الأوّلي، والانتقال ما بين مبدأ اللّذّة إلى مبدأ الواقع. كما ترتبط في نظره بقطبيْن:

-النّشاط الجنسي، الثّابت ؛

-البقاء على قيد الحياة والحفاظ على الذّات بأن تكون العلاقة استناديّة يستثمر فيها الأنا الموضوع، أوْ نرجسية تُستثمر الأنا ليبيديّا أوْ مع موضوع شبيه بها.

يؤكّد Freud في مقاله "المحاولات الثّلاثة في نظرية الجنس"(1905)، أنّ الفطام من الثّدي هو اللّحظة البنيوية الحاسمة والمؤسّسة للعلاقة بالموضوع. ولا يتم في نظره تكوين الآخر كموضوع من تجربة النّقص فقط، لأنّه أساسًا موضوع مفقود يعيد إيجاده في تكرار لا يؤدّي أبدًا إلى الإشباع القديم الّذي يجد نموذجا له فيما قبل الفطام الأوّل.

بينما يرى كلّ من Ferenczi et Hartmann أنّ الحبّ الموضوعي الأوّل أو كراهيته، هي أصل و نموذج لكلّ تحويل يسقطه الأنا في علاقاته الموضوعية والتّناسلية لاحقا.

يُشبّه منظّرو مدرسة العلاقات الموضوعية، Kernberg et Jacobson et Mahler علاقة الأنا بالموضوع بحاويات للجهاز النّفسيّ وعوامل تنظيمية بنائية له، علمًا أنّ الموضوع هو أيْضًا الآخر محلّ الاستثمار.

هناك نهايتان حتميتان لتصوّر وإدراك الموضوع:

-إمّا أن يتم البحث عن الموضوع في الآخر ، وبالتّالي فإنّ الشّخص يمارس عليْه جاذبية جنسية.

-إمّا أن يكون هناك هلوسة في تحقيق الرّغبة ، كما في الحلم عبر الهوامات.

IV- النّظريّات المفسّرة لإدراك العلاقات

اِهتمّ العلماء بمختلف تخصّصاتهم العلمية بالتّنظير للعلاقات، فبحثوا في العوامل والعناصر النّفسية والاجتماعية المؤسّسة لسوائها وشروط نجاحها أوْ فشلها، مع أهمية اختيار موضوع الحبّ في توليد الاضطرابات العلائقية والصّحّة التّفاعلية.

1- النّظريّات التّحليليّة

كتب Freud في مقال له "علم النّفس الحشود وتحليل الأنا"(1921)، عن أهمّية دوْر الآخر الدّائمة في حياة الفرد كنموذج، كموضوع إشباع، كشريك أو كخصم.

يكون هذا التّصوّر للعلاقة به لاشعوريّا، نزويّا وإنفعاليّا. تشكّل هذه المركّبات ضمن حركة دينامية نفسية، هياكل غير واعية عميقة تنظّم وتحفّز التّصرّفات العلائقية، وميكانيزمات الدّفاع التّكيّفيّة. تتجسّد في سياقات الهوس التّكراري في اختيار موضوع إمّا اعتماديّا أوْنرجسيّا تماهيًا بإدراكه لنوعية العلاقة بالموضوع المبكر. وقد أكّد Freud في مقاله "الأنا والهو"(1923)، على أنّ استثمار موضوع الحبّ يرتبط بالتّماهي بالعلاقة الأولى أكثر من التّماهي بموضوعها؛ فهو شرط الهو حتّى يتخلّى عن موضوعاته، ومبدأ تفسير التّحويل. ومن هنا، إشارته إلى انتصاب الموضوع في الأنا وقيام تمثال هواميّ له، داخليّا، اِستُدْمج على أساس مبدأ اللّذّة والنّزوة. عِلْمًا أنّ إدراك العلاقة به لا يمكن أن يكون دون تطوّر في الأنا لجملة من التّصوّرات المعقّدة والمنظّمة (Sandler et Rosenblatt، 1962).

تشير Klein إلى تعدّدية تصوّرات الارتباطات بالموضوع، وأنّ إدراك الأنا لها لا يكون إلاّ في معايشتها لحالات الإحباط، الحرمان، الكراهية والتّدمير. ما يؤكّد إدراك العلاقات

اِنطلاقًا من تصوّر نوعية الموضوع و الانفصال عنه بعد الالتحامية اللاّتمايزية عن الآخر، فتكون جزئية فيتيشية؛ سيّئة اِضطهادية ...أوْ جيّدة حامية وحاوية يُدرك فيها الموضوع كمرغوب، كامل، وكذات موحّدة يتماهى معها الأنا بدخوله مرحلة المرآة. تصوّرات بدائية لرابط الأنا بموضوع النّزوة، قد تصبح مثبتة تعاود الظّهور في حركة نكوصية ضمن علاقة موضوعية حالية.

وفي ذات السّياق، يشير Hazan et Shaver(1987) ومناصرو نظريّة التّعلّق، إلى التّقارب الكبير جدّا بين أنماط التّعلّق أم/طفل والتّعلق بموضوع الحبّ، يتجلّى في فعالية أو سوء العلاقات التّناسلية الرّاشدة، في ميْل الأنا إلى الكّفّ أو إحباط العلاقة الحالية، مع محاولة إعادة تنظيم الماضي وهيكلة الذّاكرة، بتصحيح الخبرات المُسْتدخلة عبر ما تعكسه مرآة الآخر، شريطة ألاّ يكون ذلك بهدف التّماهي الكلّي به ولكن بغية تعديل العلاقة بما يحسّن استثمارها.

2- النّظريات النّفسية-الاجتماعية

« Une personnalité est un système d'actions et de tendances aux actions » (Paul Schilder).

أشار Freud.S.(1921) منذ البداية إلى علم النّفس الفرد على أنّه علم النّفس اِجتماعي في نفس الوقت، لأنّ الأنا لا يمكنها أن تكون بمنأى عن العالم الّذي يجمعها بالآخرين. فتتمَفصَل ديناميّته النّفسية وكفاءاته الاجتماعية، مع توظيف هامّ فيها للصّورة الذّاتية المنعكسة في الهوية والانتماء الاجتماعي.

يقيم الفرد مع الآخرين علاقات تفاعلية يستثمر فيها ذاتيّته والصّورة الخارجية للجسم أساس الرّابطة الاجتماعية. وما يكون الاهتمام بهذه الصّورة إلاّ: من منظور أداتيّ يعكس النّجاح والإندماج اجتماعيا بتأدية الدور المنوط به.

وعليْه، تُدرك العلاقات بالآخرين و دينامية الجماعات على أنّها تفاعلية-مرآتية، تقييميّة-تقديريّة إضافة إلى أنّها تفاعلية-انتفاعية، تكشف عن ميْل الإنسان الفطري إلى المقارنة بالغيْر ممّن هم أقرب منه، أشبه به وأقلّ اِختلافًا عنه (Festinger،1954)، وتعكس صورة

الفرد عن ذاته، وتقييم الآخرين لها، مع وعيه بالمشاعر الإيجابية أو السّلبية النّاتجة عن ذلك (Cooley،1902؛ Mead، 1934). ما يوحي بوجود ضغوط يعيشها الفرد من أجل التّوحيد، والّتي، إن لم تُتّبع ، قد تفسح المجال للعداء والصّراع.

يُستغل الارتباط بالآخر كمعيار لتقدير حقيقة غير مؤكّدة: لأنّ الصّفات التّقييميّة نسبية، لكنّ الحاجة النّفسية لها تنمّي الإطمئنان على الذّات في إعتراف الآخرين بها. فالآخر داعم عقلاني للقلق النّاجم عن الحميمية معه، يُصنَّف اِعتمادًا على موقف الأنا النّفسي من جسده؛ و قد اِفترض Asch(1956)، أنّ الفرد يفعل الأمر نفسه مع ذاته، فيُصنَّف ذاتيّا على أساس حكم جماعيّ يستوحي فيه القبول والتّقبّل من الآخرين، وذلك لإعتقاده بصواب هذا الحكم على الفرديّ، وأيْضا لتجنّبه الإراديّ للاختلاف.

وكأنّنا بالفرد يُخطّط ليُبْقي على علاقته بالآخر، فينفر من التّميّز ويتخوّف الانحراف عن معيارية الجماعة. ما يعني وفق فرضية Asch، البحث عن الإمتثال تجنّبا للنّزاعات وعقاب الجماعة. فيسعى كلّما أمكنه ذلك، للقضاء على أيّ تهديد قد يدمّر علاقاته الشّخصية، لأنّه يجد فيها الصّداقة، الحبّ وحتّى التّعاطف البسيط الّذي يجعل ذاته الاجتماعية في مأمن عن الانعزال أو النّبذ.

ويجد عدد كبير من المنظّرين (Tajfel، 1978؛ Brewer، 1988؛ Fiske et Neuberg ، 1990) ، أنّ هذا التّصنيف الأوّلي للذّات وللآخرين إنّما يتمّ بتلقائية تقريبًا، أيْ لا إراديّا، ودون أيّ جهد أوْ وعي حقيقيّ بتجسيد هذه العملية (Bargh، 1984)، لأنّها جزء من مفهوم الفرد عن أناه، يشتقّ من معرفته بالمعاني القيمية والوجدانية في علاقته بهِمْ، يقيم لهم تشفيرًا ضمن مخطّطاته المعرفية أو الصّور النّمطيّة بناءً على الإشارات المادّية المتاحة (مثل لون البشرة والجنس) والمُلقّنة ثقافيّا، يُنشّط آليّا الفئة المقابلة لهذا التّشفير، فيجسّد إنتماءه إلى الفئة المُنشّطة دون غيرها(Crocker, Fiske et Taylor، 1984).

باختصار، يستند الفرد في علاقاته إلى ثلاثة عناصر سيكولوجية رئيسيّة: التّماهي، المقارنة الاجتماعية (الشّعور الإيجابي بأنّ لذاتنا قيمة في نظر الآخر)، والتّميّز السّيكولوجي (Taylor et Moghaddam، 1987، 1994).

3- النّظريّات الظّواهراتيّة

في 1950–1951، قدّم Merleau-Ponty تحليلا ظواهراتيّا معمّقا حول إدراك تكوين الآخر على مستوى الوعي: أكّد على أنّ الإدراك هو لبّ تحليل علاقتنا بالآخر؛ وأن أدركه، يعني أن أتقبّل اِختلافه عنّي وامتلاكه لمكان في الفضاء الّذي نتشاطره. فالآخر هو الموضوع الخاصّ من العالم الثقافي، أوْهو من يحدّد هذا العالم بأفعاله وتصرّفاته ونواياه الإنسانية الّتي أدركها في موضوعات وأشياء هذا العالم.

يربط Merleau-Ponty(1945)، الإعتراف بالآخرين بالوعي من خلال التّخمين في التّشابه بين إدراكاته عن جسده وعن جسد الآخر، والملاحظة الملموسة للترابطات بين سلوكاته وسلوكات الآخر. يتعلّق الأمر بإظهار تأثير العلاقات مع الآخرين على تصوّر وإدراك العالم وَوظائفه المعرفية، و للإجابة في نهاية المطاف عن كيفية حدوث الانتقال من الوعي الذاتي إلى الوعي بالآخرين أوِ الوعي بين–الذّاتي أو بين–الشّخصيّ؟ بمعنى آخر، تسليط الضّوْء على مراحل الانتقال من أحادية التّصوّر الأوّلية إلى التّواصل الاجتماعي. فلا أستطيع أن أصبح تمامًا أنا دون أن أدرك الآخرين. عليّ أن أستوعب وأعي كيف أنتقل من اللاّتمايز البدائي إلى التّمييز بين الأنا و أنا الآخر وكيف أفسّر أنّ أناي لا ينبثق حقيقة ويفرض وجوده عليّ إلاّ اِنطلاقًا من اللّحظة الّتي أعي فيها أنّني أناه بالنّسبة للآخر.

يؤكّد Merleau-Ponty أيْضا على أولويّة منطقية وَزمنية في آن لعلاقات الكينونة بالعالم ومع الآخرين على علاقات المعرفة: فوجودي مع الآخرين يسبق بناء المعرفة عنهم. فالآخر غالبًا ما يكون متميّزًا عنّا (موضوع) وغير متميّز عنّا في نفس الوقت: يتم إدراكه كوعي ، بيد أنّ الوعي كينونة لا خارج لها، تحدث داخل الفرد ومنه ولا مظهر خارجيّ

لها ولا أجزاء، ممّا قد يؤدي إلى الخلط بين نفسي والآخرين. في الحقيقة لا نتوقّف في علاقاتنا بالآخر عند الإنتقال بين اللاّتمايز والتّمايز ضمن أبعاد هذه العلاقات، بل يتعدّاه إلى الإنتقال من التّمييز بين جسديْن-موضوعيْن إلى اللاّتمايز الإدراكي الّذي ينظر إلى الآخر كأنا مغايرة.

تستهدف النّظرة الفينومينولوجية بطريقة عامّة إظهار أهمّية العلاقات مع الآخرين أوْ وجودهم في بناء تجربتنا ودعْم ذكائنا. وأنّ العلاقة الّتي أقيمها مع الآخر هي أوّلا علاقة داخلية بين وعيي وجسدي الّذي يختبر علاقتي بجسد و جسم الآخر كما أراه من الخارج. ذلك لأنّني أمتلك شخصياً جسدًا وأدركه من الداخل ما يجعلني أختبر حتمية الآخرين وأكوّن تصوّرًا عن نفسي كأنا متفرّدة.

إذا كان من الممكن حتى ذلك الحين الاعتقاد بأن تشكيل تصوّر عن الآخر "ثانويّ" بالنّسبة إلى بناء الوعي بالذّات، فهناك ظاهرتان مترابطتان على الأقل ويتشاركان في الأصل: تشكيل تصوّر عن الآخر يعتبر شرطا أساسيّا لتكوين الوعي بالذّات كفرد مستقلّ. كما يولي Merleau-Ponty أهمّية كبيرة للّغة كعامل فعّال في العلاقات وتسهيل قيامها. فالنّظام التّواصلي اللّفظي بين الأنا والآخر يساهم في التطوّر الانفعالي والعاطفي لكلّ منهما (Rostand.F.، 1950). واللّغة الّتي تحتضن الطّفل عاطفيّا في بدايات علاقته بالأمّ، يقول Merleau-Ponty، تؤثّر بشحنتها العاطفيّة في انتقال الأنا والآخر، من وضعية المتلقّي إلى وضعية المشارك والفاعل في العلاقة (عبر اللاّمركزية، السّببيّة والمعاملة بالمثل). وقد نوّه Ajuriaguerra(1974)، بدور تغيّر وضعيّات الجسم وحركاته في إدراك الجسد وتصوّره حيث أنّ كلّ حركة تصحبها عاطفة معيّنة وإدراك مميّز. فلا يستدمج الكائن إدراك شيْء ما دون أن يمرّ أوّلاً بتنظيمه العضليّ والانفعاليّ (Lapierre et Aucouturier،1975)، فيحصل الوعي بالذّات وبالآخر كوجوديّيْن منفصليْن تارة ومتلاحميْن تارة أخرى. فخلفية كلّ تعلّم وكلّ تصوّر ذهنيّ أو إدراك، إحساس وشعور عضليّ-انفعاليّ يعبّر عن الموضوع محلّ التّجربة ومنشّط العلاقة.

4- النّظريّات المعرفيّة–السّلوكية

تُنظّر هذه المدرسة للعلاقات من حيث أهميّتها في إشباع الحاجات الفيزيولوجية، وحاجات أخرى معنوية كتأكيد الذّات وتقديرها، وتحصيل إعتراف الآخر بها (Maslow)...في ظلّ أنماط من التّعلّم: بالمحاولة والخطأ، بالملاحظة والتّقليد، بالنّمذجة...وآخرها بالتّقبّل والمبادرة. تقوم سيرورة هذه التّعلّمات على التّرابط بين المثير والاستجابة، فتتشكّل صور ذهنية وأخرى حركية لفظية تعبيرية تصحبها الانفعالات، تُحفّز الأفكار وتبني المعتقدات اِنطلاقا من الإدراكات فتُخْتَزن في الذّاكرة وتسيّر الانتباه.

أكّد Bandura(1977)، على دور ملاحظة سلوكات الآخرين وما ينتج عنها من عقاب أو تعزيز في تحفيز تعلّم بعض الخبرات و ترسيخ القواعد السّلوكية للإنسان. يستند الدّافع في التّعلّم على العمليّات المعرفية وعمليّات التّنظيم و المراقبة الذّاتية، حيث ينتقي الفرد ما ينبغي تعلّمه وأداؤه بما يتناسب وطبيعة المواقف الّتي يواجهها.

يتعلّم خلال علاقات التّفاعل الاجتماعي، العادات والتّقاليد والأعراف والقيم ومهارات التّواصل وتأدية الأدوار المرتبطة بهويّته الجنسية، بالإضافة إلى تهذيب الميول والاتّجاهات وأساليب إدارة الذّات وضبطها، وكذا اِكتساب جوانب السّلوك العقليّ ومهارات التّفكير وأساليب حلّ المشكلات، مع بعض العادات السّيئة والاضطّرابات الانفعالية كالخوف، القلق، الكره والعدوان.

تخضع العلاقات وفق هذه المدرسة لعدّة قوانين: قانون الإستثارة، قانون الكفّ الدّاخلي والتّكرار، قانون التّعزيز والأثر، قانون التّعميم، قانون التّمييز أو الإنتقاء...وإتيان الحركات الّتي تحقّق الهدف نتيجة الاستجابة الصّحيحة.

إنّ العلاقات تعليميّة تعلّميّة، تعتمد أسلوب الإثابة والعقاب لإحداث نوعا من النّمذجة المعرفية والاجتماعية تستمر في الزّمن. فالسّلوكات السّوية تقوّي هذه الرّوابط، ويحقّق

فيها الفرد ذاته ويُشبع حاجاته، وتوفّر له فرص تعرّفه بصورة واقعية عن قدراته، وإمكاناته، ومنحه الثقة، والتّعبير عن ذاته.

تمثّل العلاقات الأسرية، الوالدية والأخوية، النّموذج الأوّليّ ليتعلّم الفرد وضوح الأدوار وتحديد المسؤوليات وأشكال الضّبط ونظام الحياة. فقد أوضح .Mussen et al(1963)، أثر العلاقة الوالدية وعلاقة الوالديْن بالأبناء على العلاقات الاجتماعية المستقبلية للأبناء.

بالإضافة إلى النّمذجة، تؤسّس هذه النّظريّات لعلاقات تفاعلية انتفاعية تبادلية، غير عاطفية، حيث يستوجب كلّ سلوك مقبول من أحد الطّرفيْن تقديم المكافأة للطّرف الآخر، إذا ما غابت هذه الأخيرة اِضمحلّ الفعل المنعكس الشّرطي وحصّل أحد الطّرفيْن المنفعة بينما دفع الثّاني الثّمن، وتولّدت المشاكل واِضطربت العلاقة. لذلك ترى النّظرية أنّ تبادل المكافآت والإثابات، هي معزّزات للعلاقات ونجاحها.

وكأنّنا بالفرد يمتلك مخطّطات معرفية إدراكية شعورية تنظّم السّلوكات الاجتماعية التّفاعلية، تخضع لمبدأ العادة والتّعوّد عبر آلية التّكرار الآلي لأساليب التّعايش في علاقات سوية مع الآخر.

5- المقاربة النّسقيّة لإدراك العلاقات

النّسق، كلمة يونانية قديمة، *systema*، تعني الكلّ المُنتظم. تُستخدم في العلوم الاجتماعية كأداة ذهنية ترميزية لتصوّر حالة التّكامل الاجتماعي الّذي يعبّر عن التّرابط والإتّزان؛ أي الحالة الّتي تكون عليها علاقات أجزاء الواقع في وضع يهيّئ لاستمراره ككلّ.

أمّا النّسقيّة، فهي مقاربة تحدّد و تفسّر كلّ ظاهرة كمجموعة معقّدة من التّفاعلات بين أجزائها؛ حيث يشكّل الكلّ وحدة خاضعة لقوانين تختلف عن تلك الّتي تحكم كلّ جزء على حِدَة. أمّا العلاقة في النّسق، فهي ما يربط الأنساق التّحتية ببعضها، عبر جاذبية وجدانية، و تفاعل واقع بينها، يخترقها عن طريق الاتّصال و التّواصل بكيفيّات مختلفة. تُعتبر

حينئذ جميع الأفعال و التّصرّفات و السّلوكات، منافذ تجلب تعديلاً لعلاقات الأفراد؛ ذلك أنّ سلوك كلّ فرد مرتبط بسلوك الآخرين ويؤثّر فيها مباشرة.

يرى Cohn.P.H.، أنّه في ظلّ التّفاعلات الأسرية، الوالديّة والأخوية، والّتي هي نوع خاصّ من التّنشئة الاجتماعية، تتشكّل بعض معالم الحياة المجتمعية، يجد الفرد مكانته داخلها عند اِلْتقاء محوريْن عاطفيّين، المحور العمودي فيما يخصّ علاقاته مع الأبويْن، والمحور الأفقي الّذي يخصّ علاقاته مع إخوته (Marc.E. et Picard.D.، 1989)، تعمل كنماذج علائقية تؤسّس لعلاقاته مع المحيط و كوسائل قويّة لتوريث السّلوكات الأكثر تعقيدًا(Bruner،1981)، و الأكثر عمقًا من التّقليد (Castellan.Y.، 1982)، تنشّط إدراك التّمييز التّدريجيّ والمقارنة المستمرّة بين سلوكات الأنا وسلوكات الآخر فيما تعكسه تصوّرات كلّ طرف عن جنسه، دوره، مسؤوليّاته...ثمّ تجسيدها في علاقاته الرّاشدة.

قد تختلّ هذه التّفاعلات على مستوى عمليّات التّواصل، فيضطرب الشّخص (Rouff، 2007): يصيبه الذّهان بسبب اختلاف التّواصل بين الأجيال(Naven، 1936)، أو يصبح فصاميّا لتناقض التّواصل اللّغوي والإيماءات المرافقة له تجعل الفرد في وضعية مبهمة (Satir.V.، 1982؛ Bateson.G.،1961)؛ أو قد يُظهر مرضية تحدث توازن النّسق، وتوجّه البحث عن دلالة الأعراض لدى الآباء(Mannoni، 1964؛ Sceller.R.، 1997).

لا تتحدّد العلاقات في النّسقية بعدد أفرادها و إنّما بنوعية الرّوابط و التّفاعلات الّتي تجمع أطرافها في كلٍّ متجانس. يمكن أن نترجمه إلى المعادلة الرّياضية (1+1=3)؛ حيث يرمز الثّالث إلى العلاقة التّفاعلية بين الزّوجيْن. يتحدّد نمطها بحسب نوعية التّواصلات بينهما (Watzlawick، 1972):

-**النّموذجية**، حيث لا ينقطع الطّرفان عن التّواصل حتّى مع الآخرين؛ و كلّ صمت هو رسالة في حدّ ذاته. الشّيْء نفسه بالنّسبة للسّلوكات.

-**البنائيّة**: لكلّ اتّصال مُستوييْن: المحتوى والعلاقة. ويختلف الأوّل بتغيّر نوعية الثّانية.

-**الدّلاليّة**: يمنح سياق العلاقة وصفتها الزمكانية مدلولا ينكشف في رسالة التّواصل.

تستمرّ هذه العلاقة وتتجانس إذا ما صمدت أمام تفاعلاتها مع المحيط الخارجي ونضج طرفيْها؛ واِتّخذت من التّغيير وضعية جديدة لإعادة تنظيم النّسق الكّليّ الّذي تستظلّ تحته، فينشأ نسق جديد متكيّف مع الواقع الجديد (Picard.D.، 1998). وإذا ما تصلّب النّسق، ظهر الاضطراب على المستوى الاتّصالي، فيبني كلّ طرف تصوّرات عن نظرة الآخر له. واِنطلاقا من هذه التّصوّرات تكون ردود أفعال وسلوكات يتعوّد عليها كلّ منهما فيتحوّل الاضطراب إلى المستوى العلائقيّ ثمّ إلى التّأثير على بناء الشّخصية. ويصبح التّعامل مع الآخر في شكل ردود أفعال دون اعتبار مكانته وأهميته قد تولّد عدوانية، جسدية، معنوية أو لفظية.

V- معايير العلاقات السّويّة

المعيار في اللّغة هو كلّ ما تُقدّر به الأشياء من كيْل أو وزن، و ما اتّخذ أساسًا للمقارنة، وهو أيْضا النّموذج المتصَوّر لما ينبغي أن يكون عليه الشّيْء. أمّا في علم النّفس، فهي قواعد السّلوك العامّ الّتي يقاس بها سلوك الفرد، قد تصلح للنّاس في كلّ زمان ومكان؛ هي الإطار المرجعيّ للاتّجاهات المرغوب فيها، أساسها نمذجة أو مثالية يأخذ بها الأفراد ويقيسون تصرّفاتهم إليها، فيُقضَى فيها بالاستحسان أوالاستهجان أوالانحراف، نصفها بالسّواء إذا ما وافقت المعايير العامّة، أو بالشّذوذ عندما تخالف ما اِصطلح عليه النّاس.

تُستمدّ صحّة المعيار من القيمة الّتي يصدر عنها، والّتي يكون بها تطبيق هذه القيمة. تكشف المعايير عن أدوار و حدود تصرّفات الأشخاص في تفاعلاتهم بما يحقّق توافقهم النّفسيّ والاجتماعيّ. و قد تولّد ضغوطا نفسية تجعل الأنا تكثر من قمع أوْ كبت رغباتها.

سميناها معايير، لتبيان وجود أسس للعلاقة الموضوعية السّوية، يشترط كلّ راشد، ذكرًا كان أو أنثى احترامها في علاقته بالآخر. وقد أكّدت أعمال المنظّرين .Stern.D، .Sandler.J، .Mahler.M، .Jacobson.E، .Klein.M، .Kernberg.F.O وفريقه على

تركيبية مصطلح العلاقات من عدّة مفاهيم أساسية تدعمها وتساهم في تمتين الثّنائية الزّواجية والرّوابط العائلية بشحن التّفاعلات وجعلها في اتجاهيْن متكامليْن متكيّفيْن، يصبّ فيها الأنا والموضوع ما يثريها بتراوح كلّ منهما بين الفاعل والمتّلقي، فتتأسّس العلاقة زمكانيّا.

تتمثّل بعض هذه المعايير من المنظور التّحليلي المُعتمد في دراستنا، في:

1- اللّيبيدو و الاستثمار النّفسيّ

ترى التّحليلية أنّ العلاقات بُنى نفسية لاشعورية تستثمر كمية من الطّاقة النّفسية في جدليّة تجمع النّزوة الجنسية بنزوات حفظ الذّات، ثمّ بنزوات الأنا ونزوات الحياة (Freud.S.، 1914). متأصّلة في جميع البشر، تغذّيها الرّغبة و العاطفة (Freud.S.، 1959). فهي الغلمة أو الشّبقية، أو الطّاقة المنبعثة لدى ممارسة الفعل الجنسيّ، أي قوّة الغريزة الكامنة في الهو، وتأثيرها على الإقبال أو النّفور من السّلوك الإنساني.

يُشير التّحليل النّفسيّ إلى هذه الطّاقة بمصطلح اللّيبيدو للدّلالة على ديناميّتها المحرّكة للأنا و الذّات في توجّهاتها نحو الآخر. هي طاقة Éros الأفلاطونية. اِستوحى Freud اِرتباطها بالحياة الجنسية من عبارة "libido sexualis" لعالم الجنس والطّبيب النّفسيّ von Krafft-Ebing.R.(1897، 1898). أمّا Lacan فيُفكّر فيها ليس كحقل للطّاقة لكونها عضوًا غير واقعي يتعلّق بالجزء نفسه الّذي يخسره الكائن الحيّ المتفاعل مع الحياة الجنسية.

واللّيبيدو، كلمة لاتينية الأصل وتعني الرّغبة، الحسد والطّموح. تتكوّن من غرائز الجنس و العدوان، تشير إلى المظهر الديناميّ في الحياة النّفسية للنّزوة الجنسية. ترتبط بلذّة الحياة وكلّ المظاهر الإيجابية منها، وإذا ما كُبتتْ ولّدت الإنحراف أو التّسامي، كالإبداع ومختلف أشكال الإبتكار.

تتطوّر اللّيبيدو، بمظهريْها الاقتصادي والدّيناميّ، عبر مراحل إنمائية ترتكز على تحوّلات للنّزوة الجنسية في الموضوع (إزاحة الاستثمارات اللّيبيدية من الموضوع المبكر

إلى الأنا في النّرجسية، أو موضوع حبّ خارجي، أو التّأرجح بين الاستثماريْن في الحالة الثّانية)، الغرض منها (الإعلاء و التّسامي على سبيل المثال)، ومصدر استثارتها الجنسية (تنوّع المناطق الشّبقية).

تبدأ فمية، تستند متعة المصّ فيها على الحاجة إلى الغذاء؛ فأسماها Freud(1905) بالشّبقية الفمية. تصبح شرجية يستمتع الطّفل باحتباس أو إخراج الفضلات. تعقبها شبقية قضيبية، فالوسية تكشف عن الفروق الجنسية بدخول العلاقة الأوديبية الثلاثية وما يصحبها من قلق الخصاء وتجنّب زنا المحارم، أصل كلّ الأعصبة. تستثمر مرحلة الكمون اللّيبيدو المتطوّرة ضمن ميكانيزمات التّسامي والانفتاح على جماعة الرّفاق وعلاقات الدّراسة.

تتشكّل نقطة التّحوّل في هذا التّطوّر من خلال تبعية جميع الميول الجنسيّة الجُزئيّة إلى أولويّة الأعضاء التّناسلية، وإخضاع النّشاط الجنسي لوظيفة الإنجاب(Freud.S.، 1916).

تستثمر الأنا و الذّات هذه الطّاقة من منظور إقتصادي كمّيّ بتوزيعها بطريقة متفاوتة عبر مختلف مركّبات الجهاز النّفسيّ، في علاقته النرجسية بذاته، أو بجزء منها، أو في علاقته بالآخر فتتحقّق اللّذّة في كلّ حالة بخفض التّوتّر النّزويّ و الألم النّاتج عنه.

قد يخصّ الاستثمار موضوعات داخلية أيضا، كالتّصوّرات، الهوامات، الأفكار، الإدراكات، العاطفة...يوظفها نظام اللاّشعور في تصريف كميات الإثارة، و يستغل نظام ما قبل الشّعور شحنة طاقوية في استثمار مضاد بتوظيف نشاطات الأنا الدفاعية في صدّ هذا التّصريف المباشر مع تكريس كميّات ضئيلة منها في الإزاحة نحو نشاط فكري ضروريّ لاستكشاف العالم الخارجي. فتنشأ بدائل عن تلك التوظيفات عبر العزل، الإلغاء والإحتماء بالواقع...وحتّى في أوالية الانتباه والتّفكير التّمييزي، مثلما هو حال المتشنّجات مهبليّا. تقوم هاته الأخيرة بتعبئة الطّاقة الدّاخلية بصورة مفرطة حول هذيْن النّشاطيْن على حساب نشاطات الأنا الأخرى فتضمحلّ، من أجل خلق سدّ يتّقي تيار الإثارات الخارجية أو الحدّ منها على الأقلّ. ما يسمح لهنّ بالاستعداد للخطر وتجنّب الصّدمة بضبط وقعها، فتُزاح اللّيبيدو نحوها ما يزيد من توتّرهنّ فتشير عليهنّ الأنا باعتماد الإلغاء كدفاع.

2- سيكولوجية الحبّ و التّعلّق

حبّ، كلمة ثلاثية الأحرف في صياغتها اللّغويّة الظّاهريّة، وهي نفسيّا أيْضًا لبّ علاقة ثلاثية أوديبية أوّلية ثمّ ثانوية، تجمع المرأة عموما والمتشنّجات مهبليّا خصوصا، بطرفيْ حبّها المبكر، ثمّ بطرفيْ تجاذبه الثّانويّ بين تأرجحها بين التّعلّق بأوّل موضوع مختلف عنها جنسيّا وإزاحة ذلك الحبّ نحو شبيه به لكنّه مختلف عنه، موضوع الحبّ الرّاشد.

الحبّ من أصعب الكلمات والمفاهيم والمصطلحات وحتّى الممارسات الّتي تتجنّبها المتشنّجات وتتوخّى الحذر في استعمالها والإنسياق لها، لأنّها ترتبط في أذهانهنّ بالنّزوة الّتي تعني على حدّ ما أشار إليه Freud المعاشرة الجنسية. أي مباشرة التّواصل النّفسيّ والجسديّ، وتجاوز حدود الدّاخل والخارج، لأنّ موضوع إشباعها أصلا خارجيّ ذو هوامات داخلية، لكنّه بالنّسبة إليهنّ داخليّ، ذاتيّ "كان لازم ندير هكذا مكاش حلّ آخر"[22] أكثر ممّا يستند على الآخر.

تعلّم الفرد الحبّ إحساسا، استخلصه من أولى علاقاته الحسّية الموضوعية؛ ربّما لذلك يتخوّف معظم النّاس منه، ومن مفعوله، لأنّه كلمة تتضمّن استفسارا لا يحتمل إجابة محدّدة عن ماهيته الحقيقية، نموذجه، كنهه، أساسيّاته، بل يتعدّى إلى الآثار الجسدية والذّكريات النوروفيجيتاتية. يرتبط بالمشاعر والعواطف الإيجابية أوالسّلبية تجاه الذّات أو موضوع خارج عنها، اللاّ-أنا بدءًا بالأمّ، ثمّ الأب، وبعدها المنافسون والمنافسات من الإخوة والأخوات، لتتوسّع على عالم الآخر، الغريب عن الأنا، لأنّه خارج عنها لكنّه داخليّ أكثر ممّا هو خارجيّ، شبيه الأنا: موضوعات ما لم نملك، وما لسنا عليْه، وما نفتقر إليْه و ينقصنا، لأنّه لا يمكن إشباع الرّغبة، يقول سقراط بما لديْنا.

يحرّض الحبّ المكبوتات ويثير المقاومات ويطيح بسلطة الأنا الأعلى: فهو استدخال، ثمّ إسقاط، تماهي وتكوين عكسي، كفّ وشهوانية...يتلخص فيما قاله Lacan، لا وجود للفعل

---

[22]- تقصد لجوءهنّ في معظم الحالات إلى الإستمناء بطلب من أزواجهنّ.

الجنسيّ، فكلّها علاقات تستهدف الإكتمال و تعويض النّقص التّشريحي. هناك إشتياق بروستي للمفقود فقط.

أثبت .Spitz.R عبر نظرية الإستشفاء، أثر الحرمان العاطفي على النّمو النّفسي المضطرب، وأشار .Winnicott.D.W إلى عواقب الأمّ السّيّئة وما تبدله من مشاعر سلبية في ترسيخ الذّات المزيّفة. وأكّد .Green.A على مخلّفات الأمّ الميّتة في بناء جهاز نفسيّ هشّ صاحبه ألكستيميّ، فقير في اِرتباطاته وتداعياته وما قبل الشّعور الخاصّ به. يلخّصه .Jung.C.G، في الموضوع الّذي يمنح الحياة ولكنّه يدمّرها أيْضا.

تقوم سيكولوجية حبّ الآخر، الحبّ الثّاني بعد الموضوع المبكر، على البحث المستمرّ عن إعادة معايشة النرفانا الأوّلية لكن هنا والآن و حينا، وإدراك الموضوع الحالي عبر الهوامات المزاحة من الأوّل عليه، حتّى وإن كان هذا الأخير سيّئا، فالأنا لا تدركه كذلك، تخوّفا من الشّعور بالذّنب، أو الخصاء. لذلك تستوجب هذه السّيكولوجية التّضحية بالماضي وبموضوعاته المبكّرة المحرّمة، الّتي يبقى الأنا متعلّقا بها. لهذا يحتاج إلى ميلاد جديد بالإنسلاخ من العلاقة الأوديبية الأسطورية، والعلاقة الالتحامية بالموضوع الأوّل، لتحصيل قدرة الارتباط بالآخر في ظلّ Éros.

أضف إلى ذلك، أنّ الحبّ التّناسلي الرّاشد، يتأسّس حسب التّحليليّين الفرويديّين على العلاقة بين الفالوسي والمخصية، تبدأ بسمة الدّونية، لأنّ الذّكورة فطرية محسودة والأنوثة غائبة راغبة في الذّكر، هذا موضوع فعّال والآخر سلبيّ، الأوّل ساديّ، يخترق ويعتدي، والثّاني مازوشيّ، يخضع ويتلقّى، تبحث الأنثى في علاقتها بالذّكر، والعكس بالعكس، عن الالتحامية الأولى الّتي تجمع بين Éros وThanatos، وعن الرّغبة في الرّجوع إلى الجنّة المفقودة، فتكشف عن صعوبة في الإشباع يتخوّف منها الرّجل[23].

---

[23]- يذكّرنا هذا التّخوّف من الخطر الّذي تتداوله الأسطورة المغربية حول "عائشة قنديشة" حيث يتحاشى الرّجل المغربي هذه المرأة الجنية ذات الشّكل المفزع، و لأنها شهوانية بشفتيْها و ثدييها البارزيْنن، هوايتها المفضّلة هي اِعتراض الرّجال في الطّرق و الأماكن المظلمة، و

تُختصر هذه السّيكولوجية في مصطلح الجنسنة[24] الّذي يصف به Lacan بناء العلاقة بين الرّجل والمرأة عند التّحليليّين على الخصاء والاختلاف التّشريح الجنسيّ الّذي يتماشى وما رسّخته مجتمعات الأرستقراطية الّتي اِنبثقت فيها.

أمّا الحبّ في نظر Freud، فيكون عندما تتصدّر الميول النّفسية للغريزة الجنسية مطالبها الجسدية فتكبتها أوْ تنساها مؤقّتًا. تُكبت هذه المطالب ويُقتطع جزء من أهدافها الجنسية من الوعي، في علاقة الأنا بالموضوع المبكر، تخوّفا من الخصاء. فتسمية الأمّ بموضوع الحبّ الأوّل، يطبع الأنا ويتماهى معه، موضوع يتعلّق به عاطفيّا ولكنْ لا يمكنه اِستثماره جنسيّا لأنّه يرتبط بالعقدة الأوديبية، يدعم نزوات حفظ الذّات بتحكيم مبدأ الواقع والمحظور من زنا المحارم. كما قد يتعلّق الحبّ في نظره بتعلّق الأنا بموضوعات التّسامي أو المكلّفة بإعلاء النّزوات الجنسية.

يعمل الحبّ حينئذ (Millot.C.، 2001؛ De Neuter.P.، 1995؛ Lacan.J.، 1973؛ Braconnier.M. et Bastien.D.، 2001) على حجب، إخفاء وستر جذور الغيريّة الموجودة لدى كلّ من الأنا والآخر بين جنسه البيولوجي وجنسنته الاجتماعية، أيْ، التّسيير الدّاخلي للتّوزيع بين أجزائه المؤنّثة والمذكّرة، أي، بين علاقته الخاصّة بالخصاء و الفالوسية. تعبّر الأبعاد الأربعة في المشهد الثّنائي للزّوجيْن (اثنان لكلّ من الأنا والآخر)، عن تصادم، تقاطع، تنافر، اِحتقار كلّ منهما للآخر، يسوء فهمه، قبل أن ينكشفا لبعضيْهما. فالحبّ، وشاح يغطّي ما تولّده اللاّمساواة، النّزاعات وصعوبة اِعتقال الغريب عن الذّات، من بؤس و كراهية.

تشيرBrierley.M. إلى العاطفة كأوّل حاويات للعلاقات الموضوعية؛ تمثّل الأشكال الأولى من الآثار الذّكروية، والإحساسات الجسدية. قبل-لغويّة، ترتبط بتطوّر الأنا

مضاجعتها لتسكن أجسامهم إلى الأبد. هو تخوّف يرتبط بالتّوجس من المرأة الّتي تخصي الرّجال (المرنيسي.ف.، 2005، ما وراء الحجاب- الجنس كهندسة اجتماعية-، ص32).

[24]- Sexuation.

ونشاطاتها مع ذاتها ومع الموضوع. الحبّ إذن، عملة ذات وجهيْن: محبّة الآخر لدرجة تقبّل مواجهة الرّغبة الذّاتية في اختفائه: حبّ-كراهية تتجسّد في السّعي الهوامي إلى تدميره باستدخاله لتحقيق النّرجسية وتقبّل انفصال الأنا عن الآخر.

أمّا التّعلّق، فقد أكّد Sanna(2010) على أنّ الأنماط العاطفية الّتي تنتقل بسهولة من جيل إلى جيل آخر هما نمطيْ التّعلّق الآمن والتّعلّق المتناقض؛ ويدعمه Cyrulnick. B.(2007) بالتّأكيد على أنّ أنماط التّعلّق الخاصّة بنا تظهر في اختياراتنا اللاّشعورية لشريك حياتنا.

وقد كانت لنا دراسة في هذا الموضوع بإشراف الأستاذة زيوي.ع.، عنوانها "نمط التّعلّق واختيار موضوع الحبّ"(2014-2015)، تهتمّ بالبحث في تأثير نمط التّعلّق المُستدخل على اختيار النّساء لموضوع الحبّ. فتوصّلنا إلى أنّ معظم الحالات محلّ الدّراسة كنّ يملْن إلى إعادة إحياء النّمط العلائقي القبليّ مع الأمّ أو بديلها في علاقتهنّ الحالية، وكأنّهنّ يتقفّيْن هواميّا علاج جروح دومًا ما تؤدّي إلى التّبعيّة والإعتمادية (Peretti.M.-L.،2013). من صفات موضوع الحبّ المختار إحساسه بالانهزام، منعزل، يستعطف حبّهنّ ويبحث لديْهنّ عن عواطف الأمّ أكثر من اهتمامات ومطالب الزّوجة/المرأة. فهو موضوع أختير لتأدية الوظيفة الأمومية، وظيفة رحميّة: مصدر للتّغذية ، غلاف حاوي وحامي، وعاء الحياة والسّلامة والدّفء والمودّة والالتحامية والتّفهّم.

3- النّرجسية

هي ذات النّرجسية الّتي تحدّثنا عنها في إدراك الذّات. إدراكها ييسّر إدراك العلاقة بالآخر و حاجتها إلى استثمار بين-نرجسيّ لتصبح تناسليّة.

و كوننا نتحدّث في أطروحتنا عن النّساء في علاقتهنّ الحميمية، فهو حديث أوّلا وقبل كلّ شيء عن توظيفهنّ لنرجسيّتهنّ فيها: ألا يتداول الجميع أنّ المرأة تبحث عن الارتباط بمن تحبّه و يحبّها بينما يتقصّى الرّجل الجنس و التّقارب الجسدي!؟ هي حقيقة لا مفرّ منها تخصّنا كإناث والرّجال من ذوي الخاصية الأنثوية في شخصيتهم. لنشرح.

النّرجسية كما قلنا، هي عشق للذّات لدرجة الهوس "أنا شدّيتها ثلاثين سنة باش هو يدّيها في ليلة؟"؛ "واشنو؟ مانخليهش؟ jamais"، "ما نخلّيهش، أنا وأنا وأنا...بابا ملّي نشفى عليه أو هو يضربني أو يمّا عمرها ما دّخلت وسلكتني"...عشق فيتيشي لعضو جزئي، تغذّيه نرجسية نلتمسها في ميلهنّ إلى الإعتناء بالمظهر ومحاولة إبراز أنوثتهن باستخدام المساحيق والألوان الجاذبة الّتي تخفي معاناة نفسية في تقبّل اختبار واقعها حسّيّا وجسديّا وهواميّا، وكأنّنا بالمتشنّجات مهبليّا، يُصارِعْن تخوّفهنّ من طمس الآخر لرمزية المرأة "الفحلة" المستدخلة عبر جيليّا، إذا ما سمحن له بالإقتراب منهنّ ودخول منطقة الحظر النّفسي[25].

يفسّر Freud.S. ، Chasseguet-Smirgel.J. ، Grunberger.B. و Lampl-de-Groot هذه النّرجسية كأولويّة لدى النّساء في علاقتهنّ بالجنس الآخر، تأكيدًا منه لهنّ على قبولهنّ وتقبّلهنّ بنقصهنّ التّكويني-غياب الفالوس- الّذي تلجأ المرأة بسببه إلى المبالغة في الإهتمام بمظهرها كتعبير ترميزي عن حسد القضيب وتعويضيّ عن غيابه، و تشجيع مرغوب من الرّجل وتأكيد لرجولته.

يرجع التّحليليّون هذا الإلحاح الأنثوي في الحبّ النّرجسي حتّى من الآخر، إلى العلاقة الموضوعية المبكّرة بالأمّ، حيث تكون مثلية تنافسية مع الطّفلة وغيرية مع الطّفل. تتّسم الأولى بإحباط نرجسيّ بين-أنثوي، ويطغى في الثّانية الحبّ المبالغ فيه للذّكر ودعمه نرجسيّا على حساب الأنثى؛ لذلك نجد أسبقية البحث عن الحبّ لدى النّساء في علاقتهنّ بالجنس الآخر، فهو تتبّع لآثار حبّ يتقفّينه لدى هذا الأخير وَأوّلهم الأب فيؤكّدهنّ في هويّتهنّ الأنثوية و يدعمهنّ في نرجسيّتهنّ، هنالك فقط، يسمحن للآخر الثّاني بدخول مجال الحميمية والتّقارب الجسدي ويتخلّصن من العقدة الأوديبيّة، وإلاّ فلا سبيل له إلى ذلك.

---

[25]- La zone de confort.

إذا ما دخلت المرأة علاقة موضوعية تناسلية مع موضوع الحبّ، فهي لاشعوريّا توظّف مرحلة نرجسيّة تتوسّط المرحلة النّزويّة والمرحلة التّناسليّة. فإذا ما أشبعت المرحلة الوسيطة، نجحت العلاقة التّناسلية مع الآخر؛ وإذا ما أهملها هذا الأخير، تُعارض المرأة الالتحامية الجسدية وترفضها أوْ قد تؤخّر اكتمالها أوْ حدوثها.

تستثمر المرحلة النّرجسية الوسيطة عضوًا خفيّا، البظر، وَهو شبيه بالقضيب لكنّه أقلّ منه حجما و فائدة؛ يختصّ الأوّل باللّذّة لدى النّساء، بينما يقوم العضو الذّكري بوظيفة حفظ السّلالة وَالتّكاثر. إذا ما بالغت الفتاة في استثمار الأوّل اِمتنعت عن الثّاني لشدّة الشّبقية الذّاتية. تتقهقر الحياة الجنسية التّناسليّة، وتشعر المرأة بالذّنب، لأنها تلجأ إلى مثلنة الجنس و النّفور من الفعل الجسديّ، فتبحث عن البديل في الحبّ على حساب الجنس.

تتأسّس الجنسانية على مركّبات قبل-تناسليّة في شكل تثبيتات أمومية-لدى كلّ من الأنا والآخر-على حدّ قوْل Castarède.M.-F. (2002)، تولّد انجذابا نكوصيّا نشطا مستمرّا يستيقظ بقوّة شديدة ضمن العلاقة الرّاشدة، يزيل حواجز الكبت ويبعد سيطرة الأنا الأعلى، بحثا عن إعتراف الآخر بها كذات. فـNarcisse رفض علاقته ب Echo لشدّة عشقه بالذّات؛ ماتت قهرا لغياب الاهتمام بها والتّعاطف مع حالتها بفهم مشاعرها.

في عام 1914، أشار Freud.S. إلى التّعايش الحتميّ خلال التّكوين النّفسيّ لجوهر اللّيبيدو النّرجسيّ، إلى جانب ليبيدو مصمّمة كلاسيكيّا على أنّها ذات كيان موضوعيّ وَجنسيّ عند الشّخص البالغ. لقد وجّه اِهتمام المحلّلين النّفسانيّين نحو مختلف أنماط التّمفصل الممكنة للنّرجسية مع الموضوعية. وهو أساس نجاح العلاقات الموضوعية التّناسليّة.

4- التّحويل و ضدّ التّحويل

أظنّه ضدّ تحويل أكثر ممّا هو تحويل للعلاقة بين المتشنّجات محلّ الدّراسة وَأزواجهنّ. كراهية للرّجال و تهرّب من الأنوثة؛ توظيف هذا الميكانيزم أوْ ضدّه ضمن أيّ علاقة

موضوعية يشترط التحامية نفسية وَتعلّقا عاطفيّا بالآخر وَاستيهاما بالعلاقة الّتي تجمعهما، لكن هيهات.

تتخلّل علاقة الأنا بالآخر تواصلا لاشعوريّا أصليّا، أساسه الصّور الوالدية المستدخلة كمثال للأنا أوْ كسلطة عليا، وَما يصحبها من انفعالات وَمشاعر الحبّ وَالكراهية. تتناقلها الذّات مُستقبلاً عبر التّحويل أوْ ضدّه مع موضوع الحبّ المختار، يحلّل كلّ منهما تعبيرات الآخر اللاّواعية وَردود أفعاله إلى تنبّؤات و توقّعات تحت ضغط سياق إجبار التّكرار تخوّفا من فقدان الموضوع الأوّل. لذلك، يقول .Freud.S، أنّ أولى تجارب الحبّ تنتهي على الدّوام بالحسرة وَالمعاناة أساسها الإنتقاد وَالجفاء الشّديديْن، تعكس أحقاد الأنا تجاه الموضوع المبكر أو بديله.

ينبثق التّحويل عن التّعايش الزّمكانيّ المستمرّ المولّد للتّآلف بين الأنا والآخر. فهو النّقلة أو الطّرح للرّغبات اللاّشعورية في شخص يستحوذ على أفكار الأنا ساعتئذ وبشكل مشروع (.Freud.S، 1895). ويشجّعه ثبات الشّروط، الإحباط والوضعية الطّفلية في العلاقة كما ذهبت إليه .Macalpine.I(1950)، أوْ علاقة الطّلب الّتي يؤسّسها التّآلف والمألوف. فتصبح التحويلات، يقول .Freud.S، طبعات جديدة، نسخ عن الحركات والهوامات الّتي يتعيّن إيقاظها وجعلها واعية خلال استمرارية وتقادم العلاقة في الزّمن؛ وهي، يواصل، لا تختلف في طبيعتها سواء توجّهت إلى المحلّل أو إلى أيّ شخص آخر، حيث يعطي الأنا للآخر بشكل لاشعوريّ دور الصّور الوالدية المحبوبة أو المرهوبة الجانب (Ferenczi، 1909)، كيف يندرج موضوع الحبّ في إحدى السّلاسل النّفسية الّتي سبق أن كوّنها الأنا: صور هوامية للأب، الأم، الأخ...(.Freud.S، 1912).

5- النّزوات

تنزُو العلاقات الموضوعية تحت وطأة الأيروس، إلى خفض عدد من الإثارات الدّاخلية والخارجية، لأنّ أساسها اِستثماري، نزويّ ليبيديّ وتكراريّ. فلها اِنبثاق، مصدر، هدف وموضوع؛ يسيّرها قطب كمّي اقتصادي يتمثّل في شحنة طاقوية تمنحها طابعا إندفاعيّا،

في شكل دفقة من الإثارة لا مفرّ منها؛ وآخر ديناميّ، يعتبر قوّة محرّكة لنشاط الجهاز النّفسي، وتوجيهه نحو تصريف الضّيق النّاتج عنها، لتجنّب أيّ زيادة في الطّاقة وتحصيل اللّذّة مع موضوع تعلّقها، الّذي يمارس، يقول .Freud.S، جذبًا جنسيًا على الأنا ويؤثّر فيه. تخضع النّزوات في تحقيق هدفها لمبدأ الثّبات؛ تتكفّل بالتّصورات الموضوعية الأنويّة أو الغيرية، فتحوّلها بتدخّل النّشاط الهوامي، فيشوّه الإدراكات والذّكريات خاصّة غير المروّضة منها و يحرّض الميكانيزمات الدّفاعية لمنع صعود محتويات الصّراعات المكبوتة إلى الشّعور.

أ-نزوات الأنا

تتّخذ النّزوات العضوية من الأنا طرفا فاعلا في نفسيتنا، حيث تصارع الهو في حاجاته والذّات في حفظ بقائها لأجل تحقيق اِهتمامات الأنا وبناء مكانتها. هي نزوات تُصنّف حسب حاجات المتعضّي إلى جوع أو حبّ، وكلاهما يتوقان إلى تحصيل الإشباع وفق منطق التّوازن. يدرجها .Freud.S (1910، 1915) ضمن نزوات حفظ الذّات ومجمل الحاجات الكبرى المحققة للاستمرارية والبقاء، و تتصدّى للنّزوات الجنسية. تستعير الأنا مناطقها الغلمية لتستثمرها ليبيديًا عبر إشباع جنسي مقنّع، تجنّبا لطغيان رغبات الهو ومحاولة لتوظيف نزوة السّطوة.

ترتبط نزوات الأنا بمجموعة محدّدة من التّصوّرات والهوامات والرّغبات، تستهدف موضوعات خارجيّة نوعيّة نسبيًا مثل الغذاء، وموضوع الحبّ.

هي أكثر النّزوات توظيفا لدى المتشنّجات مهبليًا، تسمح لهنّ باستثمار مبدأ الواقع على حساب مبدأ اللّذّة، تماهيا مع إسقاط الصّورة النّموذجية للأنا المثالية المرغوبة الّتي استدخلها اللاّشعور الجمعي عبر التّوارث النّفسو-جيلي في تقمّص الأمّ واستدماج صورتها كنموذج فعّال في كينونتها الأنثوية.

ب-النّزوات الجنسيّة

هي النّزوات الّتي نادرًا ما تحدّثنا عنها المتشنّجات مهبليّا، إلاّ بتحفّظ شديد، لما يكتنفها ربّما من انحرافات في خفض توتّرها، أو لأنّها في تخمينهنّ جزئية لا كلية؛ تتضمّن شهوات جسدية عضوية غير محتملة في حالتهنّ، يحتّم إشباعها تقبّل الآخر في غيريّته.

أصلها اندفاعية داخلية، وثيقة الصّلة بالتّصوّرات والهوامات، الّتي تخوصصها؛ تكون في بدايتها موحّدة، متنوّعة المصادر، متفرّقة إلى نزوات جزئية يتمّ إشباعها موضعيّا (لذّة العضو) غالبا وفق النّشاط الوظيفي لتلك المنطقة الجسدية المولّدة للغلمة منذ المراحل المبكّرة.

يعرّفها Freud.S.(1938)، على أنّها قوى تولّد توتّرات عن حاجات الهو. تتّخذ عدّة أشكال، وترتبط بتاريخ الشّخص الّذي ينكشف في موضوع النّزوة المختار وأسلوب إشباعها: فبينما تكون الاندفاعات الدّاخلية عديمة التّحديد في البداية، إلى أنّها تخضع لمصير يطبعها بسمات عالية من التّفرّد.

تحرّك تقلّبات النّزوة الجنسية من وجهة نظر إقتصادية طاقة وحيدة هي اللّيبيدو؛ أمّا من وجهة نظر دينامية، فهي مثيرة لصراعات ضمنفسية، تستلزم كبتها الإنتقائي في اللاّشعور، لأنّها تشكّل تهديدا داخليّا على التّوازن النّفسي، ولا تنتظم تحت صدارة النّشاط التّناسلي رغم بلوغها إيّاه في نهاية الإشباع.

اِتّصلت في بدايتها بنزوات حفظ الذّات لإستنادها على الوظائف الحيوية وفق مبدأ الثّبات؛ اِلتحقت بعدها بنزوات الحياة لأنّها أساسية لبقاء الفرد؛ كما ترتبط بنزوات الموت، إذا ما بلغت التّفريغ الكامل واستردّ الفرد من جديد النيرفانا ولو مؤقّتا.

قد تتمظهر هذه النّزوة عبر عدّة تركيبات انحرافية: تحصيل اللّذّة دون الإنجاب. هنا تتجاوز النّزوة الجنسية في جزئيّتها أوْ كلّيتها حاجز الإشمئزاز وتتناسى النّفور، ما قد يصعّب في بعض حالات المباشرة الحميمية تمييز السّواء عن الشّذوذ في هذه النّزوة، كأن

تثير غريزة النّظر(نموذج جنسي نشط) أو الرّغبة في أن يُنظَر إليْه (نموذج جنسي خامل) والتّلاعب بحاجز العفّة. لكنْ تصبح متعة النّظر انحرافًا إذا اِنحصرت على الأعضاء التّناسلية وتحوّلت إلى مشاهدة وظائف الإفراز (بصاصة)[26] أو إلى استظهار الأعضاء التّناسلية[27].

قد تتخلّل النّزوة الجنسية نزوة العدوان والتّدمير، فهما جزءان منها ولا ينفصلان عنها، لكنّ انحرافهما إلى السّادية وإيجاد اللّذّة في تعذيب الآخر يحيد بهما عن الهدف الجنسيّ السّويّ. حتّى في شكلها الخامل و ظهور علامات المازوشية، فذلك من السّواء الجنسي، لكنّ الرّغبة في الألم لإيجاد اللّذّة انحراف. على الغالب، لا تكمن الطّبيعة المرضية للانحراف في محتوى النّشاط الجنسيّ في حدّ ذاته، ولكن في علاقته بالسّواء، أيْ في التّفرّد والتّثبيت.

ت-نزوات جزئية

تسمح هذه النّزوات بفهم ميكانيزم الانحرافات الّذي يتمثّل في الإكتفاء بالمداعبات وتجنّب الفعل الجنسي تقول المتشنّجات مهبليّا. مصدرها معيّن إمّا فموي أوشرجي، أو أيّ منطقة شبقية جسدية أخرى. أساسها نشاط طفليّ جنسيّ غير منظّم، منحها صفة الجزئية. تنشط مستقلّة فوضويّة لتنزع إلى الاتّحاد في مختلف التّنظيمات اللّيبيدية، ثانويّا. تلاحظ عند الرّاشد على شكل لذّات متفرّقة ترتبط في معظمها بمنطقة محدّدة مولّدة للغلمة. تنزع مبكّرا نحو الإشباع بمعزل عن بعضها البعض، فجاءت تطوّرية ليبيدية قبل-تناسلية: فمية، شرجية، ثمّ قضيبية وآخرها تناسلية، تتجمّع خلالها اللّيبيدو وتتمركز بإطراد لتخدم الإنجاب.

---

[26]- Voyeurisme.

[27]- Exhibitionnisme.

تنكشف عبر ما تشكو منه المتشنّجات مهبليّا "ما تهمهم غير هذيك لبلاصة"، وكأنّ الغلمة انحصرت في منطقة دون غيرها من مناطق الجسد. نكوص غلميّ نحو إشباع جنسية طفلية أساسها الفضول، و إمتلاك السّطوة على الآخر في تأكيد الخصاء.

ث-نزوات العدوان و التّدمير

يميل أزواج المتشنّجات مهبليّا إلى الاستثمار النّزوي الشّرجي. تبادل حميميّ يخفي عدائية كامنة، تكشف عن سمات مازوشية-سادية، ورغبة بإذاية الآخر، والإضرار به. يتعارض واعترافات الزّوجات بمسايرة الرّجال لهنّ: "أنت تضرب الحيط بدبزة طيحُ ماقدرتش لابنتي؟!": تصوّر ذكوريّ شبيه بما أشار إليه Freud.S. على حدّ قول المرنيسي(2005) لغرفة النّوم، ساحات للمعارك عوض أن تكون مخادع للّذّة. يعكس ميل معظم الرّجال في حياتهم الجنسية، حسب ذات العالم، إلى إجبار الأشياء الّتي قد تكمن أهميّتها البيولوجية في ضرورة التّغلّب على مقاومة الموضوع الجنسي بدلا من اعتماد المغازلة. وتؤكّد أيْضًا على اِرتباط النّزوة الجنسية بنزوات العدوان و التّدمير، ما يمزج الحبّ بالكراهية[28].

تتلخّص النّظرية الفرويدية للعلاقة الجنسية بين الرّجل والمرأة حول عمليتيْ الإعتداء والخضوع، ترمز إلى التّضاد بين الذّكورة والأنوثة، بين أسلوبيْ السّلبية والفعالية، في سلوك يماثل حركة الأعضاء الجنسية الأوّلية: يطارد الذّكر الأنثى الّتي يختارها، ويقبض عليها ويخترقها.

يقترن العدوان ميتافيزقيّا بنزوات الجنس ومنذ أولى مراحل التّطوّر اللّيبيديّ، فهو متوجّه نحو الخارج بهدف تدمير موضوع الإشباع (Adler.A.،1908). اِرتبطت عند غيره من المنظّرين (Freud.S. ،Klein.M. ،Abraham.K.) بالفمّية السّادية، والرّغبة الهوامية في المصّ والعضّ لتدمير اللاّ-أنا؛ وكذا الشّرجية السّادية، أوالعدائية الأوديبية وتهديد الخصاء.

---

[28]- “Je te haime”, selon Corneau.G.(1998).

أوضح Freud.S. أنّ المصّ مثلا، يكتسب مظهرا نزويّا جنسيّا، بانتقاله من نشاط الإشباع لحاجة جسدية، إلى نشاط غلمي ذاتي يستدخل صورة الموضوع المشبع فيصبح مصدرا هواميّا للّذّة.

أصل هذا الإقتران فطريّ في المفهوم البشريّ البدائيّ، يصف الميزة الذّكورية الّتي تُقدّسها الشّعوب الأولى، فيمتزج النّشاط الجنسي الإغوائي بالحاجة إلى الإجبار، الإكراه، مواجهة المقاومات والحدود المضادّة الّتي يفرضها الموضوع الجنسيّ. إنّها دينامية تحدّي وتجاوز حدود الموضوع، مع الحاجة إلى السّطوة على الآخر، الاختراق، التّمزيق الّذي يخصّ بالضّبط نزوة القسوة المتّصلة بالكراهية وابتعادها عن الحبّ.

اِعترفFreud.S.(1932) بوجود العدائية وتمركزها بقلب كلّ النّزوات في شكلها الإندفاعيّ، وربطها بنزوات الموت في ثنائيّتها مع نزوات الحياة.

عرّف Nacht(1948) أعراضها العيادية، على أنّها ميل كلّ متعضّي، دخل حالة إثارة وتوتّر، إلى التّخلّص ممّا أضرّ بتوازنه وزعزع استقراره النّفسي، لتجنّب الإحباط أكثر من بحثه عن الإشباع، وبذلك، فلا يحلو العيش في غياب العدوان. وقد أشارت Freud.A.(1953)، بدلًا من تعدّدية النّزوات، إلى وجود نزوتيْن أساسيتيْن: الجنس والعدوان؛ حيث تخدم الميول الجنسية الحفاظ على الحياة وتوريثها والالتزام بها؛ أمّا نزوات العدوان فلها غرض معاكس، وهو تفكيك الرّوابط والتّدمير.

وفي تساءل لكلّ من Lebovici et Diatkine(1972)، حول ميتافيزيقية مفهوم العدوان، توصّلا إلى تواجده في الهوامات السّادية، الأوديب المبكر(قبل التناسلي)، الأعراض الهوسية والفوبية، الإكتئاب والإنحراف. واستخلصا أنّ العدوان مصير نزوة الموت، ينشأ عن توظيف نرجسيّ للأنا لصعوبات في استثمار الموضوعات.

تحدّث Freud.S.(1915) عن النشأة المتمايزة للحبّ والكراهية، بحيث تتّصل هذه الأخيرة بالحاجة إلى التّدمير وما تخفيه من نضالات الأنا في حفظ الذّات وتأكيدها، كالميل السّادي

ونزوات الانزعاج نحو الخارج. علما أنّه إذا ما كان الآخر مازوشيا اكتسبت السّادية طابعا جنسيّا (Freud.S.، 1919).

مهندسة للهوية في بدايات تعبيراتها، تبني نزوة التّدمير موضوع العواطف وإنشاء الرّوابط؛ وتساهم العدوانية في خلق نوعية خارجية الموضوع، فتدخل الأنا الوضعية الاكتئابية مع بقاء الموضوع الخارجي.

ج-نزوة السّطوة

تحدّثت السّعداوي عن السّلطة الأنثوية الأوّلية في المجتمعات الأمومية ودونية الذّكر. لكن بعد استرجاع هذا الأخير لسلطته، أصبح سعي الرّجل إلى أخذ المرأة بالقوّة ليس حبّا في إنجاب الطّفل أوْفيها، بل لرغبة عدوانية سادية، أساسها الانتقام وانتزاع السّلطة منها، وامتلاكها والسّيطرة عليها، وهنا يبدأ حقّ الملكية الخاصّة. وقد أكّد الأنثربولوجيّون على أنّ غيرة الرّجل على المرأة واشتراطه العفّة والعذرية والوحدانية في الزّواج لم تنشأ لأجل الحبّ، وإنّما بسبب الرّغبة فيما سبق ذكره.

هي نزوة يقول Freud.S.(1905)، تنمّ عن حاجة فطرية ذات طبيعة نزوية بدائية، عنيفة ودفاعية ضدّ الموضوع، مشتركة بين الرّجال والحيوانات، تخلو من كلّ لذّة موضوعية، تتّصل بإذاية الآخر لأجل البقاء وحفظ الذّات (Grunberger.B.، 1960).

توحي السّطوة كفعل، إلى إشباع لذّة نرجسيّة في الزّهو بانتصار ذاتيّ على اللاّذات يتصوّره خطرا، ضمن علاقة حبّ بموضوع يكافئه في القدرة لكنّه يختلف عنه في الطّبيعة و يتكامل معه في الوظيفة. متعضّيان تجمعهما علاقة حبّ-عدائية ثلاثية هواميّا، تفتح المجال للسّادية في طلب مازوشية الآخر، بهدف الاستبقاء على اندماجه الفيزيقي، العاطفي، والعلائقيّ، أي الاجتماعيّ والسّلوكيّ.

تفترض نزوة السّطوة، السّعي نحو الانتصار النّرجسي على موضوع يتصوّره فالوسيّا. قوّة فالوسية تبحث عنها الذّات وتسقطها على الآخر عبر علاقة مرآتية تدفع به إمّا إلى

العطاء السّخيّ للآخر ما يؤسّس لاعتمادية طفلية كلية، أو إلى الرّفض الكّليّ ما يولّد إحباطا شديدا لا يُحتمل لدى موضوع الحبّ[29]، أو اللّجوء في حالات أخرى إلى التّهديد وتطوير مشاعر الإضطهادية البدائية حسب النّظرية الكلاينيّة لدى اللاّ-أنا للوقاية منه. فكلّ ما يمكن تلقّيه من الخارج مضرّ ويجب رفضه، إسقاطه حينئذ بشراسة على الخارج. الآخر يجب الإحتماء منه.

اِستعاد Freud.S.(1905)، في نظرية محاولاته الثلاثة حول الجنس، القسوة المتجذّرة في نفسية الطّفل، ويربطها بنزوة السّطوة الّتي وصفها كنوع قبل-نزوي فطريّ: نزوة مستقلّة أساسا عن الجنس، لا ترتبط بالحبّ ولا بالكراهية، تتوجّه مباشرة نحو موضوع خارجي ترمي إلى إخضاعه بالقوّة دون أن تستهدف مبدئيّا معاناة هذا الأخير.

وفي طبعته الخاصّة بعام 1915 لنظرية محاولات في الجنس، حدّد Freud.S. الأصل والطّبيعة البيولوجية وحتّى الجسدية، لهذه النّزوة الأساسية الّتي ترتبط بالقطب الفعّال ذو الأصول قبل-شرجيّة البدائية جدّا ضمن ثنائية خامل-متفاعل، تستخدم الجهاز العضليّ والعصبي للوظيفة الإطراحية.

ح-نزوات حفظ الذّات

توجّه نزوات حفظ الذّات اختيار موضوع الحبّ. موضوع اختارته المتشنّجات مهبليّا عاجزا جنسيّا، قليل التّجربة بالجنس الآخر، متماشيا ومثالية الأنا، عصابيّا ميّالا إلى الأنوية والإشباع الشّبقي الذّاتيّ؛ به خصاء نفسي لن يحرّك ساكنا لرفع خصائهنّ الجنسيّ.

تتعارض نزوات حفظ الذّات مع النّزوات الجنسية، حيث تتراجع هذه الأخيرة لصالح وظائف حفظ الذّات، فيكون الموضوع المختار ما بين الأمّ الّتي تغذّي والأب الّذي يحمي.

فإذا رجعنا إلى المرحلة الفمية، على سبيل المثال، فإنّ الموضوع، بلغة هذه النّزوات، هو ما يُغذّي؛ بينما يصبح بلغة النّزوة الفمية، هو ما يمكن إدماجه، مع كلّ ما يتضمّنه الإدماج

[29]- ما يجعل أزواج المتشنّجات يلجأون في معظم الحالات إلى الطّلاق و الخروج من العلاقة الموضوعية السّيّئة بتعريف وينيكوت.

من بُعد هوامي واِتّساعه إلى موضوعات أخرى غير موضوعات التّغذية، يقيم معها علاقة فمية.

تنشط نزوات حفظ الذّات بشكل خاصّ تبعًا لمبدأ الواقع، ضمن ما اِصطلح عليْه التّحليليّون بدوافع وغريزة التّكاثر والتّناسل، كمرادفات لكلمة اللّيبيدو أو الطّاقة الجنسية الغريزية.

ترتبط هذه النّزوات بلفظة Eros اليونانية من جانبها الحيويّ؛ تعني الحبّ، إلهه عند الإغريق، اِصطلح .Freud.S بهذه اللّفظة كذلك على الجنس والتّكاثر والبقاء. وقد نشأت على أساسه عدّة مصطلحات أخرى تتعلّق به وبنزوات الحياة الّتي يغذّيها، مثل الشّبقية والشّهوانية، والحسّ الشّبقيّ والمناطق الشّبقية، وهي الفتحات الجسدية اللّيبيدية مثل الفمّ، الشّرج والقضيب/البظر، الّتي تتّصل بمراحل التّطوّر النّفسي الجنسي.

أخذ .Freud.S هذه الفكرة عن أفلاطون و أمبادوقليس؛ أمّا الأوّل فيرى فيه غريزة الحياة والتّلذّذ بالمحسوسات، ونزعة الخلود عن طريق الجنس والتّكاثر؛ في حين يجد فيها الثّاني وهو الأهمّ عند .Freud.S، وينقل عنه مباشرة القول بمبدأيْن يحكمان الوجود، مبدأ المحبّة وهو مبدأ تأليف وتخليق و تجميع واستيلاء، وهو مبدأ الحياة، و مبدأ الكراهية، ومن شأنه إذكاء العداوة وتفعيل التّفريق والتّفتيت والإفناء والموت، وهو مبدأ العدم. يقول أمبادوقليس، بدورات لا تنتهي تتألّف من التّركيب (الحياة) ثمّ النّقض(الموت).

تتّصف نزوات حفظ الذّات بالجزئية في الإشباع، وهي ذات طبيعة ليبيدية، مكرّسة كي تؤمّن للمتعضّي سبيله الخاصّ نحو الموت والعودة المباشرة إلى الحالة اللاّعضوية، ذلك أنّ حرّاس الحياة كانوا في الأصل خدما للموت، يشير .Freud.S.

خ-نزوات الموت

تتهرّب المتشنّجات مهبليّا من الإثارة وتشعر بالتّهديد من وجود الآخر، ما يدفعهنّ وفق نزوات الموت إلى البحث عن حالة اللاّعضوية، تجنبا للوضعية الاكتئابية الّتي تترجم تخوّفهنّ من الخصاء وتحصيل الإشباع النّزوي الجنسيّ وفق مبدأ اللّذّة. فتلجأ بعضهنّ إلى

اعتماد عقاقير التّخدير الكلّيّ، لإحلال نوع اصطناعيّ من مبدأ النّرفانا وميل لإشباع نزوي إنحرافيّ شبيه بمعاشرة جثث الموتى: "ما ني حابّة نحس بوالُ".

كان Thanatos و Hypnos في الأسطورة الإغريقية توأميْن مسؤوليْن عن النّوم والموت، حيث النّوم هي موْت أصغر والموت نوم أكبر. وThanatos اصطلاح أدخله .Jones.E في أدبيّات التّحليل النّفسي، خصّه كلّ من Federn et Weiss بطاقة من مثل طاقة اللّيبيدو، وأطلق عليها Weiss إسم طاقة التّدمير، وأسماها Federn بطاقة الإفناء أوالموت. نظر إليها الأوّل من شقّها العدواني، بينما تفحّصها الثّاني في شقّها التّكاثري الجنسيّ. أمّا .Freud.S، فيرى أنّها تستهدف الهدم والموت أو الهروب من الإثارة من جانب الفرد، عبر مشاعر الحقد ونضال الأنا من أجل بقائه وتوكيد ذاته، أو الميل إلى الدّفاع من خلال مبدأ الثّبات والتّكرار القهري لمسار الحياة، أو عبر طابعها النّكوصيّ والتّدميريّ حسب Bergeret، Rosolato، Guillaumin...في حين يرى Pontalis، Green...وغيرهم في نزوات الموت مبدأ تأسيسيّا يوّلد العودة الحتمية والصّامتة إلى الحالة اللاّعضوية، في أغلب الأحيان، يمكن اِنكشافها في العصاب الهوسي، الاكتئاب، والحداد الحادّ.

هي مفهوم سلبي، لاجنسيّ، مستقلّة عن مبدأ اللّذّة وقابلة للتّعارض معه، تنزع نزوات الموت إلى الاختزال الكامل للتّوتّرات؛ تتوجّه بادئ الأمر نحو الدّاخل وإلى التّدمير الذّاتي، ثمّ تتوجّه ثانويّا فيما بعد نحو الخارج، تتجلّى حينها على شكل نزوة العدوان أو نزوة التّدمير ضدّ موضوعات العالم الخارجي، وبمساعدة الجهاز العضلي. وتسمّى هذه النّزوة ساعتئذ بنزوة التّدمير، ونزوة السّطوة، أوإرادة القوّة. يوضع جزء منها مباشرة في خدمة الوظيفة الجنسية، تلك هي السّادية الفعلية.

تعطي .Klein.M دورا رئيسيّا لنزوات الموت منذ بداية الوجود الإنساني، فهي متوجّهة إلى الموضوع الخارجي، بل تفعّل أيْضا في المتعضّي وتثير قلق الإندثار والفناء فيه.

6- الهوامات

« Ce peut être le fantasme qui devient porteur d'une potentialité traumatique. »

تقيم الهوامات بالواقع علاقة ارتباطية، حيث تفتح الهوامات نافذة على الواقع وتشكّل في الوقت نفسه حاجزًا بينه وبين الأنا، يقول Freud. موضوعها غيريّ، صورة وعرضًا، يأخذ مكان ما حُرم منه رمزيّا؛ علما أنّ الآخر بالنّسبة للمتشنّجات مهبليّا، هو عكس الهوام، "C'est un excès de réel" (Quignard.P.، 1998).

تعكس النّظرة الفرويدية واللاّكانية ثنائية استثمار الهوامات عند المتشنّجات. فهي تارة موضوعات ليبيدية شبقية طيّبة و تارة أخرى سيّئة. تُوظّف في قطبها الطّيّب أثناء الإشباع الغلمي الذّاتي، باعتماد الهوام كذريعة لدعم متعة نشطة جسديّا، لا يستوعبها الهستيري وتجعل الهوسيّ يشعر بالذّنب. فهي تشكيلات خيالية حتّى ولو في صورة أحلام يقظة واعية، طريقة لتحصيل لذّة تُعوِّض، بعيدا عن الواقع، التّخلّي عن متعة استثمار موضوع الحبّ.

أمّا في قطبها السّيّئ، فهي تعمل كنقطة ارتكاز للتّثبيتات اللّيبيدية الّتي تنكشف في الأعراض؛ تحرّض الهوامات الأصلية، من مثل ملاحظة العلاقة الجنسية بين الوالديْن، الحياة الرّحمية، الغواية والخصاء. تُخزّن هذه المشاهد كموضوعات غريبة تبقى نشطة مدّة طويلة بعد استدخالها واندماجها نفسيّا في اللاّشعور. تستعيد فعاليّتها إذا ما عايشت هاته النّسوة حدثا جديدا، الزّواج وإجبارية الإنجاب في حالتهنّ، فتحدث الصّدمة إثر ما تُحرّضه مخاوف الوضعية الجديدة من ذاكرة المشهد الأوّل المُخزّن على شكل بناء هواميّ هلاسي اِرتبط فجأة بإثارة جنسية، فتواجه النّفس مفعولات هذا الحدث منزوعة القوى عاجزة عن توظيف ميكانيزمات الدّفاع الموجّهة عادة خارجا، ويميل إلى عمليّات الإرتداد إلى الذّات، القلب إلى الضّدّ، الإنكار والإسقاط.

فما يؤثّر على المتشنّجات ليس عنف الحدث الجديد، بل معاش قبليّ، « un « déjà-là نفسي مكبوت لاشعوريّا، يحتوي على مكوّنات النّشاط الغلميّ الذّاتيّ، وعلى آثار محبّة

الموضوع، وعلى تكوين العقدة النّواتية للأعصبة الّتي تستلزم قيام الأب بدور العدّو الجنسيّ، أي ذاك الّذي يُرْبِك النّشاط اللّيبيدي الغلمي (Freud.S.، 1909). كما قد تستخدم هاته النّسوة الهوام من قبل الإرصان الثّانويّ على شكل تكوينات تسوية، تبلغ أقصى درجات الإقتراب من النّشاط اليقظ؛ علمًا أنّه يسمح بتحقيق الرّغبة، و الوصول إلى المتعة، الّتي تجعل الفرد يتوارى خلف موضوع رغبته.

وعليه، تعرّف (Isaacs.S.،1952) الهوام بالمحصّلة الذّهنية والمُمثّل النّفسي للنّزوة. يرتبط أصله حسب Laplanche et Pontalis بظهور الغلمية الذّاتية، عندما تنفصل الوظائف الحيوية عن عالم الحاجات لتلحق و تخلق الجنس. يكشف نشاطه عن الإحساسات الجسدية أوْ صُوَرها، وعن مصدرها النّزويّ والاندفاعيّ أكثر منه على الموضوعات (Ciccone.A. et Lhopital.M.، 2001).

تتبني الهوامات في شكل تصوّرات لإشباع نزويّ محقّق أو مُحْبط. من خصائصها: سهولة كبتها واسترجاعها، وانتقالها اليسير ما بين مكوّنات الموقعيّة الأولى: الشّعور، ما قبل الشّعور و اللاّشعور. تمثّل أيْضا، ما يتصوّره المتعضّي ويستدخله عاطفيّا عن الحدث المعاش لتستثمره الأنا ليبيديا وجزئيّا في التّخيّل، باستحضار لذّة الإشباع المستدخلة في نقصانها أو اِكتمالها مع توهّم عضو الإشباع (الثّدي مثلا في حالة الغذاء) والرّغبة المصاحبة له. نَمُوذجيّته الدّائمة هي ما يتجلّى له في المشهد الأوّلي حول منشأ الشّخص، وما ينبثق عن هوامات الغواية عن الجنسانية واِنْبِعَاثها، وما يُعرَف في هوامات الخصاء مصدر الفروق بين الجنسيْن.

بالنّسبة إلى Jones.E.، يكشف الخصاء الرّمزي في كلّ هوام عن الخوف من إصابته باضطراب فقدان الرّغبة الجنسية[30]، والّتي تختلف قليلا عن مفهومها الفرويدي الّذي يشير

---

[30]- L'aphanisis= la peur de perdre le désir sexuel. C'est un signe névrotique de castration. Dans le domaine médical, elle explique certaines formes de dysfonction érectile ou de frigidité.

= الخوف من فقدان الرغبة الجنسية. إنها علامة عصابية للخصاء. تفسّر في المجال الطّبيّ ، بعض أشكال ضعف الانتصاب أو البرود الجنسي.

إلى مواجهة الموضوع لخطر إخصاء القضيب. وهو الخصاء ذاته الّذي تمارسه المتشنّجات على أزواجهنّ، فامتناعهنّ عن المباشرة الفعلية و اللّجوء إلى الغلمة الذّاتية بتوظيف مختلف أنواع الهوامات كتكوينات تسوية، هو إخصاء للآخر لتجنّب الإخصاء الفعليّ لهنّ، بالإيلاج.

هي هوامات خاصّة الأصلية منها، تشكّل في طابعها الكوني، تراثا ينتقل عبر الأجيال، وفعالية لاواعية قد تكون على ما يقول Freud.S. نذيرا بالعَرَض: يكمن خلف النّوبة الهستيرية الّتي ترمز إليه، ويعبّر بأسلوب خياليّ عن حياة نزوية تتحدّد خطوطها الكبرى بيولوجيّا، وتكشف نفسيّا عن اعتماد الفرد لها كسدّ لمختلف ثغرات حقيقته الفردية.

VI- مبادئ العلاقات الموضوعية

المبدأ لغويّا هو الأصل أو السّبب الّذي يقوم عليه نظام فيزيقي ما، يكشف علميّا عن قانون الظّواهر والمجال الّذي تنشط فيه. ومنه مثلا مبدأ الإيجابية أوْ المستوى الأخلاقي الّذي يميّز العلاقات بين النّاس في المجتمع.

أمّا في مجال التّحليل النّفسي، فقد حدّد Freud.S. عددا من المبادئ المسيّرة للطّاقة اللّيبيدية، تتأرجح بين ثنائيات متضادّة ومتكاملة تضمن سواء الفرد و اتّزانه الدّاخلي وتكيّفه الاجتماعي.

1- مبدأ اللّذة-اللاّلذّة

وهو أوّل مبادئ العلاقات الضمنفسية وبين-الشخصية؛ تكون مؤقّتة بسبب تدخّل مبدأ الواقع، فيضبط نزوات الأنا ويؤجّل الإشباع. هي حال المتشنّجات مهبليّا، حتّى أنّ إحداهنّ ذكّرتنا بمقولة.Freud.S عن المرأة الّتي إذا لم تكن هستيريّة ولو قليلا فهي شبيهة بالحيوان[31]. وكأنّها تقصد أنّ معايشتها للاّلذّة، استراتيجية شعورية مؤقّتة تقترن بخوف مستدخل، تطلب بها اللّذة المؤجّلة، علما أنّ عملية الكبت تبطل مبدأ اللّذة وتحوّلها إلى

[31]-“Une femme qui n’est pas un peu hystérique est une vache”.

مصدر للاّلذّة. فأغلب الألم المستشعر في الحياة ناتج عمّا تثيره النّزوات في النّفس من ترقّب مؤلم وتوقّع للخطر، أوْ وجود عقبات يتعذّر معها واقعيّا بلوغ الموضوع المناسب (محظور...) كالكفّ والقمع مثلا.

ومن ذلك أنّ إحدى أهمّ وظائف الجهاز النّفسيّ هي تقييد النّزوات واستبدال العمليّات الأوّلية الّتي تسيطر عليْها بالعمليّات الثّانوية، وتحويل الشّحنات النّفسية الطّليقة إلى شحنات مقيّدة. فيميل الفرد إلى تحقيق اللّذّة من أيّ نشاط نفسيّ أوْ بدنيّ، لتجنّب اللاّلذّة، الكدر والتّوتّر، إما بالحلم أو أحلام اليقظة، النّكوص إلى الجنسية الطّفلية وهي أكثر الحلول المعتمدة لدى المتشنّجات فتعيش شبيه الإشباع المنشود للرّغبات المكبوتة، أو الأعمال الفنية والإبداع والإبتكار.

وهنا نتذكّر ما قاله Lacan.J عن تصوّر الارتباط الوثيق بين وظيفتيْ اللّذّة والواقع، وإدراك العلاقة الجدلية بين مبدأ كلّ منهما. فأحدهما ليس فقط ، كما يُعتقد عنه، تطبيق تابع للآخر، بل يقيم في الحقيقة كلّ واحد ارتباطًا قطبيّا بالآخر، والّذي من دونه لا هذا ولا ذاك سوف يكون ذي دلالة.

2- مبدأ الواقع

هو المبدأ الأكثر توظيفا شعوريا لدى المتشنّجات مهبليّا، يؤجّل إشباع النزوة الجنسية إلى لحظة لاحقة غير مؤكّدة "إن شاء الله، بصّح دوك لالا"، إلى أن يتقبل الأنا إدراكه لغيرية الموضوع ويتصوّر إمكانية فقدان موضوع الإشباع المبكر وإستبداله بالجديد.

يأخذ الأنا بمبدأ الواقع ويتعلّم الخضوع له بعد سلسلة كاملة من التّكيّفات الّتي تقتضيها معايشته للآخر بتطوير الوظائف الواعية و زيادة الانتباه والإدراك، اِكتساب الحكم على الأمور، تقوية الذّاكرة، فتتغلّب نزوات الأنا على النّزوات الجنسية.

يحكم المبدأ تبعًا للنّظرية الفرويدية، النّشاط النّفسيّ العقلي والوظيفيّ. ينظّم و يعدّل نزوات الهو، يؤجّل الإشباع ويستثمر سياقات ثانوية تتناسب و شروط العالم الخارجي، يقبل مؤقّتا باللاّلذّة لصالح اللّذّة و لا يحلّ محلّها.

من وجهة نظر إقتصادية، يقوم مبدأ الواقع بتحويل الطّاقة الحرّة إلى طاقة مربوطة؛ ويميّز أساسًا، من وجهة نظر موقعيّة، نظام ما قبل الشّعور–الشّعور؛ وأمّا من وجهة نظر دينامية، يتدخّل مبدأ الواقع على نمط معيّن من الطّاقة النّزوية التي تخدم أغراض الأنا خاصّة، فيقترح عليها تعويضات و بدائل إشباعية حتّى يصرف التّوتّر النّزوي المتراكم، هواميّا (Freud.S.، 1911).

إنّ الغياب المستمر للإشباع المنتظر، يحفّز مبدأ جديدا للنّشاط النّفسيّ: فلم يعد يتصوّر ماهو ممتع، بل ماهو واقعيّ، موضوعيّ يحكّم العقل حتّى ولو كان بغيضًا إلى النّفس.

3- مبدأ القصور

استوحى .Freud.S هذا المبدأ من الفعل الانعكاسي للعصبونات تجاه الإثارة و كميّتها. مختصر النّظرية: تميل العصبونات إلى التّخلّص من الكّم الطاقوي الممتصّ بتحويله إلى غيرها، علما أنّها خلايا تنشطر إلى عصبونات حركية وأخرى حسية. فيرفض النّظام كلّ إثارة ويفضّل البقاء في حالة لا–استثارة للمحافظة على مستوى الإنعدام (=0). بهذا، لا ينزع الجهاز العصبي إلى مجرّد تفريغ الإثارات، بل إلى الابتعاد عن مصادر الإثارة.

فيزيائيّا، يتمثّل القصور في فكرة أنّه: إذا لم تتلق نقطة متحرّرة من ارتباط ميكانيكي أيّ فعل، فإنّها تحتفظ إلى ما لا نهاية بنفس السّرعة في القدر والاتّجاه (يشمل حتّى حالة السّكون الّتي تكون فيها السّرعة معدومة).

نفسيّا، يترجم مبدأ القصور، بتجنّب الأنا للصّراع الّذي ينتج عن التّناقض بين نزوات الأنا والنّزوات الجنسية، وفق مبدأيْ اللّذّة والواقع، فيتأرجح بين الرّغبة في خفض التّوتّر وسيطرة النّواهي عليه، ثمّ يتراجع عن الإشباع معتمدا طرقا ملتوية تسمح بتحصيل

الخفض بالتّسامي أو الإنحراف، مثل ميْل معظم المتشنّجات، إلى الغلمة الذّاتية أوالجنسية الطّفلية الأوّلية.

من هنا يتساءل Freud.S. عن الإمكانية الفعلية لمتعضّ نشط وظيفيّا في ظلّ هذا المبدأ أن يستمرّ في الحياة؟ وكيف يمكن حتّى أن يوجد؟...يجيب: أنّ كلّ إثارة حسّية زادت شدّتها تتحوّل إلى ألم وانزعاج تضاف إليْهما كمية الطّاقة المستثمرة في استرجاع الصّورة الذّكروية المرتبطة بالإحساسيْن وبالموضوع السّيّئ خاصّتهما والحدث المؤلم الّذي جمعها ما ينتج نفورا، وتقزّزا من الإبقاء على استثمار هذه الصّورة المزعجة، يستنفذ طاقة تدفع بالأنا إلى إيجاد منافذ تحرّرها بصرف الطّاقة المتراكمة والإطاحة بأنواع الحواجز الّتي اعتمدتها الأنا قبلاً كمقاومات؛ تختفي القدرة على إدراك تمايز نوعية الإحساسات الّتي تشغل منطقة اللاّمبالاة بين الشّعور باللّذّة واللالذّة: فبينما تمثّل السّياقات خارجيّا سلسلة متّصلة لاتّجاهيْ الكمية والنّوعية، فإنّ الإثارات الّتي تناسبها من حيث الكمّية، يتمّ أوّلا خفض توتّرها، وثانيا الحدّ منها بإحداث تقطّع في تدفّقها؛ أمّا فيما يتعلق بالنّوعية، فهي متذبذبة بحيث لا تحدث أيّة إثارة في بعض الفترات. وهنا يتشعّب التّفريغ عبر قنوات تستحدثها الأنا نتيجة المضاعفات المرتبطة بكمية الإثارة، نوعيتها والموقعية المستهدفة أو المستثمرة في توزيع تلك الكمية الكبيرة على مختلف نزوات الأنا، خاصّة إذا ما أضيف إلى ذلك محاولة هذا الأخير توظيف الكفّ كميكانيزم دفاعيّ ضدّ تنشيط السّياقات النّفسية الأوّلية، ما يجعل الأنا تحت وطأة حالتيْ الإعياء واللاّلذّة والانزعاج الّتي تشتكي منها معظم المتشنّجات مهبليّا.

4- مبدأ النرفانا

تترادف لفظة النّرفانا في اللّغة العربية بالسّكينة. هي كلمة مشتقّة من السّكن "وخلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها"، أي موضوع يُستأنس به و يُوجِد الأنا في قُربه الارتياح فيقرّ وينقطع عن الحركة، لأنّه إطمأنّ وَوقِر، فخضع وذلّ، ودخل حالة السّكون واللاّحراك.

إذا ارتبطت لفظة النّرفانا عند العرب بماهو إيجابيّ ويدلّ على نزوات االحياة، فإنّها في علم أصول الكلام، ترتبط بنزوات الموت لأنّها تدلّ على الفناء أو الموت. وتعني في كتابتها السنسكريتية[32]، الإنطفاء (الفانوس، النّار، نار العشق، الحياة)، النّعيم، الانحلال، التّحرّر من دورة التّناسخ أو إعادة التّوالد. دلالة مستوحاة ممّا تشير إليه الدّيانة البوذية بانطفاء الرّغبة الإنسانية و إرتقائها لحالة النّعيم الشّديد، بعيدًا عن كلّ ماهو دوريّ-متوالد.

أطلق Freud.S. اسم مبدأ النّرفانا على حالة النّعيم، يقول، المميّزة للمرحلة الرّحمية الّتي يمرّ بها كلّ فرد في دورة الحياة. يتقصّى بعدها الأنا هذه السّكينة المفقودة نتيجة انفصاله عن أوّل موضوع حبّ له، في علاقات موضوعية آتية.

يفسّر التّحليليّون الفرويديّون مبدأ النّرفانا، ببلوغ الأنا لحالة إيجاد نفاذية في الحدود، ليس على العالم الخارجي بل على الهو. تتمددّ الأنا وفق هذا المبدأ وتتوسّع على فضاء الهو وتلغي حدوده أثناء تجربة اللّذّة، كما تتجاوز كلّ إلتزام ثقافي و صرامة الأنا الأعلى، ما يشبه البحث عن الانقراض أو الانطفاء المماثل لحالات الثّمالة والحماسة المفرطة لدرجة التّمجيد النّرجسيّ للأنا الّذي يبعدها عن موضوع الإشباع وعن رغباته كأنا وذات.

هذا الجسد المتحمّس، هو وفقًا لدلالة علم أصول الكلام، "الوصيّ على معبد الإلهة الأمّ"، يحاول في تقصّيه للنّعيم أن يصبح جسد الآخر المقدّس؛ خاصّة الجزء الحشوي منه، الّذي يتجسّد في حالة السّكينة المعاشة في الرّحم، مقرّ اِلتقاء الأب والأنا، ويُتوّج بتدمير الرّغبة الجنسية.

كانت Low.B. سبّاقة في إدخال مصطلح النّرفانا إلى التّحليل النّفسي لتفسير نزعة الجهاز النّفسي نحو إرجاع أيّ كمية من الإثارة ذات المنشأ الخارجيّ أو الدّاخليّ إلى مستوى الصّفر، أو تلاشيه إلى أقصى حدّ ممكن للدّلالة على انطفاء الرّغبة الإنسانية والقضاء على الفردية الّتي تذوب في الرّوح الجماعية.

---

[32]-السنسكريتية، لغة قديمة،طقوسية للهندوسية و البوذية في الهند و جنوب شرق آسيا. شبيهة باللّغتيْن اللاّتينية و اليونانية للقرون الوسطى في أوربا.

تحمل الحالة في ثناياها ذلك الغموض الّذي يعادل بين الميل إلى الحفاظ على ثبات مستوى معيّن من الإثارة وخفضه إلى مستوى الصّفر. يختصرها Freud(1924) في المشكلة الإقتصادية المازوشية وتأرجح نزوة الموت بين طرفي رباط اللّذّة والتّلاشي العميق.

5- مبدأ الثّبات

أو مبدأ الاستقرار والإتّزان الحيويّ. استشعره .Bernard.C(1813–1878)، وبسّطه .Cannon.B (1871–1945)، في ظواهر التّكيّف الّتي لا غنى عنها لاستمرار الحياة. فالجسم يقول.Selye.H(1907–1982)، يقاوم العوامل الدّخيلة و يضبط ارتكاساته برُسل كيميائية وتنبيهات عصبية تنتمي إلى نسقيْن مختلفيْن، تسمّى إحداها ب"مرافقة العوامل الدّخيلة"، تخلق حالة من تسامح الأنسجة السّلبيّ، تتيح لها الوجود مع المتعدّي، ويُدعى الآخر ب"ضدّ الدّخيلة"، يثير تعديلات كيميائية تنقل إلى أنسجتنا الأمر بتدمير الغزاة تدميرا على نحو أكثر فاعلية ممّا تفعله عادة.

ومنه، يعرّف مبدأ الثّبات على أنّه، مجموعة ارتكاسات فيزيولوجية أوغريزية تنزع إلى أن تصون ثبات شروط توازن العضوية، فتقلّص قدر الإمكان كلّ إثارة إلى مستوى منخفض و تجنّب الجهاز النّفسي تراكمها ويدافع عن نفسه ضدّ كلّ توتّر جديد داخليّ أو خارجيّ.

فعالية شبيهة بما أعلنه .Fechner.G عام 1873، في مجال علم النّفس الفيزيولوجي القائل بمبدأ الحفاظ على الطّاقة العامّ، حيث كلّما ازداد التّوتّر، تبذل العضوية جهدا لإنقاصه بإشباع الحاجة الّتي تثيره على نحو مناسب (آكل لأنّي جائع)، أوْ على نحو تقريبي (أتفرّج على صور الطّعام و أمنّي نفسي بتناوله).

اقترحه .Freud.S كمبدأ ذو أساس إقتصادي لمبدأ اللّذّة، يستهدف الحفاظ على استقرار مستوى الإثارة بتوظيف الميكانيزمات الدّفاعية أو تحريض أواليات التّجنّب في مواجهة الإثارات الخارجية أو زيادات التّوتر الدّاخلي. وقد أرصن Breuer et Freud حوالي

1892–1895 هذا المبدأ لتبيان بعض ظواهر الهستيريا، حيث وجدا أنّ سبب الأعراض خلل في التّصريف.

يتميّز مبدأ الثّبات بثلاثة نقاط أساسية: قانون الحالة الفضلى، وقانون حالات الإثارة المعمّمة وحالات التّوزيع غير المتساوي للإثارة ضمن النّظام (من مثل الانفعالات).

يرى Freud.S. (1887–1902) في هذا المبدأ تعديلا لمبدأ القصور، فبينما يضبط هذا الأخير نمط النّشاط الوظيفي الأوّلي للجهاز، أي العمليّات الأوّلية وسريان الطّاقة الحرّ، يتطابق الأوّل مع العمليّات الثّانوية حيث تكون الطّاقة مربوطة وقد أُوكلت إلى الأنا مهمّة تجنّب تراكم الإثارة والبقاء ما أمكن دونها.

تنزع نزوات الموت إلى التخفيض المطلق للتوترات، وترمي نزوات الحياة إلى الحفاظ على الوحدات الحية، وإلى خلق وحدات جديدة تفترض مستوى عال من التوتر.

6- مبدأ إجبار التّكرار

يميل الأنا غريزيّا إلى أن يكرّر مواقفه وخبراته واختياراته القديمة حتّى ولو كانت مؤلمة، متناقضًا في ذلك مع مبدأ اللّذّة. كأن تجد الكثير من المطلّقين والمطلّقات يتزوّجون من جديد، والغريب أنّهم لا يختارون كزوجات أوْ أزواج إلاّ المشابهين لطليقهنّ أوْ طليقاتهم، حتّى ليكاد يكون هناك عصاب قدري[33]، يحرّضه دافع إجبار التّكرار الّذي يعمل لاشعوريّا، ويصفه Jones.E. بأنّه دافع غريزيّ أعمى، أقدم من مبدأ اللّذّة وأكثر تغلغلا في الفطرة.

غالبًا ما يلوم هذا الفرد العصابيّ الأقدار والحظّ العاثر باعتبارها السّبب فيما يُؤتيه متكرّرًا. ويذكر Freud.S. في هذا الصّدد ما يسمّيه بأحلام الحرب، وهي كوابيس يعايش الجنود من خلالها، من جديد الحدث الجلل لمحاولة الأنا السّيطرة على القلق الّذي

[33]- névrose de destin.

يستحدثه، أوإخراج الوجدانات المترسّبة والمشاعر المكبوتة للتّخلّص نهائيّا من آثار ذاك الحدث.

يظهر إجبار التّكرار في شكل استبدادي يدفع بالأنا نتيجة ماهو مكبوت في اللاّشعور ويريد التّحرّر إلى الشّعور، فيستعيد الماضي ويعيش فيه مرّة أخرى كما لو كان جزءا من الحاضر.

نجد مبدأ إجبار التّكرار حتّى في العمليّات الجنسية الّتي تجمع بين الذّكر والأنثى، يقول Darwin، لأنّهما وجدا فيها منفعة بقيت واستمرّت، فاستقرّت منذ القدم. أمّا Platon، فيربط التّكرار بالإشتياق للآخر الّذي اِنشطر عنه يوما، والبحث عن معاودة إلتقائه، وإذا حدث ذلك احتضنا وتعانقا طويلا وكأنّهما يستعيدان وحدتهما السّابقة. في حين تفسّر أسطورة الأوبانيشاد الهندية إجبار التّكرار في الجنس بحاجة الذّات لآخر يؤنسها في وحدتها ويعينها على شقائها، فقرّرت أن تنقسم إلى رجل وامرأة شريطة أن يعودا إلى الوحدة كلّما أرادا ذلك. يطلق Freud.S. على هذا الميل النّفسي الفطريّ اسم النّزوات الارتداديّة.

VII- أنواع العلاقات الموضوعية

تتمركز العلاقات الموضوعية حول اختيار موضوع يُستثمر عاطفيّا و/أوْ جنسيّا يتفاعل معه الأنا ضمن بيئة نفسية واجتماعية أساسها أنوات ناضجة راشدة مستقلّة، تشترك في نقاط انجذاب ذات صبغة وديّة (Maisonneuve، 1966؛ Maisonneuve et Lamy، 1983)، تساهم بطابعها التّآلفيّ في النّضج النّفسي والتّطوّر اللّيبيدي. هي موضوعات حبّ تحتاجها الذّات لتحقيق كينونتها ورسم بصمها، تبكّر بعلاقة أمومية تلبّي الحاجات الفيزيولوجية والرّغبات العاطفية؛ ثمّ علاقات بموضوعات بديلة تكرّس التّعلّق الأوّل وتدعمه و تغذّي التّفاعلات القائمة بين الأنا والآخر.

تتحدّد العلاقات الموضوعية، من حيث طبيعة موضوع الحبّ في ثلاثة أنواع أساسية: العلاقة المبكرة بالأمّ، ثمّ العلاقة الإنتقالية ببديلها أوْ رمزها، وأخيرا علاقة بموضوع حبّ ثاني، يستثمر تاريخ الأنا النّفسي واللّيبيدي النّزوي.

أمّا من حيث الإشباع فهي علاقة فمية، ثمّ شرجية ضابطة وآخرها علاقة تناسلية توظّف الموضوعات في جزئيتها أوْ كلّيتها وفقا لرغبات الأنا وحاجات الذّات. فتصبح علاقة جزئية ربّما مؤقّتة، فيتيشية أحيانا، أوْ علاقة كلّية تستند على الآخر في شموليته لتتجاوز هشاشتها الظّرفية.

1- العلاقة بالموضوع المبكر

اِحتلّت اِصطلاحية العلاقة بالموضوع خاصّة المبكّرة، مركزية لا تنافسها عليها أيّا من مصطلحات النّظريّة التّحليليّة. ساهم Winnicott، Klein، Jacobson، Mahler، Sandler، Stern، في تطويرها. تكتنفها في نظرهم علاقة تفاعلية بين مركّبات مصطلحيّة، من مثل النّرجسيّة، الاستثمار النّفسي، النّزوات، العواطف والتّعلّق.

تؤسّس هذه العلاقة للّقاء بالآخر المختلف عن الأنا و تبني تصوّرا عن موضوعيّته. تعمل حسب Clarkin et al.(2006) و Kernberg(1980) على إرساء الطّبع وباثولوجيّاته، البُنى النّفسية الّتي تحدّد سلوكات الفرد، تصوّراته عن ذاته وعن الآخر، علاقتهما ببعضهما وما يستثمرانه حينها من عاطفة، رغبة ونزوات، نرجسية الأنا بتكريس نرجسية الآخر... خبرات تُسْتدخل في شكل بصمة هوامية لاشعورية للأنوثة والأمومة وتورّثان كميزتيْ موضوع الحبّ المبكر يتقصّاهما الذّكر والأنثى من الأبناء في العلاقات الموضوعية الإشباعية لاحقا.

يسجّل و يقيم الموضوع المبكر (الأمّ) رابطا نرجسيّا مع الطّفل ومنرجسا لكلّ منهما، يحتضن لقاءهما بجعله ممكنًا، عبر قمع و كبت جنسيّيْن شريطة حماية الرّابط الأمومي،

الّذي يخلق أثرًا أوّليًا مُعلِّقًا للأنا بالأمّ كمقرّ وحوض حاضن، حاوي يسمّيه Anzieu.D. بغلافه النّفسي.

يثير هذا الرّابط أولى سياقات التّقمّص والتّقمّص النّرجسيّ الأصليّ عند الجنسيْن، يطبعها الغموض و الالتحامية بموضوع لا يميّزه الأنا جيّدا، ولم يفقده نهائيًا، يؤسّس فقدانه كموضوع للرّغبة الانفتاح على الغيرية، والآخر كفاعل إخصائيّ؛ بينما يرسّخ كموضوع للنّزوة القدرة على المتعة والاستمتاع.

علاقة تعلّق باصمة ومؤثّرة، تشكّل تركيبة معقّدة من التّصوّرات والإدراكات، الأفكار، المشاعر، الأوهام والرّغبات والعواطف الّتي يتمّ تنشيطها تلقائيًا عبر خبرات حسّية تحدّد و تفسّر الصّورة الضّمنفسية للأنا عن ذاتها، والصّورة بين-الشّخصية مع الآخر في طيبته أو سوئه، توفّره أو غيابه...

هي أيْضًا، علاقة ثنائية متضادّة ديناميكيًا، للأنا بالآخر الكبير، تتخلّلها صراعات طابعها دفاعيّ ونزويّ، تجمع ما بين حاجة الأوّل إلى الرّعاية والإحتواء وصدّ الأخطار عنه، وآخر أنضج منه، يكفله، مؤقّتًا، يشبع حاجاته الفيزيولوجية وملذّاته اللّيبيدية، فيكتشف عبر علاقته المرآتية به عمّن هو، كيف هو، وما الّذي يعنيه بالنّسبة للآخر. وهي الاستفسارات ذاتها الّتي يعيد تكرارها في علاقته مع أقرانه بحثا عن إجابة لها.

تسمح العلاقة بالموضوع المبكر ببناء النّظام النّفسي للفرد طفلا، بالانتقال التّدريجي من التّفاعل الذّاتي الاستفهامي مع الأمّ إلى تصوّر هذا التّفاعل ثمّ ترميزه صورة وكلمات عند بلوغه مرحلة اكتساب اللّغة.

2- العلاقة بالموضوع الإنتقالي

"Fort–da" عبارة كان يكرّرها حفيد Freud.S. ليخفّف توتّره في غياب الأمّ: "سوف تعود". اِبتكر هذا الطّفل موضوعًا رمزيا شبيها بميكانيزم دفاعيّ يصدّ به عنه قلق

الانفصال المؤقّت والاكتئاب الّذي قد يسبّبه غياب موضوع حبّه. هو أوّل موضوع "الا-أنا" اِمتلكه، يخصّه دون غيره، يسقط عليْه هواماته وتصوّراته و يرمز للحبّ.

يُعرّفُ الإنسان عادة على أنّه كائن علائقي يستثمر في الآخر هواماته وتصوّراته الشّعورية و اللاّشعورية؛ وأنّه بنية نفسية موحّدة لها واقع داخليّ وآخر خارجيّ، يجمعهما ابتكار موضوع (كبّة خيط، دمية، ترنيمات...الرّسم وأنواع الفنّ و التّديّن) يستند عليْه في تجاوز فضاء انفصاله عن موضوع الحبّ. هو الموضوع (a) عند Lacan. إنّه إحياء لذكرى الحرمان ويعطي معنى للفقدان، و يجد له مكانا منذ البداية في رمزية كسبب للرّغبة وليس كموضوع لها، فيمنحه وظائف(A).

يقع الفرد، في الواقع، في حالة توتّر بين تهديد كونه موضوعًا لرغبة الآخر الكبير، وفقدان مكانته كموضوع فالوسيّ بالنّسبة ل(A). حالة متوسّطيّة بين ماهو ذاتيّ و مُدرك موضوعيّا، بين عجز الفرد عن الإعتراف وتقبّل الواقع الجديد عليْه، والقدرة الّتي يكتسبها تدريجيّا للقيام به.

إنّ اصطلاح مفاهيم "موضوعات انتقالية" و"ظواهر انتقالية" على فضاء خبرة فاصل بين الشّبقية الفمية وعلاقة الموضوع الحقيقية، بين النّشاط الإبداعيّ الأوليّ وإسقاط الفرد لما استدخله سابقا، بين الجهل البدائيّ بماهية الدّيْن والإعتراف به لاحقا: "قلْ أحْ[34]"، ليس إلاّ إشارة إلى أهمية هذا الفضاء الانتقالي في الكشف عن قدرة الفرد على اِبتكار، تخيّل، اِختراع، تشكيل موضوع جيّد يقيم معه علاقة موضوعية يملؤها الحنان. فضاء لا يجيب عن الإشباع والنّشوة الفمية، بل يكشف خاصّة عن قدرة الفرد على اِمتلاكه لموضوع يعترف به كخارج عنه، قد يكون داخل-خارج، أوْ في الحدود الفاصلة بين الظّرفيْن المكانيْن النّفسيّيْن.

---

[34]- تعوّد الأم صغيرها على شكرها لما تقدمه له فتقول له مداعبة إياه "أحّ" و تقصد به "صحّ=شكرا".

لا يتخلّى الفرد وإن كبر عن استثمار الموضوع الإنتقالي؛ حتّى وهو راشد يحتاج في بعض "اِختبارات الواقع" من حياته إلى اِسْتخدام موضوعات رمزية وسيطة تخفّف عنه توتّر مصاعب الحياة التّناسلية. وقد يصبح عرَضًا لاختلال في حياته اللّيبيدية التّناسلية.

تتّسم العلاقة بالموضوع الانتقالي بعدد من الميزات، يلحقها به خاصّة مبتكر هذا الموضوع، وتجسّد ابتداعه:

-يسنّ بعض حقوق الملكية الخاصّة على هذا الموضوع؛

-يتمّ تدليل الموضوع بمودّة ولكن يُحبّ أيْضًا بشهوانية وتشويه؛

-لا يُحبّذ تغييره ولا إختفاءه إلاّ إذا غيّره مبتكره؛

-لا ينجو هذا الموضوع من الحبّ النّزويّ، الكره، وحتّى إذا تحتّم الآمر من العدوانية الخالصة؛

-على الموضوع أن يكون ثابتًا، يعبّر عن بعض الحبّ و الحنان، وينمّ عن حيويّة أوْ واقع خصّه به مبتكره؛

-يقع الموضوع الانتقالي خارج جسد الفرد، إلاّ في حالة الرّضيع فهو اِلتحاميّ غامض الحدود بين الدّاخل والخارج؛

-يُسحب منه الاستثمار تدريجيّا ولا يُستدمج داخليّا، ويتناساه مبتكره في حالة التّطوّر اللّيبيدي السّوي، حيث أنّ الشّعور المتعلّق به لا يُكبت.

قد يحمل الموضوع الانتقالي أو الظاهرة الانتقالية صفة الموضوعات الفيتيشية لدى الرّاشد و يُفسّر، ميله إلى الأعمال الفنية كالرّسم والأعمال اليدويّة، أوالأداء الموسيقي أوْ

أن يتّخذ من الدّين عالما وسطيّا يلجأ إليْه في حالة تعرّضه للحرمان، أو كاستعمال التّعويذات[35] وبعض الطّقوس الهوسية...

هي موضوعات ذات قيمة رمزية، لموضوع جزئيّ، الثّدي الجيّد، مثلا، لكن ما يهمّ، هو وجوده الفعليّ، وأنّه بديل الموضوع المتغيّب. باللّجوء إلى التّرميز، يقيم الفرد تمييزا دقيقا بين الهوام والفعل الحقيقي، بين الموضوعات المستدخلة والموضوعات الخارجية، بين الإبداعية الأوّلية والإدراك.

إنّ مفهوم الموضوع الانتقالي يسهّل على الفرد توظيف السّياق الّذي يمكّنه من تقبّل الاختلاف والتّماثل بين الموضوعات الحقيقية والموضوعات المبتكرة. وهو ما ندركه من تقدّم في مسارنا التّطوّري نحو ضرورية الاستقلالية وتجسيد الانفصال عن الموضوع المبكر.

اِستثمار الرّاشد لموضوع اِنتقالي، (a) حسب Lacan، تصرّف طفوليّ خاصّة، يُثقل كاهله به، ليثير حركيّته ، ويخدم نضجه النّفسيّ واللّيبيدي، وسوف يعبر بتوظيفه، ربّما، إلى الضّفّة الأخرى. فالكبار يبتكرون موضوعًا واعيًا يستشرف تنظيمًا جديدًا يؤطّر السّلوك والفعل، وينشّط التّصوّر تحسّبًا لتحقيق الذّات. يستند هذا الابداع إلى النيّة اللاّواعية في اِسْتعادة الموضوع الدّاخلي الجيّد و الهوامي الّذي دمّرته العدوانية. هو موضوع إفتراضي يمكن استثماره عبر مختلف الموضوعات الثّقافية كالطّلاسم.

35- و هي من صنف الآية الشافية و التّمائم و الفأل، و هي اشياء تضمّ أو تمثّل صورًا سحرية تُحمل دفعًا للأخطار أو الأذى أو الأمراض. و أفضلها ما كان معدنيّا، لكن، إذا كانت كذلك، و أريد لها أن تكون مؤثّرة فعلاً، فيجب لها أن يتمّ صُنعها تحت تأثير مجموعة النجوم الّتي تُرجى منها الحماية. و لم تكن التّمائم، و لا قدرتها، يوما، موضع تكذيب، على الرّغم من أنّنا فضّلنا اليوم أن نطلق عليْها اسم "الفأل"، و يمكن كلاًّ منّا إختلاق تمائمه الخاصّة: فالحلقة الحاملة للمفاتيح، أو الميذالية، أو القطع النّقدية، هي فعّالة أيْضًا، بشرط إعتقاد صحّتها. تمتلك هذه التّمائم سواء منها الطّبيعية (المحارة، أحجار الّصاعقة...)، المصنوعة (الطّلاسم، التّماثيل الصّغيرة...) و المصادفة، القدرة على استدراج القوى الخارقة الخيّرة إلى أولئك الّذين يمتلكونها، و تجلب لهم السّعادة و الحماية.

أمّا الآية الشّافية، فقد ساهم اليهود في استحداثها. و قد إعتادوا على حمل رقوق كتبوا عليْها مقاطع من الكتاب المُقدّس(التّوراة و الإنجيل), و قد أُطلق على إحدى آيات إنجيل يوحنّا اسم الآية الشّافية، نظرًا إلى العدد الكبير من المعجزات الّتي أدّت إليْه. و قد نُقشت الكلمات اللاّتينية الخمس الأولى لهذه الآية: « os non comminuetis ex eo » على ميداليّات غدت تمائم مرغوبة جدّا(.Canavaggio.P، ترجمة طبّال.أ.، 1993، معجم الخرافات و المعتقدات الشعبية في أوربا، المؤسّسة الجامعية للدّراسات، بيروت).

يميّز Gimenez.G. (2002) ما بين موضوع العلاقة والموضوع الإنتقالي، حيث: أنّ الأوّل خارجيّ، يخلّف بصمة داخليّة مشحونة عاطفيّا، يشارك الأنا الآخرين في حيازته؛ أمّا الثّاني، فهو يقع في الحدّ ما بين الخارج والدّاخل، أوّل ملكية خاصّة بالفرد طفلاً، حيادي وداعم للحبّ والكراهية، ترميز قبلي ومصوّر لغياب الأمّ أو بديلها وشاغل للفراغ الّذي خلّفته.

3- العلاقة الأوديبية

أوديب، كلمة مشتقّة من *Oedipus*، وهو الاسم الذي يطلق على طفل Cithéron؛ تنقسم إلى *oedi* من *oiden*، منتفخة، ولكن أيضًا من *oida* بمعنى يرى ويعرف؛ أما *pus* فهو القدم؛ انتفخت قدمَا أوديب بحثًا عن الحقيقة المتنبّئ بها، والّتي تحقّقت بعد إقامة علاقة مع الأمّ و التّخلّص من الأب.

تجسّد العلاقة الأوديبية دخول الأنا مرحلة تنظيمية (Mächtlinger، 1981) توثّق هوام الخصاء ومشاعر الذّنب. تناولت أسطورتها لعنة تحوّلت إلى عقوبة جسدية ذاتية، لأن أوديب إخترق قوانين المجتمع، قتل أباه وانفرد بأمّه، ثمّ فقأ عينه وانتحرت Jocaste، للتّكفير عن ذنبهما في إقامة علاقة محرّمة.

تعمل هذه العلاقة على تكوين الأنا الأعلى و توظيف ميكانيزم التّماهي، فيبرز دور الأب كسانّ للقوانين، يمنع زنا المحارم، ويتدخّل لفصْل العلاقة الثّنائية الالتحامية بين الأمّ وطفلها، ولدًا كان أوْ بنتًا؛ يخرج الأوّل من العقدة الأوديبية خوفًا من خصاء الأب له فيصيّره شبيهًا بأخته وأمّه، وتدخُلها الثّانية راغبة في فالوس يجعلها حسب Freud، تبحث على إثارة بُظرها، النّموذج الأنثوي الدّاخلي المصغّر حجميّا للقضيب الّذي تحسد أخاها وأباها على إمتلاكه. فتبحث على أن تصبح فالوس أمّها و إن فشلت تلتفت إلى المرغوب من الإثنين (الأب).

يساهم الأب أيْضًا في بناء الهويّة الجنسية، الذّكورة والأنوثة، والكشف على قلق المرأة من فقدان الحبّ(Nasio،1994) وَرغبتها في تعويض لدى الأب على ما ينقصها وجعلها مخصية.

لذلك يقول Freud بانبثاق الأنوثة من الذّكورة، بالضّبط من حسد القضيب وإثارة البظر، فتستنكر عضوها التّناسلي الأنثوي، المهبل، ما يصعّب عليْها لاحقًا، في حالة الأوديب السّلبيّ، توظيف أنوثتها، فنجدها تشتكي من الحميمية بسبب التّشنّجات الجسدية والمهبلية، ترفض الولادة والإنجاب، أو قد تنحرف ليبيديّا فتختار موضوع حبّ من نفس جنسها أوْ رجلا تطغى لديْه الصّفات الأنثوية أكثر من الفحولة....

4- العلاقة الموضوعية التّناسلية

تمثّل خبرات الأنا الحسّية القبلية مع الموضوع المبكر والموضوع الإنتقالي مصنّفا يحتوي مخطّطات دينامية لاشعورية ومعرفية تمهّد للقائها بالموضوع التّناسليّ، ينتقيه الفرد بدخوله مرحلة الرّشد، يبني معه علاقة ذاتٍ لذات تغذّيها العواطف والانفعالات الشّخصية، وتصوّر كلّ منهما لسلوك الآخر وتصرّفاته تجاهه، وما يسقطه من توقّعات وترقّبات على الوضعية الّتي تجمعهما.

تخضع العلاقة الموضوعية التّناسليّة لضغوط بين-جيلية متوارثة تسيّر تفاعلات الأنا والآخر وإطارها النّفسو-اجتماعيّ (Argyle et Henderson، 1984). تكتسي ظرفية زمكانية تحدّدها الأحداث الدّاخلية و الخارجية المؤسّسة لهذا الرّابط، و تفترض تكيّفا دائما وثابتا في سلوك كلّ طرف يولّد تعلّقا بالآخر.

وهكذا لا يصبح موضوع الحبّ مجرّد تابع للنّزوة ومكرّس لأن تستهلكه؛ فهو موضوع كليّ، ذو مضامين نرجسية، يستثمر موضوعات شبقيّة خارجيّة، يتدخّل في تشكيله توليف تكامليّ ناجح لمختلف الموضوعات الجزئية و ليس مجرّد تجميع متسرّع لها على غرار مطالب الأنا.

أشار .Freud.S(1915) في مقالته حول التّغيّرات في مرحلة المراهقة إلى تياريْ الأنا النّزوييْن، اللّيبيدو النّرجسي وليبيدو الموضوع، وكذا قدرة الطّاقة النّزوية على التّعلّق بموضوعات استثمرت فيها التّصوّرات الّتي سحبتها من موضوع الحبّ الأوّل (الأمّ) أو بديلها الّذي يتقهقر، تسترجع معها التّوجّهات والميول النّفسية للغريزة الجنسية المقدّمة: نظرة نزوية للحبّ عند .Abraham.K أكثر منها عاطفية عند .Freud.S.

إنّ مسلّمة العلاقات الموضوعية التّناسلية هي البحث اللاّشعوريّ وفق مبدأ إجبار التّكرار، عمّن يبدو ظاهريّا كفيل بإعطاء ما نحن في حاجة ماسّة إليه فنجده يشبه كثيرا أحد الوالديْن أوْ بديله. ويفترض المحلّلون أنّنا نتّجه على الدّوام نحو تلك الأماكن الّتي وجدنا فيها الإساءة والمعاناة، لماذا؟ أوّلا لأنّنا لم نجد بعدُ طريقة أفضل لوقوع الاختيار وإقامة العلاقة، وإمّا أنّه يتلذّذ بالبحث الدّائم عن الفوز بالحبّ، وتقبّل من رفضه في الماضي، وإمّا أيْضًا لتخوّفه من صعوبة التّعايش مع ما لم يعهده من عواطف، فلا يستطيع أحدنا إسعاد غيره إذا لم يتعلّم كيف يعيش سعيدًا، يقول .Gide.A (1999).

لاحظ Westen(1992)، أنّ هناك خمسة عناصر تؤثّر على العلاقات و إدراكها:

-إدراكات الذّات وتعدّد أبعادها: الذّات المسموعة، الذّات المرئية، الذّات في جزئيّتها أو كلّيتها، "هذا الجزء منّي سيّئ وَمخز"، أو "ما عندي حتى قيمة تقراي و لاّ ما تقرايش كيف كيف".

-تكون هذه الإدراكات محمّلة بنوعية الوجدان والانفعال، فتصحبها بهجة، اِسْتثارة جنسية أو حزن واِنزعاج.

-تصحب هذه الإدراكات أمنيات ومخاوف.

-قد تكون الإدراكات شعورية أوْ لاشعورية تشكّلت في وقت سبق تطوّر اللّغة والمهارات المعرفية.

-يطوّر الفرد إدراكات عن الآخرين وعن علاقة الذّات بهمْ في ظلّ وجدانات تقع في جوهر التّصوّرات تتقيّد بالعلاقة و بالذّات أيضا. وبالتّالي تعمل النّماذج الفعّالة المستدخلة حسب منظور Bowlby.J. في اختبار علاقة الذّات بالآخرين، ومن ثَمّ في تكوين العلاقات الرّومانسية للرّاشدين (Baldwin, Fehr, Keedian, Seidel et Thomson، 1993؛ Hazan et Shaver، 1994).

VIII- خبرات العلاقات الموضوعية

يقيم الفرد علاقات مع الآخر و الآخرين وفقا لذكريات مُروّضة وأخرى غير مروّضة، يقول Freud.S. تثير حين استرجاعها انفعالات سيّئة أوْ جيّدة اِرتبطت بتصوّرات لاشعورية مبكّرة، تُحرّض الأنا على الصّدّ أو الإقبال على الفعل المُباشر.

وحسب نظريّة Hazan et Shaver(1987)، هناك ثلاثة أنماط للخبرات العلائقيّة: آمنة، تتوقّف على إيجاد السّهولة والرّاحة في الإقتراب من الآخرين، والحصول على ردّ إيجابيّ ومناسب منهم. ونادرًا ما يشعر الفرد في كنفها بالقلق من الإقتراب منه، أوْ أن يتمّ التّخلّي عنه[36]. قد تكون متوتّرة تناقضية تتأرجح بين مشاعر الرّفض والقبول بالآخر، يشعر خلالها الفرد أنّ الموضوع المختار لا يُحبّه حقّا، ولا يرغب في البقاء معه، ويرفض أن يكون قريبًا منه مثلما يرغب هو في ذلك. فدَخَل العلاقة لأنّه مازال يبحث عن القرب الشّديد من الآخرين، وهو ما يخيفهم ويجبرهم على الهرب منه أحيانًا[37]. أمّا النّمط الثّالث فيتحدّد في تجنّب الآخر ورفض التّواصل معه لخوفٍ مكبوتٍ من الارتباط والإعتمادية الّتي قد يشعره بها الموضوع، فالإقتراب الشّديد من الآخر و الآخرين يزعجه ويربكه، يجد صعوبة في الوثوق بهمْ كلّية أو الاعتماد عليهم. كما أنّه شديد الميْل إلى

---

[36]- «Je trouve qu'il m'est relativement facile d'être proche des autres et je suis confortable dans cette situation de proximité, dans la mesure où les autres réagissent adéquatement. Il m'arrive rarement de craindre d'être abandonnée et je ne m'inquiète pas si quelqu'un cherche à se rapprocher de moi ».

[37]- « Je trouve que les autres refusent d'être aussi proches de moi que je le souhaiterais. Je pense souvent que les autres ne m'aiment pas réellement ou ne désirent pas rester en ma compagnie. Je désire pourtant être très proche des autres mais quelquefois, cela leur fait peur et les fait fuir».

الإستقلالية والعزلة، فالحميمية الشّديدة غالبًا ما تشعره بالتّوتّر. وإذا ما بحث الآخر عن قربه اِنزعج من ذلك[38].

تُختصر هذه الخبرات في أهمّ ما يميّز سواءها عن باثولوجيّتها في:

1- خبرات الإشباع/الإحباط

تستثمر العلاقات الموضوعية يقول Moser.G.(1994)، بُعديْن متفاعليْن وفعّاليْن تختصرهما الحميمية في مؤشّريْها العاطفيّ و الجنسيّ. يغطّي الأوّل الحضور الجسدي والنّفسي كشريك ودود يتعاطف معه الأنا ويتقمّصه حينها جزئيّا Fenichel (1945)؛ أمّا الثّاني فيتمثّل في اِتّخاذ هذا الشّريك كموضوع للرّغبة الجنسية و خفض توتراتها النّزوية.

تشكّل تجربة الإشباع بنوعيْه الفعلي و الهوامي، الفكرة الأساسية لإشكالية الإستناد الفرويدية، ففيها تتمفصل تهدئة الحاجة والتّوتّر الدّاخليّ النّاتج عنها، وإنجاز الرّغبة اللّيبيدية. لهذا تتّخذ صورة الموضوع المُشبِع قيمة إنتقائية في تكوين رغبة الشّخص، تصبح قابلة لإعادة التّوظيف في غياب الموضوع الفعليّ (أيْ الإشباع الهوامي للرّغبة)، كما تلعب دور الموجّه في البحث اللاّحق عن موضوع حبّ نوعيّ.

وصف Freud.S.(1905) تجربة الإشباع في صورة الطّفل الّذي إذا شبع أفلت الثّدي، وقد إحمرّت وجنتاه، واِعتلت وجهه ابتسامة السّعادة، ومال رأسه إلى الوراء، وغطّ في سُبَات و استرخى جسده كلّية.

كما تعرّض إلى هذه التّجربة في مقاله "مشروع علم نفس علميّ، 1895"، وفي كتابات له عن "تأويل الأحلام، 1900"، اِختصرها في حالة العجز الأصلية عند الكائن البشري، حيث لا يستطيع هذا الأخير أن يطلق الفعل النّوعيّ المزيل للتّوتّر النّاتج عن فيض

---

[38]- «Je me sens mal à l’aise à l’idée d’être trop près des autres. Je trouve difficile de faire totalement confiance aux autres ou dépendre d’eux. Je suis nerveux (se) quand quelqu’un cherche à être trop intime avec moi. Il arrive que des personnes cherchent à être plus proches de moi mais je ne me sens pas très bien avec cela ».

الإثارات الدّاخلية إلاّ بتوظيف موضوع خارجيّ؛ وربطها بفكرتيْ وحدة الإدراك وَ وحدة الفكر، حيث يجهد الفرد دومًا في البحث إمّا بطرق مباشرة (الهلوسة) أوْ ملتوية (الأفعال الموجّهة بواسطة الفكر) عن وحدة الإدراك الّذي ارتبط بإشباع الحاجة.

قد تؤدّي تجربة الإشباع إلى عدّة مضاعفات، حيث:

-يرتبط الإشباع بصورة الموضوع الّذي يحقّقه وبالهلوسة الّتي تتيح التّفريغ وخفض التّوتّر.

-تشكل التّجربة إذن، في مجملها، أي الإشباع الفعليّ والإشباع الهوامي، أساس الرّغبة الّتي تتشكّل تبعًا لنموذج الهلاس البدائي.

-يؤدّي تكوين الأنا إلى قيامه بالتّمييز ما بين الهلوسة والإدراك، بصدّه لإفراط توظيف صورة الموضوع المشبع دون الموضوع الفعليّ.

هو نوع من الإحباط الّذي قد يواجهه الشّخص يوميّا، بسبب غياب شيء (نقص الطّعام، الماء، النّقود...)، أوْ وجود مانع خارجيّ أوْ داخليّ، يحول دون تحقيق الإشباع (تربية أخلاقية...). ترتبط تجربة الإحباط خصوصا بالدّلالة الّتي يمنحها الأنا لوضعية إشباع معيّنة. وأكثر الإحباطات خطورة هي تلك النّاجمة عن الحرمان والإحساس باللاّأمن في غياب موضوع عزيز. وقد أثبت Spitz.R. أنّ الأطفال المحرومين من أمّهم، يظهرون حساسية متنامية لضروب العدوى المبتذلة. ويعتقد نفسانيّون آخرون أنّ مثل هذه الإحباطات الوجدانية المبكّرة مسؤولة عن عدم التّوازن و ظهور ذهانات كالفصام والأمراض النّفسو–جسمية مثل الصّدفيّة، وكذا الجريمة العاطفية الّتي تنشأ عن نزعة إلى إلغاء جرح خفيّ أصاب القيمة الشّخصية، يتبعها الشّعور بالهدوء و السّكينة بعد اِنجاز المجرمين لفعلهم.

لا يكتسب الإحباط قدرته على إثارة المرض إلاّ بدْءًا من عتبة معيّنة (مدّة، خاصّية، شدّة) تمنعه القوّة الضّرورية لاكتساب ما سيكون بحاجة إليْه. وعليه، يردّ Freud.S. تنوّع

الأعصبة إلى تعدّد أشكال الإحباط الجنسيّ، فلا يمكن أن يحصل العصاب و حياة الفرد الجنسية عادية؛ فهو بديل عن الإشباع اللّيبيدي الّذي لم تظفر به الأنا في الواقع، يكشف عن الإحباط والحرمان وتأجيل إشباع الرّغبات نتيجة تصدّي نزوات حفظ الذّات لنزوات الهو.

يذكر Freud.S. في مقاله "أنماط من البدايات العصابية"(1912)، أنّ الإصابة بالعصاب قد تحصل بسبب نقص في الواقع من مثل فقدان موضوع الحبّ، أو اِمتناع الشّخص عن الإشباعات نتيجة الصّراعات الدّاخلية أو بسبب التثبيت. ويشير في "محاضرات تمهيدية في التّحليل النّفسي" (1917)، إلى أنّ الإحباط و حصول العصاب لا يقتصرعلى الحرمان الخارجيّ إلاّ بمقدار ما ينصبّ على الإشباع الوحيد الّذي يتطلّبه الشّخص، أو ما قد يعيشه أيضا من مشاعر إحباط داخلي لغياب أسلوب معيّن من الإشباع، مثلما هو حال الهستيريا.

2- خبرات اللّذّة/الألم

وتخصّ نوعية خبرات الإشباع بقطبيْها الاستمتاع واللّذّة أو الانزعاج والنّفور، ويؤسّسان معا لقيام العلاقات الموضوعية للأنا في تبادلها مع الآخر(Masters et Johnson، 1974)، تبدأ شبقيّة جزئية لتصبح كلّية جنسية في المرحلة التّناسلية (Barroux.G.، 1979). تمثّل اللّذّة ضرورة للعيش سعيدا (Meignant، 1979)، وهي استمتاع الأنا في علاقتها الجسدية بموضوع الحبّ.

تدير هذه الخبرات عمل و اقتصادية الجهاز النّفسيّ والنّفس في كينونتها. تنحصر في تجارب اللّذّة والانزعاج في اختبار الأنا للواقع، تثير اِنفعالات آنية تستدعي مشاعر سابقة مألوفة تعيد معايشتها، وتكشف عن اِرتباطها بذكريات غير مروّضة، يقول Freud.S.، تشهد بروز مؤشّرات ذات طّبيعة حسّية غالبًا، أحاسيس الإنزعاج ثمّ انقطاع مجرى التّفكير...ولكي تروّض ذكرى كهذه، يتوجّب قيام اِرتباط بين الأنا وتوظيفاتها بصورة متكرّرة وعلى درجة عالية من القوّة حتّى يصبح بالإمكان مجابهة وموازنة ذلك المسلك الممهّد الّذي أدّى إلى الإنزعاج، ليعوّض باللّذّة.

تعاش اللّذّة بخفض التّوتّر و انخفاض كمية الإثارة و بلوغ ذروة النّشوة، التّرفانا، وتحريض التّعلّق بالموضوع؛ أمّا الألم فيرتبط ببقاء التّوتّر واستمرار الإحساس بضغوطه الدّاخلية و النّفور من الآخر و اِنفصال الأنا عنه.

تسمح اللّذّة باستدماج تجارب اختبار الواقع، و استدخالها كدعامات تمتّن الجهاز النّفسي وقدراته على الإرصان والتّحليل والتّرميز. هي إحساس شعوريّ يصبح لاشعوريّا تكراريّا يصحب خبرات استمتاع الأنا بالاستكشاف، والتّميّز بالفضول المعرفي والتّحصيل من وراء الاستفسارات المتتابعة حول المشهد البدائيّ، الجنس الطفليّ وكلّ ماهو جنسيّ. لذلك فسّر Freud.S. النرجسية الثّانوية باستعادة الأنا للموضوع فيصبح ملكا لها و تحت سطوة شبقيّتها الذّاتية.

3- الكفّ

من اللاّتينية inhibitionem و inhibere، يُقصد بها الصّدّ، الدّفاع ضدّ...، بذل ما في وسعنا لمنع فعل ما. وبتعبير مجازي هي التّجذيف في الاتّجاه المعاكس للتّيّار. أمّا في لغتنا الأمّ، فكفّ الأمر، صرفه ومنعه. نفسيّا، هو نسيان كلّيّ أو جزئيّ لما كان الإنسان قد تعلّمه سابقا، و ينتج عن حدث لاحق؛ هو إذن، تقييد وظيفيّ للأنا، جنسيّا، غذائيّا، حركيّا وَمهنيّا. يعرّفه Freud.S. (1926) بعَرَض ينتج عنْ وضعية قلق خاصّة قلق الخصاء عند الرّجل، وقلق الانفصال عند المرأة الّذي هو امتداد لقلق الرّضيع المُشتاق لأمّه. ويوظّف كميكانيزم حتّى يتجنّب الأنا الصّراع مع الهو يوجب القيام بكبت جديد، وكذا صراعه مع الأنا الأعلى و معاقبة ذاته به؛ فهو إذن يشلّ مفعول القلق النّاتج عن مختلف أوجه القصور في الكبت خلال المرحلة الأوديبية الّذي يصعب على الأنا تحمّله. وهو وسيلة دفاع أمام الإلحاح النّزوي المتزايد؛ وفعل تحويل للرّغبة الجنسيّة يميّز مرحلة الكمون وانتقال الأنا نحو التّسامي والإعلاء وبناء علاقات ترفيهيّة مع الأقران من نفس الجنس، وفقا للأسس التّربوية المتداولة عبر جيليّا. ما يعني أنّه رغم عرضيّة الكّفّ، فهو يبني سياقات ثانوية

تترقّع بالأنا نحو ما يرتضيه اللاّشعور الجمعيّ والحياة الاجتماعية من مشاعر الحبّ والحنان والصّداقة...(Freud.S. ،1911).

يظهر عياديّا، في حالات اكتئابية طويلة الأمد، واضطرابات الوظيفة الجنسيّة، وفقدان التّحفيز في العمل؛ أوْ قد يتّخذ شكلا من أشكال الإحباط يقود الفرد إلى السّلبية، كلّها بسبب استنفاذ الطّاقة النّفسية في إقامة الحواجز والإمتناع عن الاستسلام للنّزوات اللّيبيدية والعدوانية "غير مفكّكة، ولكن متوقّفة فقط في إنجاز مهمّتها"(Freud.S. ،1923). تجيزه Flagey.D.(1972)، بعبارة "رقابة الحبيب"، لتعبّر عن ارتباط الكفّ بأهمية الوظيفة الأبوية وتجسيده مبكّرا عبر التّماهي الأوّلي، تشير Parat.C.

ينكشف الكّف لدى المتشنّجات مهبليّا، عبر اللّغة الجسدية المتشنّجة الرّافضة لكلّ إثارة شبقيّة، الدّالة عن جهلهنّ بكيفية التّصرّف تجاهها، لتخوّفهنّ من تفكّك الأنا. كما يكشف عرَض الكّفّ لديهنّ عن نوعية علاقتهنّ المبكّرة السّيّئة بالموضوع الأوّليّ، حيث لم يلعب هذا الأخير دوره كصادّ لتدفّق الإثارات، الّتي واجهها الأنا الجسدي بوتيرة من الإدراكات في شكل إلتواءات و"تخبّطات" وَإيماءات وَوضعيّات مؤلمة تعكس خبرات حسّية مُحبطة، تدلّ على آثار ذكروية لأوّل تسجيلات نفسو–جسدية ذات طبيعة حسّ–حركية (Freud.S.،1913؛ Dechaud-Ferbus.M.، 2009)؛ وأوّل تصوّرات للأشياء حسب Roussillon، وأوّل الدّلالات الشّكلية، يقول Anzieu، وأولى علامات التّمايز على حدّ قول Rosolato، وعلامات الرّسم التخطيطي لدلالات الفعل يشير Bion، وأولى الحاويات الشّكلية ينبّه Nathan والتّصوّرات الحركية يؤكّد Le Guen.

فكفّ المتشنّجات للوظيفة الجنسية يجد ربّما جذوره في نوعية العلاقة للأمّ وعدم ترسيخها لسياق صدّ الإثارة المتزايدة الّتي يصعب عليهنّ تحمّلها واستدماجها ضمنفسيّا.

4- العقد النّفسية

هي مرابط نفسيّة جذورها آثار ذكرويّة تغذّيها شحنة عاطفية قويّة، تتّخذ شكل صور ذهنية لاشعورية، تكشف عن نوعية علاقة الأنا بالموضوع المبكر وما اِختزنته عنها. يُعرّفها Laplanche et Pontalis (1978) كمجموعة من التّصوّرات والذّكريات تتشكّل ضمن العلاقات بين-شخصية من التّاريخ الطّفولي؛ تساهم في بناء مستويات النّفس البشريّة: الانفعالات، المواقف والسّلوكات التّكيّفيّة النّاتجة عن أحداث خارجيّة عاشها الفرد وأقام لها آثارًا في أفكاره؛ قد تطفو محتوياتها إلى الشّعور وتجتاح الفكر، فتعوق علاقة الأنا بالآخر(Bleuler.E. et Janet.P.، 1885)، أوْ تسيّرها لاشعوريّا.

تكشف هذه العقد في تداعياتها عن تصوّرات مرتبطة من منظور فرويدي، برغبات الحبّ والانزعاج تجاه الوالديْن في عقدة أوديب (Freud.S.،1897)، حيث ينبذ الأنا من يشبهه ويحبّ من يختلف عنه. أمّا أتباع Jung (1972)، فيربطونها في تداعيات الكلمات بالنّماذج الأصلية وما تكتنفها من صورة انفعالية وحيوية لوضعية نفسية مُثبّطَة تختلف عن الموقف والحالة المعتادة. في حين، يشير التّيّار اللاّكاني إلى اِنبثاقها عن صور ذهنية والديّة لاشعوريّة تسفر عن البنية العائلية وبناء الشّخص لمكانه ضمنها وحيازته له. يتعلّق شكلها بمرحلة تطوّريّة يتكوّن أثناءها الموضوع (مرحلة الفطام) كخارجيّ عن الأنا؛ تنشط تكراريّا بإعادة معايشة الإحساس المصاحب لإتيان سلوك ما وكأنّه مُقَوَلب وفق بنية كامنة لم تتغيّر، تحدّد كيفية بناء الشّخص لعلاقاته الموضوعية. يصنّفها Lacan إلى عقدة أوديب، عقدة الفطام وعقدة الإقتحام. ويبوّبها Freud.S. إلى عقدة أوديب، عقدة الخصاء وحسد القضيب؛ في حين يعدّدها Jung.G.C. إلى عقدة النّقص وعقدة الدّونية.

من منظور دراستنا الأنثوية، نضمّنها بداية عقدة الدّونية الّتي تترعرع المرأة في كنفها، مع ما تشعر به في ظلّها من نقص وإحساس بالخصاء تؤثّر على حياتها الجنسية؛ إضافة إلى عقدة أوديب وعقدة الأمّ الميّتة.

تؤثّر العقد النّفسية على اِكتساب الصّفات الأنثويّة و العلاقات الموضوعية التّناسلية. تتمثّل في الكبت الجزئيّ أوِ الكلّيّ لفكرة أوْ مجموعة من الأفكار والتّصوّرات المركّبة والمترابطة، فغدت مصدرًا للتّنازع و التّصارع بين الدّافع الرّامي إلى نيْل الإعتراف وبين الخوف من الأذى النّاجم عن الخيبة والإحباط، ما ينجلي لدى الفرد عن سلوك دفاعيّ وتعويضيّ وعدوانيّ في غالب الأحيان يتقرّر على صعيد اللاّشعور.

ترجع العقد حسب Freud.S. إلى صدمة أصابت عشق الذّات أوْ نرجسية الفرد. وما الدّونية الّتي تشعر بها المرأة إلاّ دليل على جرحها النّرجسيّ المتّصل بحسد القضيب وتنافسها مع الأب على حبّ الأمّ الّتي تعتبرها كموضوع قضيبيّ-شرجيّ تعويضيّ عن الفالوس، يثير بُظرها وينشط شبقيّا فتحسّ باللّذّة.

أمّا عقدة الأمّ الميّتة فتتجلّى في تقمّص البنت رضيعة لاكتئاب الوالدة نتيجة فقدانها لعزيز، أعجزها عن استثمار وليدتها عاطفيّا وَليبيديّا. فهذا الموت النّفسي لدى الأمّ يعيشه الرّضيع وَكأنّه مسؤول عنه، يدفعه إلى إتيان سلوكات مرح أو سكون تبعث الحياة في نفسية الأمّ من جديد؛ أمّا إذا فشل، يستغني عنها نفسيّا وَليبيديّا فيعيش بدوره موتا نفسيّا متماهيّا بحالة الأمّ الاكتئابية. فتدمير الموضوع بهذه الطّريقة يخلّف فراغا نفسيّا بأنا الفرد، يصبح ممنوعا عليه أن يكون، كما يقول Green.A. (2007)، وَيُصعّب عليه إقامة علاقات حبّ تناسليّة، تنقصها العاطفة وَتميّزها القسوة وَالبرودة، لتخوّفه من فراق ثاني، فيميل إلى توظيف الشّبقيّة الذّاتية وعشق الأنا متقصّيا نشوة وَ لذّة عضوية جزئية متجاهلا الآخر؛ ذلك هو حال المتشنّجات مهبليّا.

تولّد العقد في مجملها شعورًا بالنّقص وَالضّعف وَالإنهزامية، يرجعها Adler.A. إلى إحساس الفرد أنّه دون غيره من النّاس، يفشل في إشباع حاجاته و يعمل جاهدًا لإثبات ذاته وتحقيقها نظرًا لمَا يتصوّره من عيوب ونقائص بدنية يعوّضها بالتّفوّق على سواه والإتيان بجليل الأعمال أوِالتّحكّم في ضعاف البنية وَمعاملتهم بقسوة أوِالاحتماء خلف إدّعاءات كاذبة.

حالة تقوم خلالها وظيفة ما أوْ بعض الظّروف بالحيلولة دون تأدية وظيفة أخرى أو اِستكمال نشاط معيّن أوْ ظهور صيغة من صيغ التّعبير.

IX- باثولوجية العلاقات الموضوعية

يقيم الأنا علاقة موضوعية بالآخر بحثا عن الحبّ اللاّمشروط وَإشباع هوام الرّغبة الّذي حرّضه هذا الموضوع دون غيره من الموضوعات. لكن قد يحدث أن تكتنف هذه العلاقة معاناة وألم أو إحباط، فيصبح الآخر مصدرا للاّلذّة، يكشف علم الأمراض أوِ الباثولوجيا النّفسية عن معاناة معدية يستدخل الآخر ما يقاسيه أحدهما فيعكّر صفوه.

يكشف هذا التّخصّص عن مظهريْ باثولوجية العلاقات، النّفسية والجسدية الّتي تصيّرها بنيات تحتية مسبّبة لِاضطراب الأنا وَاختلال نزوات الهو، عبر رمزية غير متوّقعة تكفّلت بالتّعبير عنها، بدءا بسوء اختيار موضوع الحبّ، وميْل الأنا إلى التّكرار القهري لوضعيّات قبلية مؤلمة.

تدلّ باثولوجية العلاقات عمومًا على مرور الأنا باختبار مؤلم للواقع، قد يؤدّي إلى فراق الآخر، وَافتقاد الرّابط الّذي كان يجمعهما. فيعرف المفجوع بعد حينٍ، يقول Freud.S.، من فَقَدَ، لكنّه لا يدرك ما فقده بفقدان حبيبه.

من هذا الباب جاء طرحنا لهذا العنوان، بهدف التّنبيه بضرورة التّخلّي عن هوامات وَعرضيّات اتّخذها الأنا كوسيلة وحيدة في التّواصل والتّفاعل مع العالم الخارجيّ، تولّدت عنها أحداث أضرّت بالأنا وَعلاقاته الموضوعية، فأبقاها حبيسة صدمة رسّختها في نسقيّات باثولوجية.

من مسبّبات هذه الباثولوجيّات و ترسيخ الأنا في المعاناة التّكرارية، نجد:

1- التّثبيتات

ثبَت الأمر، دام واستقرّ؛ ثبّته، جعله ثابتًا، وأكّده بالبيّنات؛ والتّثبيتات، هي كلّ ما استقرّ في النّفس وَأصبح عادة، تسير عليْها وتسترشد بها في سلوكاتها وتفكيرها. وعلى خطاها يُؤتي

الرّاشد مظاهر علائقية تكشف عن بعض القصور والعجز الذّاتي والنّفسي والخمول اللّيبيديّ يجد بوادره في بعض الخبرات الحسّية المتّصلة بالعلاقة الموضوعية الأوّليّة، مثلما هو حال العصابيّ. يؤكّد هذه التثبيتات التّكرار وتشهد عليْها محاولات الأنا الدّؤوبة في التّخلّص منها والمقاومة الّتي تكفّها.

وَقد كانت على سبيل المثال مريضة .Breuer.J الهستيرية الأولى، مثبّتة إلى فترة الطّفولة لعجزها عن التّجاوب مع الحاضر والمستقبل بطريقة سويّة. ما دفع.Freud.S إلى التّنبيه بأنّ كلّ مرض نفسيّ لابدّ وأن ينطوي على تثبيت، لكن لا يؤدّي كلّ تثبيت بالضّرورة إلى مرض نفسيّ، حيث هناك أمراض نفسية يمكن اعتبارها صورًا مرضيّة ناتجة عن الحزن.

يُسهّل فحص الثّثبيتات فهْمَ الأعراض العصابية والصّراعات الّتي تغذّيها، وعلاقة كلّ منها بالجنس الطفولي والموضوعات المهجورة(.Freud.S، 1916). ويرى هذا الأخير، أنّ من النّاس من تهزّه خبرة صدمية تجعله يتثبّت عليها وتستغرقه أحداثها وَدلالاتها، فيصدّ عنهم، لكنّه لا يصبح بالضّرورة عصابيّا بسبب ذلك. فالتّثبيتات، في نظر الفرويديّين، نقاط نزوية مكبوتة غير مُروَّضة، دفاعية بالنّسبة للأنا، ينكص إليها الجهاز النّفسي بتوظيف مبدأ إجبار التّكرار الآمن. كما وجد لها .Freud.S(1916) في أصولها الصّدمية، آثارًا تجتذب إليْها اللّيبيدو وتحتبس كمية طاقوية منها على الحدث المؤلم لتكشف عن توقّف في التّطوّر اللّيبيدي و حدوث تثبيت في ظلّ مبدأيْ اللّذّة واللاّلذّة؛ يُطلق عليها كلّ من .Green.A، .Guillaumin.J، .Roussillon.R، .Botella.C. et S اسم الإثارات غير المُعقلنة، الّتي يمكن أن تُكتسَح بسهولة عن طريق العواطف الهادمة.

يُعلّق .Freud.S الشّذوذ الجنسي بالتّثبيت على خصائص وأهداف جنسية طفولية أوّليّة. فالقدر المناسب من اللّمس والنّظر يعينان على بلوغ الهدف الجنسي السّويّ، ومع ذلك فقد يصبح حبّ النّظر انحرافًا وتقتصر لذّة الفرد الجنسية على التّلذّذ بمشاهدة الآخرين وهُمْ في حميمية، أوْ قد يحلّ النّظر محلّ الهدف الجنسيّ فيستعرض المريض أعضائه التّناسلية

ليرى في المقابل الأعضاء التّناسلية للآخر. كذلك الحال في السّادية وَنقيضتها المازوشية، حيث تنشأ هذه الأخيرة عن تحلّل يطرأ على الأولى وعن تثبيت لعقدة الخصاء في الاتّجاه السّلبي للجنس.

ومع التّوسّع في نظرية اللّيبيدو أصبح التّثبيت لا يقتصر على هدف أوْ موضوع جزئيّ، بل قد يشمل النّشاط المميّز لمرحلة ليبيدية كاملة فمية أوْ شرجية أوْ قضيبية. فالنّزوات السّادية تظهر في المرحلة الفمية ببروز الأسنان، وَتزداد نشاطا مع دخول الطّفل المرحلة السّادية الشّرجية عندما يكون إصراره على الحصول على اللّذّة من وراء العدوان والعناد في التّبرّز. علمًا أنّ السّادية هي امتزاج غريزيّ لنزوات ليبيدية وعدوانية صرفة، لا يكون التّخلّص من آثارها نهائيّا، بل يستخدمها الأنا على نحوٍ ما فتنشأ من ذلك السّمات الخُلقية للفرد. وإذا تعرّضت النّزوات اللّيبيدية إلى الكفّ، تعلن عن نفسها في صورة اضطرابات تصيب الحياة الجنسية فتتصرّف النّزوات حينئذ كمُثبّتة ومكبوتة تصبح مواقع ينكص إليها الأنا في الأعصبة والذّهانات وحالات الشّذوذ.

يمكن القول باختصار أنّ Freud.S. يتكلّم أحيانا عن تثبيت ظاهرة ما من مثل تثبيت ذكروي، فيكون تسجيل حقيقيّ للآثار في سلاسل من الأنظمة الذّاكرية، وأحيانا أخرى عن تثبيت اللّيبيدو على مرحلة أوْعلى نمط معيّن من أنماط الموضوعات...فتتلازم فكرة تثبيت التّصوّرات مع تثبيت للإثارة عليْها.

2- الإعتمادية و التّبعية الانفعاليّة

عَمَدَ، أقامه بأعمدة وَدعمه؛ اتّكأ وَاتّكل عليْه؛ أوْ تبعه وَ مشى خلفه وَعلى أثره. كتابتها وَقراءتها أشعرتنا ببعض الإعياء، ربّما لتقزّزنا من هذا التّصرّف في سنّنا كراشدين أو لوجود بعض منها فينا!

تعتبر التّبعية والاعتمادية باثولوجية في سنّ الرّشد ومرحلة التّناسل، لكنّها سويّة في المراحل اللّيبيدية الأولى من الطّفولة، خاصّة خلال المرحلة الفمّية إلى الأوديبيّة؛ لأنّ

الاتّكالية حينها، هو اعتماد متطرّف على آخر كبير في المساندة الانفعالية وحتّى الجسمية، لأجل إشباع حاجات الرّضيع الفيزيولوجية.

تحدّث التّحليليّون (.Freud.S، 1890، 1915؛ .Abraham.K، 1924؛ .Klein.M، 1934؛ Winnicott، 1957؛ .Fenichel.O، 1945؛ Jeammet، 1980؛ .Mahler.M، 1974...) عن مفهوم الاعتمادية والتّبعيّة من باب العلاقة القائمة بين المركز والتّابع في المجال الإقتصاديّ، وتعلّق الإشباع النّزويّ بتلبية فيزيولوجية أساسية يكتسب خلالها الأنا خصائص الموضوع للإبقاء عليْه كمصدر خاصّ للرّعاية والرّاحة، فيدمجه كأنا أعلى أو كمثال للأنا. كما اِرتبطت الإعتمادية من منظورهم بالتّخوّف من مشاعر الوحدة أوِ الهجر، مع التّوجّس من الإصابة بالإحباط أوِ الاكتئاب الاتّكالي النّاتج عن الحرمان كعرضية الإستشفاء.

تتّصل الاعتمادية بالمرحلة الفمية وما يميّزها من اتّكالية، وبنية النّرجسيّة الأوّليّة، ثمّ الشّبقيّة الذّاتية والاستدخال الهواميّ للآخر الكبير، فيصبح موضوعا داخليّا مرمّزا. وما النّكوص النّرجسيّ إلاّ تماهي بظلّ الموضوع المفقود. كما أنّ الطّفل الّذي يمصّ إبهامه ويتّخذه موضوعًا اِنتقاليّا، يبحث عن تجديد لذّة سابقة: لذّة الإستناد خاملا على موضوع نشط للرّضاع.

تكشف الاضطرابات العلائقيّة التّناسلية، يقول Winnicott، عن اختلالات مسّت هذه المرحلة بالضبط، تجسّدت في تفريط أوْ إفراط موضوع سيّئ غير آمن، صحبته حرمانات أو غيابات أشعرته بالفراغ أوِ الاختناق، أعجزته عن تحمّل مسؤوليّات أفعاله، حال الشّخصيّات البارانوية، الهستيريّة، الفصاميّة والحدّيّة. يلجأون غالبًا إلى الإدمان بأنواعه لتجنّب الإحساس بالنّبذ والفتور في علاقاتهم الموضوعية التّناسليّة. كما قد يظهر بعضهم الخمول، الثّرثرة لضمان استمرارية التّواصل والتّفاعل مع الآخر نفورًا من الوحدة، ميول انحرافية أيْضًا نحو الشّراهة في الأكل، الكلام...وقد تحدّثت .Guex.G(1943) عن الاعتمادية وباثولوجيّتها في الرّشد، فيما أسمته بعصاب الهجر.

لكن، بتطوّر نظرية التّحليل النّفسي واطّلاعها على أعمال .Winnicott ،Spitz.R وأبحاث .Klein.M حول التّطوّر النّفسيّ واللّيبيدي للطّفل، أطلقت على هذه الباثولوجية إسم متلازمة الهجر، لما لاحظته على مرضاها من مخاوف الهجر وتعبيرهم عن مشاعر اللاّأمن، بلجوئهم إلى العدوانية وإظهارهم لعلامات القلق وسوء تقديرهم لذواتهم.

3- الالتحامية

هي ميزة الشّخصيّات النّرجسيّة والحدّية على السّواء. تُشتقّ كصفة من الفعل "لاحم": الحبل، شدّ فتله؛ الشّيْء بالشّيْء، ألصقه به؛ بين الشّيْئيْن، ألزق أحدهما بالآخر. تشير في أصلها اللاّتيني *fusio* من الفعل *fundere* إلى الانصهار والذّوبان الفيزيائي والمادّي ليتقولب في/على الآخر بتلاشي حدود التّمايز.

تستوحي هذه الحالة من منظور نفسيّ، اتّحاد و توحّد الأنا مع موضوع الحبّ وَرفض الانفصال عنه: أوّليًا في الإستاندية النّزويّة اللّيبيديّة، و ثانويًا في اختبار واقع الفطام وقلق الخصاء لبناء التّفرّد و الإستقلالية. تصطبغ ببعض التّبعية العاطفيّة والاتّكالية في علاقة موضوعية تقوم على فعالية الآخر وخمول الأنا، فيحسّ أحدهما أنّه في علاقة طفل-راشد، حيث يرفض من يتّخذ الوضعية الطّفولية في العلاقة أن يكون له وجود وكينونة عاطفيّة يشترطهما في الرّاشد. ما قد يرتبط ببعض علامات نزوة السّطوة.

يُجيزها .Anzieu.D في عبارة غلاف جلدي ونفسي واحد يؤمّ كائنيْن: الأمّ وَ رضيعها ثمّ الأنا و موضوع الحبّ. تتجذّر في المرحلة الجنينية وتتأصّل خلال المرحلة الفمية حيث يصبح الرّضيع امتدادًا للأمّ وترسيخًا لخصائصها.

تجيب الالتحامية العلائقية عن حاجتيْن نفسيتيْن متناقضتيْن: تحبيذ الإستقلالية والتّعلّق بموضوع آخر في آن واحد. وتوظّف كثيرًا ميكانيزم التّماهي: لاحم الآخر، تماهى به وتقمّص خصائصه، مثلما هو حال النّرجسيّ، فتداخلت الحدود واِختلط الدّاخل بالخارج فحدث اللاّتمايز.

وعليْه، تقيم .Haineault.D.-L عرضية الالتحامية في صعوبة انفصال الأمّ عن رضيعها والعكس بالعكس، لأنّ كلّ منهما يجد في الآخر تعويضًا وتصحيحًا نرجسيّا يساعده على بناء ذاته. تتّخذ الأمّ من هذا العقد العلائقي الهلوسي معقلاً لتوريث اضطراباتها واختلالاتها النّفسية والانفعالية، اكتئابها، حرماناتها العاطفية، قلقها وتوتّرها لابنتها/ابنها. فينشأ هذا الكائن أيّا كان جنسه، حاملا لأوزارها وَأوزار من عاشرتهم في صغرها، إضافة إلى أوزاره في علاقته بها وَبأبيه، فيصبح تابعًا لها، ظلّها الظّليل، شكّلته وفقا لحاجتها منه، فهو سندها، دعامتها، بلسمها، متناسيًا من يكون، وكيف عليه أن يكون بعيدًا عنها، فيبني ذاتا مزيّفة تتقن الدّور الّذي نحتته له الأمّ على المنصّة الّتي شيّدتها أيْضًا.

تكتنف مثل هذه العلاقات الالتحامية بعض إيحاءات زنا المحارم، يقول Racamier، ما تنقصها إلاّ المباشرة الجنسية.

4- هوام المشهد البدائيّ

تشتقّ لفظة "المشهد" من الفعل شهد، شاهد التّمثيلية أوِالعرْض الّذي يجري على مرأى منه. أمّا لفظة "البدائيّ" فهي بمعنى الفطريّ، الأوّليّ والأصليّ، وهو ما كان في الطّور الأوّل من أطوار النّشوء. مصدر الفعل بدأ، افتتح، وضع أصل الأشياء وأوليّات تكوينها المادّي وتجسيدها الفيزيقي أوِ الوجودي. وفي اتّصال الكلمتيْن بمصطلح الهوام، فهي تنحصر في مشاهدة تصوّريّة تخيّليّة استفسارية لإشكالية وجود الإنسان، للإجابة عن تساؤلات من أنا؟ من أين وَكيف أتيْت؟ ما الّذي يحدث من وراء الأبواب المغلقة؟...

وعليْه، يقوم المشهد البدائيّ على الصّراع الأوديبي بين أطرافه الثّلاثية: أنا والآخر الكبير والموضوع الفالوسي، وعلى الثّنائية الضمنفسية الّتي تؤسّس لوجود الآخر بذواتنا، والأخذ في الاعتبار بالفروق الجنسية والتّطوّر النّوعي في تراكب التّماهيات. تمثّل في مجملها سياقات نفسية بحتة، تفسّر الثّنائية النّفسو-الجنسية واختلافها عن الثنائية البيو-الجنسية.

يعرّف Gantheret.F.‏(1988) المشهد البدائيّ على أنّه تصوّر لشيء يلج شيئا آخر وشخص يشاهد؛ حيث يميل المشهد والمُشاهِد إلى الالتّحامية. وهو ما يختصره الكلاينيّون في عبارة "الأبوان مجتمعان"[39].

عندما نتحدّث عن المشهد البدائي إذن، فإنّنا أوّلا نستند إلى نشاط هوامي تصويري، وإلى تلك اللّحظة الّتي تقوم فيها السّياقات الأوّليّة-الثّانويّة بتنظيم تصوّرات حول الأصل البشري، آخذة في الاعتبار، عند تجسيد المشهد، تفسير أولى العناصر الدّالة الّتي يمكن للأنا اعتناقها في بناء الجهاز النّفسي وَخوْض الحياة الجنسية.

يمتلك بذلك هذا المشهد خاصّية دامغة: بُعده الحركيّ: فهو ليس لوحة فنية جامدة بل فعلاً على منصّة التّمثيل، تصوّرًا عمّا يحدث بين جسديْن، وَبين جزءيْن منهما، بين منطقة شبقية وَموضوعها، في ظلّ لقاء يجري تحقيقه في وجود عاطفة حيوية، يقول Aulagnier.P.‏(1986)، فضاء تختلط وتتمفصل فيه النّزوات والعواطف؛ إضافة إلى اندماج كلّ من الهوامات الفمية والشّرجيّة، تشير Mac-Dougall ‏(1973)، فتتّخذ المناطق الشّبقية والوظائف الجسدية دلالة جنسية ثنائية عميقة. وضمن هذا التّصوّر الّذي يكون تارة وحشيّا همجيّا وَتارة أخرى غامضًا لغزيّا، حيث تمتزج الحركيات النّزويّة بالحركيات التّقمّصية، تتجسّد قدرات تقمّصيّة بالشّخصيّات أو بالمناطق الجسدية (القضيب أو الفتحات)، أوْ بوضعيّات أوْ حركات، أوْ إحساسات حركية وحتّى تواترات وإيقاعات (André.J.، 1995).

يمنحنا المشهد البدائي مجالا ثريّا، فهو مؤشّر عن اختيار تمفصل التّيارات التّقمّصية بالتيّارات النّزوية عبر السّريان الحرّ إلى حدّ ما بيْن عناصر الأمومة والأنوثة، وعناصر الأبوّة والذّكورة.

---

[39]- les parents combinés.

وقد أشار .Freud.S (1897) في كتاباته إلى المشهد البدائيّ كهوام يكشف عن الخبرات الصّادمة في حياة الطّفل حول العمليّات الجنسية بين والديْه، أوْ الّتي يتصوّر وقوعها فيبني لها مشهدا خياليّا، يستند استيعابه لها وَاهتمامه بها على حلّ لغز وجوده "كيف وُلدت؟، وفق ما يختبره من أحاسيس جنسية أوّليّة تجاه أمّه وَما يترتّب عليها من رغبات.

وَقد أوضح .Freud.S(1900) في كتابه "تأويل الأحلام"، إلى ما يمكن أن تثيره ملاحظة العمليّات الجنسية بين الوالديْن من أعراض حصرية سببها التّهيّج الجنسيّ الّذي تستثيره هذه المشاهد الجنسية ويعجز عن استيعابها وَالسّيطرة على الحصر الّذي تفجّره، وَمن ثمّ ينكر ما يشاهد وينفيه ويستبعد أن يتورّط فيه والداه.

وَيؤكّد .Freud.S(1918) في مقاله "رجل الذّئاب" أنّ هذا المشهد سواء كان خبرة حقيقية في الطّفولة أوْ تخيّلا له أساس من الواقع، يبقى ظاهرة عامّة عند كلّ العصابيّين وعلى الأغلب عند كلّ البشر. فهو يشمل التّخيّلات الأوّليّة اللاّشعورية، ويشكّل تراثًا ينتقل عبر الأجيال، يفسّر الطّفل الجماع بين والديه بجماع شرجيّ ضمن علاقة سادية-مازوشية يعتدي فيها الأب على الأمّ، تفسّر إخصاءها وَمعاناتها كأنثى من العدوان الذّكوري، وتبرّر بالتّالي المخاوف اللاّشعورية من الخصاء الّذي قد يوقعه الأب بابنه. كما يشمل تخيّلا آخر باعتبار الشّرج مكان الولادة، وأيْضًا مكان الجماع.

يدعم هذه التّخيّلات مشاهدات الطّفل لآليّات التّكاثر بين الحيوانات، أوْ ربّما لاستنتاجات تشكّلت من سماعه لأصوات الجماع بين والديْه في حجرة مجاورة، لا يستوعب حقيقتها إلاّ لاحقًا فتبني واقعه النفسيّ الّذي يطوّر نسيانه أو كبته العصابية و التّشبّه بأحد الوالديْن، وَتقوية الميول السّادية أوِالمازوشية وَالفروق بين الجنسيْن. كما قد يدفع بالصّغير إلى ممارسة الإستمناء، وَربّما يتخيّل العقاب وَإلحاقه بعضوه الذّكريّ عند تهديد الأبويْن له بكسر أصابعه إذا ما استمرّ في مصّه لها.

يَعْلَقُ الأفراد في هوام المشهد البدائيّ بين العجز عن إيجاد تصوّر للرّغبة في الإنجاب لدى الأمّ، وَالتّوالد الذّاتي الوهميّ للأب؛ فيستخلصون أنّهم مولودون من العدم.

يقول Aulagnier.P. "يمثّل المشهد البدائيّ نواة كلّ تنظيم نفسيّ هواميّ، تشهد على ما يعرف بالرّسم التّخطيطي للآثار الذّكرويّة...يسبق وجوده رغبة استيعاب ماهية الجماع، الرّغبة، أصله، العلاقة الموجودة بين فضائه الجسدي وفضاء الآخر في نموذج جزء من الجسد يلج في جسم آخر وَيتوحّد معه، أو نموذج لجسد ينفر من جزء يتمنّى تدميره.

يظهر عدم استدماج المشهد البدائيّ في تفضيل العمل و النّجاح المهني والتّحصيليّ، تعدّد موضوعات الحبّ، اتّخاذ موضع الدّخيل، خاصّة الفتاة، ما بين الأب والأمّ، والمعاناة راشدا، من اضطراب العلاقة الزّوجية وَالحميمية خاصّة، وهو حال المتشنجات مهبليّا. وَقد اِعتبرها أوائل التّحليليّين بمثابة السّبب الّذي يقرّ التّطوّر اللاّحق لحالة الهيستيريا. أوْ قد يولّد عدم استدماجها خواف العلاقات الجنسية[40]، وهو رهاب الحبّ وَالعلاقات الغرامية بشكل عامّ، يدلّ على خوف المرء من ممارسة الحبّ وإقامة العلاقات الجنسية.

---

[40]- Cypriphobia

خلاصة الفصل الثّاني

«La relation, c’est aussi le récit » (Maes.J.-C., 2009).

كيف تُدرك العلاقات مع الآخر في نهاية المطاف؟ علمًا أنّ الآخر، مرآة ذاتية واجتماعية يُسهّل التّعرّف عن الأنا ويشجّع التّماهي بالغير لتحصيل الرّضا وتحقيق الإنتماء (Agnetta et Rochat، 2004).

يتصوّرها الأنا من منظوريْن، ويصفها هواميًا، قد تجسّد الواقع كما قد تختلف عنه كلّية: حتمية اجتماعيّة، وَوراثة نفسية لاشعوريّة. يُحكّم المنظور الأوّل، العفّة والعذرية، العطف والحنان، الأخلاق وَالمُثل العائلية، صغر السّنّ وَالجمال، السّلطة الفالوسية وفعالية الوظيفة الأبويّة في إرساء الموانع الّتي بنت الحضارة البشرية وَرُوحها الإنسانية. وَيثير المنظور الثّاني، موروثات لاشعوريّة تصنيفية فاصلة، إحداها أنثوية وَأخرى ذكورية، تُقولب الأنا ضمن تثبيتات وَتماهيات وَإنكارات تتناقلها العلاقات الموضوعية الرّاشدة من خلال العلاقة المبكّرة بالأمّ. وعليْه، تُدرك العلاقات مقرونة دومًا بموانع تولّد عصابات نفسية تتشكّل من إقلاب النّزوات إلى الانحرافية، قد تؤسّس لحياة جنسية شاذّة.

يصفها الأنا أيْضًا كمحلّ للسّكن والسّكينة، يرتبط فيها الفرد بموضوع يختاره لاشعوريّا وعلى صورة الأمّ أو بديلها، يتفاعل معه ويتبادل و إيّاه الخبرات الحسّيّة و ما تثيره من تثبيتات، نكوصات، إحباطات، حرمانات، إلتحامية، إبتكار...وتستلزمه من ميكانيزمات دفاعية كالإنكار والإسقاط، التّقمّص والإسقاط التّقمّصيّ... صراعات وتكيّفات تذكّرنا باستنكار Lacan على Freud، حين قال هذا الأخير بإمكانية التّعايش السّلميّ بين المرأة والرّجل، فردّ عليْه Lacan، أنّ العلاقة بين هذيْن الرّاشديْن، هي سبب كلّ المشكلات النّفسية ومهد الباثولوجيّات العويصة.

تُدرك العلاقات بين الأنا والآخر على أنّها تجمع بين قطبيْن متنافريْن، يختلفان في الصّفة والقدرة والهوية الاجتماعية، فيُعيدان بعث علاقة بدائية جيّدة أوْ سيّئة، يعكسها نمط التّعلّق بموضوع الحبّ و سبب اختياره دون غيره لإشباع الحرمانات والإحباطات القبلية.

يَحضُرنا هنا ترميز رياضيّ–كيميائيّ للتّمفصل العلائقي بين الأنا والموضوع المبكر وموضوع الحبّ لاحقًا: يتوسّط الموضوع المبكر حلقة دائريّة، تتّخذ الأنا منها نقطة وجود في صفة إلكترون، تثير مسالك دورانية لامتناهية حوله، دون أن تبلغه. لكن قد تلتقي أثناء مساراتها بإلكترون من تركيبة أخرى تتّصل به فيشكّلان معًا جزيئية متفاعلة الإلكترونات مع وجود النّواة (الأمّ/البديل) الخاصّة بكلّ واحد منهما.

ذلك هو أساس ومنطلق ومنتهى العلاقات الموضوعية: يقدّم الأوّل العوامل البيونيّة α الّتي تتحوّل إلى العوامل β تعكس نوعية تدخّل موضوع الحبّ وطريقة تفعيله للعوامل α. يضع الموضوع المبكر الأسس التّفاعليّة و يرسّخ العادات العلائقية، ويصقل الثّاني ملكاته وفق متطلّبات العلاقة بالشّريك. يقيم كلاهما مشروعًا ثنائيًا يبني اللّقاء بين الأنا والآخر، تحرّضه نزوات الحياة، يحوّل الثّنائية فرد–موضوع إلى رابط مقدّس يحاول طرفاه تجاوز تراكمات الماضي الّتي جمعتهما، أو يطويان صفحاته ويولّدان تاريخًا جديدًا، فتتجسّد العلاقة وتدوم زمكانيًا.

يعمل الرّابط البيونيّ القائم بين الأنا و موضوع الحبّ كمؤشّر تنظيميّ وَدفاعيّ ضدّ كلّ ما قد يهزّ كيانه. يكون في وظيفته تلك واعيًا، يقوم على اتّفاقيّات شعورية وأخرى لاشعورية تحتضن المكبوت وَتُبقيه خفيًا حتّى لا تفشل العلاقة وينحلّ رابطها. يصبح الآخر حينئذ حاضنًا لما تسقطه الذّات من جزئيّات أكثر بدائية على الغير، بعدما تنكّرت للأنا واحتلّت العلاقة الرّاشدة تحت ما يصطلح عليْه الطّرفان بالتّواطئ، حيث يقبل كلّ منهما تطوير أجزاء من ذاته تتوافق واحتياجات الطّرف الآخر، بينما يمنع كلاهُما تطوّر البواقي من

ذواتيْهما فيسقطانها على الشّريك[...] معتمديْن آليّات دفاعية تتمثّل في المثلنة، الإنشطار، لكن وقبل كلّ شيْء التّقمّص الإسقاطي (Nicolo،1990).

تُدرك العلاقة الموضوعية أيْضًا، وفي منظورها التّحليليّ خاصّة، رابطة بين النّزوة وَموضوعها، يحفّزها البحث عن خفض التّوتّر النّزويّ "خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليْها"، موضوع تناسليّ لإشباع إزاحات الأنا الجنسية عن الموضوع المبكر. وقد تساءل Fairbairn يومًا عن مستهدفات اللّيبيدو: اللّذّة أم الموضوع. والآية خير مجيب: يلعب الأنا دور الفرد بينما يقوم الآخر مقام الموضوع يستثمره لتحصيل النّرفانا وتحقيق التّوازن النّفسي على مستوياته الثّلاثة: الاقتصادية، الدّينامية والموقعية.

هي علاقات بين–ذاتية (Trevarthan et Hubley، 1978)، أساسها التّوافق العاطفي والتّعلّق، يشير Stern.D.(1997)، توظّف الخبرات والتّجارب من الأحداث والأشياء وتتعايش مع امتلاك القدرة على الشّعور بالآخر. فالتّعلّق والخاصّية بين–الذّاتية، يضيف Stern، نسقان تحفيزيّان أوّليّان ومتكاملان في إقامة الرّوابط البشرية، خاصّة بين الأمّ والطّفل، تنشّطها أوْ تعطّلها وظيفتهما التّنظيمية. فلا يمكننا الحفاظ على الذّات إذا لم نتفاعل مع الآخرين.

تقترح Karlen Lyons-Ruth، أنّ القدرة البشرية على بين–الذّاتية شرط إنسانيّتنا ووظيفة أساسية للعقل وَتطوّر الحياة الذهنية، وبناء ملكة الإدراك، عبر التواصل الجسديّ للأنا مع أجساد موضوعات العالم الخارجي. فإدراك علاقتي بالآخر هو إدراك للثّنائية الّتي أشكّلها معه، وتحويل لنواياي تجاهه و لنواياه تجاهي، تعاطفي وتعاضدي معه، خضوعي أحيانًا له وَإمتثاله لمطالبي أحيانًا أخرى، تصرّفات متبادلة تيسّر إدراك موضوع الحبّ وَنوعية العلاقة الّتي أقيمها معه (Merleau-Ponty، 1967).

حينئذ، يصبح الآخر مرآة ذاتية أوِ اجتماعية يسهّل التّعرّف على الأنا ويشجّع التّماهي بالغير لتحصيل الرّضا وَتحقيق الإنتماء(Agnetta et Rochat، 2004).

الفصل الثّالث: التّشنّج المهبليّ

« (Le Ça), *est la partie la plus obscure, la plus impénétrable de notre personnalité. [Lieu de] Chaos, marmite pleine d'émotions bouillonnantes. Il s'emplit d'énergie, à partir des pulsions, mais sans témoigner d'aucune organisation, d'aucune volonté générale; il tend seulement à satisfaire les besoins pulsionnels, en se conformant au principe de plaisir. Le Ça ne connaît et ne supporte pas la contradiction. On n'y trouve aucun signe d'écoulement du temps »* *(Freud).*

«Dans la maison de votre corps, les murs ont tout entendu et jamais rien oublié. Ces murs, ce sont vos muscles. Dans les raideurs, les crispations, dans les faiblesses et dans les douleurs des muscles de votre dos, de votre cou, de vos jambes, de vos bras, de votre diafragme, de votre cœur, et aussi de votre visage et de votre sexe, se révèle toute votre histoire, de la naissance jusqu'à aujourd'hui » *(Bertherat.Th.).*

« Pendant que la philosophie soutient l'édifice du monde,
la faim et l'amour en forment les rouages » (Schiller, *Les sages*).

تمهيد

"القارّة السّوداء"، "الهستيرية"، "القناة المظلمة"، "المازوشية"،...نعوث أنثوية فرويدية جعلت المرأة في مرتبة الدّونية مقارنة بالفالوس، تشعر بها حتّى في العلاقات الحميمية، ما يولّد اضطرابات وتشنّجات هستيرية.

تشنّجَ، يتشنّج، أصابت الشّخص انقباضات عنيفة لاإرادية تمنع الأطراف والأعضاء من الانبساط؛ أي جعله مرتعشًا، مرتبكًا، متقبّضًا متقلّصًا. لغة عربيّة ثريّة تصف في مدخلها الحالة قيّم الدّراسة.

كلّما رنّت أصداء كلمة "التّشنّج" على مسمعنا إلاّ وتحسّسنا وقعها الضّمنفسي علَيْنا، وتذكّرنا كم كان عسيرًا علَيْنا أن نصل إلى هذا الفصل حتّى شُبّه لنا الوقوع في تشنّج سببه ربّما، ضدّ تحويل منهنّ يعكس صعوبة تجاوزهنّ مرحلة الانبثاق وقبول الانفصال عن موضوع يعزّ عليهنّ فراقه ويفتح لهنّ مجال الممارسة الفعلية لحياتهنّ كنِساء وكإناث خاصّة!

استحضرنا في هذا السّياق، اللّوحة الأولى من اختبار تفهّم الموضوع: عجز وظيفيّ أمام موضوع راشد سببه قلق الخصاء وقلق فقدان الموضوع. كما استثارت فينا عدّة تساؤلات حول أسباب التّخوّف من العلاقات الحميمية ومخلّفاتها من العجز والنّفور وصياغة صفتيْ الدّنس والنّجس وحصرها في اللاّلذّة والألم؛ واسترجعنا مقولة الإمام عليّ (كرّم الله وجهه) الّتي ترى أنّ المكبوت منفلت من زمام الرّقابة، وَلو في صورة مقنّعة، طال الزّمن أو قصر، حيث ما أُضمِرَ سرّا، يقول، إلاّ وَظهر على صفحات الوجه وفي فلتات اللّسان، نضيف، وفي لغة الجسد و تشنّجاته.

عبارة تختصر قاعدة النّظريّة التّحليلية حول آثار نوعية التّعلّق بالأمّ على العلاقة الموضوعية التّناسليّة، وقوْل اللاّكانيّين بعدم وجود علاقة جنسية، بل تحقيق الحصول على الموضوع المفقود فقط: الفالوس.

ترتبط الجنسانية في ذات المنظور، على غرار الوظائف الفيزيولوجية الأخرى، بالثّنائية التّحليليّة المتمثّلة في اللّذّة_اللاّلذّة، الجيّد_ السّيّئ، الجزئيّ_الكلّيّ ، الأنا_الآخر، الموضوع المبكر_موضوع الحبّ، الكراهية_الحبّ، التّعلّق_الانفصال، الالتحامية_الاستقلالية... وغيرها من الثّنائيّات الّتي تتجذّر في العلاقة بالأمّ/بديلها لتعبّر عن كنهها في العلاقة التّناسلية الرّاشدة باستثمار المناطق الشّبقيّة الجسدية عبر وظيفتيْها المتعاكستيْن والمتكاملتيْن الاستدخال والإسقاط، بخاصّيتيْ المازوشية والسّادية و دلالاتها الضمنفسية وبين_الشّخصيّة.

بلغت هذه الوظيفة اللّيبيديّة قدسيّة جعلت منها صلب ومنبع ومؤسّس العلاقات الموضوعية ضمن شرعية اجتماعية عبر_جيليّة تدحض اللّذّة وتشّجع على توظيف مبدأ الواقع لأجل الحضارة البشرية: كبت، تأجيل، إزاحة، إنتقالية، مثالية...كلّها ميكانيزمات تقمع النّزوات الجنسية وتكرّس نزوات حفظ الذّات. وكأنّنا نميل إلى أن نؤكّد: كلّ هذا ونلوّم على النّساء أن يكنّ متشنّجات مهبليّا!

جميعنا يتداول عبارة، اِعتمرت الأرض بالتّكاثر، واستمرّت الحضارة بتأطير عمليّة المعاشرة ضمن كيان عائليّ محصّن؛ لكن نادرًا ما تلمّح الفالوسية الحاكمة إلى اِرتباط هذه العمليّة باللّذّة وحسن المعاملة، بل تقرنها بالإنحرافية وأمراض السّيدا أو النامفومانيا، حيث تنحصر المرأة ضمن صفة التّيار الجارف الّذي يحتّم ضبطها النّزويّ خصاءها الرّمزيّ وفق آليات الرّباط، المنسج، التّشليح بالموسى، القفل (الكاضنة)...تقنيات بدائية تقليدية تتحكّم في جسد المرأة وتُبلّغها فكرة أنّ جسدها ملك اجتماعيّ لا ذاتي، يعكس أخلاقيّات العائلة الّتي ترعرعت فيها، صرامة الأب أو الإخوة، جدّية الأمّ وتأديتها

الصّحيحة لمهمّة توريث السّلطة الأبوية...وتُحمّلها خاصّة الجُرم الأكبر: إخراجها لآدم من الجنّة بإغوائها له، وإشعارها بالذّنب.

لقد ألهمت الجنسانية والحميمية العديد من الفنانين والمفكّرين والفلاسفة وحتّى النّفسانيّين، فأطلقوا العنان لمكبوتاتهم في معالجة موضوعاته بالرّسم والموسيقى واللّوحات الزّيتية، فقد شيّد الملك "تاج محال" تمجيدا لحبيبته، ودُوّنت الأشعار تكريسًا لقصّة "مجنون ليلى"، وقطعت النّسوة أيديهنّ وأطمثت انبهارا بجمال يوسف(ع)...

أمّا نفسانيًا، فمنذ أكثر من ثلاثة عقود ولّت، اهتمّت هذه العلوم بالعلاقات الزّوجية والنّشاطات الجنسية، وكانت أولى محاولات دراسة السّلوك الجنسيّ علميًا، تقرير Kinsey. تبعتها مع أواخر الستّينيّات، الانطلاقة الفعلية للبحث في الجنسانية بنشر دراسات حول باثولوجيّات النّشاطات الحميمية واستراتيجيّات معالجة اضطراباته الوظيفية على يد طبيب النّساء Masters والمختصّة النّفسانية Johnson. فتوصّلت معظم الدّراسات إلى افتراض جذور هذه الباثولوجيّات في صرامة القواعد الثّقافية والمعاملة الدّونية للمرأة والتّكتّم على العلاقات الحميمية و ربطها بالعار وما لا يجب الحديث فيه.

هذه ثقافتهم، لكنّ ثقافتنا الحميمية تغطّيها آيات كريمة تسنّ قوانين السّكن والمعاشرة الطّيّبة للنّساء أنّى شاء الطّرفان. وَقد أُلّفت على منوال هذا السّرد العديد من الكتب في الجنسانية عند العرب خاصّة في العصور الوسطى من أمثال: الرّوض العاطر في نزهة الخاطر (النّفراوي أبو ع.الله، ق15)، الوشاح في فوائد النّكاح (السّيوطي جلال الدّين، ق15)، رجوع الشّيخ إلى صباه في القوّة على الباه (أحمد بن سليمان، ق16)، تحفة العروس ومتعة النّفوس (التّيجاني التّونسي.م.، ق15)؛ وَأحدثها، كتاب الحيوان (الجاحظ، 1965)، نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب (التّيفاشي.أ.، 1992)، الجنسانية في الإسلام (بوحديبة ع.الوهّاب، 2000)، كماسوترا العرب (شبل.م.، 2006)...مضامين فصيحة صريحة تختلف عن مكبوتات الذّهنيّات الفردية وحتّى الجماعية الحالية وعمّا أشار إليْه الدّين: عاشروهنّ بالمعروف؛ وآتوهنّ من حيث أمركم الله؛ خلق لكم من أنفسكم أزواجًا

لتسكنوا إليها...و فيها نزعة إلى السّطوة، نوع من السّادية، أنانية الذّكر...واقعيّات تزيدُ من استنكار النّساء لهذه الوظيفة الفيزيولوجية، وتميل بنا إلى تفهّم وضعية المتشنّجات وتخوّفهنّ من اختبار تجربة واقع الكبار بالإنتقال إلى المرحلة التّناسلية بالتّماهي بأمّهاتهنّ في التّعبير عن أنوثتهنّ.

أن تصبحي امرأة، يضيف إلى فطرية الولادة اكتساب معرفة قبلية مبكّرة بالتّشريح الأنثوي و أنتِ بنتًا، سيْرًا على خطى الرّجل الّذي ربط فحولته بامتلاك الفالوس؛ وكذا تقبّل الفرق الجنسيّ، مع التّحلّي ببعض المرونة...وخصال أخرى قد تزيل الانقباض وتزيح الانزعاج و تعفو عن كثير، لنا أن نكتشفه في الصّفحات المتتالية من هذا الفصل.

I- ماهية الجنسانية و التّشنّج لغة و اصطلاحا

على غرار الفصول الأولى افتتحنا هذا الفصل بالدّلالة اللّغوية لمصطلحيْ الجنسانية والتّشنّج لما تكتنفه المصطلحات من معاني تتماشى وتوظيفها الميداني في الحياة اليومية.

1- ماهية الجنسانية و التّشنّج لغة

نحبّذ قبل البحث في الدّلالة اللّغوية للمصطلح، أن نجيب عن تساؤل شغلنا: أنقول، جِنس أم جنسانية؟ يجيبنا الجَوْهَرِيّ عن ابنِ دُرَيد، أنَّ الأَصمعِيَّ أشاع استعمال لفظة "الجِنْس" من لُغات العامَّةِ؛ هذا التَّغليطُ هو نَصُّ ابنِ فارِس نُقِلَ عن هذا الأخير الّذي كان يَدفَعُ قولَ العامّةِ، وهذا ليس بعربيٍّ صحيح، إنَّه مُولّدٌ وقولُ المُتَكَلِّمينَ. والجِنس بالكسر، أعمّ وأشمل، ويدلّ على الأصل، ذكرًا كان أمْ أنثى، جمعها أجناس وجنوس، كما يقال عند المنطقيّين، جنس الحيوان، والنّوع البشريّ.

وتشير كلمة "جنس" حسب(1949)Mead.M. و (1972)Oakley.A. إلى الفروقات البيولوجية بين البشر، من جهة، وتُستعمل من جهة أخرى بمفهومها عبر–الثّقافي في التّصنيف الاجتماعيّ للمذكّر والمؤنّث من الأدوار الاجتماعية الّتي تُنسب إلى الرّجال والنّساء، أوْ إلى ما يُطلِق عليْه علماء الاجتماع إسم "علاقات الجنس الاجتماعيّ"، على

منوال ما تَشرَحُه النّظرة الدّروينية، من أنّ كلّ جنس يُطوّر بحسب الأدوار التي تُنسب له، مهارات وعلاقات مختلفة بالعالم: فتتقن الفتيات اللّغة مثلاً، بينما يتمتّع الرّجال بمهارات فيزيائية أفضل وبحسّ أقوى في التّوجّه. كما تعلّق الجنس في مدوّنات اللّغة بالمعنى الأخلاقي دون أن يأخذ بالدّلالة الّتي يتضمّنها مفهوم الجنسانية، فهو النّظير والمشاكل والنّوع.

أمّا الجنسانية، فهو مصطلح يتكوّن من جذر ثلاثيّ الحروف "جَ.نَ.سَ"، ليدلّ على نضج التّمار في كلّيّتها فصارت من جنس واحد، أي على صفة مظهريّة واحدة. أمّا فعلها فهو، جانس، جناسًا و مُجانسة، الشّخص، شاكله واتّحد معه في الجنس؛ ومنه فلان يجانس البهائم ولا يجانس النّاس، إذا لم يكن له تمييز ولا عقل؛ تجانسَا إذن، اِتّحدا في الجنس، ومنه "ومع التّجانس التّآنس". تنطوي الجنسانية على خلاف الجنس، على التّواصل والاتّصال بين الأفراد بمنح معنى أوْ قيمة لسلوكاتهم وَ واجباتهم وَ ملذّاتهم، لأنّهم ذوات راغبة أوْ ذوات "جنسانية" تتعرّف على حقيقتها بالاتّحاد فيما بينها في ظلّ محدّدات الطّهارة وَتهذيب النّزوة.

فيما يخصّ مصطلح "التّشنّج"، فهو مصدر الفعل تشنّج، لفعله المجرّد، شنِج، شنجًا، وَأشنج، وَتشنّج وَانشنج، الجلد، تقلّص من حرّ أوْ برد، فالجلد شنجٌ؛ تشنّجت عضلاته، تقبّضت وتقلّصت. تغطّي دلالاته الطّبيّة نفس المعنى، فيقال، تشنّج الشّخص، أصابته انقباضات عنيفة لاإرادية تدلّ على استجابات عضوية قد تكون مرتبطة بأفكار أوِانفعالات نفسية.

- **ماهية الجنسانية والتّشنّج في قواميس العلوم الإنسانية وعلم النّفس التحليليّ**

يحتمل مصطلح الجنسانيّة من الوضوح والفهم في الظاهر ومن التّعقيد والغموض في الباطن ما يستوجب ضرورة إعادة النّظر فيه والبحث في إجرائيّته، الّتي تتعلّق في معظمها بالتّصوّر الفلسفي والمفهوم الأخلاقيّ وتأثيره الحضاريّ. فارتبط مدلول الجنسانية بالسّيطرة على توظيفها عبر محدّدات الطّهارة وطقوس التّشريع لها وتقنينها

بتقعيد اللّذّة و اِستثمارها ضمن مؤسّسة الزّواج، وتجنّب المحرّمات الجنسيّة المنصوص عليها في المنظومة الدّينية والأخلاقية والنّفسية. فقد صادرت الأسرة الزّوجية العلاقة الجنسية، و سنّتها كعلاقة تكاملية بين الذكر والأنثى هدفها تحقيق غايات إنتاجيّة وإدماج جدّية الوظيفة الإنجابية (Foucault.M.، 2004)؛ وأصبح الزّواج المنتج على إثرها يمارس سلطته ويقدّم نفسه نموذجا يمتلك الحقيقة، أمّا ما عدا ذلك فهو ضرب من ضروب "الجنسانية المتوحشة".

تعود الاستعمالات الأولى لمصطلح الجنسانية في ارتباطاتها بالعلوم الإنسانية إلى أواخر القرن السّابع عشر. وقد بدأ الأمر في أوساط الطّبّ النّفسيّ، حيث أصدر الطّبيب النّفسيّ النّمساويّ van Krafft-Ebing.R.(1886)، مصنّفه حول الباثولوجية الجنسية والأعراض المرضيّة للجنسانية، إذ أطلق Minert.T. عام 1889، فرضية أن يكون لبعض المواقف المعاشة منذ الطّفولة المبكّرة أثرها في خلق انحرافات جنسية لاحقًا.

وفي أوائل القرن التّاسع عشر استُخدِم مصطلح الجنسانية للدّلالة على طرق التّواصل بين الذّوات الفردية على أساس الملذّات بهدف تعرّف الأنا على الآخر. أمّا Thinès.G. et Lempereur.A.(1975) فيشير في قاموسه العامّ للعلوم الإنسانية، إلى الجنسانية بمجموع الأفعال ومظاهر الشّغف الّتي تبحث عن الإشباع الجسديّ لأنّها لا تمسّ ماهو تناسليّ فقط، بل على غرار الجوع والعطش...هي حاجات حفظ الذّات أيْضًا تُستثمر وفق ما أطلق عليه التّحليليّون بنظرية الإستناد. وهي تحدّد في نفس الوقت المصير الإنساني، مثلما تلمّح له مقولة de Beauvoir(1949)، لا نُولَد نساءً بلْ نصبح كذلك؛ مصير لا يتوقّف على النّمو والتّطوّر التّشريحيّ، بل يخصّ أيْضًا التّمايز النّفسي والتّفرّد الذّاتي، وإستقلالية الأنا عن الموضوع، على نحو ما تشير إليه الجنسانية في إيثيمولوجيّة لفظتها الأجنبية sexualité.

تُشتقّ هذه اللّفظة من اللاّتينية sexualis, sexus بمعنى secare، أي "قطع، قسم"، وَفصل أحدهما عن الآخر، وَهو يعادل مدلول ما تكتنفه كلمة الخصاء الفرويدية؛ وَبمعنى اللّفظة

اللاّتينية sequi، أيْ "رافق، صاحبَ"؛ أوْ قد تكون من لفظة hexis، وَيُقصد بها "طريقة كينونة، حالة وجود" بدءًا بعقدتيْ الأوديب وَالخصاء، وَقلق فقدان الموضوع الجزئيّ أوِ الكليّ الّذي يصحب الإنفراد. حسب هذه الدّلالة، تقوم الجنسانية على الانفصال الأوّليّ بهدف بناء كينونة وجودية أساسها المرافقة والمصاحبة.

أمّا التّشنّج، فيفسّره ذات العالميْن، بانقباضات لاإرادية مؤلمة؛ وهو مهبليّا، تقلّصات لعضلات تَضيقُ تعبيرًا عن استجابة سلبية لمشاعر اللّذّة وَ رفض الشّريك.

2- ماهية الجنسانية وَالتّشنّج اصطلاحًا

يطغى على الجنسانية منذ الأزل مُعتقد الإثم وَالخطيئة المرتبطيْن بعدم ضبط شهوانية المرأة. وَتعلّقت هذه الوظيفة بمخاوف اهتمّ النّفسانيّون برفع الوشاح عنها، لتخفيف مشاعر الذّنب عن الأنثى، وَإجازة أحقّية الاستمتاع، لأنّها، على غرار غيرها من وظائف الجسد الحيوية، وظيفة فسيولوجية وتجربة ذاتية يحرّضها البحث عن اللّذّة وَبلوغ النّشوة ضمن حميمية بين-شخصية وَضمنفسية، تجمع شخصيْن راشديْن، يخضعان في اختبار هذا الواقع لمختلف المعارف والأفكار والمعتقدات والهوامات والمكبوتات التي قد تؤثّر بالسّلب أوْ بالإيجاب على تفاعل الثّنائي في ظلّ الاستجابة الجنسية ل/وَ من موضوع الحبّ.

يتّفق العلماء بمختلف تخصّصاتهم النّفسية، البيولوجية، الاجتماعية، والثّقافية، والأنثربولوجية، على أنّ الجنسانية مداعبات جسدية حميمية شبقية وإنتشائية، تمتلك القدرة على تهدئة، تخفيف، تحسين الحالة المزاجية، صدّ الاكتئاب، تعديل نبضات القلب وحتّى تقوية نظام المناعة (Ross، 2001؛ Light et al.، 2005). يعتبرها Kraff-Ebing (1895)، أقوى عامل تحفيزيّ للوجود الفردي والاجتماعيّ، وأشدّ باعث و مستنفر للقوى، وَمُحرّض لملكة التّملّك، تأسيس عائلة، وَبعث مشاعر غيريّة تتمثّل أوّلا في العطف والحنان على موضوع الحبّ ثمّ الأبناء ثمّ أفراد الوسط الاجتماعيّ. وعليْه، يمكننا القوْل

أنّ الأخلاقيّات، وحتّى جزء كبير من الجماليّات والدّين، هي نواتج ظاهرية لمقصد جنسيّ كامن.

تُعرّف الجنسانية عمومًا، على أنّها وظيفة حيوية تستثمر نفسيّا وبيولوجيّا بطريقة تكاملية تفاعلية بين الأنا والآخر(Gilles،2003)، بهدف التّكاثر أوّلا والاستمتاع ثانويّا، علمًا أنّ الأولى ممجّدة في المجتمع واللاّشعور الجمعي، لأنّها أساس الإبقاء على السّلالة البشرية، بينما تنبذ وَتحقّر الثّانية لدرجة ربطها بالمومسات والغاويات من النّساء.

أمّا أكثر كُتُب الطّبّ النّفسي، فتشير إليْها بالسّلوك الّذي يستهدف الاتّصال الجنسيّ التّناسلي عن رضا وطواعية بين راشديْن واعييْن(Shildon، 1972). في حين، يرى فيها Freud، مجموعة من حركات الرّغبة والبحث عن اللّذّة للتّخلّص من الانزعاج والضغوط النّاجمة عن النّزوات الجنسية، بهدف حفظ الذّات والتّصريف التّلقائيّ للتّوتّر النّفسيّ الفسيولوجي النّاشئ في العضوية. كما اعتقد أنّ جذور السّلوك البشري ومنشأه جنسيًّا الطّاقة، و من ثَمّ، فإنّ التّربية الجنسية الخاطئة، حسبُه، والكبت واللاّشعور والأنا الأعلى، هي مثبّطات لهذا السّلوك، تدعمه سيطرة فكرة تقييمية اجتماعية للعلاقة بالآخر، وَرغبة جنسية موجّهة نحو شيء أوْ موضوع بل ونموذج معيّن من العواطف الّتي يجب أن تكون مقبولة اجتماعيّا أيْضًا.

ترى Klein.M. في الجنسانية، إعادة انبعاث للعلاقة بالثّدي في شكله المُبْكِر لموضوع سيّئ أوْ جيّد، وَدخولها تحت تأثير الوضعية الاكتئابية وَ رغبة في تجاوز حزن الانفصال عن الأمّ أكثر من البحث في تخطّي عقدة أوديب.

وَلذلك تعرّض Freud جرّاء هذه الأقاويل إلى الانتقاد من المجتمع الأوروبي الفيكتوري المتميّز بالحياء والنّفور من كلّ إشارة إلى الجنس أو الإثارة.

أمّا التّشنّج فهو انقباض لاإرادي لعضلات المهبل تمنع إيلاج أيّ موضوع تدركه المرأة غريبًا عن جسدها. وَمن أهمّ أحد محرّضاته، غياب تصوّر ذهنيّ للعضو الأنثوي التّناسلي وأيّ إحساس بوجوده الفعليّ وكأنّها لا تمتلك واحدًا.

يُحدث التّشنّج المهبليّ تغييرًا عميقًا في مخطّط الجسم، يصحبه تخوّف من إدراك الثّقوب والفتحات، إذن، وَمن الإختراق، يشرك الشّخصية بأكملها في إنكار الأنوثة. يرْبِطُه (Scarfone، 1999)، مثل غيره من الباثولوجيات الوظيفية في الجنس باضطراب في الجنسانية الطفلية المثبّتة على الحرمانات مثل الاحتضان وَالحمل بين ذراعيّ الأمّ صدّا للمثيرات α الخارجية وَتهدئة توتّراتها الدّاخلية. فغياب هذه الوظيفة قد يحرّض البحث عن إشباع هذا الحرمان في اختيار موضوع الحبّ أكثر من الوظيفة الجنسية. ومن هنا فإنّ أكثر الباثولوجيات إنتشارا هي ذات إشكالية نرجسية مجرّدة من جنسانيّتها. وَهذا التّجريد النّزوي للموضوع أليس تشجيعا للشّبقية الذّاتية بعيدا عن الأهداف الجنسانية التّناسلية؟

II- ماهية الجنسانية في الثّقافة العربية

هو عنوان أردناه، والّذي يليه، تاريخيّا واصفًا أكثر منه تحليليّا نفسيّا. يعكس صورة عن تاريخ ورثناه لاشعوريّا، وَعبر-جيليّا، عملت النّسوة على صيانته وَنقله، وَسعى الرّجال إلى اختيار هذا النّوع من المؤنّثات لأجل ذاك الغرض. فكان من المطالعات هذا الّذي بين أيدينا:

لقيت الجنسانية على غرار غيرها من معارف الحياة اهتمام العلماء العرب والمثقّفين وَخاصّة أئمّتها، فقد تحيّنوا الكتابة فيها رغبة في التّحصين و حفظ كيان الأسرة. فجاءت التّناولات في المسألة الجنسية من منطلق التّأسيس للثّقافة العربية الإسلامية والتّشريع للسّلوك والأخلاقيّات الاجتماعيّة، وَالتّلميح لأهمّية المرأة بالنّسبة للرّجل. وَما يشهد عليه الكتّاب في هذا الباب هو انشغالهم بواقع أدمج هذه المسألة ضمن النّظام الدّيني بكامله، وَأقرن الشّهوة بعقدة النّكاح، وَقنّن علاقة الزّوج بزوجه، وَتصوّر الجسد المقدّس في بلاغة قرآنية توسِم النّساء بأرض خصبة صالحة للحرث، ضمن علاقة محكمة منضبطة

بين المتعة والإيمان، تُدرك الجسد أداة دالة تجذّرت في الفرد في صورة المشيئة الإلهية: تعمير الأرض.

نظرة لم تغفل تلك الرّؤية الحداثية للجسد كموضوع للغرائز والشّهوات، على أن يُحوّلها إلى فعل اجتماعي وقدسيّ يؤسّس الحضارة البشريّة. وعليْه، يأخذ الحديث في الجنس مهمّة إلغاء تلك الأنشطة غير المنتجة القائمة على المُتع الهامشيّة ليتسامى بها دينيّا (سامعي-حدادي.د.، 2007)...

يشهّر المنظّرون وحتّى العامّة من الغربيّين لجنسانية العربيّ من خلال كتاب ألف ليلة وَليلة، وأبي نوّاس، فيتصوّرون هذا الإنسان الشّرقيّ في شخصية زير نساء، يقطن منطقة شرقية أنثويّة وخصبة، ويؤتي إناثًا لا قِبَل له بهنّ. حيث أنّ الزّائر لحرمه سيجده يعجّ بالحسناوات والغلمان و المخصيّين من الحرس. شخصية وصورة عن العرب يلخّصها المستشرقون في ثلاثة رموز أساسية: المرأة الشّهوانية، الحريم والحاكم المستبدّ.

إنّ المطّلع على أدبيّات بناء الحضارة العربية يجدها تزخر بأمّهات العلوم وَمحرّكات التّطوّر؛ كما يجد ضمنيّا مؤلّفات وَكتابات عن مواضيع الحياة الدّنيويّة، أمور الجنس والحبّ الّتي شغلت الحيّز الأكبر من أشعارهم وَفنونهم وَآدابهم وَقصصهم الشّعبية، حتّى ليستوحي القارئ لها نوعًا من الحرّية الجنسية لكنّها مؤطّرة سابقًا بنخوة الرّجال وَاستعفاف النّساء، وَمقيّدة في عهد الإسلام بنصوص قرآنية وَأحاديث نبوية تنصّ على آليّات المعاشرة وَإبتغاء شهوات النّفس وَالجسد، داخل أطر مجتمعيّة لا تسمح لأيّ فرد، ذكرًا كان أوْ أنثى أن يعيشها قبل الزّواج، "فالحرّة لا تزني"[41] والتّعرّف على الآخر يكون بعد الارتباط به، يقول قانون المجتمع العربي.

---

[41]- حديث في مبايعة هند بنت عتبة بن ربيعة، لمّا أشار الرّسول(ص): و لا تزنين، فاستطرقت: أو تزني الحرّة؟ لقد كنّا نستحي من ذلك في الجاهلية، فكيف في الإسلام؟، رواه المفسّرون للآية 12 من سورة الممتحنة، عن عائشة (رض).

وَهذه المتعة الّتي يتحدّث عنها الدّين هي حقّ للنّساء مثلما هي من حقّ الرّجال. فقد جاء فيها على لسان الغزالي(1970)، أنّ رسول الله(ص) قال مخاطبًا أصحابه، وَرجال المسلمين: لا يقعن أحدكم على اِمرأته كما تقع البهيمة، وليكن بينكما رسول. قالوا: و ما الرّسول يا رسول الله؟ قال: القبلة والكلام. وفي حالة ما إذا كان هناك ممّن يعزُف عن تلك المُتَع، فعليْه بالتّسامي بها عبر الصّوم و العبادة والتّفرّغ للمعرفة وطلب العلم.

تخضع مجمل سلوكيّات الحياة الجنسية لجدليّة الطّابع الإزدواجي، الّذي يتأرجح بين ماهو حلال وحرام، وَبيْن ماهو مسموح وممنوع، بين المرغوب وَالمحظور، مع الميْل الحتميّ، بعيدًا عن تلفيقات ألف ليلة وَليلة، إلى الشّقّ الأوّل المحبّذ من كلّ ثنائية، إلاّ في واحدة، الإتيان من الدّبر، فهو خاصّ بالبهائم.

وَمن الأفكار الّتي تفوّقت فيها العلوم الإسلامية على العلوم الغربية فيما يخصّ الجنسانية هي الفكرة القائلة بأنّ الإشباع الجنسي على عكس الكبت الجنسي يساعد على العمل وَالتّفرّغ لأمور الدّين وَالدّنيا. فهو يعين العقل، يقول الغزالي، على التّفرّغ إلى المعرفة، بعدما تُصرف الطّاقة الجنسية وتُشبع فلا تثقل الرّوح ولا تشغل الذّهن عن المعرفة وعبادة الله؛ فالإشباع الجنسيّ: "ترويح للنّفس وَإيناس لها بالمجالسة والنّظر والملاعبة، إراحة للقلب وتقوية له على العبادة، فإنّ النّفس ملول، وهي عن الحقّ نفور، لأنّها على خلاف مع طبعها، فلو كلّفت المداومة بالإكراه على ما يخالفها جمحت وَثابت، وإذا روّحت باللّذّات في بعض الأوقات قويت ونشطت، وفي الإستئناس بالنّساء من الإستراحة ما يزيل الكرب وَيريح القلب"(الغزالي، 1970، ص698).

عُرف عن رجال العرب في جنسانيّتهم أيْضًا، حبّهم لأبكار النّساء، باعتبار العفّة قيمة أساسية في الأنثى المُكتمِلة الأوصاف، تزيد من شهوانية الرّجل، وَتمنح العلاقة الحميمية بُعدها التّدشيني، عبر الحركة الأولى الّتي يلتقي عندها كلّ شيء، يقول شبل (2010)، حيث يجد الرّجل في بكارة الأنثى تلك البنية العصيّة، "ذلك الشّيء ما" الّذي لم يعد ملموسًا بالنّسبة إليْه، وَلكنّه يستشعره بداخله: إنّه التّدشين المُطلق. حتّى أنّ أثرياء العرب

وَ وُجهاءَهم كانوا إذا ما استوفت جارية شرط البكارة، دفع الرّاغب منهم بشرائها أضعافًا مضاعفة للحصول عليْها، لا لمزاياها الجمالية، بل لمجرّد أنّها بكر، لم تكشف عن نفسها لأيّ رجل، حجبها ذووها عن الأنظار، فلم يدنُ منها أحد.

يستهدف هذا الإنتقاء حسب المنظّرين من العرب كالغزالي، السّعداوي، النّفزاوي... إتيان إنتاجية نقيّة السّلالة "ترفع الرّاس" كما يقول المصريّون، لأنّ هدف الجنسانية العربية، الإنجاب والإكثار من سواد الأمّة، يقول شبل (2010)، مع الحقّ في الإستمتاع وفق مبادئ الأيروس الشّبقيّ النّزويّ العربيّ في التّعدّد الزّواجي. وَقد قال الأصبهاني (1902، ص127) في ذلك، أنّ صاحب المرأة الواحدة إن مرض مرضت وَإن حاضت حاض؛ وَصاحب الإثنتيْن، بين جمرتيْن أيّتهما أدركته أحرقته؛ وَصاحب الثّلاث في رستاق يبيت كلّ ليلة في قرية؛ وَصاحب الأربع عروس في كلّ ليلة. وَيقال إنّ الحسن بن عليّ كان منكاحًا فقد نكح أكثر من مئاتيْ امرأة...وَكان قد عقد ربّما، على أربع في وقت واحد، وَربّما طلّق أربعًا في وقت واحد.

تفرّد الرّجال من دون النّساء بالحرية الجنسية، سواء داخل الزّواج عن طريق تعدّد الزّوجات وَحرية الطّلاق، أوْ خارجه، بإباحة معاشرة الجواري وَالإماء أوْ ما ملكت أيمانهم. ما جعلهم يتفاخرون فيما بينهم على قدرة جذب النّساء وَ الزّواج بهنّ أوْعشقهنّ، وَدعت هؤلاء إلى التّباري في جذب الرّجال وَإيقاعهم في شرك الحبّ وَالجنسانية.

وَبالمقابل اِنتشرت أقوال مأثورة تحذّر من الإفراط في عشق النّساء وَملذّات الجنس، وتحثّ على العزوف عن ذلك، لأنّه حسب ما تتداوله عبارات ابن المقفّع(1960، ص 127): "مِن أوقع الأمور في الدّين، وأنهكها للجسد وأتلفها للمال، وأضرّها للعقل، وأزراها للمروءة وأسرعها في ذهاب الجلال وَالوقار، الغرام بالنّساء". فكانت في هذا الباب إحدى جوائز الصّالحين من الرّجال في الجنّة، حُور مقصورات في الخيام، لم يطمثهنّ قبلهم إنس ولا جانّ، كأنّهنّ الياقوت وَالمرجان. أمّا غيرهم من الأئمّة وَالعلماء، فيروْن هذه الحرية إذا ما كانت وفق النّصوص الدينية، عبادة، وَيفسّرونها من باب

مقتضيات الضّرورات الإقتصادية بحاجة المجتمع العربي إلى زيادة النّسل، لأنّ الأطفال رمز قوّة القبائل الإقتصادية وَالاجتماعية وَالقتالية بديلة الأسلحة الفتّاكة.

اِقتصرت هذه المباهج على أصحاب المال وَكلّ من اكتسب المقدرة على تعديد الزّوجات. أمّا ما دونهم، فقد عوّدوا أنفسهم على الحرمان والخضوع وَالخنوع لقوانين المجتمع، وَالتّعويض عن ذلك بالإلتفاف على سماع إثارات أحجيات شهرزاد وَشهريار حول معاشات عاطفية و تجارب ممنوعة عُرفًا وَدينيّا.

كلّها طرق آدمية لتخفيف إثارات النّزوات الجنسية، تتراوح بين الواقع وَالهوامات، بوجود موضوع أوْ بتصوّره. شبيهة بما يلجأ إليه الرّجال حديثًا، إن لم يكن أكثر تماشيًا مع الجنسانية الغربية.

III- التّنظير للجنسانية البشرية

لم يلق السّلوك الجنسي من العلماء حقّه في البحث مثلما لقيته سلوكات البشر الأخرى، بالغور في مساءلة تركيباتها الضّمنفسية، تمايز الرّوح عن الجسد أو تكاملهما عند تأديتها، استحداثها لأمراض حسّية وَاضطرابات جسدية أو اختلالات غدّية، الّتي نادرًا ما يعتبرها الباحثون إنذارات لآلام وَ إحباطات جنسية تولّد اختلالات وظيفية جنسية على الغالب.

وَقد أشار Wallon.H. (1951) إلى هذا التّكامل في بناء الحياة النّفسية، من وجهة تفاعل قطبي التّكوين الشّخصي، البيولوجي وَالاجتماعي، في إثارة سلوكات وَتصرّفات الفرد حتّى الجنسانية منها، فهو، لم يتمكّن يوْمًا، من الفصل بين هذيْن القطبيْن، ليس لأنّ أحدهما يقتصر على الآخر، بل لأنّهما متكاملان جدّا منذ لحظة الميلاد.

نتج عن نُدرة البحث في الجنسانية عدم كفاية القواعد العلمية الّتي تسمح بإعداد نظريّات مناسبة تخصّ مختلف جوانب سلوكاتها، أوْ حتّى بتعريف هذا النّشاط الرّاشد كموضوع دراسة. ويرجع العلماء هذه النّدرة إلى الصّعوبات الّتي تعترض البحث في ميدان الجنسانية، بدءًا بحساسية الموضوع على المبحوثين لسيطرة الطّابوهات والأحكام المسبقة

في مجتمعاتنا وَتسييرها لسلوكاتهم وَ طرق وجودهم، حتّى أنّنا نتحسّس بعض الإنزعاج خاصّة لدى الرّجال في الحديث عن جنسانيّاتهم؛ ربّما لأنّ الخوض فيها يخدش ملكة الحياء أوْ يرجع بهم (وَبهنّ أيْضًا) إلى مخاوف بدائيّة مرتبطة بهوامات التّكوين والولادة. فكلّ واحد منّا قدِم إلى الحياة كثمرة اتّصال جنسيّ بين والديْنا، وَكلّ منّا يحمل بداخله جرحًا نرجسيّا بسبب عدم استشارتهما له قبل أن يساهما في تشكيله: "ماذا لو كنا نختار والديْنا!".

الحال نفسه بالنّسبة للنّشر والتّأليف الأكاديميّ فيها، فهُمَا يخضعان لضغوطات ثقافية، تسبّب نوعًا من التّشنّج قد يُلغي الولادة.

وَقد تحدّث كلّ من Masters et Johnson عن صعوبات البحث في الجنسانية الّتي قد تحبط أقلّ الرّجال كفاءة مقارنة بجرأة Kinsey في مواجهة الضّغوطات القاهرة من رفض، مقاومة، تجنّب... جعلته يتفرّد بغنى وَثراء المعلومات الّتي ضمّنها أعماله. كما تكلّم على غرارِهِمَا .Gagnon.J.H (1975) بهذه الصّعوبة، لكن من جانب الباحث، حيث يتّخذ البحث في التّصرّفات الجنسيّة، شكلاً من السّلوك الجنسيّ، يؤثّر، إلى حدّ ما، على النّماذج الأقلّ علمية من الحياة الجنسية في المجتمع. ولا يخفى علينا ما تعرّض له .Freud.S من النّقد وَالإنتقاد بعد ما نشره من آراء حول الجنسانية، حتّى أنّه عُزِل عن الدّليل التّشخيصي للأمراض النّفسية منذ طبعته الثّالثة. وَهو ما يفسّر أيْضًا التّكرارية الّتي نشهدها في بعض مواضيع البحث كالإكتئاب، الصّدفية، السّكّري، السّرطانات بأنواعها... متغافلين عن فكرة مساءلة جنسانيّتنا، الّتي، ربّما، يكفي على حدّ قول .Lacan.J، أن نتفرّغ للبحث في اضطراباتها واختلالات حميميّتنا حتّى تعتدل الكفّة نحو السّواء والصّحّة النّفسية و العقلية، أكّد يومًا Clinton Bill.

1- النّظريّات التّحليليّة

يُعتبر التّحليل النّفسي من التّيارات النّظرية الهامّة والثّريّة الّتي خاضت في دراسة الجنسانية البشريّة، فأقامت لها نظامًا تفسيريّا شاملا، منطلقها الأساسي سيكوباثولوجيا

مقنّعة، أثْرَته المراجعة المستمرّة لنظريّاته، عبر مختلف المدارس التّحليلية المنبثقة في آفاق دراسية و بحثية جديدة و متشعّبة.

أثمرت هذه المدرسة بعدد من المفاهيم وَالعوامل الدّالّة على التّطوّر المرحليّ للحياة الجنسية، بدْءًا بالطّفولة وَوصولا إلى المرحلة التّناسلية بتوظيف مختلف السّياقات التّرميزية في تكوين الهويّة الجنسية بتفاعل الأبعاد العاطفية وَالصّراعية في ظلّ تأثير التّنشئة الجنسية الاجتماعية، المسيّرة لانبثاق الشّبقيّة الغيرية عند دخول الأنا مرحلة البلوغ و المراهقة، أوْ عبر ما يسمّيه Freud بالتّغيير التّدريجي الاجتماعي والبيولوجي للنّزوات الجنسية باتّجاه موضوعات حبّ مقبولة ثقافيا، وَنشاط جنسيّ مُجاز اجتماعيّا، دون أن يغفل ضرورة المرور بمرحلة كمون يشهد الفرد أثناءها قمعًا لجنسانيته الطّفلية، وإبطال لها بالتّسامي والتّمدرس لإدماج الجنسانية التّناسلية الرّاشدة.

ترتبط هذه الأخيرة في هذا المنظور، بالبحث عن الإشباع و خفض التّوتّر العضوي، مع استحالية التّحقيق الكلّي له؛ على أن تبحث المرأة في جنسانيتها، عن الحبّ وَتجاوز الحرمانات، بينما يتقفّى الرّجل موضوعًا لنزواته، فيتأرجح بين موقفيْن مختلفيْن، حيثما يحبّ لا يرغب، وَأينما يرغب لا يحبّ(Freud، 1912)، وَبالتّالي، فهو يتحيّر في اختيار موضوع الحبّ، بين أنثوي شبقيّ نزويّ يختلف عن الأمّ، وَآخر شبيه بها بديل عنها يديم عليه إيجاد النّرفانا؛ أضف أخيرًا أنّ الإشباع يكون جزئيّا أكثر منه كلّيّا، لأنّه كما أشرنا سابقًا، تتركّب النّزوة الجنسية من عدّة نزوات شبقية جزئية، ما يسبّب كبت وَقمع بعضها على حساب أخرى، ما يولّد الاختلالات الوظفية الجنسية لدى الرّجال وَالنّساء على سواء.

هو حال التّشنّج الموضعيّ المهبليّ، الّذي لا يصرف المرأة عن تقفّي الرّغبة وَالإشباع الجزئيّ دون المساس بتلك المنطقة الحسّاسة من جسدها، عضو فيتيشيّ، عبر-ثقافي، ذو اعتبارات اجتماعية أكثر منه فردية، تراثية تاريخية تمجّد الأخلاق وَالعفّة وضمان استمرار السّلالة.

توظِّف الجنسانية يقول التّحليليّون، طاقة ليبيدية لاشعورية تفوق تلك الّتي تحتاجها رغبةُ التّعلّق بالآخر، وَتستثمر دينامية نزوية وَهوامية وفق مبادئ حياتية يعاد توظيفها عبر ميكانيزم إجبار التّكرار، في المرحلة التّناسلية بعد أن ترسّخت في العلاقة الموضوعية المبكّرة.

تستجمع الأنا هذا التّاريخ النّفسي النّزوي والصّراعي المستدخل والمتوارث وتكشف عنه في نوعية موضوع الحبّ الرّاشد المختار، وَكذا في طبيعة الجنسانية وَالسّلوك الجنسي الّذي تؤتيه الذّات معه...فكلّ تجربة جنسية تناسلية راشدة تصطبغ بطرق إشباع قبل-تناسليّة تشكّلت في فترات مختلفة من حياة الفرد(Freud.S.، 1940). ومعظم السّلوكات الجنسية التّناسلية لا تتغذّى من ميكانيزم التّعالي بقدر تشبّعها بالانفعالات الجنسية الطّفلية كالفضول، الخجل، الذّنب...يقول ذات العالِم.

الجنسانية إذن، ديناميّات علائقيّة تستثمر الذّات وَالآخر كموضوع نزويّ، تتخلّلها سلوكات الإستمناء، موضوع جنسيّ أطّر حركيّة *scientia sexualis* منذ 1710–1712، اِنبثقت منها دراسة للطّبيب السّويسري .Tissot.S (1758-1760) بعنوان L'onanisme.

يرى التّحليليّون في هذا السّلوك نشاطا جنسيّا انتقاليّا ضروريّا أثناء فترة المراهقة للانفتاح على مرحلة الرّشد، فهو معدّل للضّغوطات، يستثمر جملة من الهوامات قد يصحبها شعور بالذّنب الجنسي قد يؤثّر سلبًا على تكوين الشّخصية (Freud، 1909).

كانت أوّل المنشورات التّحليلية في الجنسانية عام 1905، باسم .Freud.S بعنوان "ثلاث محاولات حول نظرية الجنس"، وَمن أهمّ ما ضمّنه عبارته الشّهيرة الّتي ترى غالبًا في السّلوك الجنسي نموذجا عن كلّ طرق و آليات استجاباته التّفاعلية الأخرى للعالم. تلى هذه المطبوعة مقالا حول الهستيريا وَحالة Dora، الّتي حلّلها Freud عياديّا بطريقة صريحة جدّا متعرّضًا فيها لعدّة موضوعات مثل، المناطق الشّبقيّة، الجنسية المثلية الأنثويّة، الإستمناء، المناطق التّناسلية الأنثوية وَتركيباتها، عمليّة الجماع، هوامات فضّ البكارة،

إشباعات من نوع ساديّ، سلس البول، النّشوة الجنسية...صراحة خادشة وَ لاأخلاقية تقيم علاجًا أساسه إباحيّة خالصة (Aschaffenburg، 1906).

علمًا أنّ Freud، على الرّغم من تعامله مع الحياة الجنسية بشكل مباشر وبطريقة مفيدة تاريخياً، فقد كان ضحية لنفس المثبّطات والقيود التي تميّز بها معظم المفكّرين البرجوازيين في فيينا مع نهاية القرن التاسع عشر، والّتي يرجعها (S. Zweig.،1900) إلى مخاوف داخلية وشعور باللاّأمن لدى هؤلاء من السّلوكات الجنسية.

واِنتقدت Sherfey(1972) مفهوم ثنائي الجنسية الّذي خصّ به Freud المرأة، باعتبارها خاصّية أنوية، طفلية تميل إلى التّمايز مع بلوغ المرحلة التّناسلية، تتحدّد على إثرها هوية الفرد الجنسية، سلبية أوْ فاعلة، ذكريّة أوْ أنثويّة، سويّة أوْ اِنحرافية. اِستنكرت Sherfey هذه الفكرة للمُضْغة الفتيّة خلال الفترة الجنينية من حياة الفرد، وَأكّدت على كينونتها الأنثوية في الواقع منذ البداية دون حاجة منها إلى مفعول هرموني يمنحها صفة الأنوثة. يتواصل تطوّرها على هذه الحال دون أيّ تغيّر هرموني لأجل التّمايز، بينما يتطلّب التّطوّر الذّكري نشاطًا زائدًا لهرمون الذّكورة الجنيني ضمن هذه البيئة الأنثوية.

أثبتت الدّراسات الحديثة في علم الأجنّة، أنّ الأعضاء الجنسية للأنثى أوِالجهاز البظري يتطوّر عند الحيوانات الثدية الرّاقية بسرعة و بقوّة، يحمل معه بعض الصّفات الأنثوية، كالإحساس الجلدي الشّبقي، وَدرجة الإثارة الجنسية أسفل الحوض[42] الّتي تحدث بفعل هرمون البرجسترون الأنثوي الّذي يحتوي على نشاط ذكريّ قويّ. ما يمنح الجنسانية الأنثوية صفة العنف وَالعدوانية، تعطي المرأة القدرة على الحمل وَالإنجاب. الفكرة العلمية الّتي استوحى منها Freud ثنائية الجنسانية عند الأنثى وَحتّى لدى الذّكر، يعرّفها Green.A.(1975)، على أنّها تصوّر نفسيّ حول الهوية الجنسية للآخر في تطابقها أوِ

[42]- Le périnée.

اختلافها عن جنسه الواقعي، وَما يعكسه هذا الجنس في نظرة الآخر إليه. اِستعداد نفسي لاشعوري قائم على الاختلافات في الجنس وَفي سياقات التّماهي وَبناء الهوية.

ترمز علاقتنا بالجنسانية في نواح كثيرة إلى محاولاتنا الموجزة لحلّ هذا الصراع الفرويدي الهائل بين أعمق رغباتنا الفسيولوجية النّفسية والمحرّمات المتعدّدة الّتي نبقيها طوال مراحل تطوّرنا ، مصادر للخجل، والشّعور بالذّنب والخوف.

2- أبحاث Kinsey في الجنسانية

استلهمت أعمال Kinsey معظم الأبحاث الاجتماعية في الجنسانية، تقول Reiss.I. (1967). تكشف الأولى حول الحياة الجنسية في الولايات المتّحدة، حسب Ellis، عن الطّابع العلمي القائم في معظمها على استعمال الاستبيانات، العيّنات الإحصائية المركّبة وعرض النّتائج في جداول حسابية (Gagnon.A.، 1975) لمنحها طابعًا علميًا يرتقي بها لمصفّ العلوم الطبيعية.

عدّد Kinsey 19 دراسة أجريت قبله، ما بين 1915 و 1947، أظهر باحثوها، يقول، بعض الإحراج في معالجة المسائل الجنسيّة، و قد أضاف أنّ نتائج أعمالهم لم يكن لها الأثر اللاّزم. هو حال ما تلاها من الأبحاث لأنّ عيّنة الدّراسة اِقتصرت على طلبة مدينة نيويورك، وانحصرت على بعض جوانب الجنسانية.

تُعَدّ أبحاث Kinsey(1948) بلا منازع من أثرى الأعمال العلمية، حيث لم يكتف بإعداد تقارير إحصائية بل بَحَث أيْضًا في معرفة أسباب إتيان بعض الأشخاص لهذه السّلوكات وعزوف بعضهم الآخر عنها، مع تحديد، متى، كيف، وَمع من؟، محاولة منه تقصّي الطّقوس الجنسية للشّباب، القواعد الّتي تسيّر حياتهم الحميمية، نمطيّة ممارستها، التّغيّرات الطّارئة على تصرّفاتهم وسلوكاتهم الأخرى في وجودها؛ ومنها إقامة اِرْتباطات بين مختلف جوانب السّلوك الجنسي والشّروط الّتي تدعمه، مع أخذه في الاعتبار أثر صدق المبحوثين، وَ فهمهم وَ حتّى استيعابهم الدّلالة المرادة من الأسئلة المطروحة.

أسفرت أعماله عن تعريفات جديدة حول التّصرّفات الجنسية، الإنحراف، الإجرام، والسّواء في الحياة اللّيبيدية الشّبقية؛ وَعن جداول عيادية استفاد منها الأطبّاء والمختصّون النّفسانيّون، الأطبّاء العامّون، المساعدون الاجتماعيّون، رجال الدّين، الأساتذة وَالأولياء ...لأنّها سمحت بتصنيف سلوكات الفرد ضمن جماعات إنتمائه وفق عوامل السّنّ، الأصل، الدّيانة، مستوى التّعليم، وَمنطقة الإقامة، العوامل ذاتها الّتي ركّز عليْها الاجتماعيّون في دراساتهم للجنسانية، وَالّتي يُحَبّذ من العيادي أن يهتمّ لها وَيعرف أنّ تغيير معايير فرد معيّن يؤدّي إلى تغيير لمعايير الجماعة الّتي ينتمي إليها هذا الفرد، يوضّح Kinsey، وَكلّ فعل يؤتيه سواء في تماثله لمعايير وسطه الاجتماعي، أوْ في خرق قوانينه يكون مسؤولا عن عواقبه.

3- النّظريّات السّيكولوجية

فتحت أعمال Kinsey المجال للبحث في العوامل النّفسية المرتبطة بالجنسانية خارج ما أشارت إليْه النّظريّة التّحليليّة حول التّصرّفات الرّمزية والتّصوّرات الجنسية اللاّشعورية. فتنوّعت بين إشارتها للمثيرات و الاستجابة الّتي تحرّضها، العوامل الانفعالية وعوامل التّكيّف الاجتماعي ومختلف نظريّات التّعلّم.

3-1- المقاربة السّلوكية وَالتّعلّم

يرى منظّرو هذه المقاربة أنّ السّلوك ناتج عن التّعلّم أوِ التّكيّف الحاصل عن تفاعل الفرد بمحيطه عبر مبادئ الإشراط السلبيّ والإيجابيّ. وَ مِنْهم على سبيل المثال أعمال Mosher وEysenck الّتي أثارت اِهتمام عدّة باحثين من مثل Langston (1973)، Schwartz (1973)، Janda(1975)...

درس Mosher(1973،1971) الشّعور بالذّنب الجنسيّ وَتوقّع الفرد للعقوبة إذا ما اخترق قواعد التّصرّف الجنسيّ؛ ما يدفعه إلى مقاومة الرّغبة الجنسية وَكفّ السّلوك الجنسي، أوْ تثبيط السّياق المعرفي المحرّض عليْها. أسفرت أعماله عن سلّم Mosher الّذي اِعتمده Galbraith et Stern(1974)، Kerre et Galbraith(1975)، Janda(1975)، للبحث في

العلاقة بين خصائص السّنّ، ديانة الفرد، الشّعور بالذّنب وَالتّصرّفات والسّلوكات الجنسية.

تمحورت أعمال Eysenck(1971) حول تطبيق نظريّته في الشّخصية في الكشف على مختلف جوانب الجنسانية في ظلّ عوامل الانبساط و الانطواء و كذا العصابية...ففتح المجال على البُعد الدّينامي للعلاقات بين-الشّخصية وَمبادئ التّفاعل الاجتماعي حسب Kirkendall et Libby (1966)، وَ(Zubin et Money، 1973) في إثارة الجنسانية. وَمنه، يعرّف Van de Velde الفعل الجنسي كتواصل بين شخصيْن تحكمه مدّة وَطبيعة وَنوعية العلاقات بين الطّرفيْن.

شدّت أعمال .Mead.H، Kibch، Rogers، الانتباه نحو البُعد العلائقي وَبين-شخصيّ لوضعيّات التّفاعل ضمن جماعات الإنتماء، في ظلّ القيم وَالمحظورات الّتي تحكمها في غياب واستحضار المشاركة العاطفية على السّلوكات وَالاستجابة الجنسية.

تشير دراسة فريدة من نوعها، قائمة على نظرية التّعلّم الاجتماعي إلى أنّ، الجزء الأكبر من السّلوك الجنسي والشّهيّة الجنسية يتعلّمهما الفرد بداية من مرحلة المراهقة، أكثر من كونهما فطريّيْن، فهُما سلوكان يخضعان لفرضية الإشراط الفعّال (Rutter، 1971).

تنتج الرّغبة الجنسية حسب Dollards et Miller، عن إندماج القوى البيولوجية ومواقف التّعلّم: تمثّل اللّذّة الجنسية تدعيمًا إيحائيًا وَإيجابيّا يبحث الفرد في تكرار النّشاط المولّد لها؛ أمّا التّجربة المؤلمة، تجعل الجنسانية عقابًا شخصيّا سببه الإحباط، الخجل، الشّعور بالذّنب وانخفاض الرّغبة في أيّ سلوك جنسي. هو حال المرأة مثلا، الّتي تحسّ بالألم أثناء العلاقات الحميمية، ما يفقدها كلّ رغبة فيها لأنّها ترى فيها تلقّي عقوبات متكرّرة. نموذج معرفيّ وَعاطفيّ مستدخل يفسّر، حسب نظرية Hardy للشّهيّة الجنسية، التّحفيز الجنسي، بالإضافة إلى استهداف لذّة الإثارة أوِ الإنتشاء وَالإسترخاء الّذي يصحبهما.

أمّا Bandura(1970)، فقد أشار إلى أشكال التّعلّم الاجتماعية للجنسانية. فكتب يقول: يسبّب الإشراط السّلبيّ طويل المدى ضمن العائلة، اِستجابة لأولى تجارب الشّبّان الجنسية الغيرية يشوبها التّوتّر وَالشّعور بالذّنب وخاصّة الخوف من أن يعرف أولياؤهم ما يفعلونه.

وعليه، يقترح علماء هذا المنظور، التّركيز على استعمال مفهوم التّغذية الرّاجعة في تفسير أثر التّجارب الجنسية على التّصرّفات وَالسّلوكات الحميمية الرّاشدة.

3-2- المقاربة المعرفية

يؤتي الفرد سلوكات على غرار الجنسية منها، تتماشى والسّياقات المعرفية المستدخلة وَالمتعلّمة من تجاربه التفاعلية مع المحيط؛ تُختصر في عبارة، نفكّر فيما نقوم به (Hyde، 2001)، وَينعكس إدراك وتقييم ما يحدث معنا على حالتنا المزاجية وطبيعة سلوكاتنا. هكذا تجد الصّعوبات الجنسية تفسيرًا لها في الأداءات الجنسية (Mc Carthy et Bordnan، 2005)، فبدلاً من أن يسترخي بعض الأشخاص وَينحون منحى الأحداث وَاللّذّة خلال العلاقة الجنسية، يوجّهون انتباههم صوب الهدف المرغوب (توقّعاتهم) على حساب ما يحسّون به، فيحصّلون استجابة سلبية تعيق بلوغ الهدف، ثمّ يمنحون عجزهم هذا قيمة عاطفية (اِنفعالات) يبرّرونه بوجود صعوبات جنسية (سلوكية)، يستلزم تجاوزها إعادة النّظر أوْ إعادة بناء فكري أوْ معرفيّ.

منذ بدايات هذا التّيار مع أوائل 1970، اهتمّت أبحاثه بالكشف عن المعتقدات حول الذّات والآخر والعلاقة الّتي تربطهما؛ إدراك الكفاءات الفردية لكلّ منهما، تفسيرات الفرد لسلوكاته الشّخصية وسلوكات الآخرين (تأويلات سببية)، تقييم التّجربة الشّخصية، تسيير انفعالاته ومهاراته التّواصلية بين-الشّخصية، المثيرات وسلسلة الأفكار والانفعالات النّاتجة عنها، للوقوف غالبا على التّشوّهات المعرفية، أي التّفسيرات الخاطئة الّتي تسبّب إتيان سلوكات غير مناسبة.

3-3- المقاربة الإنسانية_الوجودية

يمكننا وفقا لمنظّري هذه المقاربة فهم سلوك الفرد اِنطلاقا من التّجربة الذّاتية والفريدة عبر المعاش النّفسي للأحداث والخبرات. يتيسّر ذلك بالتّعرّف على المشاعر والانفعالات المرتبطة بالحاجات الآنية الّتي تبحث عن إشباع وتعبير لها في الواقع (Garneau، 1999).

تشير Hyde(2001)، إلى غياب الكتابات حول الجنسانية في بُعدها الانفعالي و العاطفي. وأكّدت Sullivan.L. اِندهاشها من المكانة الضّئيلة الّتي منحها الباحثون لهذا البُعد في جنسانية المراهقين رغم أهميته في الكشف عن مشاركة ذاتية وحاجات فردية من المحيط (Chouinard، 2005).

إن معرفة دور الانفعالات في معرفة وتحديد حاجات الفرد، تساعد هذا الأخير على الإدماج الأفضل لجنسانيته في شخصيته، وفي القيام باختيارات واضحة وَواعية وَضمان نموّ شخصيّ سويّ. أمّا نبذ هذا البُعْد العلائقي يكشف عن الحاجز الفاصل بين جنسانية الفرد وَحاجاته العميقة، الّتي تجد لها جذورًا في حاجته الملحّة إلى أن يعترف الآخرون به، مثلاً، ممّا قد يعرضه للهشاشة النّفسية تحت ضغط تعدّد الشّركاء من أحبائه دون أن يستقرّ على شريك واحد.

وَحسب Fromm(1968)، فإنّ الشّخص السّعيد جنسيّا يستمتع وَيتذوّق النّشاط الجنسيّ في سرور، حاله حال الطّفل المرح، يأخذ الآخرين بعين الاعتبار فيدركهم بواقعية أكبر وَلا حاجة له أن يقارن سلوكاته بالمعايير الخارجية لتقييم تجربته.

أخيرًا، يعرّف هذا العالِم وَأمثاله من Bureau(1984)، الجنسانية البشرية من منظور فلسفي واسع، باعتبارها محاولة لتجاوز شعور بالانفصال الوجودي وَالهروب من سجن الوحدة. فالكائن البشري حسب Fromm يسعى حانقًا نحو القضاء على الفرق بينه وَبين

العالم الخارجي سواء بالبحث عن الإنتشاء مع شريك، أوْ عبر طقوس العربدة الّتي تمنحه نوعًا من الأهمية وَالتّقبّل (Bureau، 1994).

4- النّظريّات الأنثربولوجية والإجتماعية

لا يمكن دراسة الجنسانية خارج المجال الاجتماعي والثّقافي. ترجع أصول الدّراسات الأنثربولوجية لهذا السّلوك إلى .Ellis.H ثمّ Malinowski. ربطها العالمان بأصول الإنتماء، وقبيلة الأصول، باعتبار الزّواج تعديلا للجنسانية البشرية وتأطيرًا لها، ضمن نسق عائليّ متوارث، يعبُرُ بالفرد ممّاهو طبيعي إلى ماهو ثقافي. اِنتقالٌ بنائيّ سعى الأنثربولوجيّون في توضيح أهمّية إندماج السّلوكات الجنسية ضمن السّياقات الثّقافية، وإبراز التّفاعلات بين ماهو بيولوجي واجتماعي في تفسير هذه التّصرّفات.

أشادت ملاحظات Malinowski وغيره من الأنثربولوجيّين، ببراءة الطّفولة وإباحية بعض المجتمعات القديمة جنسيًا، والّتي مهّدت لجنسانية مقبولة في مرحلة البلوغ، حيث يمرّ الذّكور والإناث من مرحلة تَغِيب عنها مداعبة الأعضاء التّناسلية إلى الإستمناء الحتميّ ما بين 6 و8 سنوات؛ ملاحظات أطاحت بمعطيات Kinsey الخاصّة بالنّشوة الذّكورية والأنثوية في سنّ مبكّرة (Ford et Beach، 1951). فقد لاحظ Malinowski أنّ مراهقي تروباتريوند من الجنسيْن يباشرون الحياة الجنسية الغيرية مبكّرا دون إظهار لمشاعر الخجل أو الذّنب.

قاد Christensen(1966، 1970) دراسات بين-ثقافية حول التّصرّفات تجاه العلاقات قبل-الزّواجية في الثّقافات الإباحية، المعتدلة والقامعة للتّعبيرات الجنسية، فاستخلص أن الشّعور بالذّنب يقلّ كلّما كانت المجتمعات متساهلة مع السّلوكات الجنسية.

ساهمت دراسات أنثربولوجية أخرى في توضيح عدّة أبعاد حول تكوين الهوية الجنسية والجنسانية المثلية؛ فقد طرح Martin et Voorhies(1975) إشكالية وجود نمطان جنسيّان ظاهريّان، يرتبطان في كلّ المجتمعات البشريّة بكيانيْن جنسيّيْن، تفترض نتائج الأبحاث

على قبائل الهنود الحمر الأمركيّين مثلا، أنّ عبارتيْ "إقلاب" للدّور الجنسي، و"اضطرابات" في تكوين الهوية الجنسية، تغطي نوعًا من الإمتثال في الأدوار الجنسية التّقليدية والأحكام المسبقة عن الجنسانية المثليّة.

اهتمّ الاجتماعيّون من جهتهم بالبحث في الجنسانية البشرية بعد مدّة من الأنثربولوجيّين مع بداية الستّينيّات. جاءت في منظورها الاجتماعي قريبة من النّظرة الأنثربولوجية، بتركيزها على دور العائلة والمعتقدات المتداولة في كنهها، وكذا نمط التّنشئة الاجتماعية لأبنائها، وتطوّرها التّاريخي و الثّقافي في التّأسيس لجنسانية الأفراد. إضافة إلى عوامل أخرى لها تأثيرها على فعل الجنس، مثل التّأثير الجغرافي والمادّي للمناطق السّكنية، واختلاف معتقدات سكّان المدينة عن أصحاب الرّيف، وأهل المناطق الشّمالية عن ذوي المناطق الجنوبية والشّرقية والغربية؛ وحتّى قيم جماعات الأقران وجماعات الأصدقاء، وسريّات التّرميز بينهم، وكذا طقوس الانخراط فيها أو الإنسحاب منها...

كما اهتمّ الاجتماعيّون بدراسة تطوّر القيم الجنسانية تبعًا للتّغيّرات المُسْتحدثة في مجتمع معيّن خلال تاريخه التّكويني. وَقد نوّهت .Reiss.I (1967) أنّ الهدف الأساسي للأبحاث الاجتماعية في الجنسانية ليس معرفة الحياة الجنسية، بل يكمن مغزاها في إيضاح النمط العالمي للأنظمة الاجتماعية وإرتباطاتها بالعلاقات الجنسية، للكشف عن سياق وجود هذا النّمط في نسق اجتماعي خاصّ دون غيره.

تشير .Reiss.I مثلاً، إلى تمايز الجماعات في الإباحية الجنسانية قبل-الزّواجية حالها حال الخصائص الاجتماعية والثقافية الأخرى في هذه المجتمعات. يتمثّل الاختلاف في الأرضية الممهّدة كالمكانة الاجتماعية للفرد وجماعة الإنتماء، الدّيانة المنتشرة، موقع منطقة السّكن، السّنّ، الأصل، والجنس، عدد أفراد العائلة، وجود كلا الوالديْن أوْ غياب أحدهما...وَ علاقاتها بالتّساهل مع تجارب المداعبة وتكوينات الحبّ، وَ اِنعكاس الإباحية الجنسية للوالديْن والشّعور بالذّنب على إتيان السّلوك الجنسي أوِ الإمتناع عنه.

أثّرت أبحاث.Reiss.I على التّيار الاجتماعي للأعمال في الجنسانية، فقد اِعترف Malrieu (1973) بتأثير البنى الاجتماعية على بنية التّصرّفات خاصّة عند المراهق وأصبحت سياقات التّأثير هذه تمثّل التّوجّه الرّئيسيّ للأبحاث الأمريكية.

5- النّظرة البيولوجية

تهتمّ هذه النّظرة بمعرفة الميكانيزمات البيوكيميائية المحرّضة للسّلوك الجنسيّ. وَقد حدّدت المناطق وَالمسارات العصبية على مستوى الدّماغ الّتي تَنْشُط أوْ تتعطّل عندما يتذكّر الرّجال وَالنّساء على السّواء عاشقًا سابقًا أوْ يتصوّرون وضعيّات تولّد الغيرة.

كما يبحث هذا التّيّار في ميزات الدّماغ الذّكري وَالدّماغ الأنثوي مع تحديد السّياقات الفيزيولوجية الكامنة الّتي تشعرنا بالرّغبة، العشق والتّعلّق؛ وتفحص في مورّثات الخصائص الفيزيائية وَعلامات الذّكورة و الأنوثة المحدّدة للتّوجّه الجنسيّ.

يفسّر هذا التيّار السّلوك الجنسيّ من أربعة أركان: التّشريحية أوْ بنية الجسد، الفيزيولوجية أوِ البيوكيميائية، المرضية البارزة في الاختلالات وَأخيرًا العلاج. وَقد اكتشفت .Buisson.O عبر التّصوير الثّلاثي الأبعاد، أنّ البظر يتّخذ وضعية مضغوطة أثناء عملية الإيلاج (Rotman، 2011)، وَيتّصل بهرم من الأنسجة المنتصبة داخليًا، لها طول الإبهام، وَينقسم إلى جذعيْن بطول 11 إلى 15 سم، تتشعّبان داخليًا في كلّ أنحاء الجسم، مشكّلة قوسًا مزدوجة تغطّي مدخل المهبل ليلتقيان بالمنطقة G. ساعد هذا الإكتشاف الطّبيب .Foldès.P في ابتكار تصليح للبظر المزال.

وعليه، رغم الميل الشّديد إلى إدراك العوامل البيولوجية، وحتّى الجينية، كمحدّدات دامغة أكثر من العوامل النّفسية أوِالاجتماعية، يجب الإشارة إلى أنّه، حسب الأبحاث، تؤثّر إحداهما على الأخرى والعكس بالعكس. فإذا تحرّكت الجينات كمبرمجات تترأس التّطوّر أو التّغيّر في بنيات الجسد فإنّ لها تأثير على المحيط والتّجربة المعاشة، حالها حال العوامل النّفسية.

IV- ماهية الجنسانية الأنثوية

هي جنسانية تطوّرت على قاعدة مبدئيّا مثليّة ثمّ غيرية. تغذّيها مشاعر متناقضة بين الحبّ و الكراهية، التّماهي بالذّكر ثمّ تقبّل الأنوثة، تتخلّلها هوامات إغواء أمومية، أثارت الرّغبات الجنسية بالإستناد إلى الوظائف الفيزيولوجية والرعاية الحسّية، ثمّ فطمت البنت فأخصتها فميّا لتخصيها مرّة ثانية بظريّا، مانعة إيّاها من كلّ نشاط شبقيّ ذاتيّ يثير هذا العضو و يفقد المرأة–الأمّ موضوع حبّها الّذي تصارعها ابنتها لأجله.

أردنا إذن بهذا العنوان، أن نلفت النّظر إلى اختلاف النّشاط الجنسي الأنثوي عن الذّكوري. هو بالنّسبة للرّجل نشاط تفريغ توتّر نزوي بوجود موضوع؛ لكنّه في نظر المرأة، بحث مُلحّ عن الحبّ وتوظيف المشاعر والأحاسيس، وأحدث مطالبها في خوضه، تقصي اللّذّة والاستمتاع ثمّ التّخطيط للإنجاب (حالة المتشنّجات). تعيشه المرأة وهي ماتزال متعلّقة بأبيها، ما قد يعجز موضوع حبّها في مقارنته بشهامة، عزّة، مكانة وَفحولة الأوّل، مأمن الأنثى في مواجهة الأخطار وتحمّل المسؤوليّات؛ و دافعها نحو الاستشارة حتّى تجد المساعدة الضرورية للانفكاك من شدّة قبضة العصاب عليها.

تؤكّد الدّراسات العيادية أنّ معظم الإستشارات النّفسية أنثوية أكثر منها ذكورية، غير أنّ معضلاتهنّ الجنسية لم تلق الاهتمام البحثيّ بها إلاّ عندما حصرها Freud في الهستيريا. فكرة فرويدية تتلخّص في وصف العقّاد، بالاستعصام عبر الإحتجاز الجنسيّ، لأنّ طبيعة المرأة، يقول، جائزة للسّابق المفضّل من الذّكور تنتظره حتّى يسبقهم إليها من يستحقّها فتلبّيه تلبية يتساوى فيها الإكراه و الاختيار، "كذلك تصنع إناث الدّجاج وهي تنتظر ختام المعركة بين الدّيكة أوْ تنتظر مشيئتها بغير صراع".

يربطها Shopenhauer، ببقايا من الهمجية وَالفطرة الّتي لم تلطّف السّنون شرارتها، وَلم تهذّب طبيعتها، لأنّها طفلة كبيرة الجسم في كلّ أدوار حياتها، فيها من أخلاق الطّفل نزقه، و قصور عقله وَمحاكاته لغيره، واعتماده عليهم، وتقلّبه و كذبه وَرياؤه.

رياء أنثويّ، هستيريّ فرويدي، يؤتي أكله بين يدي إمرأة تحسن استثماره. ربّما هو حال المتشنّجات محلّ الدّراسة، فلهنّ من تجويع الرّجل وَإنزاله بين إخمصي أصابعها ما ليس لغيرهنّ من النّساء، وَإلاّ فما تفسير بقاء الرّجل معها بضع سنين دون أن يفكّر في الطّلاق وَهو حقّ مشروط؟ أوْ كما تقول السّعداوي، وسيلة يحمي بها الإنسان نفسه ممّا يكره، باستسلامه له وَأن يحبّه. أوْ، هو أصل علاقة الرّجل بالمرأة الجمع بين النّقيضيْن: حبّ/ كراهية؛ لذّة/ألم، قسوة/حنان، إقبال/فرار، عشق/هوان...

غموض وصعوبة جعلت Freud نفسه يُفصح ل Bonaparte.M. عن حيْرته أمام الجنسانية الأنثوية فكتب لها قائلا: "رغم خبرتي البحثية الممتدّة على طول ثلاثين سنة في النّفس الأنثوية، عجزت عن الإجابة عن سؤال هامّ: ما الّذي ترغب فيه المرأة؟"[43].

من هذا المنطلق جاءت فكرتنا بتناول متفرّد يتماشى و الاتّجاه التّحليليّ الّذي اِعتمدناه في معالجة إشكالية أطروحتنا في ظلّ الإطّلاع على النّظريات التّحليلية المفسّرة للجنسانية الأنثوية المنبثقة حسبهم، من المرحلة القضيبية-الأوديبية، بأقطابها الثّلاثة: النّرجسية، الأنوثة، والرّغبة الشّبقية.

V- جنسانية المرأة العربية

يقول Freud مخاطبًا الرّجال: إذا أردتم معرفة المزيد عن الأنوثة والمرأة في جنسانيتها، فاسألوا تجاربكم الخاصّة، أوْ توجّهوا إلى الشّعراء، فلهُمْ في هذا الموضوع ما يفصح عن نوعية تلك العلاقة بين الرّجل وَالمرأة. وَإذا ما عرّجنا على هذه النّوعية ضمن مجتمعنا الّذي اِمتزجت مبادئه بثقافات غيريّة، بدْءًا من الدّولة العبّاسية، وجدنا أنّ الموروث العربيّ قد شاع فيه، أنّ المرأة وريثة عادات جاهلية وَإسلامية، الحجاب وختان البنات، التّعليم وحقّ الأسرة. كان للحرّة منها، من فرط الكرامة، وحُرمة الكلمة ما لم يستشرف له

---

[43]- Bonaparte.M., (1967), La sexualité de la femme, p.9.

الرّجل على هول قوّته، وَمضاء عزيمته. فقد عقدت فتاة عربيّة أمانًا لرجلٍ فلم يستطع ملك العرب أن ينقضه أوْ يبلغ منه (عفيفي ع.الله، ص31).

جُبلت المرأة على أنّها متاع الرّجل، تسُرّ الزّوج إذا نظر إليها، تطيعه إذا أمرها، وَتحفظه إذا غاب عنها. جمالها أن تكون محبوبة، مطلوبة، قابلة لا فاعلة، منقادة جنسيّا، مستسلمة، مطيعة، وهي بذلك تعتبر صالحة. ترعرعت على أنّ أشهى النّساء من يخرج من عندها زوجها كارهًا ويلقاها والهًا، يختارها بالنّظر إلى أهلها، أبيها وأخيها وأمّها وخالها. وما على الرّجل إلاّ أن يستحسن امرأته–لعبته حتّى لا تؤذيه أوْ تخونه. فهي كائن بيتي وَليلي، على حدّ قول إحدى جاراتنا في حديثها مع الوالدة: "غِير خلّيك، الواحدة فينا في النّهار حمارتو وَفي اللّيل مرتو". وضعية و نظرة تحتقر المرأة في فاعليّتها، لدرجة اعتبارها لعبة جنسية تخمد تهيّج الرّجل. وَقد قال ابن باذان (خليل أحمد، 1982)، في ذلك:

ما للنّساء وَللعمالة وَالخطابة والكتابة؟

هذا لنا، وَلهنّ منّا أن يبتن على جنابة!

يرتقي الرّجل بها فيقدّسها إذا ما أصبحت أمّا؛ فتتوارى صورة الرّجل المعبود، لتظهر بخجل وحشوب صورة المرأة–الأمّ المعبودة.

لكنّها إذا ما عشقت وسارت في اتّجاه اللّذّة، وشعرت بوجودها الجنسي والجسدي وَبحرّيتها وَحقّها في الحياة، فهي غير صالحة، تتّجه نحو النّار وتعجّل البحث عن قيود قديمة وحديثة كفيلة بوضع المرأة في دائرة الانقطاع (القمع). أمّا النّقص الّذي يصفهنّ به أحداث العرب فهو من موروثات الثّقافات الأخرى، كأنْ يقال: النّساء ناقصات عقل ودين، لأنّهن يؤدّين نصف شهادة، ويقضين نصف شهر بلا عبادة؛ نقص ما وجدناه في العربية الّتي كانت شقائق الأقوام، لها من الحرية وَالإقدام ما لهم، وَنصيبها من عزّة الجانب وَحُرمة الرّأي ما لا نجده عند المرأة الرومانية الّتي تعبد الرّجل وَتعتدّه إلٰها قهّارًا.

أمّا حقّها في الاستمتاع الجنسيّ على مثيل الرّجل، يقول الغزالي، فهي حاجة جنسية أنثويّة صعبة بل أشدّ صعوبة، لعُسر المطالبة والوفاء بها، لأنّ أمر المرأة غريب مع الحبّ والجنس: يعجز الرّجل عن إشباعها ويتحجّج بشهيّتها الّتي لا تنطفئ، متجاهلا حقيقة أنّه سريع في كلّ شيء وَهي بعكسه متأنّية حتّى في جنسانيّتها. لذلك يؤكّد الغزالي (1970، ص215) وغيره من أئمّة الدّين، أنّه "إذا (ما) قضى وطره فليتمهّل على أهله (زوجته) حتّى تقضي هي أيْضًا نهمتها، فإنّ إنزالها ربّما يتأخّر فيهيج شهوتها. ثمّ القعود عنها إيذاء لها، والاختلاف في طبع الإنزال يوجب التّنافر مهما كان الزّوج سابقا إلى الإنزال، وَالتّوافق في وقت الإنزال ألذّ عندها".

تضطلع المرأة بأدوار حضارية، فهي حارسة التّراث وحافظة الهويّة الجماعية حسب Berque.J.؛ ما يلزمها قمع نزواتها الجنسية وميولها الشّهوانية وتوجيهها نحو الإنتاجية. كما شبّت على أن تستمدّ قيمتها من الزّوج و ليس ممّا تبلغه من مراتب وتملكه من همّة، فيكفيها أن تكون "زوجة فلان ابن فلان"، ثمّ بعد ذلك أن تأتي بالذّكر الّذي سيحمل اسم زوجها، مثلما حملته.

و من النّوادر المتداولة حول النّساء العربيّات:

-قيل لبعضهم: ما السّرور؟ قال: دار قوراء وَامرأة حسناء وَفرس مربوطة بالفناء.

-اللّذّات أربع: البناء وَالنّساء وَالطلاء وَالغناء.

-الأمّهات أوعية.

-ضعائف يقتلن الرّجال بلا دمّ...

أمّا إذا ما عرّجنا على جنسانيتها اِكتشفنا أنّها حين تُدعى إلى السّلوك الجنسي، تجد نفسها شيئا مصفوفًا داخل البيت، وعاء ينتظر الإمتلاء. وَمنذ سنين خلت، تُدَشّن هذه الحياة، ليلة الزّفاف، بعكس الرّجل الّذي قد تبدأ حياته الجنسية قبل الزّواج[44].

جنسانية نمت وَتطوّرت في ظلّ القمع وَالختان، يحمي عذرية المرأة و يعفيها من طلب الرّجال، وَالحبس البيتيّ وَحراسة الأخ، حتّى في وجود الأب، لحماية العائلة من الفساد الأخلاقي وَجلب العار لذكورها وَتدنيس إسمها، وَحتّى لا يشكّ الرّجل في أبوّته للأبناء، تقول السعداوي. فاقتطاع بظرها يحرمها الإثارة وَيجعلها تتفرّغ لمشاغل البيت دون أن تدرك جانبها الأنثوي وَتتحسّس حديثه الجسدي. لأنّ من يحيط بها من أقارب وَأهل وَأفراد، يرى أنّ هذه القطعة الجلدية من المرأة، ليست إلاّ خلايا شيطانية تحرّضها على الرّذيلة، لذلك وجب قطعها وغرلة الرّجل، لإخراج غدّة الشّيطان منهما. فتطوّرت جنسانية المرأة بعيدا عن اختبار اللّذّة، مركّزة على الإعتناء بشعرها، ونعومة بشرتها، وَإنتفاخ مفاتنها وَأردافها، أمّا مهبلها فلا كينونة له وَلا حقّ لها عليه، تخوّفًا من تهيّجها الّذي قد يؤدّي إلى اختلاط الأنساب أوِ الشّكوك في الأبوّة وَالأنسال.

مع التّغيّر الاجتماعي وَالاقتصادي، حصلت المرأة على بعض التّحرّر الّذي يمنحها مثلا حقّها في السّكن بمفردها وَإن كانت عزباء، وحقّ الاستمتاع ببعض علاقات الصّداقة وَالحميمية خارج الزّواج، كما بلغت درجة من الاستقلالية تمنحها التّمتّع بتحقيق ذاتها بعيدا عن رحمة الرّجال "يشكل نموذج المرأة من دون رجل أوْ من دون زوج أكبر تحدّ للثّقافة الذّكورية. و كلّما كان اختيار المرأة لهذا النّموذج نابعًا من إرادتها الحرّة و قناعتها

---

[44]- دون أن نغفل الجنسانية في مرحلة الطّفولة، الّتي قد تتمثّل في بعض الألعاب الاستكشافية مثل لعبة الطّبيب، أو لعبة المتزوّجين. تختلف آثارها على الجنسانية الرّاشدة باختلاف معتقدات العائلة حول هذه الحياة الحميمية و التذفسيرات الّتي يمنحونها لتلك الألعاب. و قد أتبث Masters et Johnson، Kinsey...و سبقهم إلى ذلك Freud بأن أشار إلى اِمتلاك الأطفال لحياة جنسية تبدأ بالولادة و تنتهي بالممات، يستشعرون خلالها لذّة أو ألمًا، يبحثون عن إعادة معايشته إذا ما أصبحوا راشدين في علاقة بموضوع نزوي. و قد أشار Kinsey إلى أنّ البنت تكتشف الجنسانية قبل ثلاث سنوات، لكنّها تنسى معظم تلك تلك الذّكريات بسبب طبيعة تلك المداعبات و تلقائيّتها، و لأنّها تشعر بإلزامية إخفائها عن أمّها و عن أيّ فرد في الأسرة، ما يتولّد عنه شعورًا بالذّنب قد يصيبها بالعجز النّفسي عن تذكّر هذه التّجارب الآثمة، و تنساها فعلاً، لكنّها تكون قد حصلت على خبرة معيّنة قد تؤثّر على سلوكها الجنسي مستقبلاً. و من أهمّ المشاعر الّتي تختبرها البنت في تلك الفترة، يقول Hamilton(1929)، Lanxdis(1940) و Bawman(1952): اهتمام، استطلاع، سرور و لذّة، شعور بالحرج، خوف أو فزع، شعور بالذّنب أو الإثم.

الشّخصية و ليس مفروضًا عليْها، زاد اِضطهاد المجتمع الذّكوري لها" (حلمي.م.، 2000، من، السّعداوي.ن.، 2000)، لكن رغم ذلك، اِنتزعت بشراسة الحقّ في معاش جنسيّ متحرّر و إن كان مع زوج، يكسر قيود ميتافيزيقا الانقطاع فتكتشف ماهية اللّذّة وَبلوغ ما وراءها، وتجعل من الأمومة بُعدًا من أبعاد حياتها كأنثى تعيش مع الذّكر كثنائيتيْن مختلفتيْن لكن متكاملتان لا كوحدة متآلفة متلاحمة مع الآخر، جاهلة لمن تكون: وعاء أمْ فاعلة وَمتفاعلة!

VI- التّنظير للجنسانية الأنثوية

سبق وَتسابق التحليليّون في دراسة الجنسانية وَخاصّة الأنثوية، فحصروها سابقا في الهستيريا وَاستعراضاتها الجسدية، ثمّ تطوّر البحث فيها بلجوء التّحليليّات إلى تصحيح النّظرة التّحليلية الرّجالية حول ما يخصّ وَيختصّ به النّساء، فكان هذا الكمّ لا على سبيل الحصر، لأهمّ النّظريّات السّبّاقة في دراسة الحميمية الأنثوية.

1- وجهات النّظر الفرويدية حول الجنسانية الأنثوية

تصدّر Freud قائمة الباحثين في الجنسانية، بتفرّعاتها الطّفلية والذّكرية وحتّى الأنثوية. درس هذه الأخيرة من وجهة ذكرية فالوسية، جعلت من البظر فالوسًا أنثويّا؛ أمّا المهبل، فلا تصوّر ولا إحساس به ولا إدراك له عند المرأة، رغم أنّه يثبت وجوده رُغمًا عنها مرّة كلّ شهر تقريبًا؛ إذن، هل تنكره لأنّه يرمز لجُرح نرجسيّ بنى هويّتها وتميّزها، سلبيةً مازوشية شاكيةً، دونيةً اجتماعيًا، تمتلك عضوًا مخصيًّا تجويفيّا داخليًا، عقابًا لها على إغواء الرّجل وَإخراجه من الجنّة؛ أمْ لأنّها تغذّي مشاعر الحسد تجاه القضيب وسيادة الفالوس، فتُكْبِت مهبلها وتوظّف بظرها؟.

إذا عرفنا أنّ الجنسانية عمومًا، إدراك، إحساس وترميز؛ وأنّ أكثر أعضائها نشاطًا، هو العقل؛ استخلصنا أنّ هذا النّشاط النّفسو-جسدي يقوم على الهوامات والتّصوّرات الّتي تنشّط المخيّلة وَتحرّض العواطف وَالإحساسات المدركة، لتتجسّد بعْدَها عبْر الإسقاطات:

أدركت الفتاة أنّها تعرّضت للخصاء فاختلفت مع الآخر في الجنس والسّيادة؛ وتصوّرت هذا الخفض عقابًا سُلّط عليْها فأخضعها للذّكر، الأب أوّلا، اِلْتفتتْ إليْه معطّلة تعلّقها بموضوعها الأوّليّ، الأمّ، راغبة منه طفلاً يعوّضها عن فقدان القضيب، الّذي عجزت هذه الأخيرة عن منحها إيّاه. أمّا الطّفل الذّكر فيتصوّر أنّ الطّفلة تعرّضت للإخصاء لأنّها أحبّت موضوعًا محرّمًا عليْها وملكًا لغيْرها، ما يجعله يتخلّى عن الأمّ وَيدخل مرحلة كمون إلى أن يبلغ المرحلة التّناسلية ويختار موضوعًا أنثويّا ثانيا متماهيًا بالأب، يوظّف معه نزواته الشّبقيّة.

تُدرك الفتاة بظرها كعضو أنثويّ ينتشي بإثارة تتولّد عن ممارستها للإستمناء عند دخولها مرحلة البلوغ. وعليْه، اِستنتج Freud، أنّ الأنثى تعيش جنسانيتها على أصل وجوهر ذكريّ: البظر/القضيب ذو الفاعليّة في الحياة الجنسية. يضيف إليْها عوامل أنثوية أخرى مهمّة على غرار الفالوس الأنثوي: النّرجسية وَعشق الذّات لدرجة الإفراط في الزّينة وَوضع الحليّ وإرتداء الملابس الفاتنة؛ أقنعة وَأغطية نفسية تكتسي قيمة موضوع وسطيّ، يثير نزوة عشق النّظر[45] عند الآخر، يزيد من ميْلها إلى الاستعراضية تحت غطاء العفّة، كي تتمكّن كأنثى من إمتلاكه، وضمان استمرارية وبقاء علاقتها به، فتكشف عن قدراتها على إقامة روابط، مع الذّات ومع العالم ومع الآخر والآخرين، ويبرز كفاءتها في إمكانية اللّعب والتّرميز والعقلنة والابتكار(Anzieu، 1981)، يجد الطّفل وَالرّاشد في هذا الفضاء بديلا بين الواقعيْن الدّاخلي وَالخارجيّ.

صورة جسدية ظاهريّة تعكس جسدًا فالوسيّا شُيّد في الجمال، وفق نظرة أنثوية تمثّل أيْضًا إحدى أخلاقيّات العلاقة بالآخر وَالقائمة على أوّليّته وَأولويّته، وَهي الوجه أوِ الواجهة الّتي تجدّ الأنثى في الإعتناء بها وتبحث في إبرازها له، تستثمرها في فتح حوار معه، وبالتّالي الدّعوة إلى علاقة موضوعية، لذلك فالأنا مطالب دائمًا بفعل أكثر ممّا يفعله

---

[45]- Pulsion scoptophilique= أو إشتقاق اللّذّة من النّظر إلى صور مثيرة أو مواد إباحية، أو أجساد عارية.

لنفسه. وَمن هنا توظّف الأنثى في علاقاتها الموضوعية، مازوشية، تغذّيها نرجسية، تبحث فيها المرأة عن إصلاح الجرح الجسدي–النّرجسي وَإيجاد الحبّ على ماهي عليْه والحصول على ما حُرمت منه معه. نرجسية تميّز النّساء، في اهتمامهنّ بإظهار جسد فاتن لدرجة الفيتيشية تعويضًا عن جاذبية الفالوس، تغذّيهنّ بعض مشاعر التّجاهل وإعفاء الآخر لعدم الحاجة إليه، وَتأكيد إدراكهنّ المجزّأ لأجسادهنّ وَذواتهنّ.

لهذا يختصر Freud الجنسانية الأنثوية في التّصرّف الهستيري: تشنّجات جسدية، وضعيات جسمية مريبة، نوبات وآلام، تكشف عبر تداعياتها بدايات الأنوثة: إغواء هواميّ أبوي تمنحه الفتاة رغبة شبقية.

ما الّذي حدث خلال التّطوّر النّفسي اللّيبيدي للفتاة؟ يقول Freud: أشرت في مقالاتي، "ثلاث محاولات حول النّظرية الجنسية"(1905)، "نظريّات الجنسانية الطّفلية"(1908)، "مدخل إلى النّرجسية"(1914)، "التّحويلات النّزوية في المرحلة الشّبقية الشّرجية" (1917)، إلى دور الشّبقية والإشباع الذّاتي في توليد النّرجسية الأوّلية، النّزوات الجزئية السّادية في علاقتها بالثّدي أوِ البراز كموضوعيْن جيّديْن أوْ سيّئيْن، وارتباط المرحلة الشّرجية بالسّلبية أوِ الفاعلية المحدّدة للاختلاف الجنسي بين الذّكر وَالأنثى، الثنائية الجنسية وَميْلها إلى التّحديد بدخول مرحلة البلوغ وَتعرّف الفتاة وَالولد على وجود المهبل، حينها فقط، وَبانتقال الأولى من الأمّ إلى الأب، وَتحوّلها إلى القطب المازوشيّ، هناك فقط، تبلغ الفتاة صفة الأنوثة، فتكبت مبكّرا نزواتها الجنسية وَتستثمر بإفراط التّجاويف الفمية وَالشّرجية على حساب المناطق التّناسلية. حالها حال الهوامات وَالسّلوكات الجنسية من صنف الاستعراضية، المتلصّصة، السّادو–مازوشية، وَارتباط الباثولوجيّات الجنسية الأنثويّة بالتّثبيت على الاستثمار الفمي. خصال أنثويّة أكّد Freud على أهمّيتها وَالنّرجسية في تفسير الجنسانية الأنثوية.

كان تحيّز Freud اللاّشعوري لجنسه الذّكري أحد أسباب عجزه عن فهم حقيقة المرأة. وَلأنّ الكثيرين من بعده إعتنقوا أفكاره، فقد ساهموا في نشر النظرية الفرويدية المشوّهة

حول سيكولوجية المرأة. فورّث غيره من العلماء نظرة سلبية عنها في الجنسانية، حتّى أنّه ربط هذا الرّأي المتشائم بالتّلقّي الأنثوي المازوشي وَدور المتفرّجة مقارنة بالرّجل الفاعل الإيجابي، مثيل سائله السّريع الحركة، بينما تقبع البويْضة في مكانها، ساكنة لا تتحرّك تنتظر أن يخترقها الحيوان المنوي.

1-1-المرحلة الحشيّة[46]

تكشف النّظرية الفرويدية كما سبق لنا توضيحه، عن نظرة مستصغرة للجنس الأنثوي، يستنكر من خلالها .Freud.S حقّ المرأة في الفاعلية الحياتية، لأنّها تمتلك عضوًا خفيّا، لا تُدركه شعوريّا، تكبته وَتتحسّس بظرها لتكشف عن حسد الذّكر في قضيبه البارز، وَتكنّ مشاعر الكراهية لأمّ اِستحدثت هذا الاختلاف التّشريحيّ، ظنّا منها أنّ هذه الأخيرة تمتلك واحدًا، يخصّ الأب، لذلك تحسدها أيْضًا على هذا الأخير وتنافسها عليْه.

بسبب تشريحيّتها الخفيّة، نادرًا ما تشعر الفتاة بوجود عضو تناسليّ، تزيح عليْه الإحساسات الشّرجيّة فيختلط عليْها مكان وفعالية المهبل أوِ الشّرج خلال المرحلة التّناسلية.

إنّها نظريّة الطّفل الجنسية الّتي لا يعترف فيها بالتّمييز ما بين المهبل وَالشّرج: وَكأنّ المرأة (تبعًا له) لا تمتلك إلاّ تجويفًا واحدًا وَفتحة واحدة تخلط بينها وَبين الشّرج، فيتكوّن لديها هوام توظيف الفتحتيْن على السّواء في ولادة الأطفال وَممارسة الجماع.

وصف .Freud.S فيما أسماه بالنّظريّة الحشيّة في مقالته حول "النّظريّات الجنسية الطّفلية عام 1908" باعتبارها النّظرية النّموذجيّة الّتي تتناول عند الطّفل ذكرًا كان أوْ أنثى، فكرة

---

[46]- من الفعل "حشا، يحشو"؛ و قال الأصمعيّ: أسفل مواضع الطّعام الّذي يؤدّي إلى المذهب المَحشاة، بنصب الميم، و الجمع، المحاشي، وهي المبعر من الدّواب، و قال: إيّاكم و إتيان النّساء في محاشيهنّ فإنّ كلّ مَحشاة حرام. و في الحديث: محاشي النّساء حرام. كما قال ابن الأثير: هكذا جاء في رواية، و هي جمعُ مَحشاة لأسفل مواضع الطّعام من الأمعاء فكنّى به عن الأدبار؛ قال: و يجوز أن تكون المحاشي جمع المِحشَى، بالكسر، و هي العُظامة الّتي تعظّم بها المرأة عجيزتها، فكنّى بها عن الأدبار.

عدم وجود أكثر من ثقب واحد "الشّرج"، وَتنكّرهما للمهبل، فيتولّد لديْهما تصوّر "حشيّ" للجماع، يؤدّي إلى الإقتناع بأنّ ولادة الطّفل تكون مثلما يطرد البراز.

تظهر هذه النّظرة تبعًا ل Freud، في سنّ مبكّرة جدّا، وتتوافق مع بعض المعطيات التّحليلية فيما يتعلّق خاصّة بتطوّر الجنسانية الأنثوية، حيث ينتفي الفصل القاطع المطلوب بين الوظائف الشّرجيّة وَالوظائف التّناسليّة، وَتقام علاقات وثيقة على أساس أوجه التّماثل، سواء على المستوى الشّرجيّ أوِ المستوى التّناسلي الجنسي. إذ يظلّ هذا الجهاز هكذا قريب الشّبه بالحشّ، ليس عند المرأة، في رأي Freud، سوى مجرّد مهبل تابع وَمشتقّ من الحشّ، يُرفع إلى مرتبة المنطقة الغلمية السّائدة "الشّرج" انطلاقًا من حالة عدم التّمايز.

تحلّل Lou Andréas Salomé بمنتهى الدقة وبحرية فكرية كذلك، هذه الحالة بالإشارة إلى، التّأثيرات المختلفة لفتحة الشّرج على ممارسة الجنس. فهي تميّز في الشّرجية واقعًا شبقيّا ذاتيّا يندمج لاحقا في تطوّر الحياة اللّيبيدية؛ ورمزًا يتمثّل في فضلات "مقزّزة" ، قذرة يجب رفضها، وَمن هنا النّفور من الحياة التّناسلية. واقع يتمتّع بالنّكوص نحو الشّبقية الشّرجية بدعامة سوماتية هامّة: تقارب الفتحتيْن الشرجية والمهبلية يساهم في تكوين تمثيل حشيّ للجنس الأنثوي (تذهب Lou Andréas Salomé إلى حد القول بأنّ الشّرج يُعوّض المهبل باستئجار هذا الأخير للأوّل)، وأيْضا إلى حدوث الخلط بين: "أكثر الإفرازات حياة والفضلات ميتة"، يؤكّد إمتزاج الحياة والموت بشكل وثيق. مع العلم أنّ البقعة النّاتجة تحدّد على حدّ سواء آثار البول والبراز والسّائل المنوي والإفرازات المهبلية ودم الحيض وَحتّى دم فضّ البكارة.

1-2-مرحلة تغيير الموضوع و تغيير المنطقة الشّبقية

إنّ المتتبّع للتّفسيرات المقدّمة آنفًا حول الجنسانية والأنوثة خاصّة في مجتمعنا العربي يكتشف أنّ تطوّر المرأة النّفسو–ليبيدي بانتقالها من المراحل قبل–الأوديبية إلى المرحلة التّناسلية، يمرّ بوضعيتيْن نفسيتيْن هامّتيْن: استبدال موضوع الحبّ وتغيير المنطقة

الشّبقية. ويقول Freud مؤكّدا ذلك: "يحتّم تغيير عضو المرأة تغيير جنس موضوع حبّها"، فبعدما كانت الأمّ على غرار الذّكر هي أوّل موضوع حبّ، يصبح في حالة الفتاة عند اكتشافها للاختلاف التّشريحي، الأب هو من تتعلّق به الفتاة فيتأخّر انعتاقها من عقدة أوديب وَبناء الأنا الأعلى.

أمّا بالنّسبة لتغيير العضو التّشريحي، فنظرًا لأنّها ذات تكوينية جنسية ثنائية، فهذا التّشريح المضاعف يهيّئها إلى هذا الانتقال من البظر في مرحلة الطّفولة إلى المهبل في مرحلة التّناسل ودخول فترة استثمار موضوع حبّ ثاني. تَوَجُّهها نحو توظيف أنوثتها يستلزم تغيير بظرها بمهبلها، عضو التّوالد والتّناسل. لذلك يمكننا القول أنّ المرأة في بداية تطوّرها اللّيبيدي تكون ذكورية، وَعند بلوغها المرحلة الرّاشدة تصبح أنثوية.

وفق التّواتر الزّمني، تنتقل الفتاة من دور الفاعلة في علاقتها قبل-الأوديبية بالأمّ وميول برغبات فمية، وطابع مزدوج من السّادية والفالوسية، النّشاط والخمول؛ ثمّ تكبت الذّكورة لتتخلّى تلقائيّا عن هذا الدّور في الفعل الجنسيّ فتصبح سلبية متلقّية، يسهُل انتقالها إلى الأب كموضوع حبّ. لهذا، يعتمد تغيير الموضوع في المثلث الأوديبي على تمزيق الغلاف الأمومي الأوّلي، بنوع من العنف الّذي يميّز الفعل الجنسي.

تمرّ الفتاة في انتقالها بين المرحلتيْن، بثلاثة فقدانات أوِ انفصالات: التّخلّي عن الأمّ كموضوع رغبة والالتفات نحو الأب، ما يعني تغيير في الموضوع وَتغيير لجنس الموضوع؛ إزاحة المنطقة الشّبقيّة من البظر إلى المهبل، لأنّه تجويف قابل للإيلاج؛ تحويل الميول النّشطة وَالفاعلة الشّبقية السّادية وَالفالوسية، إلى ميول ذات أهداف سلبية، مازوشية، ومتلقّية.

هذا التّخلّي أوِ الانفصال الثّلاثي دفع ب Freud إلى أن يقول بارتباط الوضعية الأنثوية لصالح الميول السّلبية المتلقّية في العلاقة بالأب، وضعية لا تكتسبها الفتاة إلاّ من خلال استبدال الرّغبة في طفل بحسد القضيب.

2- وجهات النّظر التّحليليّة المعارضة للفرويديّين حول الجنسانية الأنثويّة

إنّ الرّاغب في التّعرّف على الجنسانية الأنثوية، ننصحه بالمحلّلات النّفسانيّات وَبعض المحلّلين من أمثال Horney، Dolto، Torok،McDougall، Müller، Klein، Jones... تحدّث هؤلاء عن المرأة في معايشتها لهذا النّشاط النّفسو-جسدي من منظور تحليلي معتاد بتطرّقهم للخصاء وَالعقدة الأوديبية وَهوامات الإغواء لكن بنظرة تختلف عمّا رآه Freud: قاعدة فالوسية نشطة تولّد مازوشية بظرية تكبت مهبلها لأنّها حاسدة للذّكر.

إرتأيْنا التّطرّق إلى نظرتهنّ التّحليليّة من حيث تركيز كلّ منهنّ على مؤشّر من التّطوّر اللّيبيدي للفتاة وَمساهمته في بناء جنسانية المرأة التّناسلية.

2-1- التّطوّر المبكر للجنسانية الأنثوية (Jones، 1927؛ 1932)

درس Jones الجنسانية الأنثوية من مركزية الفالوس وَحسده في التّحليل النّفسي، فبحث في تمايز المثلية النّسوية عن الحياة الجنسية الغيرية لمعظمهنّ؛ ثمّ فيما يقابل قلق الخصاء عند الرّجال منه لدى النّساء، وَكيف يمكن تفسير تكوين هاته الأخيرات لمخاوف مريبة يسقطنها على المستقبل بخلاف الرّجال علمًا أنّ الخصاء فعليّ بالنّسبة إليهنّ؟

يظنّ Jones أنّ شدّة التّخوّف من فقدان القضيب لدى كلّ من الذّكور والإناث تخفي تجسيد خشية القضاء الأساسي الكلّيّ والنّهائي لديْهم على الجنسانية (مخاوف المتشنّجات)، خاصّة البرود الجنسي.

تتميّز المرأة في إشباعاتها الجنسية عن الرّجل في كونها أكثر تبعية فيزيولوجية لموضوع خارجي، فهي تخشى الفراق، أوْ ما يُعرَف بالخوف الأنثوي من الهجران[47]: قالت إحدى المتشنّجات: "صح أنا سباب واش رانا عايشين، بصحْ شهرين والو؟ ما نقولْ والو حتّى يشوفني نطمْ في حوايجي على طْناش تع اللّيل، كي نبدا نخبط، باش يقولي واشبيك؟ ...".

---

[47]- لقوله تعالى "و اهجروهنّ في المضاجع"(النّساء/34). يكون الهجر في فراش النوم بعدم جماع الزّوجة لزوجته وعدم التحدث معها إلا قليلاً حتّى يُشعرها بجديته في تصرفه وهجره لها، وأن هناك ما يزعجه منها حقًّا لدرجة أنه لا يرغب في وطئها وهي في المضجع معه، وأنه قادر على حبس نفسه عن وطئها ما قد يُحملها على ترك نشوزها والرجوع عن عصيانها.

تصرّف عصابي يكشف عن مكبوتات جنسية يعكسها شعور بالذّنب نتيجة النّقص والإحباط، أصل تكوُّن الأنا الأعلى لدى المرأة، يقول Jones؛ أوْ ميل إلى الإصلاح والتّصحيح تقول Klein، بهدف الإحتماء من القلق النّاتج عنهما، لأنّ الفرد أيّا كان جنسه، يُسقط سبب نقصه الشّخصيّ على العالم الخارجيّ. فالخوف والتّخوّف من الفراق و الهجر يجعلها تدرك صرامة الآخر وَقدرته على العقاب وَإفقادها موضوع إشباعها الجنسي إذا ما أخطأت في حقّه.

عمومًا، يقضي الأنا الأعلى على الرّغبات الّتي لا يمكن إشباعها. حينئذ فقط، يمكن للمرأة أن تُقدم على محاولتيْن: إمّا أن تغيّر إجباريّا الموضوع، أوِ الرّغبة: يجب عليها التّخلي إمّا عن الأب، أوْ عن المهبل (حتّى المهابل قبل–التّناسلية). في الحالة الأولى، يمكنها أن تجد نهاية سعيدة لأنوثتها على مستوى الرّشد باستثمار المهبل وإزاحة اهتمامها الشّبقي من الأب إلى الرّجال الآخرين. في الحالة الثانية تبقى المرأة متعلّقة بالأب لكن على طريقة التّماهي (عقدة القضيب).

لذلك يعارض Jones المحلّل Freud الّذي يقول بأنّ المرحلة القضيبية تطوّرية ليبيدية متماثلة بين الذّكور والإناث، بل هي مرحلة تمثل على الأغلب عند البنات تكوينًا دفاعيّا ثانويّا بتجاهل المهبل، وَأنّ هذا الدّفاع قد يؤدّي أحيانا إلى جنسانية مثلية تنتج عن التّشديد السّادي في المرحلة الفمية.

يتّفق أيضًا العالِمان Jones وَKlein على الانتقال المباشر لدى الفتاة من الفمية إلى الأوديب، من الثّدي إلى علاقة فمية هوامية بالقضيب، ثمّ الإستمناء البظري، بديل الشّبقية الذّاتية، إشباع مرتبط بالنّشاطات الإحلالية الذّكورية وقوفًا وَالإستعراضية المصاحبة لها على حدّ قوْل Jones وَالباحثة Horney؛ وَ يزاح الاستثمار الفمي على الفتحة الشرجية طبقا للنّظرية الحشية الفرويدية، فتنشأ على إثره روابط وطيدة لكنّها معقّدة كثيرًا وغامضة بين الاستثمار الشرجي وَالمهبلي (حالة المتشنجات في سعْيهِنّ وَأزواجهنّ إلى هذا البديل).

في هذه المرحلة "فم-شرج-مهبل" تتماهى الفتاة بالأمّ، لكن فيما بعد يظهر حسد القضيب. رغبة نكوصية في أصلها، دفاعية ثانوية ذات احتماليْن مثلّيّن: إمّا أن تتخلّى عن عضوها و تحتفظ بالأب كموضوع، في هذه الحالة تتماهى به وَترغب في أن تجد الحبّ وَالإعتراف منه بفحولتها؛ وَإمّا أن تتخلّى عنه كموضوع بعدما تماهت به في امتلاك قضيب شخصيّ (الأب المستدخل)، وَهنا تنكر المرأة رغبتها في القضيب بما أنها تستهدف إظهار إمتلاكها واحدا مثله (حالة بعض المتشنجات). وَفي كلتيْ الحالتيْن، تظهر هاته النّسوة اهتمامًا بأولئك اللّواتي يبرزن أنوثة كنّ يحلمن بها وَلكنّهنّ يجدن صعوبة في الاستمتاع المباشر بها، علمًا أنّهنّ لا يُعرن الرّجال أهمية كبرى إلاّ أولئك الّذين يعترفون بها كواحدة منهم.

لذلك، يتّفق Jones مع Klein، Horney و Deutsch بإلْزامية التّمييز بين حسد القضيب الشبقي الذّاتي قبل-الأوديبي، وَتلك الشّبقية الأوديبية أو الفرق بين الحسد والرّغبة في القضيب، حيث تتمثّل هذه الأخيرة في مشاركة امتلاك القضيب في جماع فمي، شرجي أوْ مهبلي.

وعليْه، يشترط التّطوّر السّويّ للجنسانية الأنثوية نحو الغيرية تأخّر قيام المرحلة السّادية؛ وألاّ ينمّي استثمار النّساء السّادي للبظر، رغبات ذكورية عنيفة جدّا بالإيلاج، ولا أن يصحب الهوامات الفمية عدائية شديدة بالإخصاء.

2-2- عواقب وضعيات القلق الأولى على التّطوّر الجنسي الأنثوي (Klein، 1928)

أوْما يسمّيه Freud بالجنسانية الطّفلية. تمرّ الفتاة والولد، من منظوره، بنفس المراحل التّطوّرية اللّيبيدية تجسّدها مناطق شبقية، مصادر إثارة وإشباعات نزوية جزئيّة، أساسها رغبات فمية استدماجية وإخراجية إسقاطية، سادية وفالوسية، تميل نحو التّمايز في المرحلة القضيبية، بين الذّكورة والأنوثة، فتتّجه صوب أحادية القضيب وإهمال كلّ منهما للمهبل، وَإتّصاف البنت بالسّلبية والتّلقّي عند دخولها مرحلة تغيير الموضوع والعضو

التّناسلي، فتكبت الذّكورة وميول القيام بالنّشاطات خاصّتهم، وتتخلّى عن العديد من حركاتهم الجنسية مثل تأدية الإطراحات الإحلالية قيامًا[48].

أشار التّحليليّون الجدد و منهم Jones et Klein إلى اكتساب الفتاة لصفات أنثوية بعد اكتشاف خصائها وَاختلاف عضوها عمّا يملكه الذّكر. فتصبح مازوشية، أكثر نرجسية تغذي نحو أمّها مشاعر الكراهية والانزعاج والرّغبة في تدميرها لإحلال القضيب محلّ الثّدي المفقود. وعليه تطوّر الفتاة حسبهما، رغبة استدماج فمّي للقضيب تزيح عليه نزواتها الفمية الّتي بقيت دون إشباع بعد الفطام.

وَبتحصيل الفتاة لهذا الموضوع الجزئي تقتنع على أنّها تمتلك سلطة حقيقية دفاعية تحميها من الدّمار الّذي قد يلحقها بسبب ساديّتها تجاه الوالديْن. فتتشكّل لديْها عقدة الفحولة، وَينمو بداخلها شعور بالذّنب يفسّر تخوّفها من تحطيم حقيقي لجسد الأمّ، وَبذلك القضاء على مصدر الحياة. تثار على إثرها حاجة الإصلاح وَالتّصحيح لكلّ ما ترغب في تدميره خوفا من فقدان حبّ وَرعاية ذاك الموضوع، فتجبل على هذه الميول وتشبّ عليها، فتصبح أصل التّساميات الأنثوية.

تشير Klein(1933) إلى تعادل قلق الخصاء عند الفتاة وتخوّفها من تشويه داخلي لجسدها، وتدمير موضوع حبّها له. ميزة أنثوية صادرة عن هوامات الفتاة السادية تجاه والديْها اِرتبطت بمعاناتها من الإحباط و تولّد الكراهية والحسد كهروب من أنوثتها. ويؤكّد Jones(1927) هذه الفكرة ويدعمها بخوف البنت من فقدان الموضوع والانفصال عنه بسبب التّبعية الفيزيولوجية للمرأة مقارنة بالرّجل في إشباعاتها الجنسية.

تنمّي الفتاة على حدّ قولهما، استقبالاً فميّا وَ مهبليّا أنثويّا للقضيب ترتبط بتحريضات ليبيدية أوّلية، تجعل من هذه الرّغبة نموذجًا للشّبقية التّناسلية والمهبلية مستقبلاً. وقد تدفعها

48- أو البولية. إنّ المطّلع على الأحاديث النّبويّة، يجد أنّ فعل الوقوف لدى الرّجال، جائز، و لكن يُفضّل لهم، على غرار الإناث إتيان هذه الوظيفة الفيزيولوجية قعودًا لقول عائشة رضي الله عنها: "مَن حدّثكم أن النّبيّ (ص) كان يَبُول قائما فلا تصَدِّقوه، ما كان يبول إلاّ قاعداً"؛ رواه التّرمذي، وصحّحه الألباني في صحيح سنن التّرمذي: لأنّه أستر لعورة الرّجل وأحفظ له من أن يصيبه شيء من رِشَاشِ بَوْلِه.

المشاعر المُتناقضة تجاه قضيب الأب المستدخل لاحقًا، إلى مضاعفة التّجارب الجنسية الواقعية أوِ الهوامية لاستدخال القضيب "الجيّد" وَ محاربة "السّيّئ" المستبطن سابقًا.

3-2- المرحلة القضيبية و النّرجسية الأنثوية (Chasseguet ،Grunberger)

تباحث هؤلاء التّحليليّين على حدّ Grunberger(1960)، Olivier(1980)، Irigaray (1974) إشكالية النّرجسية الأنثوية وارتباطها بالرّغبة التّناسلية. عارضوا النّظرة الفرويدية القائلة بالجوهر النّرجسيّ للمرأة وَتكريس رغبتها في تحصيل ولد من الأوديب للمطالبة بالحبّ ممّن تختاره على أساس صفات وَخصال تمنّت أن تتّصف بها موظّفة مرآتية Narcisse.

على خلاف، تؤكّد Chasseguet(1964) على ارتباط النّرجسية الأنثوية بقلق الإيلاج وَحسد القضيب، حيث تحوّل الفتاة على الفالوس ميزات كانت سابقًا خصال الأمّ البدائية، كالقوّة، منح الحياة والحبّ...ثمّ تحوّل القوة الفالوسية من الأمّ الرّاعية إلى الأب، مالك العضو الفيتيشي، فتحْسُده. وَإنكار الفتاة لصُوَر الأمّ، يساهم في تخليصها من الدّائرة الأمومية المهيمنة، ويشكّل دفاعًا ضدّ هوام الإيلاج من القضيب الأبوي (قلق الإغتصاب أوْ قلق التّفكيك/الإنشطار "حالة المتشنّجات")، ما يجعلها تعجز عن تجاوز جرح نرجسيّ صنّفها ضمن الموضوعات غير المعترف بها، ثقب غير فعّال وَجسد غير مكتمل.

لذلك تتماهى الفتاة بما يثيره الفالوس من رغبة، فتبحث في علاقتها بالآخر في أن تكون مرغوبة وَمتمنّعة (حالة المتشنّجات)، ما يزيدها نرجسيّة تتماشى وَالعشق المفرط بجمالية جسدها لتتساوى وتأثيرات الفالوس عليْها. نرجسية فالوسية، يمثل القضيب جزءها الأساسي واندماجها الجسدي، وتلخّص إشكالية الرّغبة الجنسية عند المرأة، لأنّها إشكالية لم وَلنْ تحلّ، لذلك يقول Grunberger، Olivier وَIrigaray، أنّ الفتاة لا تنحصر أعضاؤها التّناسلية الأنثوية في البظر والمهبل، بل تمتلك عضوًا جنسيّا كاملا يتمثّل في الجسد، عضو-جنس أوْ فالوس يُستثمر كرمز للإكتمال وَليس كرمز للفحولة.

لهذا توصّلت Chasseguet إلى أنّ الرّغبة في القضيب ماهي إلاّ إعادة تكييف بطريقة تناسلية مستقبليّة لرغبة مبكّرة قبل-تناسلية في القوّة الفالوسية. علمًا أنّ الرّغبة بالفالوس ترتبط بهوام القوّة المطلقة البدائية، النّرجسية الأوّلية؛ أمّا حسد القضيب فيتعلّق بالرّغبة في عضو يمثّل رمزًا للفالوس. وعليْه، يعبّر حسد القضيب عن صراع عصابي بين رغبة وتحريم، أوْ رغبتيْن متناقضتيْن Torok(1964): هوام الرّغبة في قضيب الأب المثالي، وَرغبة الفتاة في الاستمتاع بعضوها الأنثوي، وبالتالي تعويض ما تعانيه من جرح نرجسي (Braunsweig و Fain، 1971)، لكنّ تحريم الأمّ لأفعال استثمار الجسد وتوليد اللّذّة تؤدّي إلى كبْت جُزْء محظور من الذات، كالتّغوّط و الإستمناء، فتعيش خسارة نرجسية، تُطوّر عدائية من الفتاة تجاه أمّها تولّد رغبتها في التّحرّر منها.

لماذا تكتسي النّرجسية أهمّية في حياة المرأة الجنسية؟ يشير (Montgrain، 1981) إلى المعاناة النّفسية المرتبطة بالحرمان النّرجسي الّذي تعيشه المرأة بنْتًا في علاقتها المبكّرة، وَالّتي لن تتعاف منها أبدًا بشكل كامل، بدْءًا باستدخالها لمشاعر الفشل وَخيبة أمل الأمّ إذا ما بُشّرت بأنثى، ثمّ اكتشاف البنت لعدم الإعتراف بأعضائها التّناسلية وَلا باستثمارها ليبيديًا ثمّ إدراكها للوضعية الجنسية الدّونية الّتي تشغلها جرّاء ذلك اجتماعيًا ثم استحالية توفير موضوع جنسيّ مشبع يكون بنفس غيرية الأب يمتلك عضوًا يكتمل بعضوها الخاصّ وَضروريّ لاستمتاعها؛ لكنّ غياب الأب مع بداية الحياة الأنثوية يولّد انزعاجًا لدى الفتاة، يدفعها إلى إحلاله درجة المثلنة، وَتقصّيها اِمرأة لحبّه في مشاركة العلاقة الموضوعية مع رجل آخر غيره. فأن تكون محبوبة يعادل لديْها اكتساب الفالوس.

كما يؤكّد Grunberger على أثر عدم كفاية المكافآت الشّفوية وَالشّرجية الّتي تتلقّاها البنت في علاقتها بالأمّ كبدائل في تحقيق الإشباعات التّناسلية الّتي يقدر الأب فقط على تقديمها لها. ويعترف العالِم مساندًا لأقوال Jones et Klein بوجود نزوات تناسلية تتزامن وتوظيف النّزوات قبل-التّناسلية، الفميّة والشّرجيّة. ما يعني وجود انجذاب جنسي طبيعي

بين الجنسيْن منذ المرحلة الفمية، وَينكر الميزة المثلية للعلاقة أمّ-بنت الّتي تحدّث عنها الفرويديّون.

يتميّز تطوّرها الأوديبي باحتقار المركبات قبل-التّناسلية للجنسانية وَتأنيب لعلاقاتها الغرامية (انزعاج من الأب)، البحث عن صورة مثالية للأب نكوصية طفولية و تعزيز نرجسيّتها كظاهرة وسطية في علاقاتها الموضوعية اللاّحقة.

تتّفق Horney(1933)، Jones et Klein(1932) على إعتراف الفتاة بوجود المهبل وَيستنكرون الضّرورة المفترضة منها بأن تقيم حدادًا حول بُظرها. باعتبار هذا الأخير مسؤول عن اللّذّة، فهو عضو نرجسيّ بامتياز يتوافق و نرجسية القضيب، وَمن هنا الضّراوة الذّكورية في القضاء عليه.

يرى Freud أنّ هذا النّوع من النّساء نرجسيات جدّا، جذّابات، مشبعات ذاتيّا، وَجمالهنّ الغريب يذكّر ببعض الحيوانات كالقطط أوِ الأطفال.

2-4- دلالة حسد القضيب و عقدة الفحولة (Torok، 1964)

تعيش الفتاة المرحلة القضيبية في ظلّ سيطرة فالوسية نفسية بيولوجية، أساسها أحادية جنسية قد تحوّل رغبتها حينها إلى تماهي بالرّجل، فتقلّده في تصرّفاته وَطرق كينونته، تبني هيكلا بشريّا خارجه متين وَصلب، لكنّه يحتضن فراغًا، قلقا و إحباطًا، فضاء نفسي داخلي يخضع أيْضًا لسيطرة الأمّ. ما يولّد كراهية تبيّتها الفتاة تجاه أمّها وَتودّ حتّى لاشعوريا لو تخاطبها قائلة: "لو يمكنني إخبارك أنّني أشتهي القضيب-الفيتيشي فأمتلكه وأصبح ذكرًا، ما لا يمكنني الإحساس به هو إجهاض رغبتي كامرأة في الاستمتاع بالقضيب، وفق ماهو مقدّر لعضوي الأنثوي". لهذا، تكبت الفتاة القضيب، وَتكبت معه جزءًا منها، وحتّى سيطرة الأمّ عليْها، فتنكر عضوها الأنثوي المتمثّل في مجموعة أفعال وَحركات أصبحت مفضّلة لدى الأمّ الشّرجية. رغبة تتحوّل إلى حسد، يوّلد بدوره حسدًا وَتدميرًا. وَهو ما دفع المنظّرين التّحليليّين الجدد مثل Jones وَKlein إلى تشبيهه بالعلاقة

الأولى بثدي الأمّ، حيث يقولان إذا ما توصّلت المفحوصة إلى حلّ الصراع القائم حول استدخال الثّدي، يفقد حسد القضيب شدّته الانفعالية و تتقبّل المرأة وضعيتها الأنثوية التّشريحية، لأنّها شرط تأدية وظيفة الولادة.

من جهتها، بحثت .Torok.M في دلالة حسد القضيب عند البنت وَالشّابة لاحقًا، فتوصّلت إلى أنّ هذه الأخيرة تشتهي بحسدٍ عضو الفحولة وَرموزه، علمًا أنّه موضوع يتعذّر عليْها تحصيله، ما يشعرها بإحباط يرتبط بالعجز في إشباع الرّغبة الملحاحة في إمتلاك ما تظنّ أنّه مُقدّر لها أن تُحْرمَ منه، أوْ أنّ الأمّ لم تمنحها إيّاه عمدًا. يعيق هذا الحرمان استمتاع المرأة مع موضوع حبّها بسبب ما يكتنفه من مشاعر الغيرة والمعارضة، خيبة الأمل واليأس، كفّ وقلق، إعجاب وَمثلنة، فراغ داخليّ وَإكتئاب: أعراض تكشف عن حالة نقص تحسّه المرأة تشريحيّا مقارنة بالرّجل؛ يتولّد عنه سوء تقدير لذاتها يعكس ضعفا، اتكالية، حماقة، قصورًا ذاتيّا وَ إصابتها بأمراض تنتج عن الدّونية البيولوجية صنّفت المرأة ضمن الكائنات الضّعيفة الخرقاء. نتيجة أدحضتها دراسات Masters et Johnson وَتلك الّتي أجراها Griffit(1975)، Wagner et Vancre (1976)، لأنّ الدّونية الّتي تشغلها المرأة في المجتمع وخاصّة في الجنسانية، تفسّرها الضّغوط الخارجية وَالثّقافية خاصّة.

تطّلع الفتاة عن حقيقة التّرابط بين تشريحها العضوي وَمكانتها الاجتماعية ببلوغها المرحلة القضيبية، خصاء أنثوي من أنا أعلى أنثوي أمومي قاسي لتخوّف هذه الأخيرة من منافسة ابنتها لها على موضوع حبّها، الأب، فأخصتها بالتّشديد في تربيتها، وَالقسوة عليها حالها حال المرحلة الشّرجية حيث تتحكّم الأمّ في مخرجات ابنتها فتمتلك أحقية وَأسبقية على هذه الأفعال، فتُحرم ابنتها حقّها عليها وَحرّية إتيانها بعيدًا عن رقابة الأمّ. خصاء رمزيّ إضافة إلى خصاء عضوي فعليّ تكتشفه عند معالجتها لعُضوها، مختلف تشريحيّا عمّا رأته عند الذّكر، حينئذ تعترف بالبظر كتشريح أنثويّ تعويضًا عن القضيب، لكن متناسية وَمتجاهلة في آن واحد مهبلها كلّية. ثمّ تصادفها القواعد الاجتماعية بإلزامية

خصي حتّى هذا البظر بعملية "الخفض/الرّباط"، فيبني هذا الخصاء الأنثوي الثّاني حضارة وَاستمرارية المجتمع وَالخليقة في ظلّ السّلطة الفالوسية.

2-5- عقدة أوديب وَالشّعور بالذّنب الأنثوي (Horney ،Klein)

تعيش المتشنّجات مهبليّا خاصية لاشعورية تمنعهنّ من بلوغ اكتمال نضجهنّ النّفسي، وَكأنّ المستمع إليْهنّ، يفترض اختيارهنّ إلى أن يُبْقين على الرّابط "ابنة فلانة" أوِ"ابنة علاّن"...خوف يمنعهنّ من أن يكنّ ماهنّ عليْه في تفرّدهنّ، وَيوحي بوراثتهنّ وَتوريثهنّ لخفض ثقافي وَخصاء رمزي. شبيهة بحالة أوديب، أحد المعذّبين في الأرض، بتعبير طه حسين، الّذي شَعَر بالذّنب ففقأ عينه ليقيم حاجزًا يفصله عن العالم الخارجي وَيعيقه عن إدراكه في حقيقته الكاملة.

شعرت المتشنّجات بالذّنب في تعلّقهنّ بموضوع حبّ أمّهاتهنّ، أخصتها هذه الأخيرة بالتّشدّد في تربيتها وَتخويفها من الرّجال. جرح نرجسيّ يولّد صدمة تصبح داخليّة بعدما كانت خارجيّة، في شكل ذاكرة جسدية تجعلهنّ يعزفن عن الانعتاق من هذا "الرباط" الرّمزي. تحويل لألم نفسي إلى ألم جسدي وَعضوي جزئيّ يكشف عن اِرتباط الواقع النّفسي بالواقع الخارجي، ويجد صعوبة في الانتقال إلى التّناسلية وَالرّشد. وَعليْه، يرمز أوديب حسب Ferenczi(1912) إلى مبدأ الواقع.

يحتلّ مفهوم عقدة أوديب مركزًا أساسيًّا في التّوجّه الفرويدي، ويعتبر عاملاً ديناميّا وَنواة التّكوين النّفسي للولد والبنت على سواء. فهو يكتنف كلّ ما يطبع علاقة تعلّق أيّ منهما بالأمّ وَمنافسة الأب عليها، أوِ العكس في حالة الفتاة، وَرغبتها بهذا الأخير وَنفورها من الأولى.

تعيش البنت، تقول Klein(1928) عقدة الأوديب مبكّرا جدّا، مع نهاية السّنة الأولى وَبداية الثّانية. تظهر ملامحها تحت سلطة اللّيبيدو الفمّي في امتزاجه بالهوامات والرّغبات

الشّرجية والإحلالية. لذلك تسند Klein بكورة الصّراع الأوديبي إلى قواعد بيولوجية أكثر منها رمزية.

إذا كان أوديب قد عُمي عن العالم الخارجي، فالعقدة المرتبطة به تفتح على صراعات نفسية داخلية، تقوم على إدراك الأنا للفروق بين–جيلية في العلاقة بالوالديْن، الاختلافات الجنسية وَالانعتاق من أحادية العضو، وَكبْتِه لتعبيرات النّزوات الجنسية والجزئية وَما يصحبها من هوامات وَتصوّرات يصبح فيها الأب موضوع إثارة ومحلّ تحويل للدّيناميّات النّزويّة، فيجسّد أمل خلاص الفتاة من الأمّ وَبصمتها الأمومية المستدخلة. وتنفتح عليها عندئذ تساؤلات حول الجنسانية في كيفية مجيئها إلى الحياة (هوام المشهد البدائي)، ثمّ اكتشافها لهويّتها وَدورها الاجتماعيّيْن وَتحديدهما لهويّة المرأة الجنسية أيْضًا، زدْ على أنّها تُحرّض ميكانيزمات التّماهي وَالتّماهي–الإسقاطي...حتّى وإن كان شغف الفتاة بالأب سينطفئ يومًا ما، حتّى وإن تفاعل الواقع والمحظور لمنع متابعة الأهداف الأوديبية، فإنّ الإنتقال من الأمّ إلى الأب يكشف عن حركية ممكنة وتجزئة للإثارة الشّبقية تيسّر الإقتصادية اللّيبيدية عند توظيفها لموضوعات نزوية أخرى.

يمكننا أن نخلص إلى أنّ عقدة أوديب تؤكّد مصيريْن، نوعية الموضوع المختار وَنوعية التّوجّه الجنساني (التّماهي)، مَثَلي أوْغيري. وَقد أشار Freud إلى ذلك بقوله، أنّ كل فرد يتأرجح طول مساره الحياتي بين قطبيْن متنافريْن، مشاعر غيرية وَمشاعر مثلية، وَأيّ حرمان أوْ إحباط من أحد الجانبيْن قد يدفع بالأنا إلى الجانب الآخر.

وَعلينا أن لا ننسَ أنّ أوديب وفقًا للمقولة القائلة بأنّ الأسماء مورّثات عبر–جيلية، فهو يُحمّل من سُمي باسمه ميراث إعتداء الأب على الأمّ وَإلزامية العمل على الإنتقام لها؛ وَيهيّئه لإتيان نفس الفعل المحرّم مع أقربائه وَأوّلهم الأمّ. فهل يحرّض الأوديب ميكانيزم التّقمص الإسقاطي؟

يعرف جميعنا أنّ الولد يخرج من الأوديب عندما يكتشف الخصاء وَإمكانية تفعيله؛ أمّا البنت فهي تدخل الأوديب عندما تكتشف أنّها مخصية، فتغيّر الموضوع لتحاول تغيير

عضوها المخصيّ بآخر مماثل لعضو أخيها. عقدة قد تدوم طويلا لأنّها لن تخسر شيْئا، فهي مخصية أصلا. لكن، قد تتراجع عن رغباتها لإحباطات الأب لنواياها وَامتناعه عن مبادلتها ما تهوم به وَفيه، فتغيّره بموضوع حبّ آخر تحاول معه الإبتعاد عن والدها؛ أو قد يكون ممّن يبقي اِبنته اعتمادية جدّا عليه فيتأخّر نضجها واستقلاليتها وَحتّى إمكانيّاتها الإبداعية، وَتكوين أناها الأعلى. يرتبط هذا التّأخّر في نظر Lacan(1975) بغياب التّرميز لعضوها أوْ خصائها الفعليّ، بعكس الولد الّذي يمتلك الفالوس كترميز للقضيب.

تبدأ حسب Klein ملامح الشّعور بالذّنب برغبات ابتلاع الأمّ الفمية-السّادية وَتحطيمها، يظهرها الولد تخوّفا من العقاب بالإخصاء، أمّا الفتاة فتعكسها في شكل رغبات تصحيحية تخوّفا من فقدان الحبّ. هي أصل عقدة الفحولة عند البنت. وَتشير Horney إلى أنّ الفتاة تحاول الخروج من الأوديب بتماهيها بالأمّ وَجعل الأب موضوع حبّها، فتنتج تصوّرات بالإخصاء وَهوامات المحظور حول هذا الموضوع، ما يشعرها بالذّنب لأنّها امرأة.

حينئذ تبحث في مختلف توظيفاتها اللّيبيدية عن إرضاء الوالديْن وَالأب خاصّة، تغذّيها مشاعر الغيرة وَالحقد، وَالتّخوّف من فقدان موضوع حبّها أوْ بدائله.

يسمح تجاوز الأوديب كعقدة بإقامة الشعور بالواقع، يفترض Braunsweig et Fain (1971)، أن تعيش البنت نمطيْن أوديبيّيْن: الأوّل كلايني، ينحدر من قانون بيولوجي وَمصير أمومي، وَ يتجسّد في مواجهة بين البنت وَأمّها لامتلاك قضيب الأب، موضوع جزئيّ؛ وَنمط فرويدي، يتميّز بقانون الأب وَيتضمّن إنكارًا للمهبل في العلاقة قبل-الأوديبية، ثمّ تأكيده كمَسْكن للقضيب[49].

VII- الاختلالات الجنسية الأنثوية

تجد المرأة على غرار الرّجل بعض الصّعوبات الذّاتية وَالعلائقية في تقبّل التّواجد الجسدي التّناسلي مع الآخر الفالوسي تتجسّد كعرضيّة في تأزّم الاستجابة الجنسية، أوْ

[49]-logis du pénis.

فشل الشّعور بالإستثارة...قد ترتبط باختلالات في استثمار وإدراك الذّات أوْ الموضوع. وَقد تكون، يقول بوحديبة، متعلّقة بتصوّرات وَهوامات تثبّتت على إيحاءات نجاسة، عائدة لِمَا يتوّلد من إفرازات وَإطراحات مرتبطة بالغائط، المنيّ، دم الطّمث أوْ الولادة...

قد تُحتّم هاته الاختلالات تارة، توظيف موضوعات انتقالية غالبا جزئية مثل الأدوية المخدّرة أوِ الأدوات ذات الرّمزية الفالوسية، وَتارة أخرى النّكوص إلى النّرجسية أي الإشباع الذّاتي أوْ الاستمناء[50]. لأنّه كما أسلفنا الذّكر في الفصول السّابقة لا يمكن لأيّ من الرّجل وَالمرأة أن يعيش بمنأى عن الجنسانية، وَهو سبب الخوف من الخصاء.

1- ماهية الاختلالات الجنسية الأنثوية

أوْ "عسر الوظيفة الجنسية". وهي كلّ الحالات التي تكون فيها المرأة غير قادرة على المشاركة في العلاقة الجنسية كما تتمنّى أو يرغب شريكها، لانعدام الاهتمام أو غياب المتعة، أو فشل في الاستجابات النّفسية الفسيولوجية الضّرورية للتّفاعل الجنسيّ المؤثر، لعدم القدرة على التّحكّم في النّشوة أوْ بلوغها (عكاشة ، 2013). يعترضها في ذلك نقص الإثارة وعدم إمتلاء الأنسجة الحسّاسة القابلة للإنتصاب في أسفل الحوض بالدّم الكافي، أوْ تورّم أعضائه فتغيب استجابة العضلات، إضافة إلى ضغوط اجتماعية وَثقافية تزيد وضعية المرأة حدّة تلقي بها في حلقة مفرغة لا مخرج لها...

تمنع هذه الاختلالات اكتمال العلاقة الجنسية وَ وقوع المواطأة، فيتعطّل خفض التّوتّر النّزوي أكثر من إضرارها بالمكافأة الذاتية وَإشباع المرأة لنرجسيّتها.

---

[50]- ترجع أصول الممارسة الإستمنائية إلى أسطورة خِبِر، الّتي يصفها W.Budge(1904) ب"الفظاعة"، "مثال وحشيّ على التّعرّي"، "لا يمكن إلاّ أن تكون من إنتاج أناس من مستوى وضيع من الحضارة". و لابدّ من أن تكون باقية "كواحدة من العادات الفظة للمصريين ما قبل الأسر الحاكمة، أي أنها واحدة من العادات الباقية من القبلية الأفريقية الأصلية الّتي تنحدر منها جزئيّا الأسر المصرية القديمة".الاله السرمدي، إله مكتف بذاته، مثال ذلك الاله المصري خِبِر *Khepera* الذي يمنح الميلاد للمرحلة الثانية من الوجود بممارسة الإستمناء: "لقد توحّدتُ مع يدي، و عانقت ظلّي عناق حبّ؛ سكبتُ البذور في فمي، و بعثتُ من نفسي ذرية في شكل الآلهة "شو"*Shu* و "تيفنوت" *Tefnut*. فخِبِر المنكفئ على نفسه هو صورة من اليوروبورس *urobors*: الأفعى الآكلة لنفسها مجدّدة لها؛ دائرة سحرية من التناسل و إعادة الميلاد (رمز قديم يصوّر تنّينًا، أو أفعى تبتلع ذيلها مشكّلة بهذا الوضع دائرة مكتملة. و غالبًا ما يمثل هذا الرّمز الانعكاس الذّاتي أو الدّائريّة؛ لاسيما بمعنى الشّيء الّذي يعيد باستمرار إنتاج نفسه، الأيض الأبدي أو الخالد).

تختلف هذه الاختلالات عن اضطرابات الهوية الجنسية؛ تتمثّل الأولى في انجذاب الفرد للجنس الآخر لكنّ استجابته الجنسيّة تكون بطريقة غير مناسبة؛ فهي اضطراب في الاستجابة على مستوى الرغبة، أوْ الإيغاف أوْ على مستوى الإفرازات المرتبطة عادة ببلوغ النشوة (Trudel، 2003). أمّا في اضطرابات الهوية الجنسية، فهناك صراع بين تشريحية العضو والهوية الجنسية منذ الطّفولة يولّد ضغطا ومعاناة نفسية و/أوْ توظيفًا جنسيّا واجتماعيّا مختلاّ، ينزعج الفرد حينها من عضوه التّشريحي، يرفضه وَيميل إلى القيام بنشاطات تميّز الجنس الآخر في لبسه، جلوسه، محادثته، مشيته...(Rathus،Nevid، Greene، 2009).

إنّ إمتزاج العوامل البيولوجية بالعوامل النّفسية وَالاجتماعية الثّقافية يزيد الوضع تأزّما، قد يخلّف اختلالات جنسية تحتاج لمتابعة نفسية وَربّما حتّى تحليلية.

2- التّشنّج المهبليّ كاختلال جنسيّ أنثويّ

يسمّيه Masters et Johnson (1970) بالعنانة أوِ التّشنّج المهبليّ، وَيربطانه بالتّخوّف من الإيلاج. يعرّفانه على أنّه اضطراب نفسو-فسيولوجي يتمثّل في صعوبة أوِ استحالة الفعل الجنسي. تفسّره Kaplan (1974) بانقباض لاإرادي لعضلات المهبل تمنع حدوث الإيلاج تخوّفًا من بلوغ السّكينة، قد تصل إلى اختلال الرّغبة أوْ حتّى غيابها فلا يلجأ الزّوجان إلى بعضهما إلاّ نادرًا، كلّ ثمانية أشهر، قالت إحدى الحالات!

نُدرة مقبولة في القرن 19، حيث كان الإعتقاد السّائد أنّ اللاّمبالاة تجاه الجنسانية وَنقص نشاطها عند النّساء هي أمور طبيعية بيولوجيا باعتبارهنّ، يقول رجال الدّين، حاويات ثمينات وَبطون لازمة للإنجاب (Marchand، 2003).

وَتصف Kaplan التّشنّج المهبلي بلجوء الشّريكة إلى الشّدّ على فخذيْها فيلتحمان وتنغلق الفتحة المهبلية فيصعب اكتمال النّشاط الجنسي. وإذا حدث الاتّصال فقد يكون ببعض السّنتيمترات أوْ مؤلمًا؛ وَتبقى المرأة في معظم الحالات عذراء(Zwang، 1998). يربطه

Zussman et Zussman (1976) باضطراب وظيفيّ جنسيّ عند الرّجل الّذي يحسّ بالإحباط لعجزه عن الإيلاج.

عدّد Masters et Johnson(1970) أسباب التّشنّج المهبليّ حسب أهمّيتها إلى عدم القدرة الجنسية الذكرية، تربية جنسية أوْدينية متزمتة، تجارب جنسية سابقة صادمة، آلام الجماع وَميول جنسية مثلية.

يشير المنظّرون السّلوكيّون المذكورون آنفًا إلى إلزامية التّمييز بين الانقباض اللاّإرادي الأوّلي للمرأة الّتي لم تعشْ أبدًا علاقة جنسية، والانقباض اللاّإرادي الثّانوي الّذي يظهر لدى النّساء اللّواتي لم يُعانين مُسبقًا من أيّة مشاكل جنسية (Hirsh et Fontaine، 1992).

يضيف الدّليل التّشخيصي DSM-III-R خاصية التّكرار والدّيمومة، مع عدم اِرتباط هذا الاختلال الوظيفي الأنثوي بأيّ اِضْطراب جسدي أو عضويّ. وإذا انتقلنا إلى الدّليل التّشخيصي والإحصائيّ DSM-IV، فهو يزيد مشاعر الحزن وَالأسى أوْ صعوبات بين- شخصية (Gilles،2003). أمّا الدّليل المُراجع منه، فيصف التّشنّج المهبلي على أنّه اضطراب وَليس خللا، وَيُعرّفه بتشنّج المهبل الّذي لا ينجم عن حالة طبّية عامّة، وَهو:

-تشنج غير إرادي متكرّر أوْ مستديم لعضلات الثلث الخارجي للمهبل، تؤثّر على الجماع.

-يسبب ضائقة صريحة أوْ صعوبة في العلاقة بين الشخصيْن.

-لا يعّلل الاضطراب باضطراب الجسدنة وهو لا ينجم حصرًا عن تأثيرات فسيولوجية مباشرة لحالة طبيّة عامّة.

أمّا الدّليل التّشخيصي DSM5، فيدمجه تحت اضطراب ألم الإيلاج الحوضي التّناسلي، ويصنّفه حسب الصّعوبات الثّابتة أوِ المتكرّرة في واحدة (أوْ أكثر) من: الإيلاج المهبليّ أثناء الجماع؛ ألم فرجيّ مهبليّ أوْ حوضيّ أثناء الجماع المهبليّ أوْ محاولات الإيلاج؛ الخوف أوِ القلق الواضح حيال الألم الفرجيّ المهبليّ أوِ الحوضيّ المتوقّع أوْ خلال أوْ كنتيجة للإيلاج المهبليّ؛ توتّر أوْ شدّ عضلات قاع الحوض الملحوظ أثناء محاولة الإيلاج

المهبليّ. تستمرّ الأعراض لمدّة لا تقلّ عن 6 أشهر، وَتسبّب إحباطًا سريريًا مهمّا عند الفرد.

إنّ أهمّ ما يميّز النّساء اللاّتي يعانين من هذا الاختلال، هو تجنبهنّ للعلاقات الجنسية مع نقص الشّهوانية أثناء النّشاط الجنسيّ؛ زدْ على أنّها تجد الشّريك غير محفّز بتصرّفاته السّلطويّة وَتدخّلات الأولياء والأقارب الضاغطة (Kabaci et Tugrul،1997). يفترض فيه (Silverstein، 1989) وجود أب متسلّط، مدمن على الكحول، تظهر عليه اضطرابات عقلية؛ أمّا الأمّ فتُوصَف على أنّها ترفض الجنس وتعيشه كنشاط هي مجبرة عليه؛ الإخوة والأخوات أكبر سنّا منها ويعانون من صراعات مع الوالديْن؛ والعلاقة بين الوالدين عنيفة ومتوترة؛ تتميّز العلاقة بنت–أب بالإغواء مع فرط في الحماية إلى درجة انعدام الحدود وقلّة احترام حميمية البنت (كان بابا هو كلّش بالنسبة لي؛ كان بابا يضربني بزاف و يمّا عمرها ما حمات علي؛...).

ويُلاحَظ على هذه المرأة وَما اعترفت به الحالات، الحاجة إلى التّشجيع والاعتراف بوجودها والبحث عن نيل الإعجاب وشدّ الانتباه، فتراها تبحث عن تناسق الألوان فيما ترتديه من الثّياب، واستعمال المساحيق. تشدّ السّامع إليْها بكثرة الكلام وَرنّة الصّوت، تصحبه تلويحات باليد وَنظرات فاحصة تشخّص ردود أفعال الآخر. أمّا عن نوعية علاقاتها، فيطغى عليْها تجنّب الدّخول في صراعات. تراودها أحلام حول الاغتصاب؛ عانت في طفولتها من سلس البول واضطرابات النّوم؛ لها مخاوف من الإبر والحُقن وطبيب الأسنان، ومخاوف أخرى تتعلّق بكلّ ما يؤلم؛ تعاني بعضهنّ من القهم النّفسي أوِ الشّراهة في الأكل.

تكتفي المرأة المتشنّجة مهبليّا على حدّ قولِها، بمتعة الاتّصالات العاطفية غير التّناسليّة كالمراهقات، تغذّي في حالات أخرى مشاعر عميقة من الشّعور بالذّنب أوِ انخفاض في تقدير الذّات أو الخجل (Barnes et Doherty, Kennedy،1995) يضعف من الاستجابة

الجنسية (Nevid,Rathus et Greene، 2009)، خاصّة وَأنّها تغذّي فكرة أنّها لا تثير إعجاب الرّجال وَ حتمًا الشّريك (Barnes et Doherty, Kennedy،1995).

أهمّ معارف هذه المرأة حول الجنس، أنّ الأعضاء التّناسلية مقرفة ومقزّزة، غشاء البكارة سوف يتمزّق وَيفقد شكله (صورة الإبر، السّكاكين، التّقطيع...)، الرّجال بحاجة إلى الجنس وَعلى النّساء أن تحققن لذّاتهم الجنسية. تعترف معظمهنّ بعدم تلقّيهنّ لتربية جنسية أنثوية؛ تصف أزواجهنّ بأنّهم مُحَايِدِين، يخافون العنف، وَيمتلكون قضيبًا كبيرًا مقارنة بالقياسات العادية. وَممّا تتداوله بعض هاته النّسوة استرجاع ذكريات سيّئة حول طريقة فضّ بكارتها، أوْ شعورها بالخوف من الحمل؛ والإعتراف بتواجدهنّ أثناء المعاشرة الزّوجية في وضعيات جنسية مع الأب، أو في نشاطات جنسية صادمة (مع الأب أوْ صديق أوْجرح ناتج عن تدخّل جراحي طبي) (Silverstein، 1989). وَعليْه، يستنتج أنّ التّشنّج المهبليّ وسيلة دفاعية تستعملها النّساء للاحتماء من شيء أدركنه بأنّه مهدّد على المستوى الجنسي أكثر منه على المستوى الحميمي العامّ.

VIII- التّنظير للتّشنّج المهبلي كاختلال جنسيّ أنثويّ

احتلّ التّحليل النّفسي الصّدارة في التّنظير للاختلالات الوظيفية الجنسية ثمّ تلتها المدارس الحديثة الأمريكية بدءًا بأعمال Masters et Johnson، نفصّل في ذلك ضمن العناوين التّالية:

1- التّفسير التّحليليّ للاختلالات الجنسية الأنثوية

أ-الهستيريا كباثولوجية عصابية جنسية أنثوية

يصف Quinet(2004) المرأة الهستيرية ممازحًا، بأبي الهول الّذي يحتاج إلى فكّ ترميزه. إحساس مماثل خالجنا أمام ظاهرة النّساء المتشنّجات مهبليّا واللّغز الّذي يحملنه. تسارعت الأسئلة وَالاستفهامات في ذهننا، فوضعنا استعداد هاته النّسوة للمشاركة في البحث حول إشكاليتهنّ الجنسية أمام أولى الفرضيات: هل هي الهستيريا الّتي تحدّث عنها الفرويديّون؟

فهذه المرأة تحبّ أن تُتّخذ كحالة بحث تساهم في إطلاق معرفة جديدة (الهستيريا وَإطلاق أساسيّات التّحليل النّفسي)، كما أنّ معظم المتشنّجات أسلن الكثير من الحبر في مختلف التّخصّصات الطّبية والنّفسية، حتّى الجراحية، لكنّ وضعيّتهنّ لم تتغيّر. فهنّ يظهرن آلامهنّ لكنّهنّ يستمتعن في ذات الوقت بجعل الآخر عاجزا أمام لغزهنّ.

راودنا منذ تفكيرنا في معالجة هذا الموضوع النّسوي السّؤال التّالي: ماذا إن كان التّشنّج المهبليّ هو هستيريا في قالبها الحديث عبر نفس الأزمات النّفسية والتّشنّجات الجسدية الّتي تعيشها هاته المرأة في صراعها مع الآخر رفضًا لتقرّبه منها؟ فهي تحكي عن انقباضات وَانكماشات، وَحتّى التواءات ومقاومات تدفع بموضوعها خارج فراش الزّوجية! أليست تمظهرات هستيرية محضة؟

كم كان حماسنا كبيرًا عندما إرتأينا إمكانية إثبات إستمرارية هذه الباثولوجية الأنثوية، خاصّة عندما تذكّرنا بأنّها قد اختفت من تصنيفات DSM4 وCID10 واستُبعدت منهما. وأكد Charcot على استمرار العرضيّة الهستيرية في كلّ زمان وَمكان، مثبتًا الفرضية الّتي خمّنا فيها عند اكتشافنا لهذا الاختلال الوظيفي الجنسي الأنثوي الّذي يعكس اختبار الفتاة لواقع الأنوثة.

يختصر التّحليل النّفسي الهستيريا فيما قالته إحداهنّ يومًا لطبيبها "لا تتحرّك! لا تقلْ شيْئًا! لا تلمسني!". وَهي استفهامات تذكّرنا بما كنّا نسمعه من صخب وَصراخات أثناء الكشف على المتشنّجة مهبليا: باكية، متوسّلة تمنع الطّبيب مهما كان جنسه عن الإقتراب منها أوْ ملامستها، فييأس الحكماء وَيمتنعون عن فحصها ثمّ توجيه مثل هذه الحالات إلى القابلات فالطبيب النّفسي.

تذكّرنا هذه المخاوف بما أشار إليْه Breuer، على أنّ الهستيريا تبدأ دوْمًا من الفراش؛ وَأنّها دائمًا يقول Charcot، مسألة تناسلية. وَجميعنا يعرف، أنّ Freud أسّس العصابات على سببيّة جنسية؛ علمًا أنّ أهمّ خاصيّة في الهستيريا هو رفض الجنس "هذا لا!"، أوْ كما تساءلت إحدى المتشنّجات ببراءة طفولية صارخة "ما فهمتش واعلاش لازم هذْ الشّي

وْهذْ لبلاصة (تضحك)": هي ترفض اكتمال الفعل الجنسي حتّى تبقى راغبة وَمرغوبة، استفزازية تخصي الآخر وتبقى غير مُشبعة، لا تستمتع بفالوسها ما يؤكّد خاصّيتها المازوشية وَيفترض تماهيها بالأب أو الأم الخاصية عبر عدائية قاسية بميزة ذكورية هدفها اللاّشعوري إخصاء الذّات. شبيهة بالهستيرية تستمتع ببقائها محرومة من القضيب والجنس واللّذة، لأنّها تتصوّر أنّ الإشباع يُخصيها.

لذلك يعرّف Freud الهستيريا بأنّها تلك الحالة الّتي تكشف عن أولئك الّذين يستجيبون غالبًا للاستثارة الجنسية بمشاعر الاستياء والألم حتّى وإن غابت أوْ ظهرت أعراضها الجسدية. تتمثّل الاستراتيجية الهستيرية، في أن تمنح وتمتنع في نفس الوقت، عن طريق الإستفزاز والفرار من علاقتها بالآخر وبرغبته. فهنّ الوحيدات اللاّئي يرددن الصّاع صاعيْن، بعكس النّساء الأخريات اللّواتي يقبلن العقاب والضّرب، يقول Nelson.R.

أضف إلى أنّ جميعهنّ، يتحدّثن عن اعتزازهنّ بفحولة أدركتها أمهاتهنّ في شخصيتهنّ، جعلتها تتيقّن أنّها "ما نخافش عليك، نعرفك شاطرة خير من خياتك (اللاّتي تزوجن وَأنجبن)"... امرأة فالوسية لم تتمكّن من كبت الذّكورة الّتي انتحلتها عبر مظهر فالوسي جاذب، أوقع الرّجال، أزواجهنّ في شراكهنّ. تذكّرنا بما قاله Money et Erhardt عن التّوريث اللاّشعوري من الأمّ أوِ الأب لهوية الأنا الجنسية، الذّكرية أوِالأنثوية عبر الاستثمار بين–الذّاتي، حيث تتشكّل من الجنس الّذي نشأ فيه الطفل أكثر من ارتباطها بالتّشريح الفيزيولوجي. نختصره في التساؤل: من كانت المتشنّجة بالنّسبة للآخر الكبير؟ ترميزات ثانوية مورّثة: موضوع ذكريّ أم أنثويّ، قضيب جيّد أم سيّئ؟ تمثيل لموضوع ليبيدي مُسْتَدمج؟ أم أنّه يكتسي لاشعوريّا وَهواميا صفة الفضلات الصّلبة؟ أوْ على حدّ قوْل Freud وَأكّده Ferenczi في نظرية الإغواء، موضوعات جنسية اعتمدها الأولياء رغم التّفاوت زمنيّا بين الجنسانية الطّفلية والجنسانية التّناسلية، كتفاوت العشق والعطف؛ أوْ قاله Lacan، على أنّ رغبة الرّجل هي رغبة الآخر الكبير.

تُصنّف الهستيريا كعصاب يقوم على صراع بين مبدأي الواقع ومبدأ اللّذّة، مع اِنتصار الأوّل على الثّاني بتوظيف ميكانيزم الكبت وَالقمع، لأنّ النّزوات الجنسية لا محلّ لها من الأنا.

يبحث العصابيّ عبر صراع متطلّبات الحياة النّزويّة ومقاومتها عن إشباعات بديلة بالتّسامي أو إقلاب الرّغبة الجنسية إلى أعراض وتشنّجات جسدية، تشكّل قاعدة جنسية شاذّة، هي الصّورة العكسية للانحراف.

هو العَرَض نفسه في تفسير الفوبيا أوِ العصاب الهوسي: هناك دائمًا هيمنة جنسانية منحرفة تكتسي خاصّية نكوصية، تكشف عن تعلّق العصابي عمومًا، بلحظة ماضية كان فيها سعيدًا، لأنّه وجد فيها الإشباع المُتوقّع. تثبيت للّيبيدو على الوالديْن، يعتبره Freud (1973) مثل عقدة أوديب وما يتعلّق بها من حركات عاطفيّة متناقضة نواة العصاب. إضافة إلى توظيف العصابيّين للفتحات التّشريحية الأخرى، خاصّة الفم (حالة Dora والمتشنّجات) والشّرج (حالة المتشنّجات)، مع شحنة معتبرة من الحركات العدائية الّتي يوجّهها الأنا ضدّ ذاته، لأنّه إذا كانت الأعراض تحقيقات بديلة لرغبات لاشعورية، فهي تمثّل أيْضًا قرارات عقابية إذا ما استسلم إليها الأنا (الحاجة إلى العقاب).

عدّد Freud تسعة نقاط تمثّل جوهر الهستيريا: هو رمز ذاكريّ؛ بديل عن التّجارب الصّدمية؛ هو تعبير عن تحقيق الرّغبة؛ وتحقيق للهوام؛ يساهم في الإشباع الجنسي بعودة الإشباع الطّفولي؛ يتولّد عن صراع بين نزوات متضادّة، يحمل على الدّوام دلالة جنسية. أمّا العرض الهستيري هو تعبير عن هوام ذكوري وَآخر أنثوي، وَهُما معا جنسيّان وَلاشعوريّان.

تتخوّف الهستيرية حالها حال العصابيّ من قلق الخصاء، لذلك تسرع بكبت نزواتها الجنسية فتتحوّل من مصادر لذّة إلى ألم. وَأكبر مخاوف الأنثى الإخصائية، كما سبق وَأوضحناه هو فقدان حبّ الموضوع في الفوبيا (حالة المتشنّجات)، والخوف من الأنا الأعلى لدى الهوسي.

تتميّز الهستيرية في تأرجُحِها بين الأنوثة والفحولة، حسب Lacan، بالتناقض في الرّغبة: فإذا كانت المرأة، فتاة، تلتفت نحو الأب لمواجهة الخصاء الأمومي، لأنّه حامل للفالوس المرغوب، فهي تواجه حينها رجلاً يرغب، عندئذ تدرك أنّه مخصيّ أيْضًا (وَمن هنا الهوام الكلايني لوجود القضيب داخل الأم، سادّا مهبلها، يعامله الطفل ساديا حتّى يخرجه من مكانه).

و بهذه الطّريقة، تكشف الهستيرية عن عودة المكبوت بارتباط هذا العَرَض بالرّغبة في أن "تجعل من نفسها فالوسا". وَهو ما أشار إليه Freud(1908) بتمظهر العرض في ثنائية هوامية ذكورية وأنثوية؛ ويكشف من جهة أخرى، على استحالية تحمّل المرأة لإشباع نزوي سلبيّ، أنثويّ خالص. لأنّها يقول Lacan(1970)، ليست رجلاً، بل شبيها به؛ وشعارها في مسارها الفالوسي/العاشق"أحبّني لأصبح موجودة"، أمّا في مسار الموضوع و بمظهر مازوشي "يستمتع الآخر بي".

ب-الدفاعات المهبلية وَالرغبات البدائية المكبوتة (Abraham)

راسل Abraham المنظّر Freud بحْثًا عن إجابات لتساؤلاته حول ما كتبه عن الأنوثة: حصرت النّظرية الفرويدية البرود الجنسي والتّشنّج المهبليّ في استثمار المرأة الجزئيّ الفيتيشيّ للبظر كبديل عن القضيب تشبّهًا بالرّجل؛ ما يحفّز الذّكورة والفحولة على حساب استثمار وتوظيف الأنوثة. فالمرأة حسب Freud تعجز عن استثمار أنوثتها في العلاقة بالرّجل لأنّها تكبِتها في مرحلة الطّفولة، بكبْت إحساساتها التّناسلية المبكّرة لجهلها بكيفية مواجهتها، فتغيّب ترميز أعضائها التّناسلية، يقول Abraham، وَ كذا هوامات الاختراق-الإيلاج وَما يصحبها من توتّرات مرتبطة بتصوّرات الجسد داخليّا. وَيضيف، أنّ ربْط Freud تغيير الموضوع بتغيير المنطقة الشّبقية في مرحلة البلوغ، لا يتماشى ومنطقية هذا التّغيير، لأنّ البنت تتعرّف مبكّراجدّا على مهبلها وَالأب كموضوع غيريّ. وَما يخفيه هوام الطّفل المتلذّذ بالعقاب، هو تصوّر للّذّة في تلقّي العقاب من الأب، كموضوع حبّ،

بدلالة "أنا مغشيّ من قبله"[51]. وَيدمج هذا الهوام، رغبات مازوشية (التّلذّذ أثناء تلقّي العقاب)، نكوص إلى المرحلة الشّرجية (العقاب يكون على هذه المنطقة بالضّبط)، واستثارة تناسليّة بدائية (شعور مسبق بالهدف التّناسلي النّهائيّ وَإحساسات بالأعضاء التّناسلية).

لكنّ Abraham يرى عدم كفاية هذا السّبب في تفسير الاختلالات الوظيفية الجنسية الأنثويّة. فأن يبقى المهبل باردًا، أوْ أن ينغلق متألّما من الإيلاج، فهي تظاهرات دفاعية، يقول، تدفعنا لأن نبحث في الرّغبات البدائية المكبوتة الّتي تتصدّى لها المرأة في اختبار جنسانيتها؛ شبقية مهبلية طفولية لها علاقة وطيدة وَمباشرة بالاستثمار اللّيبيدي للأب. وَالفرضية المنبثقة تلقائيّا جرّاء ذلك، هو الحظر القائم على هذه المنطقة الحميمية من جسم المرأة، المهبل، أكثر من غيرها من المناطق الأنثوية الشّبقية الأخرى.

يُفسّر هذا الميل الإخصائي الأنثوي في اختيار المرأة لرجل سلبيّ وَمخنّث، أوْ يتخفّ في البرود الجنسي: تخييب ظنّ الزوج بإظهار عدم كفاءته في تحقيق استمتاعها. رغبة يمكن أن تكون إنتقامية تظهر في شكل هوام إخصائيّ، يتمثّل في تجنيب موضوع الحبّ من إدراك ذلك بإسقاط اللّوم عليْه: (حالة المتشنّجات). وَيشير إلى أنّ بعض النّساء ترفض الأمومة (حالة المتشنّجات)، لإزدرائهنّ من أيّ بديل للقضيب النّاقص؛ بالإضافة إلى توارثهنّ عبر–جيليّا لكراهية الرّجال، حيث تترعرع الفتاة على مشاعر النّفور منهم وَمن الجنسانية معهم وَالأنثوية خاصّة. حتّى أنّ ميْل العديد منهنّ إلى إطالة انتظار الرّجل، ربّما طريقة للإنتقام منه: فعلى مقربة من الانتصاب الذكوري، يكون الإنتظار إجباريّا حتى يصبح الجماع ممكنًا، وَالإخصاء سهلاً.

---

[51]- « je suis coïtée par lui ».

ت-القضيب العملاق و المهبل المستنكر (Horney)

اِستنكرت Horney(1922) النّظرة الفرويدية المتمركزة حول الفالوس في تفسير الأنوثة. تبعتها Klein، Jones وَRivière. فانشغلت بما إذا كانت الأنوثة تنظيمًا نفسو-جنسي أساسي أو ثانويّ مثلما يقول Freud، تُشْتقّ فقط من ذكورية أوّليّة.

ترى Horney تمازجًا وَتداخلاً بين التّفسيريْن، ثمّ إِستطرقت، أنّ السّؤال الّذي يجب طرحه يدور حول شبقية المهبل، "هل تدركها الفتاة مبكّرا، أمْ عليها انتظار البلوغ وَسنّ الشّباب؟".

يؤكّد Brunswick على اِرتباط القضيب الّذي اختصّت به الأمّ طفلها الذّكر من دون الأنثى بالإستمناء الفالوسي، حيث يؤدّي فقدان أحدهما إلى خسارة الثّاني. وَمن هنا حسد القضيب لدى البنت.

يكتنف هذا الحسد، تقول Horney، على تجارب نفسية تنتمي إلى لحظات متمايزة من تاريخ البنت: عند مشاهدتها للذّكر وَهو يستمتع بالوظائف الإطراحية؛ دلالة تناسلية، وَميزة ذكورية تمنح الأولاد في نفس الوقت رخصة الاستمتاع الإستمنائي بعضوهم، على عكسها، عضوها خفيّ لا يُبين، و تتخوّف ممّا قد يصيبه إذا ما استسلمت للشّبقية الذّاتية، وبالتّالي التّخفيف من شعورها بالذّنب وَ من القلق المصاحب له.

تربط Horney اكتشاف المهبل بالإشكالية الأوديبية، حيث تتّصل رغبات المحارم بهذا العضو، وَمحلّها اللاّشعور. فحيثما تتفاعل ثأثيرات ماهو لاشعوريّ وَغير مرئيّ، تفقد المشاهدة أهمّيتها، وَهو أصل الشّبقية المهبلية وَكبْتها. فما تخفيه هوامات الإيلاج الأنثوية واِرتباطها بالغدر(هوامات الاغتصاب، السّرقة)، وَالإعتداءات بمختلف أنواعها، أوِ الخواف من الحيوانات كالثّعابين وَالفئران، هو فوبيا القضيب العملاق العالمية، فوبيا تخريب وَتدمير الجسم من الداخل.

تتوارث الفتيات المبالغة في تصوّر مقاييس وخطورة هذا القضيب من تصوّراتها حول الأب وَجنسانيتها: تكشف عن كبتها العنيف والقاسي الّذي يعود على أنوثتها الطّفولية؛ لأنّ القلق والتّوتّر الشّديديْن من دخول مثل هذا القضيب الضّخم، تعيد معايشته، تقول Horney، أثناء الولادة، عندما تتساءل المرأة كيف يمكن للطّفل أن يخرج من فتحة صغيرة. فالبرود الجنسي، على غرار غيره من أعراض الجنسانية الأنثوية، يحتمل وجهتيْن: ما ينتجه الكبت مرضيّا، من جهة، وَحماية الأنا من قلق الإختراق الإجباري وهوامات الإستحواذ التّسلّطي من جهة أخرى.

فالمرحلة الذّكورية عند البنت وَتصوّر عضوها المخصيّ، مهبل مجروح، وَمولج، هي لوازم و عقاقير الأنوثة البدائية؛ هي منتجات نفسية لا تدلّ على إنكار وجود بل تتّخذ شكلا دفاعيّا: كلّ منهما يحجب الجرح المهبليّ المرتبط بالحبّ المحرّم. فالمهبل النّكرة أسّس لهذه الإعتبارات الأنثوية المكبوتة إضافة إلى تصوّرات للجسد مجروح، داخله مهدّد أوِمدمّر... جرح أصله داخليّ يزاح إلى الخارج، ناتج عن حظر الرّغبة في الأب الّتي يجب التّخلّي عنها مع مشاعر القلق، والّتي تُستبدل باشتهاء القضيب المرغوب. جرح يُؤكّده كذلك سيلان دم الحيْض عند البلوغ، زد إلى ذلك، تصوّرات طول وَحجم قضيب الأب وَقدرته على الإخصاء.

ث-من الثّدي إلى القضيب: الأوالية الفمية (Klein)

قدّمت هذه الباحثة نظرية شاملة حول الجنسانية الأنثوية، اعتمدها مختلف المنظّرين الّذين خالفوا Freud. هي تغطّي الأصل النّفسي للأنوثة، بعيدًا عن الذّكورة وانبثاقها منها. تختصرها في أوالية فمية تكشف عن انتقال خلال السّداسي الثّاني من ولادتها، من الأعلى إلى الأسفل، من موضوع جزئي محبط سيّئ إلى موضوع مرغوب وَدائم الإشباع، إزاحة من الثّدي إلى القضيب، وَمن الفم إلى الإحساسات المهبلية المبكرة تُدرك بها الفتاة عضوها التناسلي الأنثوي، وَخاصية استسلامها كأنثى للإيلاج وَتلقّي القضيب فميّا أيْ مهبليّا.

جميعنا يعرف أنّ الثّدي هوَ، حسب النّظرية الكلاينية، أوّل موضوع تعلّق وإشباع أوْ إحباط يتعرّف عليه الأنا؛ فهو نموذج عن كلّ الموضوعات الجزئية والكلّية الّتي سوف يتعلّق بها لاحقًا؛ تتأرجح من منظور Klein، بين الطّيبة والإساءة، الحبّ والكراهية، الرّعاية والتّدمير...إحباطاتها خارجيّة تتمثّل في النّقائص، الرّفض، أوِانسحاب الأمّ عن وظيفة الإحتواء والرّعاية؛ وهي أيْضًا ذات مصدرٍ داخليّ، يتمثّل في رغبة الأنا في تحصيل إشباع غير محدود منها، لكنّه غيْر ممكن. لذلك، يغذّي عدائية، بل كراهية تجاه الثّدي تدفعه هواميّا إلى استنزاف-تفريغ-إلتهام...يحتمي من قلق إسقاطها الفعليّ عليْه. فالميزة المسيئة للثّدي تنتج عن إمتزاج الإحباطات بالإسقاطات. وَهي ذاتها الّتي تزيحها المرأة طفلة على القضيب.

بالإضافة إلى الخيال الانشطاري الّذي ينقسم بين الطّيّب الّذي يشبع وَيبني، والسّيّئ الّذي يحبط وَيدمّر؛ رسمت Klein نظرية لجنسانية المرأة توظّف حركية الاستدخال للصّور الوالدية، تصوّرات لاشعورية عن الأب والأمّ، ترتبط خاصّة بتصوّرات علاقات الجماع السّادية بينهما؛ فهي تستنزف، تمتصّ، تستفرغ، وَتمزّق الجسد داخليّا إلى أشلاء. تشكّل العالم الدّاخلي الرّمزي التّصوّري للأنا، أولى الحياة الهوامية على حساب الواقع الخارجي.

هوامات تدميرية تحطيمية إسقاطية لما تبلور داخليّا من تصوّرات الأنا تجاه موضوع الحبّ في جزئيته أوْكلّيته. كما صاغت Klein هوامًا آخر مؤسّسًا للأنوثة: القلق الأساسي للمرأة الّذي يرتبط بداخل الجسم، وَليس بالخصاء؛ هو تخوّف من أن تشهد مازوشيّا على عملية سلب وَانتهاك تضرّ بالجسم داخليّا، وَبأعضائها التناسلية خاصّة.

تقول Klein، أنّ هناك أنوثة أوّلية أوديبية، وَثدي مكروه، وَقضيب مرغوب وَمُشتهى، وَفتحة غير مشبعة، الفمّ وَالمهبل، تتمنّى البنت قضيبًا يمكن وضعه بالدّاخل "intro-mettre" تعويضًا عن الثّدي المُحبِط، وَليْس إمتلاك قضيب بصبغة الفحولة كما يقول Freud، كزائدة دودية خارجية، مثلما هو عند الذّكور. وَهذا التّمنّي ينشّط مبكّرًا

الخصائص الفمية المُتلقّية للعضو التّناسلي الأنثوي وَتهيّئ المهبل لاستقبال العضو التّناسلي الذّكري.

تذكّرنا الأوالية الفمية لعلاقة الفتاة الهوامية باستدماج القضيب لتحقيق الإشباع الأبدي، النموذج الأصلي للجماع بعرضية الهستيرية في القيء وَالإستمناء الذّكوري في نظر Freud. وَتكشف عن تزامن ظهور النّزوات التّناسلية وَالنزوات قبل-التّناسلية. وَالحصول على إحدى الموضوعات المرغوبة (الثّدي، القضيب، الفضلات الصّلبة)، وَجعلها ملكية خاصّة بعدما كانت من محتويات جسد الأمّ، مقرّ كل الإسقاطات السادية، والموضوعات المستدخلة، وَالأحداث الجنسية. فالاستدماج هو سياق الاستدخال الّذي يكتنف ميكانيزمات التّماهي (أن أكون مثل) وَالاستثمار (الحصول على، وَالتّلقّي).

أشادت Klein بدوْر الأب في تحديد أنوثة البنت، فحبّه وَطيبته معها يشهدان على استدخال قضيب جيّد واستبعاد النّوع السّادي المدمّر منه. وَينمّي سلوكه تجاهها مشاعر الكراهية والقلق من القضيب، فتشتكي مستقبلا من برود جنسي أوْ تتخلّى نهائيا عن وظيفتها الأنثوية.

فالخضوع للقضيب السّيّئ المستدخل، يقدّر على المرأة أن تعيش حياة جنسية راشدة تكشف عن قساوة الصّراع الدّاخلي، وَتؤكّده المازوشية الأنثوية وَاختيار المرأة لموضوع حبّ ساديّ حتّى تجسّد فعلية تلقّيها للإساءة المتوقّعة، عبر ميكانيزم إجبار التّكرار.

يجد هنا البرود الجنسي والتّشنّج المهبلي أحد مصادره: تتخوّف المرأة من الألم وَما يمكن أن يسبّبه أيْضًا مهبلها للقضيب، أكثر من تخوّفها من هذا الأخير باعتبار عضوها "آلة موت" على غرار سادية القضيب. وَعليه تربط Klein القلق بالواقع الخارجي الّذي يحدّ من خطر العالم الدّاخلي الزّائد.

بهذا، تشترط الحياة الجنسية السّعيدة للمرأة تجاوز تصوّر سادية القضيب وَقدراته على التّخريب، وتدميرية المهبل وَصفته الإلتهامية الإخصائية.

2- التّفسير المعرفي–السّلوكي

يركّز هذا المنظور على تأثير عمليات التدريب في اكتساب الفرد للنّماذج السّلوكية لأجل الحياة الجنسية. فقد قام كل من Masters et Johnson في 1954 بسلسلة من الدّراسات حول ردود الفعل الفسيولوجية والنّفسية للتّنبيه الجنسي. وَتُوّجت هذه الاهتمامات باقتراح مجموعة من التّقنيات التي تستهدف تغيير السّلوك الجنسيّ (1970) ، كما أسفرت عن إنشاء مدرسة للعلاج الجنسي (Kaplan, 1974; Lopiccolo et Lopiccolo, 1978; Serber, 1974) ترى إمكانية إحداث تأثير فعليّ على المشكلات الجنسية باعتماد منهجيات مباشرة وَمحدّدة (Gilles ، 2003).

يقسّم Masters et Johnson (1970) اختلالات الوظيفة الجنسية لدى المرأة إلى ثلاثة أقسام: العنانة أوِ التّشنّج المهبليّ، ألم الجماع وَاختلال وظيفة الإيغاف الأوّلي وَالثّانوي. وَتشترك في عدم إحساس المرأة برغبة في العلاقات الحميمية وَلا تبدي لذّة الاستمتاع[52] (Mareau et Sahuc،2006).

تقترح Kaplan(1974) تصنيفًا آخر لهذه الاختلالات الوظيفية الثّلاثة حسب الأهمية: البرود الجنسي، غياب الإيغاف وَالعنانة. منحت البرود المرتبة الأولى في تصنيفها لعموميّته لدى معظم النّساء، حيث تظهر المرأة مؤقّتًا فتورًا جنسيّا وَغياب الاستجابة الجنسية قد ترتبط بموقف معيّن أوْعلاقة جنسية معيّنة. قد يكون دائمًا فتكشف المرأة حينها عن دافع سلبيّ للنّشاط الجنسي يتعذّر معه الشّعور بالاستثارة أثناء العلاقة الجنسية، وَمنه غياب الإيغاف المماثل لغياب الإنتصاب عند الرّجل، فلا يستجيب البظر وَيتأخّر بلوغ الذّروة الجنسية؛ ربّما أيْضًا بسبب انقباض عضلات المهبل الّتي تمنع حدوث الإيلاج.

تُرجع النّظرية المعرفية–السّلوكية الاختلالات الوظيفية الجنسية إلى عوامل التّدريب. فظهور بعض الأحداث في حياة الفرد مثل طريقة التّربية الجنسية، العوامل الاجتماعية–

[52]- تبدي الحالات الّتي تباحثنا معها لذّة مباشرة الحميمية، لكنّها ترفض كلّ محاولة للإيلاج أو الإختراق.

الثّقافية ، التّجارب الجنسية السّابقة ...، كلّها تساهم في اكتساب وَتطوير سلوكات جنسية غير مناسبة .

أمّا Meichenbaum (1977) فيربط هذه الاختلالات بالمخطّطات المعرفية للفرد، أي سلوكاته اللّفظية الدّاخلية (مخططات التّفكير العميقة)، تخميناته ومعتقداته حول ذاته وحقيقة الآخر، والمتداول عن العلاقة به. فقد تساءل عن إمكانية حدوثها بسبب الهوامات الجنسية، و عن قدرة هذه الأخيرة على إنتاج استجابات جنسية، وَما الّذي يفكر فيه الفرد بخصوص الجنس؟.

يهتمّ المنظور المعرفي-السلوكي عمومًا بالأسباب المباشرة للاختلالات الوظيفية الجنسية كمعلومات الفرد حول فعل الجنس، مشكلات الأداء الجنسي مع الشّريك، مشاعر القلق المصاحبة للنّشاط الجنسي...فقد تغمر هذه المشاعر يقول Masters et Johnson (1970) صاحبها فيصبح مُشاهدًا في علاقاته الجنسية وليس مشاركًا، لأنّه لا يستطيع الاسترخاء فتغيب الاستجابة الجنسية (Gilles، 2003). وَهو حال المتشنّجات مهبليّا، فإنّهنّ يعشن تلك اللّحظات بطريقة المحارب الّذي لا يضع السّلاح لأنّه يواجه عدوّا مخادعا "ما نقدرش، نخاف يخدعني...نعَسْ قّاع واش يدير...".

تختلف درجة الاختلالات الوظيفية الجنسية من أولية إلى ثانوية حسب زمن ظهورها: مباشرة مع بداية الرّابط الجنسي أوْ بعد مرحلة من التّوافق الوظيفي المشبع. فمنذ اليوم الأوّل من اِلْتقاء الشّريكيْن جسديّا، يبدأ أحدهما بالشّكوى وَتظهر الأعراض وَيتضرّر الآخر.

وَعليْه، تشير هذه النّظرية إلى أهمّية العامل بين-الشّخصي في توليد الاختلالات الوظيفة الجنسية، وَتؤكّد عدم كفاية التّوافق الجنسي لتحقيق التّفاهم والتّراضي بين الأزواج، ولا حتّى التّوافق النّفسي العاطفي القويّ يمكنه أن يضمن وظيفة جنسية مُشبعة. فطبيعة وَنوعية الرّابط بين الشريكيْن له دور فعّال في إشراك الآخر في العلاقة الحميمية أوِ استبعاده منها.

يضيف منظّرو هذا المنظور سببيْن رئيسيّيْن للاختلالات الوظيفية الجنسية، أوّلا، الإرتباط بشريك يُكثر من مُجاملة شريكته؛ وَأخرى، إقامة علاقة صداقة طويلة روتينية فقدت بريقها بمرور الوقت وَتُفقد الشّريكيْن التّوَافق الفسيولوجي. يولّد هذا السّلوك مضاعفات أخرى مثل النّفور من العلاقة، البرود الجنسي، التّحجّج بأسباب مزيفة لتجنّب التّواصل الجنسيّ وَتكرار نفس المعاناة السّابقة: "مرّات، ستّ شهور ما كاين والو، نرقدوا كي الخاوة".

تفسّر النّظرية المعرفية-السلوكية هذا التّشنّج باستجابة شرطية من ارتباط الإيلاج بمنبهات متنوعة ومنفرة تتعلّق بالجنس لها إمكانية التحقق في الواقع (أمراض جسدية مؤلمة بالمنطقة الجنسية، تجارب جنسية فاشلة...) أكثر منه في الخيال (تربية جنسية متشدّدة، جهل بالجنس أوْ معارف سلبية ينتج عنها تخوّف من الإصابة بجروح ، تركيبات دينية متعصّبة...) .

وَيميّز كلّ من Shortle et Jewelewicz(1986) بين أسباب التّشنّج المهبليّ الأوّلي وَأسباب التّشنّج الثانوي، حيث يرتبط الأوّل بإشراط سلبيّ يخصّ الجنس مع إدراك سلبيّ له قد يولّد توجّها جنسيّا مثليّا أو إقامة علاقة مع رجل يعاني من اختلال وظيفي جنسي انتصابي أوْ قذف مبكر؛ وَقد يتّصل بفوبيا الأمراض الّتي تنتقل جنسيّا، الحمل أوِ السّرطان، بالإضافة إلى تركيبات معرفية غير ملائمة حول الألم وَوجود الدّم عند حدوث الإيلاج .

أما أسباب التّشنّج الثّانوي فتكشف عن تعنيف جنسي، علاقة جماع أولى صادمة، صراعات زواجية وَخيانة زوجية. وَقد تكون عضوية سببها إلتهاب المسالك البولية، جفاف الجوانب الدّاخلية للمهبل لنقص في إفراز مادة التزليق، وجود ندبة مؤلمة، سرطان العنق، تمزّق في الوتر العريض أوْ ما يُعرف بمتلازمة Masters et Allen (تمزق الوتر

الذي يشد المبيض إلى جدار الرحم)، الانتباذ الباطني الرحمي[53] (Gilles،2003؛ Zwang، 1998؛ Proulx، 2000؛ Hrish et Fontaine،2003).

[53]- L'endométriose= وجود أنسجة شبيهة ببطانة الرحم خارج الرحم ، تنمو تلك البطانة على جانبي تجويف الرحم لتمتد إلى قناتي فالوب ثم المبيضين أو عنق الرحم مسببة التهابات.

خلاصة الفصل الثالث

الجنسانية من جنس صاحبها، فإذا كانت ذكورية كان البحث عن الإيلاج وَالاختراق ونجاح الإنتصاب. وَإذا كانت أنثوية، تفقّت المرأة صفات جملتها النّظرية التّحليلية في المازوشية وَالتّلقي السّلبي أثناء النّشاط الجنسي بعيدًا عن تفاعلها مع موضوع الحبّ؛ هستيرية تتشنّج وَتنقبض أطرافها وَيتصلّب جسدها مانعة إكتمال الفعل الحميمي، ميّالة للإغواء وَالإغتواء، فتزيد من جمالية مظهرها وَإظهار مفاتنها...

تقوم الجنسانية عمومًا وَالأنثوية أيْضًا على تصوّرات وَهوامات تجسّد ما يتراوح حسب مختلف الدّراسات بين، حسد القضيب وَإنكار المهبل مبكّرا، اختلاط الفتحات التّناسلية وَالإطراحية، وَتخوّف من الخصاء وَتدمير الجسد داخليّا؛ إثارة البظر وَهوس الفالوس في صُور حجمه الكبير مقارنة بمهبلها الضيّق وَالصّغير، وَمن هنا قلق الولادة وَخروج الطّفل عبر فتحة صغيرة....

تطوّر الفتاة على إثر كلّ هذا جرحا نرجسيّا سببه قمع النّزوات المهبلية وَإثارة البظر وَحسد القضيب. بالتّالي، فالنّساء الباردات جنسيّا هنّ من يمنحن أهمّية للبظر وَيعانين من مشاعر إخصاء شديدة. في حين هناك اللّواتي يستثمرن مهبلهنّ ليبيديّا يصبح توظيف البظر ثانويّا وَدفاعيّا، يتمتّعن بتقدير ذاتي عالي يظهر في إبرازهنّ لأنوثتهنّ و تقبّل تعبيراتها حتّى في حضور الآخر الغيري.

تكشف الجنسانية الأنثوية أيْضًا عن التّصوّرات المتوارثة بين النّساء للاّشعور الجمعيّ الرّجالي-إن صحّ التّعبير- في علاقتهم بهنّ، وَللاّشعور الجمعيّ الأنثويّ. يحتوي الأوّل على ما تختصره مقولة أفلاطونية على أنّ رحم المرأة أوِالبطن هو حيوان بداخلها، يمتلك شهيّة إعداد الأطفال؛ إذا ما بقي مدّة من الزّمن دون إثمار رغم السّنّ المناسبة، يفقد صبره وَيتحمّل هذه الحالة بصعوبة، فيتجوّل داخلها في كلّ أنحاء جسمها، يغلق منافذ الهواء، يمنع التّنفّس، وَيثير توتّرات شديدة تسبّب أمراضًا مختلفة.

أمّا محتويات اللاّشعور الجمعي الأنثوي، فتتمثّل في عناصر التّربية المتزمّتة وَغياب الثقافة الجنسية وَانحصارها في حفظ البكارة لتقديمها هديّة للزّوج وَصيانة شرف العائلة، الأب وَالإخوة. كما يحمل تأكيدات على الأسلوب الجنسي الفظّ للرّجل الّذي يستهدف العضو الفيتيشيّ دون غيره من مناطق الجسد. محتوى لا شعوري يتمحور أيْضًا حول إنتاجية النّشاط الجنسي الّذي يحفّز الارتباط بالرّجل وَلقاءه أو تجنّبه.

لكن ما لا يجب أن نغفله هو ارتباط الجنسانية الأنثوية بالمهارة الذّكورية وَقدرة الرّجل على إيلاج المرأة. ماذا لو كانت تلكم هي إشكالية المتشنّجات مهبليّا وَاِستسلام الرّجل أمام رفضها، قالت إحداهنّ؟

يؤدّي الذّكر في عالم الحيوان بعض الحركات وَالرّقص في أشكال إنتصابية حتّى يزيل تحفّظ الأنثى وَرفضها لفكرة الإتّصال الجنسي مباشرة. وَمن الصّعب أن يخطر لنا أنّه يؤدّي هذه الحركات لمجرّد التّسلية قبل تلبية رغبته الجنسية، وَأنّه يؤخّر إشباع هذه الرّغبة بشكل متعمّد. والمؤكّد أنّ ما يفعله ناجم عن معرفته وَوعيه بحياء أنثاه، فيساعدها على تخطّي هذا الحياء.

إنّ التّفسير العلميّ لذلك يتجلّى في أنّ إتيان الذّكر لهذه الأفعال يكون عفويّا نتيجة التّهيّج، وَيتجلّى في ظهور الألوان عند الطّيور وأثناء المغازلة، على أن يقوى ذلك التّباين في الألوان حسب الإصطفاء الطّبيعي لداروين، بوصفه محرّضا جنسيّا.

هو الرّياء الأنثوي، يقول العقّاد، يزيد من الإثارة وَيجعل الحبّ مسألة طويلة وَمعقّدة. يختصره أوّل التّحليليّين في المرأة الهستيرية؛ تُصعّب الأمور على الذّكر، خاصّة وَأنّها كما يضيف الغزالي، متأخّرة في إيغافها بطيئة في إنتشائها؛ لا تسمح بالتّواصل الجنسي إلاّ بعد أن ينتفخ شفراها وَما يحيط بهما من أنسجة، يحدّد Hobb؛ وَالذّكر بالمقابل لا يقترب من الأنثى إلاّ بعد أن تكشف عن رغبتها باقترابه..

وَذكر Montaigne أنّ أكثر ما كان يؤجّج جمال الفتيات قديما النّدرة وَصعوبة الوصول إلى العذارى الجميلات، بحيث يعطينا ذلك رغبة إضافية في تجاوز جميع المصاعب. وَبنى Burdach نظرية بيولوجية، ذكر فيها أنّ الجهد الذّي يبذله الذّكر من أجل اللّحاق بالأنثى وَالسّيطرة عليْها وَهي تقاومه يزيد من قدرته على الإنجاب، بينما تؤدّي إثارة الأنثى جسديّا وَنفسيّا إلى رفع درجة الخصوبة.

كتب Tillier في عام 1889 عن الإجراءات الطّويلة والعميقة للغزل، يقول أنّ الإثارة الّتي تنجم عن فترة تأخير الاتّصال تجعل الذّكر أقوى، تزيد إفراز الغدد، وَتصبح إمكانية حصول الإلقاح أعلى. وَافترض Groos أنّ هدف الغزل هو الإثارة الجنسية، وَأنّ الاندفاع الجنسي يُبذل فيه جهد عال؛ لذلك، فمن المفيد لاستمرارية النّوع، وجود فترة تأخير وانتظار لاستكمال الإثارة، بالإضافة إلى طرح العواطف أمام الطّرف الآخر قبل الاتّصال الجنسيّ.

أمّا Wistermarc فلا يرى ضرورية تحفّظ الأنثى وَحيائها لإثارة الذّكر، وَمن غير الممكن أن تستهدف بذلك التّفوّق وَالانتصار عليه. وَنذهب مع Ellis إلى أنّ الإثارة الطّويلة تزيد من إفرازات الأنثى التّناسلية وَ تساهم في تسهيل عملية الإيلاج.

إذا كانت الغواية وَالرّياء أساسيّيْن لاكتمال النّشاط الجنسي، فإنّ النّضج النّفسي أهمّ، ويتمثّل حسبما نتناوله مع طلبتنا وطلاّبنا في قدرة الأنا وَالآخر على الاستقلالية و تحمّل مسؤولية التّدمير الرّمزي لأوّل حبّ، وَجعله يتّخذ مرتبة ثانية بعد الشّريك، لأنّ إبقاء الموضوعات الأولى على قيد الحياة تتوسّط الزّوجيْن، تعيق توافقهما، وَيستحضرانها كما يقول Corneau، كلّما باشرا نشاطهما الحميميّ فتصبح العلاقة مكتظّة مزدحمة.

تقبل المرأة أيْضًا على جنسانيتها بقلق لاشعوري يرتبط بتوهّم الخوف من عدم الكفاية وعدم تحقيق الإشباع الجنسي الكامل، أوْتصوّر الفتاة لوالدها في شخص من يجامعها، ما قد يؤدّي إلى برود جنسي.

الإشكالية

يتداول الفكر الفلسفي مقولة لأفلاطون مفادها أن البشر كانوا يوما مخلوقات كروية يتّحد فيها الذّكر بالأنثى، تشعّ من التحاميّتهما طاقة وَذكاء غير عاديّيْن جعل الآلهة تخشى عن مكانتها من تماهي هذه المخلوقات بها فأمرت بشطرها إلى نصفيْن من الوسط، يُعرفان بالذّكر والأنثى. وَمن تمّ تجهد المخلوقات المقسّمة في محاولة إعادة توحيد الجزءيْن المنفصليْن. كما خلُص الإرتقاء الإنساني إلى محاولة التّخلّص من الحدود وَالفواصل الفظيعة الّتي غرستها الآلهة، فجعلت من التّجربة الجنسية مسعى توحيد الذّات المجزّأة والشعور آنيّا بامتلاك جهاز نفسو-جسديّ كفء وَمكتمل. وأصبح النشاط الجنسي يعني توحيد الذّواتيْن للحظات مع الإحساس بالإنتماء وَالإلتقاء في الواقع وبالقوّة.

قد تتخلّل هذه الالتحامية عقبات تحول وَتحقيقها، فتتسبب فيما يسمى بالاختلال الوظيفي الجنسي. أمّا في إحدى ميزاته الأنثوية، فهو آلام أوْتشنّجات تعبّر عن حالة نفسية إنقلبت إلى عرضية سوماتية قد تستقرّ بعضو محدّد أوْ تجوب على حدّ قول أبوقراط مختلف زوايا الجسم كاشفة عن هستيريا ظاهرها إنجذاب وَباطنها "je t’aime moi n’en plus".

أثارت هذه الظاهرة عدّة أبحاث تحاول دراسة الجنسانية ميدانيا ليس لتقصّي ما يقال حول الإحساس واللذّة، القانون والمحظور، الصحيح والخطأ، ولكن لاستقصاء معاناة النّساء وَالرّجال الزّواجية في وجود اختلال وظيفي جنسي ذكري أوْأنثوي، بمساءلة وقائع حياتية تجد لها اِرتباطا بمكبوتات ومعتقدات شخصية اِستقرّت في النّفس تحت ضغوط اجتماعية -ثقافية تسيّر علاقة الفرد بالذّات وبالموضوعات الخارجية: الهدف إذن هو القول بحقيقة اختلال النّشاط الجنسي وَمخلّفات هوام المشهد البدائي وَقلق الخصاء.

تختبر المرأة هذا القلق على طول مراحل تطوّرها اللّيبيدي تشريحيّا ثمّ رمزيّا وفعليّا. تدرك طفلة اختلافها التّشريحي فتحسد الذّكر في فالوسه البارز وَتقضي ما بعد هذه المرحلة و هي تشتهيه، فإمّا أن تتماهى بصفاته أوْأن تتحلّى بأنوثة تسهّل عليها اجتذابه. ثمّ تدخل فترة أخرى تخضع فيها العربية منها وَالجزائريّة خاصّة للتّصفيح وَ"رْباط"،

إخصاء طقوسي تترعرع في كنفه وفق معتقدات اجتماعية متوارثة عبر-جيليّا تحصر هذه الأنثى في حيّز يضيّق عليها الاستغلال الحرّ لجسدها حتى مع أقرانها من الفتيات وَإن كان بوضع بعض الزّينة وَتحسين المظهر اللّذان يُتركان إلى ما بعد الزّواج: متعة الرّجل و لعبته، لا حقّ لنفسها عليها. جسدها متصوّر ثقافيّا وَمقدّس بعفته وَعذريته، يحفظ شرف الأب والإخوة، الأمّ والأهل والأقارب، وأيّ خطأ في حقّه يدين بكلّ من همْ في علاقة بها من قريب أوْ بعيد.

تتربّى المرأة الجزائرية إذن كموضوع فيتيشي لا نقول نزوي بل إشباعي وَإرضائي للآخر، على نفس ما كانت عليه بالنّسبة للأمّ، موضوع فالوسي يشبعها وَيرضيها وَيجسّد اكتمالها. قبل أن تميّز بين العاطفة وَالجنسانية، تُفرض على مخيّلتها هذه الأخيرة كحتمية اجتماعية وَخاصّة تناسلية، قد تضطرب لها هويّتها الجنسية.

جاءتني إحداهنّ يوما إلى مقرّ التّربّص، وعيناها مغرورقتان بالدّموع "عندي سبع شهور زواج، بصّح مانيش حسّة روحي مزوجة، مازلت هذيك la jeune fille لي كانت في دارهم، لُوكان ماشي تصاور العرس، مانقولش قع بلّي تزوجت". بعد شهور قصدتنا حالات أخرى تشتكي عجزها الجنسي وَهي غير قادرة على أن تُكفْكِف دموعها "ماعلى باليش واش راه صاري معي، مانحسّ والُو، نخاف نوجع كيما يقولوا".

أثارت الحالتان النّفسيتان تساؤلاتنا حول فوبيا المرأة من الجنسانية وآثارها على التّوافق الحميمي. ثمّ افترضنا اِرتباطها بالتّجارب العلائقية بالموضوع الأوّل وَالأب كموضوع أوديبي، وَتأثير كليْهما على إدراكات الذّات وَالآخر في تشكيل الهوية الجنسية للمرأة.

من هنا جاء اختيارنا لهذا الموضوع كبحث علميّ يستفسر حول هذه الإدراكات وَارتباطها بالجنسانية الأنثوية، ثمّ دعّمته أستاذتنا باقتراح تعديل عنوان البحث من تصوّرات الذّات

في تحريض إشكالية التّشنّج المهبلي إلى اِرتباطها بإدراك الذّات وَإدراك العلاقات، انطلقنا على إثر إتفاقنا في التّقصي البحثي من منظور عيادي.

ذات، ذاتيّ "موضوعي أنا"، ملكية خاصّة، إدراك شخصيّ حول من أكون، تفتقده الجزائريّة في تصوّراتها حول كينونتها الفردية، لأنّ الأهمّ الّذي تستدخله هو الحفظ والوقاية من الخطيئة بتوظيف مبدأ الواقع مستنكرة مبدأ اللّذّة. عصابية هدفها الكفّ والكبت، القمع والمقاومة لكلّ أنوثة لأنّها نزوية، وَشبقية جسدية مُريبة.

تُقْبِل هذه المرأة على الآخر بغموض في هويّتها، فتَبِينُ كلّ الصّراعات الضّمنفسية وَبين- الشّخصية ساعة الالتحام الحميميّ، ينعكس حينها الدّاخل على الخارج لأنّ السّريرة ليست حالة بل تجربة تعيشها طفلة أثناء الاستثمارات اللّيبيدية المبكرة.

في نهاية الأمر، كلّ ما يعيشه الأنا يخضع لمبدأ إجبارية التّكرار، نمذجة علائقية وخبرة حسية قد تعيق التّوافق الجسديّ الرّاشد، تلقي به من جديد في الظُّلمة الحالكة للنّفور من الذّات، فتتسارع الاستفهامات حول حسن اِختيار موضوع الحبّ، وأوّل ما يتبادر إلى الذّهن: هل يحبّني؟ وَكيف لي أن أتقبّله جسديّا ضمن نطاق حميميّ ونرجسيّ خاصّ، حيث لم يُسمح لغيره بلمسة!

فإذا قلنا إدراك الذّات، تذكّرنا تمايز الأنا عن اللاأنا واكتساب الهو لدلالة شبقية تمنح المخطّط الجسديّ الذّاتي ومحدّدات الصّورة الجسديّة وَالأنا الجلدي الحسّيّ المُستدخل أثناء الاستثمارات اللّيبيدية نوعية تحفّز أوْتقمع الإقبال على الموضوعات الخارجية، دون أن نغفل أثر الحرمانات الّتي تتخلّلها في تأسيس الاختيارات اللاّحقة وَالتّركيز على تحقيق الإشباعات النّرجسية.

من هنا تمفصل إدراك الذّات بإدراك العلاقات، فهو تصوّر لموضوع حامي حاوي أوْنابذ قاسي يقع عليه الاختيار لاشعوريّا مرّة أخرى وَدون غيره خلال المرحلة التّناسلية يعيد معه الأنا استحداث مناحي نوعية العلاقة المبكرة، يتفاعل معه وفق إدراك زمكاني ليبيدي

تنظيمي بنيوي هوامي يؤكّد أنّ اختياره ليس حياديّا ولا ينتج عن الصّدفة، بل يجسّد إشباع حاجتيْن أساسيتيْن: الأمن وَالحميميّة.

ينعث المختصّون النفسانيّون هذا الرّابط بمحلّ تموضع الأجزاء البدائية لشخصية كلّ شريك، و كأنّه قطع لغز تتمفصل وتتكامل مع بعضها بتنظيم الإشكاليّات اللاّشعورية الّتي حرّضت اختيار هذا الموضوع دون غيره، ويثير عملا نفسيّا زوجيّا يعيد ترتيب الموروثات النّفسية لكليْهما لتحقيق التّوافق.

أمّا في جانبه الجسدي–الحسّيّ فهو مجال للتّنفيس عن طاقات أوْ مكبوتات داخليّة تخلق تداعيات عن طريق التّشابه تسمح بتطوّر نوع من اليقظة النّفسية يسترجع أثناءها معارفًا من حياة سابقة ترتبط بالأيروس وَالثاناتوس وَتؤدّي إلى نوع من المعرفة بالذّات.

من هنا تمفصل ثاني للاختلالات الوظيفية الجنسية بنوعية العلاقة المبكّرة، تستلزم تقصّي الدّلالات اللّيبيديّة والتّحليليّة لتكوين بنيات فوبية أوْهستيرية هي سبب تجنّب المرأة للحميمية بصورة دفاعية و عدائية ضدّ رغبة جنسية مكبوتة تمنع إعادة تجسيد العلاقة الالْتحامية الأولى، فتحرّض الأنا على الإحتماء من خرق الحدود بين الدّاخل والخارج بضبط مسافة الحيّز الشّخصي، مع استمرارية الحفاظ على طهارة الجسد وحماية الأنا الأنثوي من موضوع يستشعره كمهدّد على المستوى اللّيبيدي أكثر منه على المستوى الحميميّ (Silverstein, 1989; Ward et Ogden, 1994; Kaplan, 1974).

وَالتشنّج المهبليّ كاختلال وظيفي جنسي أنثوي، نعرّفه في موضوع بحثنا من منظور الدّليل الإحصائيّ والتّشخيصيّ للأمراض العقليّة الخامس (DSM 5)، يظهر فيه باسم Genito-Pelvic Pain/ Penetration Disorder، وَينحصر في الخصائص التّشخيصيّة التّالية:

ـ صعوبات دائمة أوْمزمنة لأكثر من ستّة أشهر، مع وجودٍ على الأقلّ لخاصية واحدة ممّا يلي:

ـ عدم القدرة على القيام بعلاقة جنسية مع ولوج في عدّة محاولات.

ـ آلام جنسيةـ مهبليّة هامّة في محاولات الولوج.

ـ الخوف من الإيلاج أوْآلام جنسيةـ مهبليّة أثناء الولوج.

ـ اِضطرابات اِنقباضية للعضلات المهبليّة مع تشنّجات عظمى معوّقة في أكثر محاولات الولوج.

ـ تسبّب الاضطرابات حالة من الضّغط المزمن أوِاِضطرابات في الشّخصيّة .

وَهو ذات التّعريف الّذي اِعتمده J.Nevid, B.Greene et S.Rathus(2009)، بإضافة أنّ التّشنّج المهبليّ ليس له أصول طبيّة ولكنّه اِستجابة نفسية، نضيف دفاعية، ناتجة عن تماس العضويْن التّناسليّيْن تُسبّب اِنقباض عضلات مدخل المهبل لاإراديّا تمنع الولوج وَاِكتمال العلاقة التّناسلية فتصبح مؤلمة أوْمستحيلة.

يؤكّد Hildebrand.H.P.(1973) على انبثاق الاختلالات الوظيفية للعلاقة التّناسلية الرّاشدة عن علاقة موضوعية مبكّرة سيّئة. ويشير Brault.N. (1985) إلى التّرابط الإيجابي بين تحقيق الإشباع الجنسي بإدراك الذّات شريطة تميّز الشّريكيْن بمستوى تعليمي عالي يحقّق تقدير الذّات الموجب وَتقبّل الذّات. أمّا دراسة Venturini.E.(2014) حول التّداعيات النّفسية لسرطان المهبل على الجنسانية الأنثوية لنساء خضعن لعملية بتر جزء أوْكلّ الجهاز التّناسلي تؤكّد تفعيل القلق البدائي المتمثّل في قلق الإيلاج وَهوام التّدمير الدّاخلي للجسد الأنثوي زيادة إلى العطب النّرجسي وَهوام النّماذج الشرجية الّتي تهدّم، تقسو وَتخرّب الأعضاء التّناسلية الدّاخلية.

في نفس السّياق تبحث دراستنا حول التّشنّج المهبلي كاختلال وظيفي أنثوي ينتج عن نوعية إدراك المرأة لذاتها وَالعلاقات بالجنس الآخر. تعتبر دراسة فريدة تستهدف على غرار الدّراسات المذكورة سابقا مساءلة العلاقة السّببية بين نوعية العلاقة المبكرة

وإشكالية التّشنّج المهبلي باستقصاء المكبوتات اللاّشعورية المحرّضة لانقباضات المهبل اللاّإرادية. وَعليه جاء تساؤلنا:

إلى أيّ مدى يرتبط التّشنّج المهبلي كاختلال وظيفي جنسي أنثوي بالإدراك المشوّه للذّات و المشاعر السلبية للعلاقة بالآخر؟ وَما أثر العلاقة المبكرة بالموضوع على اختلال العلاقات التّناسليّة الرّاشدة؟

للإجابة عن هذا التّساؤل نفترض مايلي :

الفرضيّة الرئيسيّة:

إذا تشوّه إدراك الذّات وإدراك العلاقة بالآخر وتخلّلتهما مشاعر سلبية زادت درجة تعقيد أعراض التّشنّجات المهبليّة واِختلال العلاقة التّناسلية الرّاشدة.

الفرضيّات الجزئيّة

*كلّما كان إدراك الذّات موحّدة وَمندمجة، وكانت استثماراتها اللّيبيدية والجسديّة متكيّفة وَحاجة الأنا قلّت حدّة التّشنّجات المهبليّة وَانخفضت مدّة تقبّل الآخر إلى أقلّ من ستّة أشهر.

*كلّما كان إدراك الذّات مفكّكة وقلّت استثماراتها اللّيبيدية والجسديّة مع إهمال لحاجات الأنا زادت حدّة التشنّجات المهبليّة وَتعقّدت وَطالت مدّة تقّبل الآخر إلى أكثر من ستّة أشهر.

*إذا ما فشلت المرأة في تجاوز عقدة أوديب وَحدث تثبيت على مرحلة قبل-أوديبية اختلّت العلاقة التناسلية وَتأكّد ظهور التّشنّج المهبليّ.

للإجابة على هذه الفرضيات سوف نعالج الموضوع مع عينة من النّساء المتزوّجات في جانبيْه الأساسيّيْن، أوّلُهما نظري نتطرّق فيه إلى ماهية إدراك الذّات وَما يقوم عليه من تمييز للمخطط الجسدي، الصّورة الجسدية...المشكّلة عبر الاستثمارات الليبيديّة المبكرة ثمّ

في اختبار الأنا للواقع في علاقتها بالموضوعات الخارجية، ثمّ نعرّف بماهية التشنّج المهبليّ كاختلال وظيفيّ جنسيّ يتّصل بعوامل نفسية، لننتقل بعدها إلى الجانب المنهجي حيث نوظّف أدوات عيادية إسقاطية أوّلها المقابلة غير الموجّهة وَما تعكسه من استثمار نرجسي للذّات عند دخول المرحلة التناسلية؛ اختبار رسم الشّخص وَأهميته في الكشف عن اكتساب المخطّط الجسدي وَنوعية تقييم المرأة لذاتها؛ لننتقل بعدها إلى اختبار الرّورشاخ في النّظام الإدماجي لدعم إسقاطات الصّورة الجسدية في وحدتها وتناسقها، وَكذا سياقات التماهي وَاختيارات الموضوعات للكشف عن المرجعيات التقمصية للمتشنّجات مهبليّا، كلّ ذلك بعد الحصول على الموافقة الخطية من الحالات.

يدفعنا بحثنا إلى الوقوف على تفاعل جانبي الإشكالية الجنسية المطروحة بين العالم الدّاخلي وَالعالم الخارجي لذات المرأة وَأهمية كليْهما في تأسيس الكينونة الفردية بترسيخ الشعور بالوجود وَتجسيد الهوية الجنسية الأنثوية مع مراعاة استثماراتها لموضوعات المحيط بتوظيف إمكانات التّغيير الّتي تحرّضها اختيارات الأنا أثناء اختبار الواقع.

الجانب المنهجي

الفصل الرّابع: منهجية البحث

الفنّ نقل الرّوح عن طريق المادّة.

«Les problèmes ne sont pas faits pour les méthodes, mais les méthodes pour les problèmes. » (Lagache, 1949).

تمهيد

تروّج إحدى الأساطير اليونانية إلى الارتباط الوثيق بين النّظر والفعل الجنسيّ، نختصره في عبارة النّظر عورة. تفسّره عاداتنا بالنّظرة الأولى التّلقائية البريئة، أمّا الثّانية فهي شيطانية تحمل رغبة وإشتهاء نفسو–جسدي في الآخر "النّظرة الزّانية".

أسطوريّا، هي الإلهة أثينا، شابة جميلة عفيفة وعذراء تتخوّف من تقرّب الآخر منها رغبة فيها جنسيا. تضع قناعًا شبيها برأس الميدوسا، تستثمره كدفاع ضدّ تلك الرّغبات، تلقي من خلاله نظرات ترعب وتخيف كلّ من ينظر إليْها. يكسبها القناع صفة حارس الحقول، الّذي يعيق أعداءه ويبعد عنها كلّ من يحاول التّقرّب منها.

تمتلك الميدوسا نظرة حاسدة تحمل لعنة تخصي من تقع عليه وتصيّره صخرة هامدة. هي ذات النّظرة المرعبة الّتي يلقيها الآخر على التّشريح الأنثويّ واختلافه عن البنية الذّكرية. عضو مخصيّ يذكّر بعاقبة زنا المحارم والإقتراب من الأمّ؛ يعكس تصوّرات الرّجل عنه كعضو غريب، مريب، يتّصف برغبة الإنتقام وقدرته على إخصائه.

فهو رأس الميدوسا، ذو النّظرة المعوّقة، يتّصل بثلاثة خصائص أساسية: قلق الخصاء، نزوات الموت وَلغز الأنوثة المخيف. هي ذات نظرة المرأة إلى الاختلاف، تصلّب للعضو الذّكري يثير مكبوتًا طفوليّا يرتبط بنفس الحدث الفسيولوجي أمام رغبته في الأمّ فيتخوّف من فقدان موضوعه الفالوسي فيبتعد عنها؛ لكن ألهذا يخاف الرّجل من عضو المرأة لدرجة توليد تشنّج مهبليّ يرفض الآخر وينهره بارتباكات متكرّرة وإخصائية خاصّة؟

يجد بعض الرّجال صعوبة الانتقال بزوجاتهم إلى مرحلة الأنوثة، تتجاوز فترة محاولاتهم ثلاثة أشهر: "أيْ تخصّوا حاجة راجلي...قلت لُ مرّة يكفيني لعب الدرّ..."

أصعب البحوث على ما أظنّ هو البحث في الجنسانية والكتابة في العلاقات الزّوجية، لتداخل العوامل النّفسية والاجتماعية والثّقافية...وَربّما تخوّفا من نظرة قارئي هذه الكتابات

وأحكامهم المسبقة، وتصوّرهم وَهمْ يتجادلون مع ذواتهم "ما الّذي حملها على الخوض في مثل هذه الموضوعات المحظورة إجتماعيّا وَلم تتخوّف من النّظرات الّتي ستقف بين يديها يومًا للسّؤال و الحمل على التّساؤل؟".

تكمن حقيقة هذه المجازفة فيما التمسناه على لسان بعض النّسوة من معاناة جعلتنا نندفع للكشف على نماذج أنثوية تعاني في صمت من مخلّفات الموروث الثّقافي الأنثوي، الرّباط الرّمزي والفعليّ لعضو فيتيشيّ اجتماعي أكثر منه ذاتيّ-شخصيّ.

واعتماد الجانب المنهجيّ في مثل هذه البحوث هو ولوج للميدان التّطبيقيّ الّذي يصعب على بعض النّساء، جانب أساسيّ في الأطروحة ومكمّل للجزء النّظري منها؛ فهذا الأخير لا يقوم كأثر نظري إذا لم يُدعَّم بما يؤكّد مصداقيّته وصحّته ميدانيًا.

تعدّ الدّراسة الميدانية وسيلة جمْع المعلومات والبيانات الّتي يحتاجها الباحث للإجابة على التّساؤلات الّتي طرحتها الإشكالية قيْد البحْث، يَستعين بها في تدعيم فرضيّاته أوْرفْضها.

يستلزم هذا الجانب اِتّباع مجموعةٍ من المراحل تيسّر مباشرة الاستفسار العلميّ الظّواهر الّتي تشدّ اِنْتباه الباحث وتلقى اهتمامه.

تتعدّد هذه المراحل إلى منْهجية البحث، مكان إجرائه، عيّنة البحث وكذا الأدوات العيادية المعتمدة في التّحقّق من الأصل النّفسي للتّشنّج المهبلي في ظلّ إدراك الذّات والعلاقات.

I- منهج البحث

يختار الباحث المنهج المتّبع وفق التّخصص الأكاديمي، موضوع الدّراسة والهدف العلميّ الّذي يسعى إلى تجسيده. وعليْه، يكون منهجنا عياديّا وصفيّا يسمح باستفسار الظّاهرة النفسية بطريقة معمّقة ومُستمرة لحالاتٍ معيّنة للتّعرف على سيرها النّفسيّ، والبناء الدِّينامي للشّخصية، وفهْم الصّراعات النّفسيّة، وآليات الاستثمار اللّيبيدي. يتناول هذا المنهج الفرد بالدّراسة بوصفه وحدة شاملة لا تقبل التّجزئة.

يُعرِّف تركي(1984) المنهج العيادي على أنّه "كلّ اِستقصاء ينصبّ على ظاهرة من الظّواهر التّعليميّة أوالنّفسيّة كما هي قائمة في الحاضر بقصد تشْخيصها، وكشْف جوانبها، وتحديد العلاقات بين عناصرها أوْ بيْنها وَبين ظواهر تعليمية أوْ نفسيّة أوْ إجتماعيّة أخرى"[54]. يُسهّل هذا المنهج إدراك تصرّفات الفرد في مواجهته لمواقف وَوضعيّات مُعيّنة، بهدف تكوين بنية واضحة عن الأفعال الّتي تصدر عنه.

يعتمد المنهج العيادي على دراسة الحالة بالبحث في تاريخ الفرد النّفسيّ اِنطلاقًا من أدائه ومعيشه الحاضر. فنُلمّ حينها بكلّ ما مرّ به المبحوث في علاقاته الموضوعية المبكّرة عبر نواتجها في مرحلة النّضج. فدراسة الحالة حسب ترول(2006)، هي دراسة مكثّفة بهدف جمع معلومات تعتبر مصادر كافية للفهم، وَمنبعًا خصبًا لصياغة الفرضيّات، يكوّن على أساسها الباحث صورة متكاملة، واضحة وَمُلِمّة بكلّ نواحي الفرد النّفسية وَالذّاتية والإجتماعية والتّكيفية.

يرى فيها فرج ع.القادر طه(1989) طريقة تشخّص الفرد ككائن بشريّ عبر دراسة تفصيلية تستمرّ لفترة من الزّمن، تستمد بياناتها من نتائج الاختبارات النّفسيّة التّشخيصيّة وتاريخ الحالة...فهي بحث معمّق في حالة من الحالات وفي العوامل المعقّدة التي أثّرت فيها والظّروف الطارئة الّتي أحاطت بها، والنّتائج العامّة والخاصّة لكلّ ذلك(عاقل، 1982).

يقوم المنهج العيادي على عدد من التّقنيّات نذكر منها، المقابلة العيادية، وَهي نوع من الاختبار الشّخصيّ في جلسات تجمعُ الباحث وجهًا لوجهٍ مع الحالة بهدف الحصول على معلومات وَبيانات تكشف عن مختلف الجوانب المعرفية والانفعاليّة والإدراكيّة وَكذا التّوظيف النّفسي وإمكانات العقلنة.

---

[54]- مذكرة الماستر، مرجع سابق، ص60.

كما قد يستعين بتطبيق اختبارات نفسيّة تعكس دينامية الفرد الدّاخلية وَالتّفاعلية بعد تفسير إبداعاته النّفسيّة وَإسقاط صراعاته المكبوتة (Jo Godefroid، 2001).

يتّفق البعض أنّ دراسة الحالة وصفية، وَوسيلة مُستقلّة تقوم على التّعمّق في الدّراسة والنّظر إلى الجزيْئات من خلال الكلّ بهدف الوصول إلى فهْم تلك الظّاهرة في ذلك الموقف من ذاك الفرد. لكنّ ما يُؤخذ عليْها صعوبة تعميم النّتائج وَلو على حالات مشابهة.

فمنهج دراسة الحالة إذن، يتوجّه نحْو الملاحظة والفهْم، التّحليل وَالتّمْييز بين الحالات لتحديد اِنفرادها في شموليّتها، من حيث خصائصها النّفسيّة وَديناميةِ شخصيّتها، وَما تقدِّمه من معلومات مع حوصلة البيانات المجمّعة (Pedinielli et Fernandez، 2005).

II- مجموعة البحث

يحتاج تفعيل كلّ بحث علميّ في العلوم الاجتماعية إلى مجموعة بشرية معيّنة، يختلف عدد أفرادها حسب المنهج المُعتمد، فقد تكون عيّنة إذا كان الهدف وصفيّا؛ وَقد تصبح حالات في المنهج العيادي. أمّا في المنهج الإحصائي فتصبح مجموعة تتجاوز الثلاثين... ويكون البحث شاملاً إذا شمل على المجموعة الكليّة المُستهدفة (أنجرس، 2004).

يختارالباحث أفرادًا تبعًا لمتغيّرات معيّنة تتماشى وَطبيعة البحث العلميّ الّذي يعمل على تجسيده في الواقع، يمثّلون جزءًا من الكلّ (Angers، 1996)، ثم يُعمّم اِستنتاجاته على المجموعة بأكملها.

1-شروط اختيار مجموعة البحث

يتوسّط الاختلال الوظيفي الجنسيّ، التّشنّج المهبليّ، كعرَض كامن عدّة أعراض زواجية وَنسائيّة أخرى ظاهرة تكشف عن معاناة هذه الفئة بالأخصّ. نذكر من هذه الأسباب الطبيّة:

-دخول مرحلة الوضْع.

-اِزدياد طلب النّساء على الولادة القيصريّة بدلا من الولادة العادية par voie basse، رغم الوضعيّة السّليمة للجنين والصّحة الجسدية للمرأة.

-حالات العقم المزعومة والبحث عن الولادة عن طريق الزرع insémination الّتي تفشل في معظمها.

-حالات التّشخيص لتحديد نسبة ارتخاء المهبل و إقتراب الولادة، Effectuer le toucher vaginal pour diagnostiquer le degrés de dilatation.

-طلب الحصول على المخدّر الموضعي أوِ الكليّ Anesthésie locale ou générale .

-حالات الالتهابات المهبليّة بأنواعها، ما عدا الناتجة عن أمراض السكّريّ.

-نسوة يمتلكن ابنًا واحدًا أوْ إثنين فقط رغم سلامتهنّ الجسديّة وطول فترة الزّواج.

-نساء أخريات تطلبن الاستشارة النّفسيّة لأنّهنّ عاجزات عن إتمام العلاقة الجنسيّة.

تتحوّل قاعة الفحص مع كلّ هذه الحالات السّابقة مسرحًا لصيحاتها المتعالية وَكأنّها تخضع لتعذيب جسديّ فضيع بين يدي عدوّ لذوذ لا يهمّه إلاّ التّنكيل بها. لكنّ المتمعّن في هذه الاستجابات الجسدية الانفعالية يفترض حقيقة نفسية تجعل من هذه الفحوصات استعادة مكبوتات صدميّة قديمة: "كيفاش راكي ديري مع راجلك؟، قوليلي"، تسألها القابلة؛ "ما نخلّيهش يدنّا لي، على خاطر يفكرني بجارنا كي كنت صغيرة كان يدنّا لي... ما قدرت نقول لحتّى واحد، حتّى ماما، كنت خايفة".

رغم هذه المعاناة وَآثارها على العلاقة الزّواجية والعائلية، من ضغوط واستفسارات كثيرة حول تأخّر الولادة خاصّة، إلى أنّ هاته النّسوة بعد تدخّلنا وَتوضيح اِحتمالية السّببيّة النّفسية وَضرورة استشارة مختصّ لها لتجاوز الوضعية، يرفضن المساعدة، يتغيّبن عن الموعد بعد تحديده بمحض إرادتهنّ، أوْ مثل إحداهنّ سافرت إلى بلد أجنبيّ فرارًا من ملاحقة الأهل لها.

هل تفترض هذه الحالات ما أشارت إليه الباحثة سامعي-حدادي.د. (2007- 2018) تعرّضها لخبرات جنسية محرّمة منعتها من استبدال الأب بموضوع حبّ راشد؟!

ما يلاحظ على حالاتنا هو الغياب التّام للزّوج وَعدم حضوره مع الحالة سواء فيما ذُكر من أسباب البحث عن العلاج أوْأيّام الاستشارة، زيادة على رفض بعض النسوة للاستشارة الزوجية "شوفي كلّ واحد وحْدُ، peut-être يحبْ يقولك حاجة ما يقدرش يقولها لي ولاّ يقولها لك قدّامي...": تحكّم في الآخر وَضبط شديد لسلوكاته وتصرّفاته وَاِتّخاذ القرارات العلاجية متناسيات مسؤوليتنا في ذلك.

إنّ ما يُسرد على لسان هاته الحالات، أنّها تتحمّل كامل مسؤولية الوضعية الصّعبة الّتي تمرّ بها حسب أزواجهنّ "العميل المعيّن"؛ فالخلل نفسيّ أوْ جسديّ، أوْ ثقافيّ اجتماعيّ يرجع إلى الرّباط الّذي يحتّم عليْه اِصطحابها للرّاقي أوِالعجوز الّتي أدّت طقوس الخفض، فهي "مربوطة" لذلك لم يستطع معاشرتها. أمّا هو فلا خلل يعتريه، رغم احتمالية هذا العجز الرّجولي، فهناك من الرّجال من يتخوّف من العضو الأنثوي الخاصي، لأنّه شبيه في تركيبته بالفم، يمتلك أسنانا قاضمة خاصية، استعملتها الأمّ سابقًا لإخصاء الأب والإحتفاظ بقضيبه، ما يمنع الولوج وَالسّكينة، حسب Klein(1932). فهي مدخل مظلم، مريب وَمرعب، يكشف عن الخصاء الأنثوي الاضطهادي وَالقوّة التّناسلية للأمّ. تناقض هوامي يمتلك قدرة على إعاقة، تخشيب، وَالقضاء على الآخر وَترهيبه للأنا.

من هنا تخوّف الرّجال من مضاجعة النّساء، نشاط جنسيّ مهدّد اضطهاديّ، يتوعّدهم بفقدان قدرتهم على الإيلاج وتفعيل الإمتلاك والإستحواذ بدخول مغارات تثير تساؤلات عن محتوياتها، يرتبط بأسطورة la mante religieuse وَهُوام الإبتلاع والخصاء في علاقة شبقية مع موضوع عدوانيّ وشرِهِ.

تمّ اِختيارنا لمجموعة البحث وفق الشّروط الطبّيةِ المذكورة سابقًا، والّتي أكّدت إشكالية التّشنّج المهبلي الأوّليّ والثّانوي وحتّى الظّرفيّ لدى بعض النّساء، اللاّتي ندرجهنّ في الجدول التّوضيحي التّالي، علمًا أنّ الأوّليّ، فطريّ لا يتّصل بأسباب عضوية أوْ صدمية

بعكس التّشنّج المهبليّ الثانوي. أمّا الظّرفيّ، فينتج عن ظروف علائقية آنية أي هنا وَالآن، كأنْ قالت إحداهنّ، أنّ زوجها العنيف إذا ما تعرّض لها بالضّرب تتمنّع بعدها رافضة له هذا الحقّ.

رقم الحالة	السّنّ	المستوى التّعليمي	مدّة الزّواج	نوعيّة التّشنّج المهبليّ	ممارسة نشاط إعلائيّ
الحالة 1	23	ليسانس	7 أشهر	أوّليّ	ماكثة بالبيت
الحالة 2	23	الثانية متوسّط	سنتان	أوّلي	ماكثة بالبيت
الحالة 3	41	ليسانس وَ ماستر	8 أشهر	ثانوي (مرض كرون)	صحفية
الحالة 4	38	مهندسة	2,5 سنة	أوّليّ	معلّمة
الحالة 5	23	شهادة معادلة	8 أشهر	ثانوي (علاقة حبّ سابقة)	تعلّم اللّغة الإنجليزية
الحالة 6	49	الثّالثة ثانوي	10 سنوات	أوّليّ	موظّفة بمؤسّسة وطنية
الحالة 7	25	ماستر	3 سنوات	ثانوي(ولادات الأمّ)	موظّفة
الحالة 8	41	الثانية ثانوي	4 سنوات	أوّليّ	ماكثة بالبيت
الحالة 9	47	السّادسة إبتدائيّ	20 سنة	ظرفيّ (زوج عنيف)	التّجوال
الحالة 10	43	الثّالثة إبتدائي	10 سنوات	أوّلي	ماكثة بالبيت
الحالة 11	36	الثانية ثانوي	11 سنة	ثانوي	ماكثة بالبيت
الحالة 12	50	ثانية ثانوي	14 سنة	أوّليّ	ماكثة بالبيت/خياطة
الحالة 13	45	الثالثة ثانوي	12 سنة	ثانويّ	موظفة عند الخواص
الحالة 14	32	الثانية جامعي	4,5 سنوات	أوّلي	ماكثة بالبيت
الحالة 15	47	الثالثة ثانوي	28 سنة	أوّلي	وظيفة عمومية

– **جدول رقم 1:** خصائص مجموعة البحث –

قد يتساءل الواحد منّا حول إدراجنا خانة النّشاط الإعلائي. الهدف من ذلك هو معرفة مجالات تطبيق الطّاقة اللّيبيدية الّتي تبقى مكبوتة وغير مفرغة، زد على أنّ الفتاة خلال تطوّرها اللّيبيدي تمرّ بمرحلة شهوة القضيب الّتي قد تحرّضها على تعويضه بتحصيل مراتب علمية تضاهي بها الرّجل في تفوّقه، أوْنجدها حسب ما أدْلت به الحالات تسعى في دخول حقل المهن الحرّة، حيث نجحت إحداهنّ في تأسيس شركة مصغّرة، بينما تخطّط أخرى إلى مواصلة دراساتها العليا...ما يؤكّد مقولة Freud حول التّعالي لدى المرأة تعويضا عن حسد القضيب. أمّا الميْل إلى الخياطة والحياكة فهي في نظره دافع إلى نسج شبكة حول العضو الجنسي لإخفاء معالم النّقصان؛ يتولّد عنه كفّ جنسي أوْعصاب أوْ إقلاب هستيري أو تكوين عقدة الفحولة أو الأنوثة البدائية كالماكثات بالبيت. فقد فضلن التّحوّل من الفعالية إلى السّلبية تماهيا بالأمّ ومنافستها بعد تحصيلهنّ لشهادات جامعية أوْ معادلة لها.

إلتقيْنا بالحالات الّتي أثارت لديْنا فضول البحث في إشكالية التّشنّج المهبليّ، بعيادة طبّ التّوليد حيث تعالت صرخات إحداهنّ أثناء الفحص، وبعد حوار فتحناه مع الطّبيبة أشارت إلى وجود حالة اختلال وظيفيّ جنسيّ لدى النّساء تدعى بالتّشنّج المهبليّ وَالّذي يستدعي في كثير من الحالات تدخّلا جراحيّا، ولكن دون جدوى.

بعد قبول اللجنة العلمية لموضوع بحثنا زرنا عددا من العيادات الخاصّة والمستشفيات حيث تأكّد الانتشار الواسع للعرض. لكنّ العائق الأكبر كان رفض معظم الطبيبات وأطبّاء أمراض النّساء والتّوليد توجيه الحالات نحو الاستشارة النّفسية، ربّما لحساسية العلاقة بين المختصّ النفسيّ والأطباء، أوْ بحثًا لهؤلاء عن الرّبح الماديّ حيث تكلّف كلّ عملية جراحية ما يتراوح بين 5 وَ8 ملايين سنتيم، في مدّة زمنية لا تتجاوز حسب النّساء اللاّتي خضعن لها أكثر من 3 دقائق، مع مغادرة المستشفى ما إن تستعيد المرأة وعيها، لأنّ هناك حالات أخرى بالانتظار.

تزيد هذه التّدخّلات العلاجية من تفاقم المشكلة بتفعيل الخصاء الجبري الّذي تتخوّف منه المتشنّجات، فقد أدلت إحداهن تحت تأثير مشاعر الذّنب وتأنيب الضّمير عن ألمها النّفسي وَصعوبة تقبلها لفكرة انتزاع جزء فيتيشي منها: "غير نضت بديت نبكي ما قدرتش نحبس، بالشّهقة...قُلت للطبيبة واش درتولي؟ حابطة الدّروج أُو نبكي بالشّهقة...راجلي قالي ياخي أنت حبيتي، وأنا نقولُ أني نحس داولي حاجة، حاجة أي تخصّ من جسمي، لازم يرجعوها لي..." الأمر الّذي أكّدت لها الطّبيبة استحاليته.

أعاق هذا الهوس الماديّ تيسير عثورنا على الحالات، فطالت مدّة إنهائنا للأطروحة وَمناقشتها. ضفْ إلى ذلك تأثيرات التّحويل وضدّه، فقد أصابتنا الحالات بتشنّج أكاديميّ قيّدنا فأصبحت خطانا بطيئة ومتثاقلة، لم نُدرك أثرها إلاّ بعد تساؤلات عدّة حول أسباب هذا التّماطل الّذي لم نعهده في شخصنا من قبل، وَرغم محاولاتنا بالعمل، لقد كان إجهادا نفسيّا مع شعور بإحباط يكشف عن معاناة أزواج المتشنّجات من إخصاء قاهر يكبّل الآخر في مكانه.

دامت فترة مجالستنا للحالات، مدّة إنجازنا للأطروحة، فإلى حدّ الآن مازالت تأتي بعض النّساء من مختلف أقطار الوطن تبحث عن حلّ لإشكاليتها الجنسية وَترفض في الوقت ذاته، الخروج والانعتاق منه، وكأنّها على حدّ تعبير بعض التّحليليّين، فرصة إنتقام أنثوي من الفالوس الّذي حُرمت منه. أمّا بعض الأزواج فقد تمكّنوا من إيجاد طرق تعويضية وَحتّى حدوث الحمل ثمّ الإنجاب، لكن دون فضّ للبكارة!

2-مكان إجراء البحث

هو مكان انتقائنا لموضوع البحث. و نظرا للصعوبات التي واجهناها مع الخواص قرّرنا زيارة المؤسّسات العمومية للصحة الجوارية. وكمْ كانت دهشتنا عظيمة عندما أطلعنا المختصّون عن اِرتفاع نسبة هذا الاختلال الوظيفي الأنثوي وَافتراضية وجود عامل نفسيّ، خاصّة وأنّ الجراحة لم تُسفر عن تجاوز المشكلة بل زادت من تفاقمها، تقول

القابلات. فاستقرّينا بالمؤسّسة العمومية للصّحّة الجوارية بباب الوادي "ميرة"، وحدة أمراض النّساء والتّوليد فرع تابع لمستشفى جوراندو.

تقع هذه المؤسّسة بقلب العاصمة، يقصدها المرضى من كلّ أنحاء الوطن وَمن مختلف أقطاره، الشرقية، الغربية، الجنوبية والشّمالية.

تسيّره أستاذة في الطبّ العامّ، وطاقم مساعد معظمه نسويّ. تتميّز المؤسّسة بالانضباط والانتظام؛ كانت لنا في كنفها سنوات من المشاركة تقبّل الأطبّاء حضورنا وَتواجدنا أثناء الفحوصات بعد طلب الإذن لذلك، حتّى نلاحظ طريقة تصرّف هاته النّسوة عند الفحص: صراخ، تخبّط، بكاء، توسّل ثم رفض للتّشخيص واستسلام الطّبيب أمام هذه الصّراعات الجسدية ذات الأصل النّفسيّ.

حينها ننفرد بالمريضة في جناح خاصّ من المكتب، حيث نقترح عليْها إمكانية مساعدتنا وَمشاركتنا تجربتها الأنثوية في البحث بإمضائها لشهادة الموافقة المستنيرة الّتي صغناها على منوال تلك الّتي إعتمدتها مؤطّرتنا الأستاذة حدّادي في دراستها الجزائرية حول معيارية اختبار الرّورشاخ في النّظام الإدماجي (2015). كلّهنّ يقبلن منح أجسادهنّ لأجل العلم كما يقول Freud، متحمّسات لإيجاد حلّ للإشكالية والخروج منها.

III- أدوات البحث

توفّر العلوم الاجتماعية وعلم النّفس العيادي خاصّة عددًا من الأدوات والتّقنيات لتقصّي واقع الإشكالية المسبّبة لمعاناة الحالات. يختارها الباحث وفقا للإطار النّظريّ الّذي يتّبعه وَجوانب الإشكالية الّتي يدرسها، بالإرتكاز على مزايا هذه الأدوات وعيوبها وإمكانية تطبيقها في المجتمع الجزائريّ؛ علمًا أنّ النّتائج لا تكون مقبولة أوْ صحيحة إلاّ إذا كانت الأداة المهيّأة ملائمة (أنجرس، 2004).

إِعتمدنا في بحثنا أدوات عيادية تغني منهج دراسة الحالة وَتكشف عن الإشكالية المدروسة من جانبيْها الإدراكيّ وَالإسقاطيّ لعلاقة المرأة بالعَرَض، بتقديم إجابات ذاتية وعلائقية

باستعمال مفردات تسقط المكبوت وَاللاّشعوريّ ممّا قد تتحفّظ عليْه الأنا شعوريّا تأثّرًا باستراتيجيات الاستجابات المرغوبة اجتماعيّا، تعكس الصّراعات الضمنفسية وبين- الشّخصية في التّشنّج المهبليّ.

تتدرّج أدواتنا من المقابلة العيادية من أوّل لقاء، ثمّ تطبيق الإختبارات الإسقاطية المتمثّلة في رسم الشّخص وَيليه اختبار الرّورشاخ بعد إمضاء الحالة على شهادة الموافقة.

جاء تنويعنا في الأدوات متوافقًا وَما يقترحه Kelly,Flyod et Haynes (1997)، من أفضليّة الجمع بين عدد من المقاربات المنهجية حتّى نستفيد من مزاياها ونكمّل محدوديتها، زيادة على محاورة صراعية مختصرة لفهم سلوكات الحالة (R.Banse et C.Rebetez، 2003).

1- المقابلة العيادية

تشتقّ كلمة "مقابلة" من الفعل "قابل، يقابل، تقابل"، أيْ لقي أحدهما الآخر وجهًا لوجه للتّحاور والإيضاح. وهي في التّخصّص العيادي، أداة إكلينيكية يستعملها المختصّ والباحث لإفساح مجال للتّفريغ والتّداعي الحرّ، يتحدّث فيه الفرد عن صراعاته ومشكلاته النّفسيّة الدّفينة (بتروفسكي، 1996) لإدراك سببيّتها عبر استجاباته الانفعالية والجسدية للاستفسارات المطروحة حول ذاته وعلاقته بالآخر.

تعابير وجهية، أسلوب حواري في قالب لغويّ فصيح أوْمتعثّر، تصحبها إيماءات وحركات، وَربّما عصبيّة أوْ هُدوء يكشف عن مدى تأثّر الحالة بإحدى الأسئلة دون غيرها. كما تمنح الكشف عن آرائها وَأفكارها واتّجاهاتها بكلّ حريّة، فتصبح المادّة المجمّعة غنيّة وَوفيرة، تعكس صورة شاملة عن شخصيّة المبحوث (العيسوي، 1997).

وعليْه، تُعدّ المقابلة العيادية تقنية لا يمكن الاستغناء عنها في إنجاز أيّ بحث علميّ نفسيّ، لأنّها فعل تبادل للكلمات عبر تفاعل بين شخصيْن على الأقلّ، لتحقيق هدف أو مجموعة

من الأهداف (ترول، 2007)، مثل فَهْم مشكلة موضوع الدّراسة والإلمام بما يستلزمه من معطيات.

تعرّفها Chiland (1989)، بعلاقة ثنائية تستلزم حضور الباحث والمبحوث، وتقنية تركّز على الشّخص في فرديّته وَوحدته، يمكن أن تدخل في إطار علاقة مساعدة؛ تُدخل الفرد في وضعية خاصّة تسمح بجمع عناصر حول سلوكه وَإعطاء تشخيص أوْ صورة عن المبحوث وَبالتّالي طريقة التّفاعل الثّنائي (Laffont، 1994).

أمّا Grossen et Salazar Orvig(2006)، فيسمّيانها بالخطاب الاستطرادي غير المتجانس؛ يتشكّل من أسئلة تتبعها أجوبة تثير سلسلة من الإستفسارات المتتالية، تكشف عن الحقيقة النّفسية للأنا وَالآخر. تتأسّس المقابلة على الكلمات المنطوقة والإستماع إلى رنّة الأصوات المتداولة واللّغة الموظّفة بين المتحاوريْن في قالب لغوي حيّ وَحواريّ يحمل بصمة متوارثة مستحدثة لأجل التّفرّد.

تشكّل المقابلة العيادية بذلك إذن، وسيلة تدخّلٍ تساهم في ترسيخ أساسيات المختصّ أوِ الباحث في توجّهه العلميّ والعمليّ، متماهيا بنماذج تدريبية سابقة تدعم قالب المقابلة العيادي (Cru، 1987).

تتفرّع هذه المقابلة إلى أربعة مدوّنات، أوّلها، متعدّدة الشّخصيات تفسّر تعدّد التّوجّهات النّظرية المعرّفة لها؛ ثمّ، عبر شخصية، تحدّدها التّخصّصات المهنية الأكثر اعتمادًا عليْها؛ وهي بين-شخصية تفاعلية، وأخيرًا شخصية، تحمل بصمة القائم عليْها وما يستثمره أثناءها من أناه ومعاشه الضّمنفسي (Clot، 2008)، وموضوع البحث والإشكالية الّتي يعالجها في بحثه.

1-1- أشكال المقابلة العيادية

تُصنّف المقابلة العيادية وفق عامليْن هامّيْن يتحدّدان بدرجة الحريّة القائمة على نوعية الأسئلة الّتي قد تكون مفتوحة أوْمغلقة، زيادة إلى مستوى التّعمّق، حيث كلّما سمح الباحث

بحرية أكبر كانت الأجوبة ثريّة ومتنوّعة (Chiland، 1983) وتغطّي كلّ مجالات تاريخه النّفسيّ ومكبوتاته اللاّشعورية.

وعلى هذا الأساس تشمل المقابلة العيادية على ثلاثة أشكال، حدّدتها Chiland في :

- **المقابلة الموجّهة** وتكون أسئلتها مُغلقة، قد تقوم على استثمار الاستبيانات الّتي يبنيها الباحث أو الفاحص مُسبقًا.
- **المقابلة غير الموجّهة أوِ الحرّة** وَهي الأكثر اعتمادا في إنجاز بحثنا، حيث تُترك خلالها كلّ الحريّة للمبحوث حتّى يتكلّم بتلقائية دون تدخّلنا بأسئلة توقف السّرد أوِ التّداعي الحرّ لأفكار وَاختلاجات الحالة.
- **المقابلة نصف الموجّهة** وَتقوم على تدخّلات الباحث القليلة وفق محاور محدّدة مُسبقًا، حتّى يترك المجال للمبحوث بالتّعبير عن صراعاته ومشاعره بكلّ حرية.

2-1-سبب اختيار المقابلة غير الموجهة

تعتمد المقابلة غير الموجّهة على خاصية رئيسية وهي تعليمة أوْ سؤال يحرّض الإيحاء، يصاغ على شكل: "قولي لي واش لي جاب (أسمي الحالة) عندنا؟". إبتكر هذا الشّكل من المقابلات Rogers (1942) كتطبيق علاجيّ أسماه le Counseling، يقوم على التّعاطف وَالحياد في بناء علاقة علاجية إيجابية، وَمنح العميل انعكاسا لفظيّا لتعبيراته الانفعالية، ما يسهّل عليْه إدراك واقعه النّفسيّ.

كان أوّل ظهور لها كتقنية في البحث الاجتماعي بشركة Western electric على يد Roethlisberger et Dickson(1947) لقياس أثر الظّروف الماديّة في العمل على زيادة الإنتاج عن طريق مُحاورة العمّال بحرّية، بعد إدراك الاختلاف الواضح بين الأسئلة المطروحة من طرف الباحثين و انشغالات العمّال الحقيقية. كشفت هذه المقابلة عن أهمّية العلاقات بين-الشّخصية في ميدان العمل.

توجه هذه المقابلة المبحوث نحو الاستكشاف الذّاتي لتعايشه مع الإشكالية المطروحة عبر سؤال مفتوح "تحدّث أنا أسمعك". شبيهة بالمقابلة التّحليلية الّتي تفسح المجال للمفحوص بالتّفريغ عن كلّ ما يحتضنه اللاّشعور حول حياته النّزوية العلائقية في استثماره للذّات مع الآخر.

أمّا Blanchet(1985) فيستهدف منها إنتاج خطاب متّصل ومبنيّ حول الموضوع المدروس. حتّى أنّه في عام 1862، أشار Le Play إلى أنّه يُفضّل، لملاحظة الجماعات العمّالية، الاستماع إلى المبحوثين دون المساءلة المتكرّرة الّتي تعطّل التّداعي الحرّ للأفكار، خاصّة في الحالة الّتي يغلب فيها اختلاف في اللّهجة واللّغة المتداولة، تجعل الطّلبات والإجابات صعبة على الطّرفيْن.

تعترف هذه المقابلة بقدرة المبحوث الكامنة والجليّة أيْضًا، على فهم ذاته وحلّ مشكلاته الوجودية، كما تسمح باستكشاف تصرّفات الفرد العميقة.

دخلت هذه المقابلة مجال البحث مع أواخر السّتّينيات، بعدما تأكّد العلماء من قيمتها العلمية القائمة على جملة من الشّروط، أوّلها ألاّ يقلّ عددها عن الأربعين مقابلة، كما تشترط اِرتباط الإشكالية بعدّة جوانب، كاتّصال إشكالية بحثنا بكيفية إدراك الحالة لذاتها، ثمّ للآخر وكذا لنوعية العلاقة الّتي تقيمها معه، عقبات اِستثماره، تأثيرات السّياقات ضمنفسية على التّفاعلات بين-الشّخصية الحالية.

أمّا أهمّ شروطها فتتمثّل في اعتبار الحالات المساهمة في البحث ككاشف عن الجماعات الاجتماعية الّتي تنتمي إليها والثّقافة والمعتقدات وحتّى الطّقوس الّتي ترعرع أفرادها فيها، وتشرّبتها الحالة خاصّتنا كأنثى وامرأة جزائريّة. يسمّيها Blanchet(1985) بعيادة الإيديولوجيّات، لأنّها تكشف عن أنساق القيم، المعايير، التّصوّرات، الرّموز المستعملة في ثقافة خاصّة دون غيرها من خلال الموضوع قيد البحث والدّراسة.

2- الاختبارات الإسقاطية

تسمح هذه الاختبارات باستقصاء الجوانب الشّخصيّة للفرد، دوافعه واتّجاهاته وحتّى انفعالاته المختلفة، وتُحرّض المبحوث على التّعبير الحرّ عمّا يفكّر فيه ويُحسّه بتخطّي الشّعور وتجاوز العقبات فيظهر اللاَشعور مُتحرّرًا عبر الإسقاطات (Corman، 1976). يُعرّف قاموس اللغة الإنجليزية English and English (1958) التقنية الإسقاطيّة على أنّها إجراء يُستخدم للكشف عن تلك الأنماط السّلوكية المميّزة للفرد، من خلال ملاحظة سلوكه في الاستجابة لموقف لا يستدعي أو يستجرّ استجابة محدّدة (ترول، 2006).

تتميّز الاختبارات الإسقاطيّة عن اِختبارات الكفاءة بغموض المادّة المُقدّمة للمبحوث وحريّة الإجابات الَتي تُترك له، فهي بذلك شبيهة بأشعةX، تخترق داخل الشّخصيّة فتظهر طبيعتها العاطفيّة والهواميّة (Anzieu et Chabert، 1961). وَتقنيّات استكشافيّة تُطبّق على النّفس، تمنحها فرصة إسقاط الميكانيزمات و المحتويات المُستبطنة...تظهر عوامل نفسيّة لا يشعر بها الفرد نفسه ولكنّه يعاني منها (Andronikof، 2008).

اِعتُمدت الاختبارات الإسقاطية أوّل مرّة للكشف عن الأمراض النّفسية وتفسيرها طب-نفسيّا. أمّا خاصّيتها المميّزة فتتمثّل في تحديد خصائص تفرّد التوظيف النّفسيّ، أي ما يميّز الأنا عن الآخر ويثبت الاختلاف بينهما. فهي تستدعي الدينامية العميقة للاّشعور وتبحث في تسليط الضوء على بنية الشّخصية وتثبيتاتها المكتسبة والمبلورة في الطّفولة.

أُسقط، أيْ إبتكر وإبتدع "واش تقدر تكون هذْ الصّورة"، "أرسم كيفاش تشوف روحك"، إجابات تنتج عن استجابات لغموض يثير الخيال ويحرّض اللاّشعور حول ماهية الذّات وتصوّرات الأنا حولها وعن الآخر وتمثيلات هذا الأخير عنها، وعن نوعية العلاقة المفترضة اجتماعيّا بينهما وما يتولّد عنها من صدى نفسيّ حميميّ، ويتشكّل من أفكار ومعتقدات تبني تعايش الأنا مع الآخر. فهدف التقنية هو الإسقاط خارجا لماهية الأنا داخليّا، ونبْذ الشّخص من ذاته للصّفات، والمشاعر والرّغبات وحتّى بعض الموضوعات

الّتي يتنكّر لها أو يَرْفُضها، كي يُمَوْضِعها في الآخر، سواء أكان هذا الآخر شخصًا أمْ شيئًا.

تعتبر الاختبارات الإسقاطية بذلك، اختبارات ضمنفسية وبين-شخصية عميقة، ترفع الغطاء عن رغبات الأنا، توتّراتها، تجاربها، انفعالاتها، هواماتها...الدّفينة بين طيّات لاشعورها.

1-2- اختبار بقع الحبر (Rorschach)

نعرّف بهذا الاختبار من منظور النّظام الإدماجي أو النّظام الشّامل(1974) الّذي اعتمدناه في أطروحتنا. هو حوصلة و حصيلة كلّ المعارف المُكْتسبة و المُثبتة ميدانيّا منذ ظهور أوّل نسخة للرّورشاخ (1921) إلى غاية الأبحاث و الثورة المفاهماتية في بداية السّبعينات.

حافظ النّظام الجديد على نفس عدد اللّوحات والخصائص الّتي وضعها رورشاخ نفسه منذ 60 سنة. أمّا التّغيير الّذي طرأ عليه فقد أصبح التّجريب اِختبارا... ما يعني أنّ الرّورشاخ اِختبار إسقاطيّ علميّ وتقنية تُحرّض عدّة عمليّات نفسية في الفرد، وَليست بقع الحبر مقطعًا إشعاعيّا سحريّا للشّخصية.

يمكننا أن نختصر هذا الاختبار في عبارة "قل لي واش راك تشوف، نقولك شكون أنت". اِبتكره الطّبيب النّفساني السويسري H.Rorschach(1884-1922) بعد تجارب استغرقت حوالي عشرة أعوام، بدأها سنة 1911 في محاولة لدراسة الخيال، استوحاها من ملاحظته لطريقة الإدراك غير المألوفة للأشكال لدى المرضى الفصاميين، ما دفعه إلى دراسة نماذج الإدراك في بقع الحبر وموازاتها ببعض خصائص الطَبع و/أوْبعض الباثولوجيّات العقليّة.

يسمح اختبار الرّورشاخ بتقدير السياقات الإدراكية المختلفة وَتوظيف الأنا لها في استثمار الموضوعات المدركة، بدءًا بالذات، الآخر، المحيط...تتمظهر في نوعية العلاقة الّتي تقيمها مع كلّ لوحة من اللّوحات العشر الّتي طُبع على كلّ واحدة منها بقعة حبر متماثلة

الجانبيْن، فجاءت السّوداء (VII, VI, V, IV,I) والملوّنة بالأسْود والأحْمر (III, II) وأخرى متعدّدة الألوان (X, IX, VIII)، اِنتقاها رورشاخ لأنّها تمثّل "نظام دراسة الشّخصيّة" (سي موسي، بن خليفة، 2010)، تقيس كلّ بطاقة قلقًا معيّنًا: تختصّ الأولى بقلق فقدان الموضوع، تكشف الثّانية عن هوام المشهد البدائيّ، في حين تقيس الرّابعة الأنا الأعلى الأبويّ...من هنا أهمية أبحاث Exner(1994، 2003) وتأكيده على قيمة المعطيات المجمّعة في تقييم اِحترام المبحوث للأشكال، أوْ تجاوزه لها، بإضافة ألوان أوْ حركات في إجابات تشتمل على محتويات إنسانية وَحيوانية..كلية أوْجزئية، تعكس صورة الأنا في علاقتها بالواقع.

توفّر لوحات بقع الحبر حسب Chabert(1981؛ 1987) أيْضًا، إمكانية تحليل إسقاطات الفرد عن تصوّراته لذاته وبالأخصّ جسده، أوّلا في استجاباته لتحريضات اللّوحات الشّاملة (VI, V, IV,I) وتصوّراته لتمايز الجهتيْن اليمنى واليسرى في اللوحات التّناظرية (VII, III, II)، وإدراكه للحدّ الفاصل بين الدّاخل/الخارج ومدى شفافية الغلاف الجسدي عبر تداعيات اللّوحات الفاتحة الألوان. وحسب ذات العالمة تمتحن اللّوحة X قدرات المبحوث على توحيد صورته الجسدية أمام تشتّت محتواها.

يصبح اختبار بقع الحبر في النّظام المفاهيمي الجديد أداة عيادية تخوض عبرها الأنا تجربة إدراكية–معرفية، تترجم، تنظّم، تصطلح عمّا أدركته حول ذاتها وجسدها والحدود بين العالم الدّاخلي والعالم الخارجي، في ثلاثية معرفية يصنّفها Exner إلى: معالجة المعلومة، الوساطة المعرفية وآلية التّفكير، إضافة إلى الصبغة العاطفية.

تحرّض ألواح الرّورشاخ استجابات مُبْتكرة وعامّة تتمثّل رمزيّتها فيما يفصّله Chabert Anzieu et (2004)، في الجدول التالي :

اللّوحة	رمزية اللّوحة
I	تحرّض صورا ترتبط بالعلاقات المبكرة مع الموضوع الأوّل.

II	إشكالية قلق الخصاء. وتحرّض على إسقاط لاستثمارات نزوية سواء بقيمة عدائية (معركة بين دبّيْن)، أوْليبيدية (حيوانان يتبادلان القبل).
III	تؤكّد على سياقات التقمّص الجنسي، والخاصية الإجتماعية للنماذج العلائقية (شخصيات إنسانية تعتبر مألوفة).
IV	تشير إلى الوضعيّات المتّخذة تجاه الصّور السلطويّة: تقمّص لقوّتها الدينامية عن طريق تصوّرات لشخصيّات نشيطة جدّا(عملاق،كينغ-كونغ..)، أوالخمول والاستقبال (هيدورة).
V	إشكالية الهوية و تصوّر الذات. تمثّل اختبار الواقع الأساسي في مقاربة للعالم الخارجي، مبيّنة الإعتمادية الضيّقة التي تربط تصوّر الذات والعلاقة بالموضوعات الخارجية.
VI	رمزية جنسية (مزدوجة): ذكرية (D.méd.sup.) وَأنثوية (partie infér.).
VII	مؤشّر عن العلاقات المبكرة مع الموضوع الأوّل: اِلتحامية، يميّزها تثبيت شرجي أوْفموي،...تسمح بالتّموضع أمام نموذج أنثوي: مواجهة، صراع أوْخضوع، تقييم أوِالتقليل من قيمة الصور الأنثوية.
VIII	تسهّل النكوص وتحرّض العواطف والانفعالات في العلاقة بالمحيط. لوحة الاتصالات بالعالم الخارجي.
IX	تسهّل النكوص وتحرّض العواطف والانفعالات في العلاقة بالمرجعيّات الأمومية المبكرة (اللوحة الرحمية).
X	تسهّل النكوص وتحرّض العواطف والانفعالات في مواجهة التفرّد وَالانفصال.

– **جدول رقم 2:** رمزية لوحات بقع الحبر –

قد يُسمّى اختبار الرّورشاخ اختبارًا فرديّا لأنّه لا يستلزم حضور شخص ثالث؛ يتطلّب مكانا هادئًا و جلسةً مريحةً بعد الحصول على قبول المبحوث الخضوع لهذه الوضعية ثمّ تهيئته، حيث يُعْلِمه الباحث بماهية الاختبار وطبيعته.

تظهر القيمة التّشخيصية للرّورشاخ في النّظام الإدماجي إذا ما اِتّبع مُطبِّقُه عددًا من القواعد[55]، أهمّها:

[55]- لدراية أفضل بآليات تطبيق اختبارالرّورشاخ في النّظام الإدماجي، يرجى الإطلاع على المرجع:

-معرفة الفرد بمادة الاختبار (رايحة نوْريلك عشر لوحات) والمطلوب منه (قولي واش تقدر تكون كلّ واحدة)، ومصير المعلومات الّتي يقدّمها.

-كتابة حرفية لكلّ الإجابات بترقيمها وَتحديد مواقعها على schéma block بٱستعمال سيّالات متعدّدة الألوان، وَإبراز وضعية اللّوحة أثناء الجواب: (<، >، ^،٧).

-إذا قدّم المبحوث إجابة واحدة في اللّوحة الأولى، يقول الباحث "شوف مليح، نظن رايح تزيد تصيب حاجة واحدة أخرى".

-التّحقيق، يُفضّل أن يكون بعد إتمام عرض اللّوحات العشر.بإعادة تقديمها الواحدة تلو الأخرى بعد التّعليمة الخاصّة به "دوك رايحة نعاود نوريلك ڨع اللّوحات نقرالك واش قلت لي و أنت وريلي وين شفت واش قلت لي أُو واش لي خلاك تشوفوا هكذاك. لازم تعاوني باش نشوفوا كيما شفتُ أنت. فهمتني؟".

قد يطرح الباحث أسئلة توضّح موقع الإجابة (وين شفت واش قلت لي؟)، محدّداتها (واش لي خلاّك تشوف واش قلت؟)، و محتواها (واش شفت؟). للتّحديد الدّقيق لخصائص الشّيء المُدرك يطرح الباحث أسئلة من مثل: "مانيش نشوف مليح وين راه، تقدر جوْز عليه بصبعك"؛ "مافهمتش واش لي خلاّك تشوفوا هكذاك؟"...

في نهاية الاختبار دعينا المبحوثة إلى الإدلاء برأيها حول الوسيلة التّشخيصيّة وما عاشته من أحاسيس ومشاعر أثناء الوضعية واللّوحات الّتي مرّت عليها، لإنهاء عمليّة الفحص في شكل مقابلة عفْوية تساعد على طمأنة المبحوثة وعدم الانقطاع المباشر عن الوضعية المُستثمرة...

Exner.J., (2003), *Manuel de cotation du Rorschach en Système Intégré-Théorie et pratique-*, (Andronikof.A., trad.), Paris, France : Frison-Roche.

ننتقل بعدها إلى تنقيط الإجابات وفق فئات: **الموقع** (الجزء من البقعة الّذي جلب انتباه الفرد)، **المحدّدات** (الخصائص الّتي ألحقها الفرد بالجُزْء المُدْرك من البُقعة)، **المحتوى** (إلى أيّة فئة من الكائنات ينتمي الموضوع المُدرك؟)، **المبتذلات** (هل الإجابة تنتمي إلى المجموعة الأكثر تداولا بين العامّة من النّاس؟) مع التّركيز على خاصية الدقّة المستحدثة في النّظام الإدماجي تخصّ **النّوعية التّطوّرية** للإجابات "v/+،+،o" بتقييم خصوصية الموقع والتّوظيف المعرفي للحالة؛ **النّوعية الشكلية** "o، +، -، u" وَسلامة الإدراك لديها وكذا قدراتها التّكيّفيّة. فهذه الأخيرة لا تصنّف الإجابات إلى مقبولة أوْ ضعيفة التّركيب فقط، بل تعرض أيْضًا صورة مصغّرة عن السّلوك الّذي تُؤتيه كامرأة للتّحكّم في عالم موضوعاتها (Mayman، 1970). فإذا ما أدركت المبحوثة موضوعات تطابق فيها بين حوافّ البقعة وَالموضوع المُدرك، يُمنح لإجاباتها المقبولة الرّمز (o) أوْ(+)، وإذا أغفلت التّناسب بين العنصريْن يُسند عندئذ لإجاباتها الرّمز(-) أوْ (u).

ألحق النّظام الإدماجي **بالمحدّدات الحركية** أيْضًا فاعلية أوْسلبية المحتوى في سلوكاته باعتماد أحد الرّمزيْن "a، p". وفي حالة ما قدّمت المبحوثة إجابات مركّبة من أكثر من محدّديْن مع اِحترام الخصائص الشّكلية للموضوع المُدْرك، يسمّيها النّظام الإدماجيّ وظيفة الدمج (Blends). دون أن نغفل **التّنقيطات الخاصّة** الّتي تسمح برصد وتكميم خصائص التّعبير اللّفظيّ، التّكرارات وفشل الإدماج، أوْ أن تكون الإجابة شخصية... PER، DV، CONTAM، FABCOM، PSV....

اِبتدع Beck (1933) كذلك نتيجة رقمية تتوافق وَدرجة تنظيم الفرد لإجابته، وَقد أسند لها اسم **المعامل Z**. يُمنح هذا الأخير لكلّ إجابة تشتمل على تركيبة شكلية وبلورة لغوية سليمتيْن، مع الانتباه إلى إدماج المساحات البيضاء، ونوعية العلاقة الّتي يقيمها بين موضوعيْن متقاربيْن أوْمنفصليْن، شريطة منح الموضوعات شكلاً محدّدًا يحمل إحدى الميزات "v/+،+،o"، ونكتب "ZW، ZA، ZD، ZS". وقد وجد Schmidt et Fonda (1953) على سبيل المثال، أنّ قيمة Z ترتفع عند الهوسيّين أكثر منها عند الفصاميّين؛ في

حين توصّل Varvel (1941) et Hertz (1948) إلى وجود مستويات متدنّية في النّشاط التّنظيمي للإجابات لدى المرضى المكتئبين.

بعد تنقيط البروتوكولات يقوم الباحث بإدخالها في قاعدة البرنامج CHESSSS الّتي تسمح بمراجعة أوّلية للتنقيط و تقديم تفسير حوصلي حول الحالة.

-تحليل و تفسير نتائج اختبار الرّورشاخ

ظهرت لهذا الآختبار عدّة مدارس وَأنظمة تفسيرية أسبقها المدرسة الفرنسية في تحليل إجابات الرّورشاخ من منظور تحليليّ يبدأ بجدول يسمّى المخطّط النّفسي، يتمّ تفسيره وفق ثلاثة محاور أساسية من التّوظيف النّفسيّ: السّياقات العقلية أوِالمعرفية، الدّينامية الصّراعية وَالاستجابات العاطفية.

نظرا لمعرفتنا المتواضعة حول اختبار الرّورشاخ وفهمنا البسيط للتحليلية، إرتأينا اعتماد عدد من القوائم الّتي تعيننا في الكشف عن ماهية المحتويات ودلالتها العيادية، كقائمة Tychey للرمزية الجنسية الأنثوية، الفالوسية والعدوانية وفقًا لأعمال Cassiers(1968)، Diwo (1997)، وشبكة Rausch de Traubenberg(1990) للدينامية العاطفية في بُعديْها النّزوي والعدواني، مع ارتكازنا الأساسي على التّحليل الكميّ للنّظام الإدماجي الأمريكيّ وفقا للقاعدة الرّقمية CHESSSS الّتي تلخّص التّفسير فيما أسماه J.Exner بالملخّص الشّكليّ، ما يُسهّل علينا دحض أوْتأكيد الفرضيات حول حقيقة ما تعانيه المتشنّجات مهبليّا.

يتفرّع هذا الملخّص إلى سبعة أقسام: رئيسيّ وَآخر خاصّ بالتّصوّرات و السّيولة الفكرية؛ وَثالث يبرز التّوظيف العاطفيّ للمبحوث؛ وَآخر يجيب عن مدى تكيّفه الذّاتي والإجتماعيّ بإدراج نوع من الإيجابية في إسقاطاته الشّكليّة؛ قسم المعالجة المعرفية للمعلومات، قسم العلاقات بين-الشخصية، وَالأخير خُصّص لمدى إدراك المبحوث لذاته (أنظر الجدول أدناه).

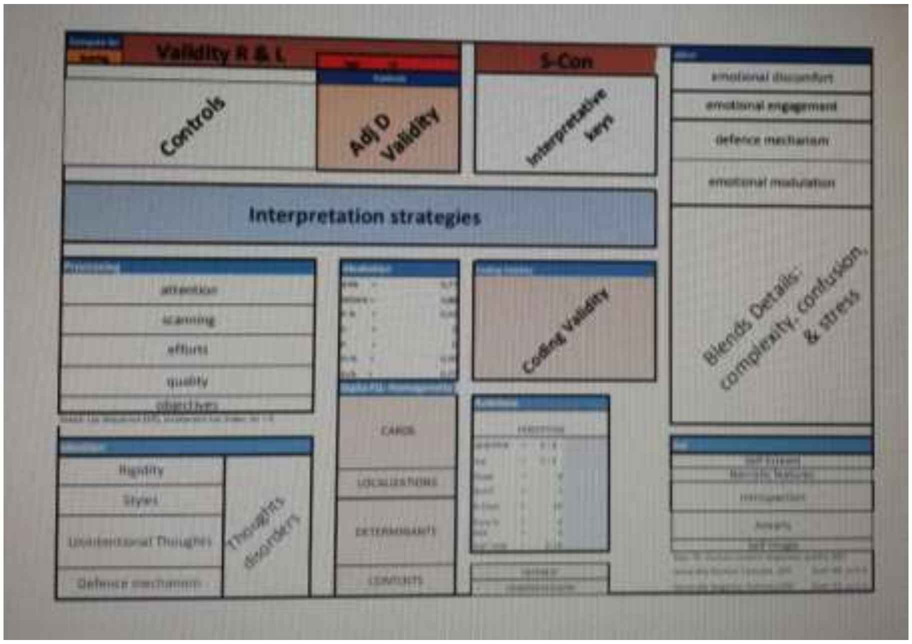

– **الجدول رقم 3:** الملخّص الشّكلي لنتائج بروتوكول الحالة –

يتأسّس إدراك الذّات في النظام الإدماجي للرّورشاخ على عدد من المؤشّرات نذكر دلالتها في الجدول التّالي، ثمّ نحلّلها حسب الحالة:

ترميز المؤشر	دلالته	ترميز المؤشّر	دلالته
GO	يبرز مدى اهتمام و انشغال الفرد بذاته و تقديره لها. $\frac{3(rF+Fr)+\sum(2)}{R}$	***Fr+rF***	نظرة الفرد النرجسية لذاته وتقديره المُفرط لها.
Vista	تتصل بسلوك الاستبطان والوعي بالذّات. إدراك موضوعات تُدرج فيها خصائص التظليل كأعماق، مع إهمال حواف البقعة.	***FD***	تتصل سلوك الاستبطان و الوعي بالذات. إدراك موضوعات تميزها خاصية المنظور، سواء في العمق، المسافة أو الأبعاد.
An+Xy	$0 < An + Xy < 1$ تشير الإجابات التشريحية إلى الاهتمام بالجسد.	***MOR***	إدراك لمحتوى ميّت، محطّم، ملوّث، مجروح، مُكسّر، أو ربط الموضوع المُدرَك بشعور أو إحساس سلبيّ. $MOR > 1$، إدراك سلبي لصورة

			الذّات.
Lambda	تعكس مدى تكرار استعمال استراتيجية التجنّب كوسيلة دفاعية لتجاهل تعقيد و غموض الوضعية الّتي وُضع فيها. $\mathbf{L}=\frac{F\ (pure)}{R-F}$ (L>0,99)	***EB***	التّصوّرات و السّيولة الفكرية. تعكس مدى انطوائية أو انبساطية المبحوث. EB $=\sum M:\sum C$
H :(H)+Hd+(Hd)	تبرز عملية التّقمّص و مدى إدراك الفرد لصورته الذّاتية و/ أو قيمتها).		

– **الجدول رقم 4:** دلالة مؤشّرات إدراك الذّات في النّظام الإدماجي –

يتلخّص إدراك العلاقات في كيفية استثمار الأنا للآخر ضمن علاقة موضوعية بين-شخصية. يعرّفه النّظام الإدماجي للرّورشاخ بمؤشّرات حدّدها Exner في القائمة التّالية:

ترميز المؤشر	**دلالته**	**ترميز المؤشّر**	**دلالته**
∑H	يبرز مدى اهتمام الفرد بالغير؛ بمقارنة عدد المحتويات الإنسانية الصّرفة بالمحتويات الإنسانية الجزئية و الأسطورية.	***CDI***	$4< CDI < 5$: يشير إلى نقص في النّضج و محدودية الفرد في كفاءاته العلائقية وفي المقاربة كراشد. $(COP < 2, AG < 2, p > a + 1, Hpur < 2, \frac{Isolate}{R} > 0{,}24, Fd > 0)$
HVI	إذا كان موجبا فهو يعكس الحذر الزّائد و البحث عن التّلاؤم في علاقاته مع الغير بإنكار الذّات.	***(a :p)***	ميل الفرد إلى الخمول أو النشاط في علاقاته.
Fd	تشير إلى الأكل...و التبعية الموضوعية.	***SumT***	=1: الميل إلى التّعلّم والتّواصل.
H pur	جسم إنسانيّ كامل. إذا ذُكرت شخصية تاريخية حقيقية، مثل زبانة...يُضاف Ay في التنقيط .	***GHR***	إدراك لإنسان كامل، بوجود إحدى هذه التّنقيطات: FQ+, FQo, FQu و غياب التّنقيط AG أو MOR.
PHR	إدراك لجزء من إنسان، و/أوْ بوجود إحدى هذه التّنقيطات: AG, INCOM, DR, FABCOM, MOR, FQsans,	***COP***	إدراك لحركة فيها تعاون أو مساعدة.

	.ALOG, CONTAM		
AG	إدراك لحركة فيها عدوانية.	***PER***	إجابات ذات مرجعية شخصية.
Indx.Isol.	مؤشّر الانعزال الاجتماعيّ أو الميل نحو التّفاعلات الإجتماعيّة. $\frac{2xNa + 2xCl + Bt + Ls + Ge}{R}$	***M***	إدراك موضوعات إنسانية، شخصيّات وهمية أو حيوانات تقوم بحركة إنسانية.
FM	إدراك موضوعات تقوم بحركات حيوانية.	***DAj***	تقدير هيمنة التّوتّر النّاتج عن الوضعية الاختبارية.
X-%	تخصّ نسبة انتشار التّشوّه الإدراكي الشّكليّ في البروتوكول.	***DEPI***	هو مؤشّر الاكتئاب. يبرز ميل الفرد إلى المعاناة من وجود اضطراب عاطفي أو مزاجيّ.

– د**الجدول رقم 5:** دلالة مؤشّرات إدراك العلاقات في النظام الإدماجي –

يجب الإشارة إلى أنّ تحليل الإجابات الحركية M et FM يُشترط في هذا النّوع من الإدراك لإقترانه بإجابات زوجية (2).

كما أدرج Exner عوامل سلبية تكشف تشوّه الإدراك العلائقي وَالذّاتي للمتشنّجات محلّ الدّراسة (إذا تجاوزت 2)، إذا تغيّبت عن تنقيط الخطاب أصبحت مؤشّرًا إيجابيّا؛ نذكر منها:

- كثرة الإجابات ذات موقع جزئيّ صغير (Dd)؛ أو فراغات بيضاء (S) متصلة بإجابة شاملة أو جزئية.
- اِرتفاع مؤشر النّوعية الشّكلية سالبة (-) على الموجبة (+) أو الاعتيادية (o).
- تتبع الإجابات الأسطورية الجزئية (Hd) حركة إنسانية (M).
- وجود إجابات لونية بحتة (C).
- وجود عناصر تظليلية خاصّة (Vista) أو ألوان داكنة.
- وجود إجابات متعدّدة المحدّدات اللونية_التّظليلية أو التّظليلية الصّرفة.

- وجود محتويات An, Bl, Ex, Hx.

- وجود التنقيطات الخاصّة، بالأخصّ MOR, AB, INCOM, FABCOM, ALOG, CONTAM.

لقي هذا الاختبار اهتمام أساتذة علم النّفس العيادي و الممارسين الميدانيّين بجامعاتنا، فقاموا بعدّة محاولات لتكييفه على البيئة العربية والجزائريّة خاصّة. جاءت مبادرة الدّراسة المعيارية الجزائرية على يد الأستاذة دليلة سامعي-حدّادي و فرقة البحث التّابعة لمخبر القياس النّفسي الّذي تترأسه بجامعة الجزائر-2- وَالّتي تتكوّن من 13 عضوا من بينهم الأستاذة زيوي .ع.، الأستاذة عرعار .ف، وَالأستاذة صحراوي.ع...وَقد جمعت لأجل هذا العمل الهامّ ما يساوي 614 حالة تمسّ معظم أقطار الوطن (34 ولاية)، تمنح مصداقية أفضل وَتقييما كيفيّا و كميّا أشمل لخطابات الرورشاخ.

استهدفت هذه الفرقة تقليل العوائق التي تواجه تطبيق الرّورشاخ ميدانيا، و مطابقة تنقيطه ومعايير ثقافتنا؛ حرّضت عدّة أعمال علمية تستحقّ التشجيع والاهتمام، بدءا بإنجاز قائمة الأجوبة المبتذلة للراشد الجزائريّ، على يد كلّ من الأستاذيْن سي موسي و بن خليفة.

تواصلت محاولات الأستاذة حدّادي و تكييف اختبار الرورشاخ و هذه المرّة ضمن النظام الإدماجي، في ظلّ مشاركة جزائرية-فرنسية مع الأستاذة A.Andronikof؛ زيادة على إنجازها لعدّة أعمال أخرى تهتمّ بذات الاختبار من أحدثها : الرّورشاخ و الطّبّ النفسيّ (2014/2)، الرورشاخ عند الراشد الجزائري-دراسة معيارية باثولوجية-، عرضت نتائجها في ملتقى دولي للرّورشاخ في النظام الإدماجي (Samai–Haddadi, Zioui et Andronikof، 2015).

كما أسهمت الأستاذة سامعي-حدادي في كنف المخبر الّذي تترأسه أمسية كلّ أربعاء، في تدريب طلبة الدكتوراه المقبلون على استعماله كأداة بحثية عيادية، على تنقيط خطابات اختبار الرورشاخ في النظام الإدماجي على مدار السّنتيْن تقريبًا ابتداء من 2016.

سمح لنا الإطّلاع وكذا حضور بعض الأعمال والأيّام الّتي نظّمها مخبر علم النّفس العيادي والقياس النّفسي تحت إشراف الأستاذة حدّادي بمراجعة ترجمتنا لمصطلحات تنقيط وَتفسير بروتوكول الرّورشاخ في النّظام الإدماجي (2015، 2016، 2017، 2018)[56].

2-2- رسم الشّخص كتقنية إسقاطية و أداة بحثية

«Faire des taches, c'est produire accidentellement des formes à partir desquelles des idées viennent à l'esprit; et faire une esquisse, c'est donner une forme à des idées que l'on invoque en faisant des taches» (Cozens, 2002).

يعتمد توجّهنا التّحليليّ في دراسة الإشكالية الأنثوية المطروحة على استثمار أدوات عيادية تيسّر التّداعي الحرّ وَاستثارة المكبوتات اللاّشعورية. و رغبتنا في استيضاح الصّورة و المخطّط الجسديّيْن أشارت عليْنا باستخدام أداة إسقاطية قليلة الاستعمال في الدراسات الجزائرية مقارنة باعتماد باحثيها على الاختبارات النفسية الأخرى، ومن جهة أخرى بالدراسات الأجنبية الّتي تعادل حسب إحصاءات Jourdan-Ionescu, Méthot, Bouteyre, Couillard, Fessard, Rouleau et Demers (2008) ما يقارب 600 مقال علمي لاستعمالات الرّسم في الدراسات السّيكولوجية وأهدافها المختلفة على فئات عمرية متنوعة حتّى مع الرّاشد.

تحفيز نضيفه إلى ما نمارسه ونعلمه عن استمرارية لجوء الرّاشدين و خاصّة النّساء إليه –حسب إعترافاتهنّ– في حالات الحزن و الغيظ وتعكّر المزاج، فيكون التّفريغ في شكل ضربات فرشاة أو حركات للقلم في مسارات تارة هندسية منحنية أو منكسرة، وَأخرى مناظر طبيعية تخفّض من التّوتّر الظّرفي.

---

[56]-LAPCM(Alger2) : Fergani.L., Haddadi.D. (2016), Quelques considérations sur l'application de la Constellation suicidaire (S-CON) du Rorschach Système Intégré en Algérie, 6 ème journée scientifique sous le thème : De l'application des tests en Algérie ; Haddadi.D., (2018), Présentation et discussion des normes algériennes du Rorschach en Système Intégré, 1ère Journée Scientifique ;Haddadi.D., (2018) : Applications cliniques du Rorschach en SI au CAPU Samia Benouniche, 1ère Journée Scientifique . http://www.lapcm.univ-alger2.dz/pdfs/journee-desorganisationssomatiques/ PROGRAMME%20DE%20LA%20%20JOURNEE%20SCIENTIFIQUE.pdf

فهي مجازفة إذن تستحقّ العناء، لأنّها تعيننا على تأكيد أو دحض ما تكشف عنه إجابات كلّ حالة في اختبار الرّورشاخ حول الصّورة الذاتية وَعن الآخر وَعلاقتها بهما، و توفّر لنا نظرة عن نوعية العلاقة بالجسد وَبأجزائه المنبوذة ثقافيا أو المستثمرة باستقصاء نوعية الخطوط المرسومة وَالألوان المعتمدة وَمواقع الورقة المستغلّة.

فحسب Buck et Hammer(1969) يتميّز الرّسم على خلاف كلّ التّقنيات الإسقاطية بالكشف عمّا تخفيه ميكانيزمات الدّفاع و الوصول إلى النّواة الأساسية للنّزوات.

اِحتلّت هذه التّقنية وَرسم الشّخص خصوصًا مكانة وسيط تشخيصيّ وَعلاجيّ، يكشف، رغم أنّ قيمته المنهجية تبقى محلّ جدال (Motta، Little et Tobin، 1993؛ Thomas et Jolley، 1998)، عن محتوى تصوّري دال يعترف التّحليليّون بالقيمة المضافة الّتي يثري بها الوصف العيادي للحالة لارتباطه بالنّشاط النّفسي اللاّشعوريّ للرّاسم (Mantz-Le Corroler، 2003)، زيادة على إلمامه كما يقول Lefebure(1994)، بشخصية من يُقدِم على الرّسم في لحظة معيّنة يتمركز فيها انفعاليّا حول ذاته، فيشكّل كما كتب Garcias-Fons (2002) على الدّوام... صورة ذاتية مُسقطة يمكن اختصارها في عبارة: رسمي ينظر إليّ وَأنا أرى نفسي فيه.

كانت أولى مبادرات اعتماد الرّسم في العلاج التّحليليّ مع الأطفال من طرف Sophie Morgenstern، Ada Abraham، Favez-Boutonnier، Dolto، لمعرفة مراحل التّطوّر اللّيبيدي والعاطفي والجسدي، يدعمها Abraham(1992)، Anzieu et Chabert (2004)، Corman(1978)، Flanagan et Esquivel(2006)، كوسيلة عيادية إختيارية وَأداة تفريغية بإمكانات تسلية (Abraham, 1963; Widlöcher, 1984)، وإن كان اعتماده مع المراهقين و الرّاشدين يساعد على البلورة النّفسية للصّراعات الضّمنفسية.

فأنْ أرسم يعني أنّني أكشف عن تصوّري لذاتي، صورة وَتخطيطا، موقفي منها وَمن العالم الّذي يحيط بي بما فيه الآخر وَتصوّري له (Cherney، Seiwert، Dickey et Flichtbeil، 2006). يمكن اِعتباره كدالة مكثّفة (Doron، 1996) يشوبه على غرار الحلم

ميكانيزميْ التّكثيف وَالإزاحة، بنقل وفق هذا الأخير العاطفة المنفصلة عن تصوّر نزوي مزعج نحو تصوّر آخر أقلّ إزعاجًا يتّصل بالأوّل عبر عنصر مشترك بينهما يظهر في الرّسم. أمّا التّكثيف فهو حوصلة لعدد من الإزاحات تتّخذ صفة الرّموز يسمح تفسيرها بفهم التّوظيف النّفسي للفرد وشخصيته (Abraham، 1963؛ Anzieu، 2008؛ Baldy، 2002؛ Dufour، 2009؛ Machover، 1949؛ Corroller Mantz-Le، 2003؛ Morgenstern، 1937؛ Royer، 1995).

من المتعارف عليه بين مختلف المنظّرين أنّ الرّسم يعكس أيْضًا صورة عن ديناميّة تفاعلية الأنا بالثّقافة الّتي تترعرع فيها (Cox، 1993؛ Daoud، 1976؛ La Voy et al.، 2001؛ Schofield، 1978؛ Smart et Smart، 1975؛ Wallon, Cambier et Engelhart، 1998)، وَحتّى عن الطّبقة الاجتماعية الّتي ينتمي إليها الفرد وَالقيم المجتمعية الّتي استدخلها (Dennis، 1966؛ Masling، 1992) وَنوع التّربية الّتي تلقّاها (Cox، 1993؛ La Voy et al.، 2001)، حتّى أنّ Cambier(2000) يعرّفه بنسق من العلامات الدّالة على وسط ثقافيّ معيّن. و تؤكّد Pruvôt(2005) لمن يريد معرفة أي بلد، أن يدفع بأبنائه إلى الرّسم وَأن يستمع لما يقولون؛ لذلك يُكنّيه Lamprecht (1906) بالمصدر التّاريخي.

أضف إلى أنّه حرية تعبيرية تستثمر عدّة جوانب من الأنا: السّياقات المعرفية، الشّخصية، الحركية، الخيال وَالأذواق الفردية الّتي تبرز في المخطوطات وَالأشكال وَالألوان الأكثر توظيفا و اعتمادية.

و انطلاقا من هذه الخصائص وَغيرها اعتمدته Florence Goodenough(1957) كاختبار للذّكاء في رسم الرّجل و قامت Jacqueline Royer (1984) بإثرائه بسلّم للنّضج المعرفيّ و العاطفيّ.

ب- مراحل تطوّر رسم الشّخص عند الطّفل و المراهق

يرسم الطّفل أوّل شخص له في شكل دائرة عندما يبلغ 3 سنوات، تتقاطع بداخلها خطوط ثلاثة (السّطر الأوّل من الجدول أسفله). أمّا أعضاء الجسم فيظهرها جانبًا مع تسميتها. فيعكس مظهره استحالية استدماج الطّفل الصّورة و المخطط الجسديّيْن في شكل واحد.

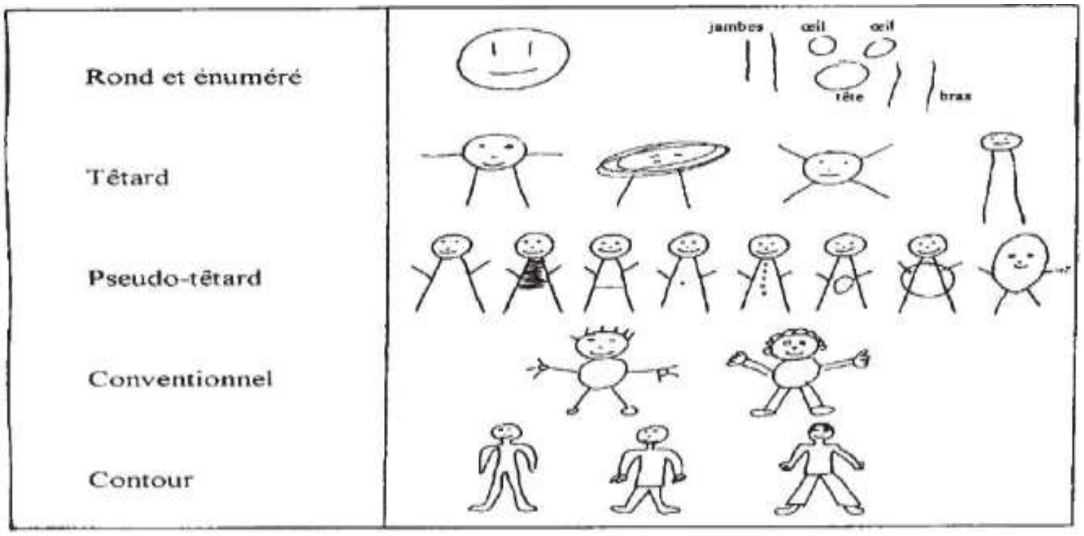

– **الجدول رقم 6:** مراحل تطور رسم الشخص بالتّقدّم في العمر(Baldy، 2008) –

يتّخذ بعدها هذا الشّكل مظهرًا بيضويّا يمثّل الوجه، تنبثق منه أربعة خطوط تصوّر الأطراف الأربعة، يشبه قرص الشّمس، يُسمّى "الشّرغوف"؛ علْمًا أنّ هذا الشّكل الغامض و الغريب لا يرتبط بأيّة تجربة حسّية أوْتعلّمية بصرية يعيشها الطّفل، ولا حتّى بأيّ تصوّر ثقافي للجسم البشري (Baldy، 2007؛ 2008).

يكتسب الشّخص بعد ذلك حسب ما يظهر في السّطر الثّالث بطنًا. جزء يتصوّره الطّفل ثمّ يضيفه، ليتّخذ وضعية الجذع بأنْ يُلصِق به الذّراعيْن، أوْيملأ الفراغ بتلوينه أوْبوضع خطّ فاصل يبيّن الأرجل، أوْيضع نقطة تمثّل الصرّة، أوْ أزرارًا...توحي بالعمود الفقري محور الجسم.

ينتقل الطّفل بدخوله مرحلة 4 و 5 سنوات عبر جهوده الخاصّة و بمحاولاته المتكرّرة، إلى رسم الشّخص الاجتماعي الّذي يراه في محيطه. فيكسبه مثلاً شعرًا و يُميّز الأرجل بالأقدام (الحذاء) و الأيدي بالأصابع، مع استمرار غياب الرّقبة و الملابس.

يكتسي رسم الشّخص تدريجيّا الصّورة الآدمية إلى أن تظهر الملابس الدّالة على اكتساب الهوية الجنسية في اتّصالها بالهوية الاجتماعية بظهور الشّعر الطّويل والعفّة، وَرسْم الأولاد والبنات لشخص يعكس هذا الإنتماء الجنسيّ.

Ages	abs																										
4 ans	10	5	4	1																							
5 ans	9	1	4	5	1																						
6 ans	7	1		2	1	1	1	1	1	1	1	1	1	1													
7 ans	3	2	2	1	3	2					2		1		1	1	2										
8 ans	3		2	1		3					2	1				1		2	1	1	1	2					
9 ans	3	1	2			5			1					1									1	1	1	3	1

	abs																									
4 ans		10	5	3	2																					
5 ans		12	2	1		1	1	1	1	1																
6 ans	1	8	1	3							3	2	1	1												
7 ans		6	1	3				4			1				1	2	2									
8 ans		1	2	2			2	4		1	1						1	2	1	1	1	1				
9 ans		4	1				2	2		2	1	1		1									3	1	1	1

	abs															
4 ans	3	3	5	5	4											
5 ans	1		8	3	2	1	1	1	1							
6 ans	2		11		6					1						
7 ans			5	2	10	1					1	1				
8 ans	1		4		9	1						4	1			
9 ans			6	2	4	1						3	1	1	1	1

– **جدول رقم 7:** التّطوّر الزّمني لرسم الأنف، العين، الفم (Baldy، 2008) –

ما يُلاحظ على رسم الطّفل للشّخص منذ المرحلة الأولى، هو شكله الهندسيّ، وضعية الوقوف وَالوجْه البشوش. تظهر انفعالات الفرح و الحزن عندما يبلغ الطّفل 8 سنوات؛ أمّا انفعال الغضب وَالمفاجأة فيتزامن و بلوغ الطّفل 11 سنة.

أهمّ ما ينتبه إليه الباحث أيْضًا في اختبار الرّسم مع الأطفال هو كلام هذا الرّاسم الصّغير أثناء إمتثاله للفعل مسمّيا كلّ جزء يُضيفه، بل و يذكر حتّى مراحل الإنجاز المتقطّعة الّتي

تتخلّلها حركات ذهاب و إياب، توقّفات و إدماجات لمختلف أعضاء و أجزاء الجسم، "أنا نبدا بالراس؛ ما لازمش ننسى الرقبة؛ آ، نسيت كرشُ...".

يعرف رسم الشّخص تطوّراته النّهائية بدخول الطّفل مرحلة البلوغ و تحصيله لما يقارب 12 سنة (يظهر الرّسم في صورة شخص اجتماعي يعكس اكتساب قدرات الرّسم و التّحكّم في إمساك القلم).

إنِ اِنتقلنا إلى المراهق، نجد ملاحظات Abraham حول تطوّر الرّسم في هذه المرحلة تبعًا لمنهجية Machover التّطوّرية: بحث الرّاسم عن التفرّد مع مخالفة معظم التّعليمات. كما يسقط صراعه الحادّ بين رغبات النّضج والاستقلالية عن التّبعية للصّور الوالدية المستدخلة، فيمنح الشّخص المرسوم سنًّا أكبر من سنّه.

وإذا ما صنّفنا رسوماته حسب الجنس، نجدها تكشف لدى الأولاد عن شخصيات رياضية مفتولة العضلات معظمها في وضعية حركة: مشي، قفز...تنمّ عن الجرأة والثقة بالنّفس وتقبّل التّغيّرات المرفولوجية وظهور علامات الفحولة والإقبال على العالم الخارجي بما يثري الحياة الدّاخلية، الّتي تدعم و تقوي هويّتهم الجنسية. أمّا رسومات البنات فتكون في عمومها غير واضحة لضعف في الهويّة الجنسية و ميلهنّ إلى الانطواء والإنغلاق على الذّات.

يرسم الصّبيان الجنس الذكري في 84%، أمّا الصّبايا فتختار 78% فقط منهنّ الجنس الأنثوي حيث تحتلّ قيم الفحولة مكانًا ضمن الأنا المثالي بدلاً من القيم الأنثوية الطّاغية قبْلا؛ وَحتّى قياسات رسم المرأة تكون أطول من الرّجل ثمّ تصغر إلى أن تصبح متساوية. قد يتعرّض الشّخص المرسوم بصفة عامّة إلى التشوّه وَعدم الدّقّة بسبب السّهو وتشتّت الانتباه، كأن تختفي الأيدي وراء الظهر، داخل الجيب أوْانتهاء الذراعيْن بخطّ قاطع في شكل حادّ. فهي إذن مرحلة اختفاء وتناسي أجزاء من الجسم، قد تكون حسب Machover و Abraham نتيجة التوتّر و مشاعر الذنب المرتبطة بها. وقد تصل درجات التخفّي إلى رسم شخص يدير لنا ظهره.

يشغل الرّسم عمومًا وسط الورقة، مع الاستدارة إلى اليسار بالنّسبة إلى 12% من الأولاد وَ24% من البنات لكنّهنّ في أسفلها. كما يلاحظ اِرتقاء في الرّسم قد يرتبط بثراء الحياة الهوامية وَوجود طموحات.

يشير موقع رسم الشّخص و توجّهه جانبًا مع نسيان بعض أجزائه عن حياة ضمنفسية نشطة، تولّد حاجة الانعزال و سلوكات المقاومة بإيجاد ملاذ ضد الإكراه و السّلطة. قد يحاط الشّخص في الرّسم بخلفية، كأن توضع خطوط تشير إلى الأرض أو السّماء أو إضافة ظلال. وفي حالة البنات قد تضاف أزهار أو مناظر هي موضوعات إنتقالية مخفّضة للتّوتّر الناتج عن وضعية الاختبار أوْأي شعور استثاره رسم جزء من الشّخص، فهي تضليل أو تمويه لما يكون قد انكشف. كما قد يضيف شخصيات أخرى إضافة إلى الشّخص المرسوم و المطلوب، يمكن تفسيره بصعوبة الانفصال عن أولى صور التّماهي الوالدية. و هذا النّكوص المعروف لدى المراهق يرتبط بحيرة في اختيار هويّته الخاصة و التّخلّي عن التّماهيات السّابقة.

بدخول مرحلة 14 إلى 16 سنة تزداد رغبة التّخفي عن نظرات الغير و الازدراء منهم، فتنجز الرّسوم بسرعة في أشكال كاريكاتورية تعكس الحطّ من قيمة الغير؛ وحقيقتها حماية من الفشل و الانتقاد أو كلّ ما قد يسيئ إلى تقديره لذاته.

قد يختفي من رسم الشّخص الجزء السّفلي للجسم بسبب زيادة التّوتّر المتعلّق بهذه المنطقة والّذي يرتبط بشدة الصّراعات الدّاخلية، صرامة الأنا الأعلى لدى أحدهم، واستثارة النّزوات الجنسية عند آخر، وانضغاط الأنا تحت القلق الشديد عند ثالث...كلّها قد تولّد نسيان حتّى بعض أجزاء الوجه، مثل الفم، الأنف أو بؤبؤ العين، و قد يُرسم الوجه دون أية تفاصيل من طرف الفصامي. وفي أحيان أخرى يصحب ملامح الوجه إن وجدت، العديد من التّشطيبات تعبّر عن القلق من شفافية الرّسم حول ما يحدث في الأنا وداخل الجسم. قد تبدو العينان في شكل نقطة، رغم أنّ التّحوّلات الّتي يعيشها المراهق في علاقته الاجتماعية تحتّم انفتاحها. أمّا وَإن ظهرت التّفاصيل الأخرى من الرّسم مُرْضية، فهي

تعبّر عن ضعف الأنا والشّعور بالفراغ والعزلة و خلل في الاندماج الاجتماعي سببه غموض في الهوية، يظهر في رسم الرّأس والأطراف متناثرة تشهد على وجود قوى مدمّرة ليست بالضّرورة خطرة ولكنّها تشير إلى حالة مَرَضية عابرة.

تُظهِر رسومات المراهق في هذه المرحلة رغبة التّحكم في الذّات والآخر بإبرازه للجزء العلوي من الجسم و فصله عن باقيه بحزام مع تفضيل وضعية الوقوف المُتصلّبة؛ تحسّن صورة الذّات، تأكيد التّمايز الجنسي باعتبار المرأة موضوع حبّ نزوي. يكون التّعبير عن العدوانية برسم مسامير أحادية البعد مثلا محلّ الأيدي و الأصابع.

أمّا رسم الشّخص لدى البنات فيعكس انخفاض تقدير الذّات والانطواء على النّفس، و كذا الحاجة إلى الاعتمادية تظهر في إبراز عدد من الأزرار. تظهر النّساء المرسومات ساكنات، ناقصات مقارنة بالرجال، ما يوحي ربّما بمشاعر العداء و العدوانية الموجهة ضدّ الأمّ، الّذي تراه Deutsch(1953) عاديّا عند المراهقة الّتي تكافح لإضعاف تماهيها بالأمّ البدائية إلاّ إذا كان يعني ذلك عدوانية زائدة ضدّ أنوثتها الخاصّة.

ببلوغ سن 16، ترسم الشخصيات دون أيدي و أرجل غالبًا، مع غياب التّناظر، فنلاحظ اختلافًا كبيرًا بين الجهة اليُمنى واليسرى من الشّخص، حيث نجد اليد اليمنى مثلاً مرسومة بطريقة دقيقة أمّا اليد اليسرى فتبقى غير مُكْتَملة؛ أو يتمّ إبراز خطّ الرّأس بينما يبدو خط الجسم رفيعًا جدّا. و كأنّ المراهق يعجز رغم جهوده عن إدماج الإثارات البيولوجية و التّغيّرات النّفسو-اجتماعية و تماهياته المعدّلة و هويّته المُكْتسبة. وبهذا تدعم تقلّبات مزاجه، عدم استقراره، لامنطقية أفكاره وتناقضاته وَالتّشكيك في ذاته.

ت-دراسات في تطبيق اختبار رسم الشّخص على الرّاشدين

قلنا سابقًا أنّ اعتمادنا للرّسم مع الرّاشدات هو مغامرة تستهلّ المجازفة لكن اطلاعنا على باحثين غامروا مثلنا على دحض المعتقدات القائلة بأنّ الرّسم للأطفال، شجعنا لأن نجعل له عنوانا في أطروحتنا و أداة منهجية في بحث إشكاليّتها.

اهتمّت هذه الدّراسات بتطبيق الرّسم على الرّاشدين نساء و رجالا، لأهميته في الكشف عن تصوّر هذا الشّخص عن ذاته و نوعية الصّورة الجسدية اللاّشعورية المكبوتة؛ إضافة إلى ما قد يستوحيه أيّا منّا من رؤيته لرسم إنسان أو شخص: ما الّذي يخبرنا به عن نفسه؟ ماهي نظرته إليْها؟ وَماهي العواطف الّتي تفسّر هذه النّظرة؟... وغيرها من التّساؤلات الّتي قد تحرّضها حتّى إسقاطاتنا على هذا الرّسم.

1-الصّورة الجسدية و تصوّر الذّات

هو هدف الرّسم من منظور تحليليّ. قارن Kotkov et Goodman(1953) في دراسة أجرياها على النّساء البدينات و من هنّ دون ذلك باعتماد تعليمة رسم ذواتهنّ للكشف عن نوعية الصّورة الجسدية و تصوّر الذّات لديهنّ، فلاحظا أنّ الشّخص يقع دومًا في الثلث العلوي من الورقة و على يسارها، يظهر ضخمًا، أكتافه عريضة و رأسه كبيرة و غير متناسبة مع حجم الجسم.

و في دراسة تكييفيّة أجراها Bodwin et Bruck (1960) حول اختبار رسم الشّخص، حدّدا 13 خاصية تعكس تصوّر الذّات و تكشف عن نوعية علاقة الأنا بالجسد: خطّ مضغوط أو رفيع، زيادة بعض التّفاصيل أو رسم غير مكتمل، وجود ظلال أو شفافية أو آثار المحو، غياب التّناظر أو وجود تشوّهات، وجود عناصر من أعمار مختلفة، نمط بدائي للرّسم، عدم النّضج و أخيرًا تماهي بالجنس الآخر.

أمّا دراسة Ludwig (1969) فقد أنجزها بمقارنة رسومات المختبَرين وَصورهم المُلتقطة، فوجد اختلافا يقارب 1,24 من 5، يدلّ على أنّ الأشخاص لا يرسمون ذواتهم بل يخطّون صورة مثالية عنها.

في حين اِهتمّت جماعة Millet, Micas-Joffre et Desclaux (1975) بفئة الوسواسيّين وخصائص شخصيتهم عبر الرّسم، فأشارت إلى قيمة اختبار رسم الشّخص في الكشف عن الإعاقة العاطفية. فهو يخلق حسبُهُمْ فضاءً فارغًا شبيهًا بوضعية الأفراد أمام اللّوحة

16 من اختبار تفهّم الموضوع وَكشفها عن كيفية بناء الأنا لموضوعاتها الدّاخلية وتنظيم علاقاتها معها، حيث لا يستطيع أن يشغله ويملأه إلاّ بعرْض صورته الجسدية و إسقاطه للأنا وَحاجاتها و صراعاتها الخاصّة. يمتلك اختبار رسم الشّخص أيْضًا قيمة توجيهية في تقدير ميولات الشّخصية: العدوانية، النّرجسية، النّكوص، السّلوكات الطّفولية و القلق.

و عليْه، تغلب لدى فئة الوسواسيّين خاصّيتيْن، أوّلهما اللاّمركزية بالميل إلى المنطقة الموجودة على يسار الشّخص المرسوم دلالة على الانطوائية والنسيان، إضافة إلى غياب الدّقّة في خطّ أجزاء هامّة من الجسم كالأرجل، الأذرع والأيدي، تتّصل باضطراب في صورة الذّات. كما يجدون صعوبة في رسم الحدود الجسدية الّتي قد تغيب تمامًا أو تظهر في شكل خط غير متواصل ذو منحى كاريكاتوري[57].

2-دراسات حول الشّخصية

هي دراسة أقرنها باحثها Lewinsohn(1965) بمقاييس .M.M.P.I، فبحث في الارتباط بين النّمط الكيفيّ لرسومات 89 شخصًا من النّساء والرّجال عند دخلوهم ثمّ خروجهم من مصحّ الطّبّ النّفسي.

وجد Lewinsohn ارتباطًا دالاً بين رسومات الرّجال و نتائج سلّم قوّة الأنا و الانحراف الجنسي. و كان هذا الارتباط وثيقًا عند النّساء بين سلالم القلق، السّيطرة، الكذب و سلّم السيكوباتية و الأنوثة من اختبار مينيسوتا. كما لاحظ إيجابيّته بين النّوعية الشّاملة للرّسم والتّكيّف الإيجابي بعد خروجهم من المشفى و كذا اشتغالهم بمستوى مهني جيّد؛ واستنتج سلبيّته بين هذه النّوعية وَسمات التّهيّج.

ث-تطبيق اختبار رسم الشّخص

استوحيْنا تعليمة رسم الحالة لكيفية تصوّرها لشخصها "ارسمي كيفاه تشوفي روحك" من اختبار Buck(1948) للرّسومات الثّلاثة (المنزل–الشّجرة–الشخص) وَاختبار Machover

---

[57]- un contour esquissé.

(1949) لرسم الشّخص باعتباره أداة إسقاطية تسمح بتقييم شخصية الرّاسم و تحليلها في ضوء المبادئ الفرويدية. وقد اقترحت Machover نظامًا تفسيريّا يهتمّ بتحليل المحتوى وكذا النّمط الشّكلي و البنيوي للشّخص المرسوم: حجمه، أبعاده، قياساته، تشطيب و إنكار لأجزاء من الجسد و تركيزه على أخرى...دون إهمالها لرأي الفرد في الشخصية الّتي أسقطها على الورقة.

يبدأ اختبار Machover ككلّ الاختبارات النّفسية بتعليمة وهي هنا "أرسم شخصًا". ومن نفس المنظور استخدمنا التّعليمة ذاتها لكن مَنَحْناها شخصنة بارزة تجعل الحالة تتمركز حول ذاتها و تتأمّل تصوّراتها عنها وَما يتّصل بها انفعاليّا لتجيب بخطوط وألوان عن: "أرسمي كيفاه تشوفي روحك". طلب يضعها حسب فرضية Shentoub (1982) في وضعيتيْن متناقضتيْن أوّلهما شعورية واقعية تتمثل في الرّسم وَ ثانيها كامنة إسقاطية لاشعورية تستحثّ إدراكاتها وَهواماتها حول الأنا المثالية وَالنّرجسية، فيصبح الرّسم النّهائيّ شبيهًا بقصّة مَحكيّة تبيّن التّسوية الّتي حقّقتها الحالة من إشباع الأوامرالشّعورية والخضوع اللاّشعوري لها (Anzieu et Chabert، 2004).

ركّزنا في هذا الاختبار أيْضًا على آلية الإدراك المُؤطّرة لميكانيزم الإسقاط اللاّشعوري للحالة في نظرتها و مكبوتاتها حول صورتها وَمخطّطها الجسديّيْن، مبتدئات بحوار بسيط حول علاقة كلّ حالة بالرّسم. و هنا كانت الاعترافات و حتّى الاندهاشات من عدم تخلّيهنّ عن هذه العادة الطّفولية الّتي كانت فطرية، فتقول "مرات نديسيني كي نكون في البيرو ما عنديش خدمة، نرسم بزاف المربّعات؛ أنا نحب نرسم des cercles؛ أنا نرسم في كوانة تع الورقة أومن بعد نزوقها قع بالستيلُ؛ نحب نرسم بزاف العينين، واش معناها؟ (تضحك)..."

هي نفس ردّة الفعل عندما نلقي عليهنّ التّعليمة "أرسمي كيفاه تشوفي روحك؟"، ضحكات و استفهامات تختفي معها التّلقائية في الحديث عن عادات التّفريغ و الإستئناس بالرّسم: "نرسم روحي؟! ما نعرفش نرسم، عندي بزاف ما رسمتش..."، فأتدخّل مذكّرة بالواقع

"حاولي" بعد جلوسها إلى مكتب خاصّ في زاوية من القاعة وُضعت عليه ورقة رسم من نوع A4، قلم رصاص مبري و ممحاة و علبة ألوان، و نتّخذ نحن مكانًا على بُعد يتجاوز المتر الواحد في الجهة المقابلة على يمين الحالة، ندخل في وضعية الانتباه العائم المعتمد في الجلسات العلاجية عادة، حتّى يسهّل على من تقابلنا تواصلها وَاتّصالها بعالمها الدّاخلي، بتصوّراته وَانفعالاته...وَانبثاق المكبوتات.

ننتبه أثناء انهماك الحالة في الاختبار إلى الطّريقة الّتي تُنظّم بها الأنا اِستجابتها للوضعية الصراعيّة الّتي تمثّلها الوسيلة، التّعليمة و الوضْعية في مجملها، من خلال ملاحظة كيفية تعاملها مع الموضوع المطلوب بدءًا بوضعية الجلوس، ثمّ كيفية مسك الحالة للورقة، طرحها أو إمتناعها عن الأسئلة، الوقت المستغرق في بدء ثم الانتهاء من المهمّة، أوّل ما تبدأ به الحالة في الرّسم، مدى استعمالها للممحاة، تعليقاتها حول ذاتها(أو رسمها)، وذكرياتها الطفولية كتعبير عن نكوص تسعد معظمهنّ لمعايشته بما نراه على ملامح وجوههنّ من ابتسامة وَاستنارة، تكشف عن انقياد الحالة وراء معاشها وَمدى تقبّلها للتّخلي عن جزء منها (Stéphane.D.، 2007)، ضمن طيف من الاحساسات و الانفعالات تسجّل لحظة انتقال الحالة من الذّاكرة الى التّاريخ: لحظة لا تتوقّف على الاسترجاع بالاستعانة بالصّورة كمذكّرة فقط، بل تصبح عاطفة يشعر بها أثناء الرّسم (Arasse، 2009).

فالإمتثال لهذه الوضعية، يكون بالاستماع لصوت الخيال ثمّ تجسيده في الواقع، بإبداعٍ يهديه للآخر حتّى يؤثّر فيه و يوفّر له أيْضًا فرصة التّعرف على ذاته على ماهي عليه، فيدفعه خارج طمأنينته المعتادة.

تأتي استجابات الحالة ممثّلةً لتشكيلة من التّصرفات تتراوح بين المُدِرك إلى الإسقاطي، ومن المُدرَك إلى المُعاش، عاكسة من خلال ذلك نماذج فعل الأنا في علاقتها بمختلف الوضعيّات التي تواجهها في حياتها (N.Rausch.De Traubenberg، 1990).

بعد إكمالها للرّسم تستأذن بعضهنّ عن إمكانية استعمال الألوان، أما الأخريات فمن شدّة سعادتهنّ بالرّجوع المؤقّت إلى الطّفولة يستخدمن الألوان دون حاجة لاستشارتنا و طلب

السماح لهنّ بذلك، و كأنّنا في علاقة بمراهقات يردن التّبرّج لفرحتهنّ بدخول مرحلة الرّشد و استمتاعهنّ بحقّهنّ الأنثوي في الزّينة، أمّا الأخريات فيكشفن عن تخوّف من الاستمتاع بأنوثتهنّ فيستسمحن الآخر الكبير في ذلك. و هناك من ترفض التّلوين قائلة "نخليه هكذا كيما راني الداخل"، علامة لونية توحي بإحساس الحزن و الأسى النّاتج عن وضعيتهنّ في العلاقة بالزّوج.

بعد إكمال الرّسم نجري مقابلة مع الحالة حول إحساساتها و مشاعرها حول ما رسمت. وهي ذات الخطوة الّتي نصحت بها Machover et Buck لأهمية الحوار في استنطاق الشخص المرسوم و فهم الرّسم.

و قد اعتمدت Machover سؤالا موجّها يُطْلب فيه من الرّاسم أن يحكي أي يبتكر قصّة حول الشّخص المرسوم؛ أو تطالبه بأن يخبرها مثلا عن سبب غضب الشّخص المرسوم أو حزنه، و ماهي رغباته. في حين يطرح Buck أسئلة تثير إسقاط الحاجات، المشاعر أو مختلف التّصرّفات و السّلوكات. فبالنّسبة ل Machover et Buck يُدرس و يفسّر الرّسم في نطاق التّاريخ الشّخصي و المعطيات العيادية للحالة.

أمّا نحن فقد طرحنا سؤالَيْن استوحيناهما من مظهر الشّخصية على الرّسم، و يحرّضان التّداعي الحرّ أثناء الإجابة، فنقول: "أوّلا، واش رأيك في المرأة لي رسمتها؟": "تبان طفلة صغيرة تحب تلعب"؛ "رسمتها ما لابسة والوا!(تضحك)"؛ "درت لها جهة كبيرة على جهة"؛..ثمّ ننتقل إلى السّؤال الثّاني: "نتصوروا على أنها تهدر معاك، واش تقدر تقول لك؟"، فكانت الإجابات: "راني حابة نلعب "، "أني نحوس على الحنانة"، "راني واجدة للهملة"، "نحب نلبس وْنكون فرحانة مع راجلي"... أوْما لجأت إليه إحداهنّ بأن قامت بتشطيب الوجه "ماهيش عجبتني روحي فواش راني ندير(تبكي)"، وَأخرى بخربشته في حركة عنيفة كادت تمزّق فيها الورقة "ماشي شابة (تبتسم)"...و أخرى أضافت على جوانب الشّخصية خربشات و دوائر ملأت بها حسب رأيها الفراغ الّذي أحسّته في الرّسم، الحاجة للموضوع الإنتقالي.

ج-تفسير رسم الشّخص

يعتمد تفسيرنا لرسم الشّخص على جانبيْن: تأثيرنا على الحالة و التّحويلات الّتي نثيرها في علاقتها بنا أي بحضورنا و بالتّعليمة الّتي تربطنا، ثمّ في علاقتها بالشّخصية الّتي تسقطها على الورقة. لأجل تفسير يلمّ بإشكالية دراستنا قمنا باستخدام سلمّ Jordan-Ionescu et Lachance المكيّف من طرف Moore Valérie(2000) في تقييم المحتوى الظّاهري لرسم الشّخص، ثمّ سلّم Goodenough و منهج Machover التّطوّري للصّورة الجسدية اللاّشعورية وكشفها عن التّصنيف الباثولوجي للحالة بعد الإلمام بمختلف الأجزاء والحاجات المعبّر عنها. هو المنهج ذاته الّذي اعتمدته Fernandez.L. وَآخرون (2011) في دراسة حول الصّورة الجسدية لدى المدخّنين بتطبيق رسم الشّخص و الشجرة. دون أن ننسى قراءاتنا المتعدّدة حول دلالة الألوان في علم النّفس وَفي الرّورشاخ.

يرتبط الرّسم النّهائي من منظور سلّم الباحثة Goodenough حسب قراءات Widlöcher (1965) بكفاءات حركية ممنوحة للمخطط الجسدي، تشبه تنقيط Exner المصنّف لها بالفاعلة و الخاملة، تكشف عن ميل للانطوائية أو غنى نشاط الأنا الهوامي و قدرة هذه الأخيرة على الابتكار واستحداث وضعية سهلة قابلة للسّيطرة. و قد أشارت Minkowska إلى العلاقة الموجودة بين الحركية في اختبار الرّورشاخ وَالرّسم، وَيدعمها Landisberg (1953) بأنّ نوعية الحركية الإنسانية في الرّورشاخ ترتبط بالوضعية والتّصرّف الحركي للشّخص المرسوم.

أمّا Royer(1977) فقد أسندت إليه خصائص اختبارات الشّخصية وأداة تشخيصية للتّطوّر النّفسي عبر المخطّط الجسديّ السّويّ أو الشّاذ، فحصرت التّفسير في ثلاثة أجزاء: نوعية الرّأس و المخطّط الجسدي و الملابس.

ما يجب أن ننتبه إليْه أيْضًا هو العلاقة التّحويلية كما سبق وَأن ذكرنا بين الرّاسم والباحث، حيث تعاش الوضعية كعلاقة مقلقة مع الأمّ البدائية؛ هي أوديبية ثنائية تحويلية، نتّخذ خلالها تارة صورة الأنا الأعلى الخاصي خاصّة وأنّ بنيتنا المرفولوجية توحي ببعض

الصّرامة وَالجدّية الّتي قد تجعل الحالة في وضعية خضوع، أوْ بلورة لهوام الإغواء يرتبط بوجود رغبة ليبيدية وَدفاع ضدّها يظهر في استسلامها للرّسم رغم كثرة الاستفسارات حول طريقة تجسيد التّعليمة والهوامات المتسارعة لحظتها الدّالة على المقاومة.

و نتّخذ حينًا آخر وضعية صورة أمومية تقتحم و تنظر لما تفعله الحالة بموضوعها الجنسي في نوع من الفضول الجنسي و هوامات المشهد البدائيّ و حتّى الشّعور بالذّنب المرتبط بالشّبقية الذّاتية خاصّة، أبرزتها الحالات برسمها للأيدي اليسرى إمّا وراء الظّهر أو في الجيب، أو تحمل شيئا كالمكنسة أو دلو التّنظيف...إذناب يتعلّق بوظيفة أجزاء معيّنة من الجسم.

تسمح ملاحظاتنا أيْضًا بإدراك الطريقة التي تبني بها الحالة موضوعاتها المفضّلة والعلاقات التي تقيمها معها، كما تكشف عن قدرة الحالة على النّكوص و توهّم الموضوع الغائب(صورتها عن ذاتها) و البقاء وحيدة مع موضوع غريب رغم هوامات فوبية، يحتاج تخطّيها بلوغ نضج وظيفي يمكّنها من استثمار الموضوع بتحريض إشكالية قبل تناسليّة و استحضار حاوي و بيئة تسمح بإسقاط موضوع جيّد أو سيّئ.

صراع عاشته الحالات حول وضعيتها كراشدة ضمن ثنائية عايشت خلالها بصعوبة إشكالية فقدان الموضوع (تقديم رسم، شيء منها)، وَما تثيره من قلق الخصاء و مشاعر إكتئابية انفصالية ضمن صراع نزوي في علاقة بين–شخصيّة غير مريحة، تمنع الإقتراب الأوديبي تسبّب الإقصاء الجسديّ و تحرّض إشكالية العلاقة أمّ–بنت بِبُعديّ التنافسية و التقمّص، تنشط معها تصوّرات عدوانية تجاه صورة أبويّة. كما تنتج عنها إشكالية الهويّة تترجمها الشّخصيّات المرسومة إحداها أنثوية وَأخرى رجولية ذكرية تكشف عن اصطدام في الأدوار.

و عليْه، يكون التّفسير وفق التّوجه النّظري المعتمد في أطروحتنا و على غرار مختلف الاختبارات الإسقاطية بدْءًا بتحليل المحتوى الظّاهري للرّسم بالتّعريج على دراسة موقع

الشّخص من الورقة، اِتّجاهه (أمام، ملتفت يمينا، ملتفت يسارا، يدير لنا ظهره)، قياساته وعلاقتها بسنّ الرّاسم والمرسوم، جنسه و حجم الخطّ الّذي يشكّله.

1-تفسير المحتوى الظّاهر لرسم الشّخص

يتوسّط الرّسم كأداة تواصلية الكلمة وَالسّلوك، فهو لغة شخصية جدّا وَتعويضية عن غياب أحدهما أوْكلاهما. لذلك يصعب تفسيره خاصّة في وجود المعاني و الدّلالات الّتي يحتويها كمجموعة من الرّموز.

يقوم التّفسير الظّاهري للرّسم على الانتباه لاختيار اتّجاه الورقة، أفقيّا أو عموديّا، موقع الشّخص عليها، حجمه، طوله، قياساته، شكله و خصائص الخّط الّذي يحدّه كفاصل بين العالم الدّاخلي وَالخارجي وَالعلاقة التّناسبية بين كلّ هذه العوامل. على أن نهتمّ تقول Machover بالتّتابع و التّراتب الّذي تُرسم به مختلف أجزاء الجسم و كذا الإسراع أو التّباطؤ الّذي يُظهره الرّاسم في الإمتثال للتّعليمة و دخول وضعية الاختبار، و كذا رجوع الحالة إلى جزء أوْ بعض أجزاء الرّسم المنجزة قبلا. كما لا يجب أن نهمل النّاقص من الرّسم أوِالمنسيّ من الأجزاء و اِرتباطه بإشكالية الرّاسم و عرضيّته العيادية.

-نوعية الخطوط المستخدمة

يفترض تفسير الرّسم حسب Widlöcher(1965) ترجمة لفظية للمعنى الظّاهر في تخطيط الحالة لذاتها، ما يستدعي الاستكشاف المُتأنّي للعلامات المكثّفة الّتي يتضمّنها و الدّلالات الكامنة الّتي ترمز إليْها والّتي تختصرها اعتبارات Aubin(1970) في أنّه تصوّر إسقاطي لصاحبه كصورة عن نفسه مثلما يحسّها، يريد أوْيرفض لها أن تكون، أوْكصورة تبريرية.

وعليْه، إذا كانت الخطوط منحنية فهي تدلّ على الأنوثة، الخضوع والنّرجسية؛ بينما تعكس الخطوط المتقاطعة ذات الزّوايا الحادّة، العدائية، الذّكورة و المقاومة.

تكشف سماكة الخطّ حسب Hammer(1958) على بعض سمات الطّبع؛ فيرسم الأشخاص العدائيّون وَالسّلطويّون خطوطًا سميكة لإبراز حبّهم للتّميّز والتّفرّد بينما يستخدم الأفراد الخاضعون و الخاملون خطوطًا رفيعة.

-موقع الشّخص على ورقة الرّسم

أكّد Abraham(1963) تبعا لأبحاث Buck(1948) على تناسب موقع الشّخص على الورقة ومكانة الرّاسم في محيطه العلائقيّ. مع التّنويه بالاستعمال الغالب لوسط الورقة الدّال عن تقصّي إشباع النّرجسية في العلاقات بين–الشّخصية.

يشير الجزء الأيسر من الورقة إلى الجانب الخاصّ بالذّات، التّوجّه نحو الماضي والارتكاز على العاطفة الطّاهرة و غير الخاضعة للرّقابة التّربوية. أمّا التّوجّه إلى أقصى اليسار فهو دلالة على النّكوص و/أو القلق و كأنّ الفرد ينزوي في مكان نتيجة الخوف أو التّوتّر الشّديديْن.

في حين تختصّ الجهة اليمنى بالآخر أو العالم الخارجي والميل إلى التّعلّم و سيطرة الفكر والتّوجّه نحو بناء المستقبل. فالأشخاص القلقون جدّا أو النّكوصيّون يقول Buck(1948)، يتّخذون من الزّاوية العليا من الورقة مكانًا لهم.

أمّا من يبذلون جهدا لأجل الوجود Hammer(1958) فنجدهم في الجزء العلوي من ورقة الرّسم، بينما يتوسّطها المتّزنون نفسيّا، تاركين الجزء الأيسر منها للاندفاعيّين، ما عدا إذا كان الرّاسم متحكّما في اندفاعيّته فهُنا يقع رسمه على يمين الورقة.

ترى Machover أنّ تموقع رسم الشّخص عادة ما يكون على يمين الورقة بالنّسبة للذّكور و هو علامة على انبساطية واضحة التّفتّح على الغير مع تحكيم العقل على المشاعر. أمّا البنات فيفضّلن الزّاوية اليسرى من الورقة، مؤشّر ميول نكوصية وشخصية انطوائية شديدة الانفعال؛ علمًا أنّ الفئتيْن تختاران الجزء السّفلي من الورقة.

-اتّجاه الشّخص على ورقة الرّسم

درس مفسّرو الرّسومات أيْضًا التّوجه البصري للشّخص المرسوم، فاستنتج Crowitz (1963) أنّ أكبر عدد من الرّاسمين ينظرون إلى الأمام مع الوقوف جانبًا بالنّسبة للرّجال، ما يعبّر عن الميل إلى الحركة (Abraham، 1963). بينما يشير الشّكل المدبّب إلى وجود علاقة برمزية الذّكورة و الفالوسية؛ في حين ترمز الدوائر المتّجه نحو الأمام إلى الأنوثة.

ترى Machover أنّ الرّسم في صورة جانبية يعكس الانطواء أوْسلوك التّهرّب. في حين يكشف فائض التّناظر عن صلابة عقلية. أمّا كثرة التّفاصيل على محور الجسم فتدلّ على عدم النّضج الانفعالي.

أشارت Royer إلى أنّ الأشخاص الأكثر واقعية هم من يرسمون الجسم متجّها إلى الأمام أمّا أقدامه فتكون جانبية بعكس من يتّسمون بالانطوائية و المنسحبون، فهمْ ممّن يقلّ نضجهم أوْ يحملون تخلّفا عقليّا أو اضطرابات عاطفية.

-حجم الشّخص على ورقة الرّسم

يعكس حجم الرّسم نظرة الفرد إلى ذاته و نوعية تقديره لها. يفترض Abraham أنّ طول الرّسم يتناسب وعدّة عوامل تتأثّر عكسيّا ببعضها البعض: صورة و تقدير الذّات، مثال الأنا والأنا المثالي النّرجسي.

فإذا كان الشّخص المرسوم قصيرًا و ذي حجم صغيرة دلّ ذلك على توتّر المبحوث أوْ اكتئابه وسوء تقديره لذاته (Lewinsohn، 1964). وقد أشار Salzman et Harway (1967) إلى اختلاف دالّ بين رسومات الأشخاص الذهانيّين المكتئبين وأشخاص المجموعة الضابطة، يزول الفرق بعد تناول مضادات الاكتئاب أو الخضوع لجلسات العلاج الكهربائيّ[58].

---

[58]- sismothérapie= ou électro-convulsivothérapie, traitement des dépressions sévères résistantes aux traitements médicamenteux.

-سنّ الشّخص على ورقة الرّسم

يمنح الرّاسم عادة سنّا للشّخص المرسوم تتناسب حسب Lehner et Silver (1948) وَAbraham (1963) و عُمُر الرّاسم إلى غاية 25 سنة، و تبدأ في التّناقص ما بعد ذلك. وقد أوضحت دراسة أجراها Giedt et Lehner عام 1951 على 188 مريض مقيم بمستشفى الاضطرابات العقلية أنّ الأفراد ممّن تقلّ أعمارهم عن 35 سنة كانوا يسندون أعمارًا أكبر لمن يرسمونهم، بينما يفعل العكس من همْ في سنّ 40؛ و هو مؤشّر على سياقات نكوصية و اضطرابات متنوّعة، بينما تدلّ عند الفئة الأولى عن ميكانيزمات إسقاطية لرغبات و سلوكات ثقافية.

-الهوية الجنسية للشّخص على ورقة الرّسم

أكّد Katzaroff(1909) أنّ الأولاد لا يرسمون الجنس الآخر إلاّ بنسبة 1% من البنات، وبالمثل تميل هؤلاء إلى رسم الشّخصيات الأنثوية أكثر. و في عام 1966 قامت Gravitz بدراسة اختيار الهوية الجنسية المُسقَطَة من خلال جنس الشّخص المرسوم لدى أشخاص عاديّين من الجنسيْن تتراوح أعمارهم ما بين 17 و 59 سنة. توصّلت إلى أنّ 76% منهم منحوا جنسهم للشّخص المرسوم خاصّة الرّجال، أمّا ما تبقى فيرسم شخصًا ذو هوية جنسية مخالفة، بينما لا يحدّد آخرون تلك الهوية مع ارتفاع نسبة النّساء عن الرّجال في هذه الحالة.

و يشير Waehler et Zaback(1991) إلى أنّ سوء تقدير الذّات لدى الرّجال يدفعهم إلى رسم شخص من الجنس الآخر. أمّا النّساء فيحتّم عليهنّ الدور الاجتماعي رسم شخص ذو هوية جنسية ذكورية.

2-تفسير البُعد الرّمزي لعناصر رسم الشّخص

إِشتهر .Magritte.R(1979) بلوحة عَنْونها بجملة "ceci n'est pas une pipe"، مفسّرا ذلك بعدم إمكانية استعمال الغليون، و قاصدًا أنّ ما نرسمه ليس حقيقة بل ترميزًا للواقع وإسقاطًا للصّورة الذّهنية المشكّلة عليه.

هو ما يمكننا اختصاره في عبارة أنّ ما لا يقوله الشّخص يظهر فيما ترسمه يده، و أنّ الخَلْق الظّاهر يكشف عن الخُلُق الباطن. فهي صورة تعكس عالم الرّاسم الدّاخلي والهواميّ وتكشف عن كفاءاته العلائقية العاطفية بالعالم الخارجي و موضوعاته.

تمثّل الورقة محيط الفرد و يعكس محتواها علاقة الأنا بهذا المحيط، فالرّسم إسقاط لواقع الأنا، رغباتها و حتّى مخاوفها. و من هنا أهمّية إجراء مقابلة بعد الانتهاء من الرّسم ثمّ اعتماد إطار نظري يوجّه التّفسير و يُقوْلب التّحليل.

يرتكز التّفسير الرّمزي على دلالة التّشريحية لمختلف أعضاء الجسم بحسب الحجم الّذي يمنحها إيّاه الرّاسم وفق الطّريقة الّتي سنّتها Machover. فقد أسندت لكلّ عضوٍ رمزية، دون أن تغفل أهمّية الملابس في وجودها أو غيابها، باحتوائها أو خُلوّها من الجيوب والأزرار.

-الرّأس

يمثل الرّأس مركز الأنا وَمحلّ القدرة و التّطلّعات الفكرية، والسّيطرة الاجتماعية مع التّحكّم في الاندفاعات النّزوية. تُسقِط الحالة على رسْم الرّأس الحاجات الاجتماعية وَالميل إلى التّحكّم المنطقي و البلورة الخيالية للشّخصية.

يُرْسَم الرّأس أكبر من الجسم عند العظاميّين، النّرجسيّين، المكتئبين، والأفراد المنعزلين اجتماعيّا. قد يتّخذ مظهرًا مُمْتغِظًا يُشْبه القرد عند المُنحرفين.

أوّل ما ينتبه إليْه متأمّل أيّ عمل فنيّ في رسم الأشخاص هو الرّأس وَ صورة الوَجْه. فإذا ما كان الرّأس أكبر حجمًا من الجسم دلّ على وجود تضخّم للأنا عند أصحاب جنون

العظمة. أمّا الرّؤوس و الوجوه الصّغيرة فهي تدلّ على شخصية اكتئابية أو سوء تقدير للذّات وَعقدة الدّونية.

أشارت Royer (1977) مثلا إلى أنّ الأشخاص الّذين يركّزون على الرّأس و إتقان رسم الوجه مثلما لاحظناه على معظم المتشنّجات مهبليّا، يميلون إلى البحث عن التّواصل والتّحاور اللّفظي باستثمار الفكر على حساب العواطف وَالحدس. يظهر المخطط الجسدي خاصّتهم بأخطاء تفترض إسقاطات سيكوسوماتية دالّة.

-الشّعر

الشّعر زينة المرأة وَ رمز أنوثتها، يظهر متموّجا و مجعّدًا عند الشّخصيّات النّرجسية والمنحرفة جنسيا. إذا كان قصيرًا دلّ على مزاج عصبيّ صاحبه ذو حدّة و عجلة غير متأنّي.

يستدلّ لونه على خبايا النّفس. فإذا كان أسودًا دلّ على القوّة والميل إلى الكتابة المحزنة والوعظ أي التّماهي بالأنا الأعلى. أمّا اللّون الأشقر فيميل صاحبه إلى عدم الرّضا عن حالته و اشتهاء غيرها، فهو سريع التّقلّب في آرائه وأفعاله. في حين يكشف الشّعر الخروبي عن ميل أصحابه إلى المخاطرة و حب الاستطلاع، و إذا صحبته نعومة كان ميّالا إلى المعاشرة و الاختلاط حتّى يستجلب سرور المحيطين به و يستميلهم إليْه. أمّا الشعر الأحمر فيدلّ على الشّجاعة و الإقدام، و إذا ما زاد فهو ميْل إلى العدوانية بالخصام و الجدال؛ و إذا كان أحمرًا و مجعّدًا، فصاحبه ميال فطريّا إلى الشِّعر و الرّقّة، و يتّصف بحياة هوامية نشطة وَرهافة الحسّ.

-الوجه

يعبّر الوجه غالبًا على المزاج الانفعالي للفرد بارتسام مشاعر الكراهية، الخوف، العدوانية، العطف و صفاء الرّوح.

إذا ما ظهر رسم الوجه بخطوط رفيعة فهي تكشف عن غياب التّواصل بين-شخصي عند الإناث يرتبط بضعف تقدير الذّات مع كثافة في الحياة الخيالية والميْل المفرط إلى الانطواء بزيادة الحاجة إلى الاعتماد على الغير: فنرى في رسمها ظهور أزرار عديدة أو بارزة.

يُرسم الوجهُ غالبًا لوحده أو يُترك للأخير، و هو حالة الأشخاص الّذين يجدون صعوبات في العلاقات بين-الشخصية. يكثر العدائيّون من إبراز تفاصيله في وقفة جانبية، بينما يظلّل الخجولون و الانطوائيّون تفاصيل دالّة منه مع إبراز محيط الرّأس.

أمّا و إن لجأ الرّاسم إلى خربشة الوجه بعد حسن إتقانه، فلإحساسه بصعوبة تقبّل شفافية الرّسم الّتي تعكس الصّراع الدّاخلي بين الأنا و الجسد. مع ملاحظة Rioux (1951) إلى ميل المسلمات لرسم الشّخص بخطوط رفيعة و قصيرة الطّول.

-الأنف

هو ذو رمزية فالوسية. إذا كان به ارتفاع و تكبّر يُسند كصفة للرّجال يُكنّى بها عن الفحولة و عزّة النّفس. إذا كان مشوّها فهو علامة على وجود اختلالات وظيفية جنسية. وإذا ما رُسم أطول من اللاّزم دلّ على قلق الخصاء، الشّعور بالذّنب من الاستمناء، العجز الجنسي...

-العيْن

هي مرآة الرّوح كما يقال؛ تكشف عن نظرة الفرد إلى ذاته و العالم المحيط به. تتمثّلها عدّة رمزيّات بدءًا بعيْن الحسود وَدلالاتها الثّقافية[59]. تكشف كذلك عن الغضب إذا اِحمرّت، و تعبّر عن الحبّ إذا برقت، و تعكس مكانة الأنا لدى الآخر و تصنّفه حسب

---

[59]- يقول زهير بن أبي سلمى: الودّ لا يخفى و إن أخفيته....و البغض تبديه لك العينان.

-أبو الطّيّب المتنبّي: على قدر أهل العزم تأتي العزائم...و تأتي على قدر الكرام المكارم...و تعظم في عين الصّغير صغارها...و تصغر في عين العظيم العظائم.

-ابن تيميّة: إذا قسا القلب قحطت العيْن.

Winnicott إلى موضوع طيّب أوْسيّئ، فتكون عيناه حاوية أو نابذة. يرسمها المثليّون من النّساء و الرّجال غالبًا كبيرة؛ إذا ما غابت دلّ ذلك على الحرمان و الانفصال عن الأمّ، يصحبه اكتئاب و قلق.

يعلو العين حاجب، إذا ظهر أشعثا فصاحبه ذو شخصية بدائيّة و عدائيّة. أمّا و إن رُسِمت مرتفعة فهي تكشف عن الازدراء.

-الفم

الفم برمزيّته المزدوجة القائمة على ارتباط التّغذية بالشّبقيّة؛ هو منفذ تعليمي حسيّ آخر بوظيفتيْ الاستدخال والإسقاط؛ رمز التّواصل و الاتّصال العلائقي بالأمّ أو بدائلها. يمتلك قيمة خاصّة في تفسير المشاكل الفمية المتعلّقة بالحرمان العاطفي، الإحباط وَمختلف الإدمانات. يمثل ظهور الأسنان و اللّسان ميولاً جنسية سادية عدائية. من ينسى رسم الفم فذلك علامة على وجود مشاكل جنسية وعلائقية ترتبط بعقدة الأوديب و سوء العلاقة بالأمّ؛ أوْعن شعور بالذّنب من تحطيم الموضوع و عدم القدرة على مبادلته مشاعر الحبّ. يرسم الأطفال الصّغار الفم دائريّا، قد تكون علامة على التخلّف الفكري عند من هم أكبر سنّا.

تترجم الشّفاه العواطف بغلظتها أوْرقّتها، ببروزها أوْغورها؛ على الحبّ وَالكدر، الكِبْر أو الوداعة باحمرارها أو بهوتها. إذا ما كانت الشّفاه مضغوطة خطية و دون ابتسامة، فهي تعبر عن حالة توتر و نُقص في عاطفة الحبّ؛ إذا كانت غليظة وَسميكة فالشّخصية ودودة وَكريمة، وَإذا ما رُسمت مفتوحة مجوّفة و دائريّة فهي تعبّر عن العدائية مع طفولية وحالة من التّبعيّة. يكشف تطوّرها الزّائد عن اللّزوم عن جنسية مبكرة لدى الفتيات و الفتيان المخنّثين.

-الأذنان

تعتبر الأذن منفذَ التّعلّم بالسّمع و فتحة الاستدخال. إذا ما نسيهما الرّاسم فذلك علامة على غياب التّواصل وَالحوار مع الغير. قد تكون كبيرة عند من يعانون نقصًا في السّمع أو يتعطّشون للمعرفة؛ أو بارزة عند العظاميّين و الهوسيّين. يرسمها المتخلفون عقليّا في شكل أجنحة ضخمة، ترتبط بصفة غالبًا ما يسمعونها صغارا عن تلقيبهم ب"الحمار".

-الذّقن

دليل الإرادة وَالحبّ الجنسيّ و الشّره فيه. يكون صغيرًا و ضامرًا عند المعتوه، فيدلّ على الضّعف أوِالبغض. إذا ما برز إلى الأمام أو نحو الأسفل في صورة جانبية، يشير إلى عدائية كامنة. أمّا و إن برز بوجود قاعدة طويلة (بروز الحنك) دلّ ذلك على تميّز صاحبه بقوة الإرادة و الفحولة.

-الرّقبة

هي الرّابط بين الرّأس (مقر الحياة الفكرية والتّحكم في الأنا و سيطرة الأنا الأعلى) وَالجسد (محلّ الحياة النزوية الفطرية). يرسمها طويلة من يعانون صعوبة السّيطرة على نزواتهم. تكون قصيرة وَعريضة إلى درجة تسميتها برقبة الثور عند الأشخاص العبوسين أوِالّذين ينقادون وراء نزواتهم. إذا ما وُضعت العقود وَبعض الزّينة على الرّقبة فذلك بهدف التّمويه وَالالتفات عن تلك المنطقة من الجسم. إذا رسم الشخص خطّا يفصل الرّقبة فذلك يرمز إلى الخصاء.

يبرز البعض تقول Machover، إصرارا على تحسين رسم الرّقبة، لدرجة الإحساس بالصّراع الّذي يعيشه الرّاسم في عدم قدرته على بلوغ إتقان رسم هذه المنطقة الّتي تشهد عن اختلال التّوازن بين الرّأس مركز الأنا و الجسم محلّ اندفاع النّزوات.

-الصّدر و الجذع

الجذع، ينساه الطّفل الصّغير جدّا (مرحلة الشّرغوف)؛ يستدير وَ يأخذ شكلا بيضويّا بطريقة نوعًا ما متناسقة عند البنات؛ يصبح كتلة وَذو زوايا عندما يبحث الرّاسم الذّكر على إثبات فحولته.

يرسمه النّكوصيّون، التفكّكيّون، أو البدائيّون في خطّيْن متوازييْن مع وجود فراغ بينهما. نجده نحيفا جدّا عند شخص غير سعيد بجسده أو أنّه يتخوّف من السّمنة، الشّيخوخة، أو يرغب في أن يبقى طفلا، و قد يعني لدى بعضهم ضعفا حقيقيّا.

الصّدر عند الذّكور، و حتّى الأكتاف تدلّ على القوّة؛ بالنسبة للجنس الأنثوي، يذكر الثدي بانشغالات فمية (الأمّ المغذية)، أوْ جنسية: مراهقة نرجسية بدأت تهتمّ بالجنس الآخر.

-الأيدي و الأذرع

إنّ ما يبرز الميل إلى الاتّصال و التّواصل بالغير في الرّسم هوَ وضعية الأيدي والأذرع؛ بينما تترجم الأطراف السّفلية الأمان. فإذا ما رُسِمَت الأطراف العلوية بعيدة عن الجسم وَمتجّهة إلى الأمام، دلّ ذلك على الرّوح الاجتماعية لصاحبها. و إذا كانت منسدلة على طول الجسم دلّت على الاستسلام. إذا ظهرت في خطّ بسيط تكشف على مخطّط طفولي أو مشاعر العجز.

تسمح الأيدي وَالأذرع باستكشاف المحيط و بناء تطوّر الأنا نفسيّا و تكيّفها اجتماعيّا. لذلك غالبًا ما يُنْسَى رسمها أو يتمّ خَطّها عشوائيّا من الشّخص الّذي لا يثق في نفسه وَفي قدرته على بناء علاقات اجتماعية. إن يشدّ الرّاسم على ظلالها فلديْه شعور بالذّنب الجنسيّ أو يرسمها داخل الجيب إذا كان من المنحرفين، أوْ يضعها وراء الظهر. قد تعني أيْضًا الشّعور بالذّنْب لدى اللّصوص الشبّان(Porot et Cotte، 1956).

أمّا منهج Machover فيشير إلى بداية ظهور نسيان أو تناسي بعض أجزاء الجسم بدخول الشّخص مرحلة المراهقة، فتختفي الأيدي أوِالأصابع أو الأطراف السفلية إمّا وراء الظّهر

أوْفي الجيوب، وقد تكون غائبة تمامًا بسبب توترات و مشاعر الذّنب تتعلّق بهذه الأجزاء من الجسم. فنسيان الأذرع لدى الذّكور، دلّ على وضعية رفض من الأمّ. إذا ظهرت طويلة ترمز إلى الطّموح؛ أمّا وإنْ بلغ طولها ملامسة اليد للمنطقة الجنسية، دلّ على وجود انشغالات شبقية ذاتية.

-الأصابع

هي أداة اتّصال. قد تستعمل كمخالب تعبّر عن عدائية العظاميّين.؛ في حين تعبّر اليد المغلقة في شكل قبضة على التّمرّد.

-الحوض

تهتمّ Machover في تفسير الرّسم بالخصر والحزام لأنّه التّفصيل الهندامي الوحيد الّذي يعكس القيمة الفاصلة الّتي يضعها الرّاسم بين ميولاته الفكرية وَالجنسية. تظهر هذه القيمة في سماكة أوْرقّة الحزام المرسوم. يكشف في الحالة الأولى عن الكفّ وَصعوبة رسم الشّخص لهذه المنطقة من جسمه. أمّا بعضهم الآخر فيمنحه أهمّية بتزيينه. إذا كان الخصر نحيفًا جدّا دلّ على رغبة متقلّبة في السّيطرة على الجنسانية مع خطر الإنفجار.

يمثّل هذا الحزام بالنّسبة للرّجل الفاصل بين الصّدر (محل القدرة و السلطة) وَالمنطقة الجنسية. و يشير عند المرأة إلى فصل الصّدر برمزيّته الغذائية المادية والمعنوية وَالشّبقية عن المنطقة التناسلية الّتي تشدّ عادة انتباه المراهقات، علمًا أنّ حوض المرأة يرمز إلى الخصوبة.

إذا شدّ الرّجل في رسمه على الحوض و الأرداف يؤكّد ميوله للجنسية المثلية. و إذا أغفل الرّاسم الجزء السّفلي من الجسم، أوْ وضع حزامًا فاصلا بينه و بين الجزء العلوي فهو يكشف عن رغبة في التّحكّم تؤكّدها الوقفة المتصلّبة للشّخص المرسوم، مثلما لاحظناه في رسم الحالة الأولى، وقفة تمثالية لا تنمّ عن أية رغبة في الحركة، خمول تامّ، قد يوحي بنشاط هوامي زائد عن الضّروريّ.

-الأرجل و الأقدام

تحمل الأقدام و الأرجل الجسم و تسمحان له بالمشي والحركة. يبدي الأشخاص المكتئبون أوِالمنطوون على ذواتهم نوعًا من المقاومة في رسمها فيرسمون الشّخص جالسًا. تظهر نحيفة أو مُظلّلة لدى المتخلّفين عقليّا و في حالة الشّيخوخة.

تمثّل أصابع الأقدام العدائية و إذا أحيطت بخطّ يشملها دلّ على قمع لها. أمّا الفخذ فيحمل على غرار الأنف رمزية فالوسية، ترسمه الفتاة من جانب نرجسيّ صغيرا.

يشير المخطط الجسدي في شموليّته إلى شخصيّات فصامية و هوسية. يكون التّركيز على المفاصل لدى الأشخاص المنشغلون بكمال الأجسام و سلامة وظيفته، فنجد الفصاميّين، النّرجسيّين، وَأصحاب رهاب المرض للتّخلّص من مشاعر تشوّه الجسم، فتتّخذ رسوماتهم مظهرًا آليّا بجانب ميكانيكيّ يعكس عدم النّضج الجنسيّ.

تولي Machover أهمية أكبر للقدميْن، فإذا كانتا ملتصقتيْن ببعضهما يعاني الرّاسم كفّا شديدًا لدرجة التّخوّف؛ و يكون واثقًا من نفسه في حالة تباعدهما.

-الملابس و الثّياب

عادة ما أتطرّق و طلاّبي إلى الدّلالة السيكولوجية لما نرتديه. فالملابس و الثّياب تكشف عمّا نخفيه لاشعوريّا، وَكمْ تكون ملاحظاتنا مُسلّية عندما نراهم في دهشة عظيمة يتفحّص كلّ واحد منهم بنظرة خفيّة لاشعور الآخر متناسيًا ما يكشف عنه لاشعوره لغيره! فماذا لو أضفنا دلالة اختيار الألوان فيما نلبس!

الثياب[60] أو الملابس[61] رغم الدلالة المختلفة لغويّا إلى أنّ كلاّ منهما يكشف عن الطبقة الاجتماعية و جماعة إنتماء الرّاسم. تعني الفصل بين الدّاخل وَالخارج، وَترمز إلى الأمّ

[60]- على قول ابن فارس: الثوب، و هو العَوْدُ و الرّجوع، يقال ثاب يثوب إذا رجع. فهو يُثاب إليها في اليوم و اللّيلة، و منه يتّضح أنّ الثّياب ليس ساتر العورة بل تستعمل للتّجمّل و الزّينة لما يغطي البدن و يحيط به فوق اللباس كاللّحاف و الرّداء و السندس و الإستبرق.

[61]- اللباس: هو الّذي يخالط و يداخل الإنسان و يستر عورته.

كرحم حاوي و حامي. تكون ذكورية و أنثوية في مرحلة الطّفولة، فهي ثنائية الجنس غير متمايزة نوعًا ما، مع اِختيار للّباس الأنثوي من التنورة و الفستان عند بداية التّمايز الجنسي وَدخول المراهقة.

تدلّ الأثداء على الخاصية الأنثوية، و من هنا نرجسية الجسد و نرجسية اللّباس الّتي يُعبّر عنها ظاهريّا في بعض حالات الميول للاستعراضية و الكشف عن الذّات.

إذا وضع الرّاسم ثيابًا دافئة مثل السّترات للشّخص المرسوم، فهو يقصد حسب Flugel ضرورة الاحتماء من نوع خاصّ من البرد: فتور المشاعر! و منْ يضع شخصه تحت عدد من الملابس فهو شخص مكتئب لا يشعر بمحبّة الآخرين له، يجد في التّغطية الجيّدة دفئا تعويضيّا.

تعوّض الملابس عند النّساء حسد القضيب، حاجة لتغيير صورة الجسد لنيْل الإعجاب أوْ تحصيل قبول الآخرين، والكشف عن ميول استعراضية (Ada Abraham).

أمّا رسم الشّخصية دون ملابس، فهو عاديّ بالنّسبة لأطفال ما دون 10 سنوات، أمّا ما عدا ذلك فيعكس سلوكا غير اجتماعي، بل حتّى تصرّفا باثولوجيّا، لأنّ تمثيل الشّخصية بملابس يدلّ على التّكيّف واستدخال الكائن الاجتماعيّ. و من هنا يكتسي التّعرّي معنى غامضًا، فقد يعكس سذاجة، نية سليمة، طهارة أوْتحقيرًا وَإذلالا للذّات أو الآخر أوْشعورًا بالدّونية (حالة واحدة من المتشنّجات).

تشير المجموعة الّتي تهتمّ بالملابس مثل حالتيْن من دراستنا، إلى شخصيات تؤتي سلوكات أكثر رسمية تركّز فيها على حبّ التّمظهر وَإخفاء معاناة كامنة في العجز عن الشّعور بالوجود والكينونة (Royer، 1977).

-الأزرار و الجيوب

إبراز الأزرار على الملابس يدلّ على التّبعية الطفولية، حتى الجيوب إذا تمّ التّركيز عليها بالضغط على خطوطها، عند الذّكور. وَإذا ما استُخدمت الجيوب في إخفاء الأيدي دلّ ذلك على الشعور بالذّنب من العجز عن التّحكّم في اليد كالسّرقة أو الشبقية الذّاتية.

في حالة الإناث، تمثّل الجيوب على ملابس ذكورية الحاجة إلى الاستقلالية. ترمز ربطة العنق إلى الفالوس، كذلك الأحذية، القبعة و ملحقاتها الثانوية، الغليون، السّيجارة، البندقية و العصا؛ إذا ألحقها الرّاسم بشخصه فهي تظهر في نظر Flugel شعورًا بالارتياح وَالاحتماء من مخاوف فقدان العضو الذّكري.

عمومًا، تهتمّ Machover بأربع ديناميات نفسية هامّة، العدوانية، الشّعور بالذّنب، النّرجسية، عدم النّضج النّفسي و الانفعالي.

-الإضافات على الرّسم

قد يلجأ بعض الرّاسمين إلى إضافة ظلال، أزهار أو خربشات على جوانب الشّخص المرسوم، مثلما شاهدناه عند حالتيْن من المتشنّجات مهبليّا، هي عادة طفولية لمن يبلغ الخمس سنوات، تدلّ على استثمار موضوعات أخرى ليبيديّا لأجل أغراض نرجسية بحتة، يتّخذها كمرجعية، يُسمّيها Kohut(1974) بموضوعات الذّات "موضوعاتي أنا"، أجزاء منها شبيهة بالموضوعات الانتقالية، تتمثّل وظيفتها الاقتصادية في خفض توتّر الانفصال وَقلق التّفكّك أوِالتّجزئة، كما تعمل على اندماج الذّات وَالرّبط بين العالميْن الدّاخلي و الخارجي للأنا. كما قد تكون لها وظيفة تعويضية لفقدان شعور القدرة على التّحكّم في الواقع، الّذي عاشه خلال مرحلة الكمون.

3- الدّلالة السيكولوجية للألوان

يقول أفلاطون: إذا أردنا الإرتقاء بموسيقانا فلابدّ أن نضع لها قانونًا و قاعدة. وعليْه، فتفسيرنا لرسومات الحالات لن يكتف باستنطاق الشّكل في ظاهريّته ثمّ رمزيّته، بل

نتعدّاها إلى الدّلالة الرّمزية للألوان المستعملة، لأنّها تفتح فُسَحًا لم يقدر عليها الشّكل لوحده، فهي واصلة و ناقلة عبر حركات العين ذهابًا وإيابًا بين كلّ زواياه تتعرّف عليْه وتُحدّده (Rilke.M.K، 1991)، لأنّ لها حسب Matisse على لسان Fourcade(1972)، وظيفة فريدة من نوعها وَهي وظيفة التّعبئة، فتُكسب الشّكل لبًّا و نبْضًا (Maldiney، 1987)، يدفعنا للتّساؤل حول ما إذا كان تلوين بعض المتشنّجات للرّسم هو تعبئة لشفافية أحّستها في رسم شخصها.

إن تفسيرنا للألوان إذن سوف يكون وفق رمزية كلّ لون، وكذا تموضعه جنبًا إلى جنب يمنحه إيّاه الرّاسم ككتلة لونية يتواجدان و يتكاثفان معًا (Guillaud، 1987).

فرسومات الحالات هي الشّكل الدّال، ضروب معيّنة من الخطوط و الألوان تعبّر عن انفعال خاصّ تجاه الواقع المعاش؛ و إن كانت رسوماتهنّ نواتج تطبيق اختبار نفسو-عيادي إلى أنّه يمكننا منحها لأجل تفسيرها خاصّية العمل الفنيّ، فهي ابتكار تقمع أثناءه الحالات التّعليمة الرّسمية لتخضع إلى تعليمة مبلورة تحت أوامر أنواتها اللاّشعورية (Baldy، 2008؛ Karmiloff-Smith، 1990؛ Berti et Freeman، 1997؛ Barlow, Jolley, White et Galbraith، 2003؛ Thomas et Robinson، 1997).

فكلّ عمل فنيّ و إن كان رسمًا اختباريًا هي تجربة حسّية يرى فيها Read.H. معركة يصارع فيها الرّاسم الطّبيعة ليس من أجل وجوده المادي، بل بسبب وجوده الذّهني. حالة مزاجية وضع لها العلاّمة ابن سينا جدولا يبيّن فيه علاقتها بالألوان بالحالة وَ جسمانية الإنسان؛ فالخيال والعواطف تحرّك الأخلاط، يهدّئها اللّون الأزرق وَيثيرها الأحمر. كذلك استخلص Schaie(1966) بعد مجموعة دراسات حول أثر الانفعال على اختيار اللّون، أنّ الألوان الدّافئة (الأحمر، الأصفر، البرتقالي) تكشف عن نشاط نزوي زائد يظهر في استثارة المبحوث، حالة من التنبيه والعدائية؛ أمّا الألوان الباردة (الأزرق، الأخضر) فتتّصل بالأمن، الهدوء والسّلم وخفض النّشاط النّزويّ؛ في حين ترتبط الألوان السّوداء

(الأسود، الرّمادي) بالحزن، الأسى والاكتئاب؛ و يتّصل اللّون الفيروزي بالكرامة، الملك و الحزن.

على منوال ما تقدّم، نعرض دلالة تفسيرية للألوان الأساسية ضمن ثنائيّات متكاملة، علْمًا أنّ كلّ لون يحتمل مظهريْن، إيجابي و سلبي استقيناها من أبحاث عدد من العلماء نذكر أسماءهم تجنّبا لتكرارها في كلّ لون: Schaie (1961)، Hofstaetter (1958)، Murray (1957)، Wexner (1954)، Napoli (1954)، Kouwer (1949)، Bricks (1944)، Schachtel (1943)، Alschuler (1943)، Karwoski (1938)، Lewinski (1938)، Hevner (1933):

-اللّون الأبيض و الأسود

يعتبر اللّون الأبيض قاعدة كلّ الألوان، فهو رمز الصّفاء، الغبطة و النّقاء، العفّة و السّلم. وكان في العصور القديمة مقدساً و يقتصر على آلهة الرومان و خاصّة Jupiter، و كان يضحى له بحيوانات بيضاء. وَعادة ما يرمز للمسيح عند المسيحين بثوب أبيض دليلاً على الصفاء و النقاء و الخلو من الدنس. و كان فرعون في مصر القديمة يرتدي تاجاً أبيض ترميزا لسيطرته على مصر العليا وأنّها تعيش بسلام و طمأنينة..

يرمز في مظهره السّلبيّ إلى الخروج من الحياة بظهور الشّيب ثمّ الكفن و الحداد. يرتبط في تفسير إجابات اختبار الرّورشاخ اللّونية بالاكتئاب و تعكير المزاج، و الفراغ النّفسي و صعوبة التّذكّر[62].

و هي الدّلالة الّتي يعكسها اللّون الأسود، ما يذكّرنا بمقولة Klein على أنّ الولادة هي خروج من الظّلام إلى نور الحياة، وقد تنتهي بالموت و العودة إلى هذا الظّلام، فتصحبها مشاعر الحداد و الحزن و الشّعور بالقساوة. فهو رمز النّهاية، يدلّ على الخطيئة و الخيانة

62-‘’Je vois du blanc’’.

الزّوجية والغواية الجنسية. قد يرمز إلى الاستسلام والخضوع للآخر، الزّهد، الخوف من المجهول، العقاب و البلاء.

-اللّون الأزرق و الأخضر

هما لونان رجوليّان بالدّرجة الأولى. يكشف استعمال اللّون الأزرق عن عددٍ من صفات الفحولة، الطّموح، الأمن، القيادة و الإخلاص، الغمر و الإحتجاب، التّوغّل في عالم الرّوح وجاذب نحو المركز، بتحصيل اللّذّات الحسّية و المادّية، الّتي تؤدّي إلى العمى وتولّد الإجرام. كرهه العرب، واتّهموا أصحاب العيون الزّرقاء بالكذب و اللّؤم و الشّرّ. عرفوه في عيون الغزاة الرّوم حتّى قيل عن شديد العداوة "إنّه عدوّ أزرق العين، و إن لم تكن زرقاء". للأزرق أيْضًا دلالة في ثقافتنا، هو علامة الإختناق و ضيق التّنفس. يعكس استعماله المُفرط سلوكًا ساديّا، اندفاعيا و عنيفا.

يُستعمل اللّون الأزرق أيْضًا كقوّة واصلة وَلاحمة، تؤسّس فضائية المكان الملوّن به. يوحي بالهدوء والسّكينة وصفتي التّكريس والثّقة بالآخر. يرتبط أيْضًا بحسّ الواجب والجمال و اللّباقة. يجلب صفاءه الشّعور بالسلام و التعافي و الإيمان و الإسترخاء.

من مظاهره السلبية، ارتباطه بميزة السعي و البحث الدّائميْن؛ صفات الشّكّ و سوء الظّنّ، عدم التّصديق، و قلة اللّباقة. إنّه غير واقعي، يدفع إلى أحلام اليقظة و ميل نحو الإهمال وَاللاّمبالاة. قد يتحوّل الإحساس بالتعب و الكسل و البلادة إلى حالة السوداوية تفضي في النهاية إلى شعور بالشّلل.

أما الأزرق الفاتح فيشير إلى الثّقة والشّباب و البراءة و يستعمله الأسوياء بكثرة، أمّا القاتم منه فهو علامة الخمول و الكسل و الرّاحة و الهدوء.

يعتبر اللّون الأخضر أكثر استعمالا ذكوريّا بعد الأزرق. يرمز إلى السلام والأمن والراحة. يدلّ على انبثاق الحياة و الصّحّة، يرتبط بالكون والطّبيعة، الرّبيع و المرح، السّرور والشّباب، الخصوبة والنّعيم. يعمل كمؤشّر على تجدّد الحياة وَبعث روح التّطوّر.

يستعمله الرّجال ممّن يتّسمون بعاطفية مفرطة مع التّحكّم فيها. يكشف عن قدرات ابتكارية، حسّ المشاركة، التّكيّف، الكرم و التّعاون. يهدّئ من اهتياج المشاعر، و يدعو إلى الحكم الصّائب و يقظة الضّمير والتّفهّم. يمثّل صورة الأمان والحماية و يخلق بيئة صالحة لاتّخاذ القرارات.

من مظاهر الأخضر السلبية، الغيرة، الكراهية والعدوانية، البخل، اللاّمبالاة، انعدام الأمان، إساءة الحكم والحذر المفرط مع الشّكّ. يشير إذا ما رافقه النضج العقلي المبكر إلى الغيرة و الحسد و الأنانية و التّعصّب. أمّا مستوياته الدّنيا فتغذّي الرّكود الّذي قد يبلغ حدّ الانحطاط.

إذا استعملت المرأة اللّون الأزرق وبطريقة مفرطة فهي تكشف عن تماهيها بما يتنافى والأنوثة. من جهة، و إذا كان استعمالها لهذا اللّون مفرطا دون غيره من الألوان دلّ ذلك على نقص الإخلاص، المؤامرة و نفور من جنسانيتها الخاصّة. حتّى المرأة الّتي تستعمل اللّون الأخضر كمسيطر تنفر من الجنسانية و تتماهى بالرّجل في القيادة، الفحولة، الأمن والإخلاص.

في دراسة أجراها Sharpe(1974) على 300 رجل و 300 امرأة تتراوح أعمارهم ما بين 17 و 32 سنة، باستخدام استبيان اختيار اللون ل Schedule، توصل إلى أن من يختارون اللون الأحمر وَالأصفر يمتلكون أنا متينة و مكوّنة جيّدا فيما يخصّ الاستقلالية والسّيطرة. أمّا من يختارون الأزرق وَالأخضر فهي شخصيات تتميّز بقابلية التحمّل، وكلاهما يمتلكان قدرة تحقيق الذّات، العلاقات بين-الشخصية، الاستعراضية، الإنتماء و الارتباط و عدوانية ضئيلة.

-اللّون الأحمر و البرتقالي

اللّون الأحمر لون أنثوي يرتبط بكلّ ماهو جهنّميّ، محرّم و التّابوهات المتّصلة بالجسد غير الطّاهر. يدلّ على المعرفة الباطنية الممنوعة. هو لون طارد يستهدف الابتعاد عن

المركز. يرتبط بالعفّة و دم المرأة، رمز الإغواء الأنثوي والخصوبة، الشّباب و الحيوية، الثّراء والسّعادة. يدلّ أيْضًا على الحبّ، الثّورة، العنف وَمن النّاحية الرّوحية له دلالة الإلهام والبصيرة الثّاقبة.

يفسّره اِختبار بقع الحبر بلون الإثارة والتّهيّج يتجنّبه معظم المبحوثين لأنّه يحرّض نزوات العدوانية والشّبقية، يثير الرغبة البدائية وَالشّهوة الجنسية وَالنّشوة والثّورة والتّمرّد والحركة والحياة الصاخبة والغضب والانتقام والقسوة.

إذا كان أحمرا ساطعا فهو نهاري مذكّر، محفّز للعمل و السّلوك؛ و إذا كان قاتمًا، فهو ليليّ مؤنّث، سرّ جابن يمثل غموض الحياة. أمّا الفاتح منه (الوردي) فيدلّ على الفتور وَعدم النّضج.

أمّا اللّون البرتقالي فهو لون الحزم والانفتاح والانطلاق في الحياة، يعكس الحماسة المترافقة مع الحيويّة الطّبيعية والاندفاعية. مرادف للصّحّة الجيّدة، الحيوية، الثّقة، المرح والإبداع، الشّجاعة و الابتهاج، العفوية و النّظرة الإيجابية.

أهمّ ما يتّصف به محبّو هذا اللّون هو القدرة على التّواصل مع الآخرين و الحركة الدّائمة و حبّ المبادرة. أمّا مظاهره السّلبية فتتوقّف على تصرّف متغطرس مستبدّ عبر سلوك ملفت للنّظر؛ قد يرتبط بالحزن وغياب المرح والكآبة وَفقدان للحيوية، قنوط و أفكار تخريبية.

-اللّون الأصفر و البنفسجي

يرتبط اللّون الأصفر عادة بالأمّ الرّاعية الّتي تنبت الأرض و الزّرع معلنة قدوم الرّبيع بأزهارها الصفراء. يدلّ كذلك على الخريف والحزن، الموت والقحط، البؤس والذبول، الألم و الشحوب و الانقباض.

هو لون الشّمس، يجلب الأمل و يبعث على الإحساس بأنّ الأمور كلّها تسير على ما يرام. فيه نفحة من الإشعاع و المرح و البهجة. يرمز إلى الانفتاح و الإلهام، ينير و يتوهّج. كما

يشير إلى المعرفة و الحكمة. يتدفّق منه بحر العقلانية و المنطق، يرادف القدرة على التّمييز و البصيرة النّافذة و المواقف الحاسمة.

من مظاهره السّلبية، صفات الخداع، المراوغة، السّيطرة على الآخر، كثرة الحسابات، المكر، الحقد والتّملّق. وتؤدّي جميعها إلى سلبية مطلقة يرافقها شلل فكريّ وتشاؤم مفرط.

في حين يدلّ اللّون البنفسجي على الكرامة والنّبل وَاحترام الذّات، المقدرة الفنية والتّسامح والرّويّة، الإطمئنان و الهدوء، المثالية العملية المقترنة بالتّواضع. من سلبياته، النّسيان وعدم القدرة على احتمال الجهد، الطّيش وَقلّة الاحترام والسّلوك الجدلي؛ وقد يعكس المثالية غير العملية، الانعزال، الفساد والانحلال، الغرور و الغطرسة.

استعمال المرأة للّون الأصفر بطريقة لبقة تتّصف بقيم اجتماعية نبيلة، و هي واعية بذلك، و تكون ممّن تتقبّل الرّجال. أمّا النّساء المُحبطات وَغير المتكيّفات يستعملن اللون الأصفر بطريقة منحرفة هدفها التنمّق والإغواء بجلب الانتباه.

4-الرّسم وَالباثولوجيات النّفسية

سبق و أوضحنا أنّ الرّسم كاشف لخُلق باطن عبر تخطيط لاشعوري ظاهر و لوْن يعبّئ به الفراغات وَيُخفي به الإسقاطات المتّصلة بالأنا وَعلاقتها بالآخر فتصعب رؤيتهما. ومن هنا تمايز الرّسومات بحسب الشّخصيات و الباثولوجيّات.

أ-رسم الرّاشد العصابي

العصابي هو ذاك الّذي وصفه de Vinci بعبارته الشهيرة القائلة بإنّ عملية التّزاوج والأعضاء الفاعلة أثناءها قبيحة جدّا، أفضل منها جمال الوجوه وَزينة الممثلين وتنسيق المكان المختار، تضمن بها الطّبيعة استمرار الجنس البشري. تكشف رسوماته حسب Freud عن خضوعه للتّفكير لتميّزه بالرّوح الاستقصائية، البرودة و الصّلابة النّفسية الّتي تدلّ على اجتنابه لكلّ نشاط جنسيّ ليبيدي. فالعصابيّ حسب كناية Doubrovsky لا يلجأ للتّسامي فقط بل و الاستقلاب أيْضًا.

هو ما توصّل إليْه Goldworth(1950) في مقارنة له بين رسومات أفراد متّزنين نفسيّا، عصابيّين، فصاميّين ومضطربين عقليّا. وجد أنّ الفئة الأولى تظهر رأس رسم الشّخص بقياسات متناسقة، بينما كانت شخصيات الفئة الثّانية أقلّ جودة، في حين كانت وجوه الفئتيْن المتبقّيتيْن مشوّهة أو تنقصها تفاصيل هامّة.

أمّا تعابير الوجه، فتبرز عبوسة عند العصابيّين، وَأشدّ حزنا مقارنة بماهي عليْه لدى المتّزنين؛ بينما يكشف المضطربون عقليا عن وجوه مكتئبة أوْخالية أحيانًا من أية تعابير[63]. وينجز الفصاميّون غالبا وجوه دمى.

يرسم المتّزنون مختلف أعضاء الجسم أفضل من باقي الفئات. تظهر مخفية وراء الظهر أوْأكثر صلابة وَمسدولة على طول الجسم عند العصابيّين؛ تظهرها الباقيتان مخربشة وغير متناسقة و ضعيفة.

وفي دراسة قام بها Berman et al.(1953) على رسومات مئة شخص عصابيّ فسّرها مختصّون نفسانيّون بعدما شخّصهم الأطبّاء النّفسانيّون، استخلصوا عددًا من ميزات العصابي في رسم الشّخص أهمّها: الظّلال، وضعية الشّخص المنحنية، إبراز لمفاصل أعضاء الجسم، أرجل متلاصقة ببعضها...شكل الرّأس دائريّ يكشف عن تصرّفات طفولية أوْسلوكات نكوصية، نسيان الفم ما يعكس قلقًا أو إمتناعًا عن الاستمتاع، و أيْضًا نسيان الأعين رغبة في عدم الرّؤية أو معاناة من الانفصال.

في حين قامت دراسات Ziolko(1956) و Kolka(1958) حول اختيار العصابي للألوان بتطبيق اختبار Pfister(1950) لهرمية الألوان، فتوصّلا إلى أنّ أفضل اللّونيْن الفيروزي[64] و الأسود. بعكس أبحاث Brengelmann(1957) الّتي أكّدت على ميْل العصابي إلى اللّون الأزرق، الأحمر، البنيّ و الرّماديّ في ذات الاختبار.

---

[63]- vides d'expression.

[64]- Le pourpre.

كذلك لاحظ Tolor(1958) أنّ العصابيين يرسمون بطريقة متناسقة تعكس الموضوعات الموجودة في الواقع، بينما يرسم الشّواذ خطوطًا أفقية أو عمودية يملؤونها بكتلة واحدة من الألوان.

ب-رسم الرّاشد الذّهاني

تعدّدت الأبحاث و الدّراسات حول علامات الذّهان في الرّسم بأنواعه، من رسم الشّخص إلى اختباريْ Pfister لهرم الألوان و التّلوين بالأيدي.

اِهتمّت Fingert et al. منذ 1939 بملاحظة النّكوص الذّهاني عند الفصاميّين بتطبيق رسم الشّخص، وَقد سجّلت تحسّنًا في نتائجه بسلمّ Goodenough بعد شفاء حالة نكوصية منهم. بينما أشّر Modell(1951) على نُضْج في الصّورة الجسديّة وَالجنسية في رسومات الذّهاني الرّاشد بعد شفائه من حالات النّكوص الّتي تظهر اختباراتها: اختفاء الحدود الجسدية بإيجاد مناطق مفتوحة في رسم الرّأس أو الجذع؛ تشتّت أو استدارة في الجسم مع غياب التّمييز بيْن بعض الأجزاء أو الثّياب؛ تصغير واختفاء تامّ لخصائص هويّة الشّخص الجنسية يُفسِّر عودة الحالة إلى مرحلة قبل تناسلية. و قد أكّد Baldwin(1964) استنتاجات Modell بملاحظاته حول حجم الرّأس وَتزايد عدد الأجزاء المنسية في الشّخص المرسوم في التّوظيف النّكوصي للفصاميّين.

تباحث أيْضًا Burton & Sjoberg(1964) حول تبيان صلاحية اختبار رسم الشّخص في تشخيص الفصام، بمقارنة رسومات 49 فصاميّا مع مثيلاتها لمجموعة ضابطة من البالغين الأسوياء. فوجد المختصّان: تشوّه في الصّورة الجسدية، غرابة في الوضعية والتّعبير و الزّخرفة، تشوّهات في شكل و حجم مختلف عناصر الجسم، شفافية، تصحيح في رسم الخطوط دون محو للأخطاء السّابقة، تقطّعات في الخطّ، رسومات غير مكتملة وَعلامات قلق هامّة.

وفي اختبار التّلوين بالأيدي الّذي طبّقه Kay(1964) في دراسة له على الفصاميّن، لاحظ استعمالهم للأخضر القاتم و رفضهم للّون الأسود؛ بينما لاحظ كلّ من Wewetzer(1951) وَSiedow (1958) اختيارهم للّون الأخضر في اختبار هرم الألوان، زيادة على تفضيلهم للفيروزي، البني، الأبيض و الرمادي. و قد أشار O'Reilly et al (1957) إلى اللّون الأبيض كعلامة على الباثولوجية الفصامية في ذات الاختبار. في حين أكّدت أبحاث Brengelmann(1957) على ميْل الفصاميّين إلى الأزرق، الأحمر، الأسود و الأبيض في ذات الاختبار.

في دراسة قام بها Fisher et Cleveland(1956) حول الصّورة الجسدية لدى نساء ذهانيات، ركّزا فيها على نوعيتي الصّورة المستدخلة و الألبسة. كان يتوقّعان وجود صورة جسدية مشوّهة، لكنّهما توصّلا إلى أنّ الأشخاص الّذين يمتلكون حدودًا جسدية هشّة يميلون إلى التّنويع في استعمال الألوان الفاتحة كخلفية مع استخدام كبير للألوان المتقادمة. أمّا عن الصّورة المستدخلة فقد ظهرت في الأشكال العريضة و الألوان الدافئة.

ت-رسم الرّاشد السّوماتي

عدّد Vernier(1952) في مقال له حول الاختبارات الإسقاطية المؤشّرات الغالبة في رسومات الأفراد السوماتيين، فلاحظ الشخصيات منزوية على الورقة بأعضاء متصلبة، تعرّضت الأيدي و الأذرع للمحو، لها أصابع في شكل بتلّة أو مخربشة بعيون تظهر في شكل فتحات، الخط متقطّع وَرفيع في مظهر مبسّط أوْمضغوط عليه. وما شدّ انتباه الباحث وفق ما تعدّده Machover(1949) هو الأبعاد الخاطئة و إفتقار في مجمل الرّسم بنقص في التّفاصيل يكشف عن نمط فارغ.

و نذكر أيْضًا بحث Eskelinen et Ollonen(2010) على مؤشرات القلق والاكتئاب لدى 115 امرأة مصابة بسرطان الثّدي بتفسير رسم الشّخص وَالألوان مستعينيْن بمقياس Beck للاكتئاب. لاحظ الباحثان حجم الرّسم الكبير تعلوه ملامح الحزن وَالاكتئاب، تنمّ عن نقص التّحفيز وغياب التّفاصيل والتّمايز الجنسي و المثالية، و حتّى تحلّل و تفسّخ لبعض أجزاء

الجسم مع وجود ظلال كثيرة قريبة أوْعلى مستوى الأثداء مع استعمال ألوان قاتمة: الأزرق، البنّي و الأسود كمؤشّرات على القلق.

أمّا دراسة Bouak et Bouteyre (2010) على نفس المرضية العضوية لأربعة نساء مصابات بمختلف أنواع السّرطان، طُلب منهنّ ثلاثة رسومات حول ذواتهنّ، يعكس الأوّل صورة ذاتية قبل الإصابة ثمّ بعدها وَالأخير مظهرهنّ المرغوب بعد الخضوع لعملية تجميلية. كشفت الرّسومات عن تدهور في الصّورة الجسدية، مع نقص في استثمارها يؤكّده حسب الباحثيْن غياب تامّ للرّسم الثّالث.

كما لا يجب أن نغفل دراسة Debray.R.(1980) بإشراف Anzieu حول الاقتصادية السيكوسوماتية وَفرضية تدهور الصّورة والمخطّط الجسديّيْن وَامكانية تقييم التّنظيم النّرجسي لدى 20 راشدا من الجنسيْن من مرضى السّكّري المعتمدين على الأنسولين باعتماد اختبار تفهّم الموضوع، اختبار Rey واِختبار رسم الشّخص. هي دراسة أفادتنا بها أستاذتنا حدادي، كشفت عن أهمية الأداتيْن الأوليّتيْن في دعم الرّسم في بحث الإقتصادية السوماتية للفرد.

ث-رسم الرّاشد المكتئب

أشار Lewinsohn(1964) إلى الرّسومات ذات الحجم الصّغير كمؤشّرات المرور بحالة اكتئاب، يؤكّدها مظهر الخطوط الخفيفة الضغط المرتبطة عمومًا بالخجل، الحنية، الحساسية و نقص الثّقة في النّفس، لأنّها شخصيّات تجنّبية وَ متردّدة.

كما تكشف رسومات هذا الرّاشد يقول Gray.D. et Pepitone.A.(1964)، على تقدير ذات متدنّي تبيّنه صفات الرّسم: صغير، ناقص وَغير مكتمل، حدوده غامضة، ملامح مشوّهة، تعبّر عن مشاعر الدّونية. ينعزل الشّخص المرسوم بإحدى زوايا الورقة، وَيغلب الفراغ على المنطقة الجنسية.

إذا ما تحسّنت الحالة وَتجاوزت الاكتئاب، تصبح الرسومات أكبر، أوضح، متمركزة أكثر، تمتلك هوية جنسية مع بروز علامات التّمايز الجنسي. وَفي دراسة اختيار الألوان أكّدت أبحاث Brengelmann(1957) على ميْل الاكتئابيّين إلى تفضيل اللّون البرتقالي.

ج-رسم الرّاشد القلق

أجرى Hoyt et Baron(1959) دراسة لمقارنة تردّدات مؤشرات التّوتّر لدى أفراد مختلفة الاضطرابات وفقًا لقائمة Machover (خط بارز ومضغوط، تظليل، تشطيبات) بإضافة مؤشّرات Buck حول موقع الشّخص على الورقة، قياسات الشخص المرسوم، السّهو وَالتفاوت أو التناسق بين أجزاء الجسم، مع اعتماد مقياس القلق الظّاهر .M.A.S. أظهرت الدّراسة تموقعا في أعلى و على يسار الورقة في رسم شخص صغير الحجم.

في عام 1964 أخضع العالمان Handler et Reyher في بحث لهما عن مؤشرات القلق الظاهرة بتطبيق ثلاثة رسومات: رسم الرجل، المرأة والسّيّارة، مجموعة أفراد لشروط اختبار مقلقة مقارنة بالمجموعة الضابطة. فظهرت سماكة خطّ الرّسم، خربشات و نسيان التّفاصيل. وَيقدّم الأفراد القلقون رسومات متداخلة في خطّ متقطع، انفصال أجزاء الجسم و بحجم صغير، إيحاءات بصلابة زائدة. من جهة أخرى، لاحظا أيْضًا وجود رسومات كبيرة تطبعها توسّعات في حدود الشّخصيّات، بأجزاء جسمية غامضة، وسطور مختلطة أو متناثرة.

تفحّص Handler & Reyher 51 دراسة حول رسم الشّخص فوجد 21 منها تظهر مؤشّرات القلق و تفسّر استجابة المبحوث لوضعية الاختبار المقلقة بإحدى الطّريقتيْن إمّا المواجهة أو الهروب. تتّصف المجموعة الأولى بوجود الظلال، الضغط أثناء الرّسم، المحو، مؤشرات تغيب عند من يلجأون إلى الفرار أو اختصار هذه الوضعية بسبب توتّرهم.

أمّا عن التّمييز بين مصادر التّوتّر الدّاخلية و الخارجية، فقد إقترحا الانتباه لأثر القلم الّذي حزّ الورقة أو بالعكس كان خفيفا عليْها، فيكون الأوّل توتّرا خارجيّا بينما يتّصل الثّاني بالأصل الدّاخلي.

وفيما يخصّ حجم الشّخص المرسوم، ظهرت النتائج متناقضة حتى حول الشّفافية الّتي تدلّ على اضطرابات في الشّخصية. و يؤكّد الباحثان على تأثير القلق على التّموقع على الورقة بتغيير المكان من الزّاوية العليا على يسارها إلى مواقع أخرى منها.

IV- الدّراسة الاستطلاعية

تُعرّف الدّراسة الاستطلاعية عادة بالدّراسة قبل-الميدانية و التّمهيدية أو حتّى الاستكشافية لظروف و إجراءات إنجاز البحث العلمي الحالي. تستلزمها دراسة مشكلة جديدة قليلة أو نادرة البحث. فهي مرتكز معرفيّ يستهدف إحصاء معوّقات البحث الحالي للسّعي في تجاوزها و تعداد المشكلات الّتي قد تحتاج إلى بحوث مستقبلية. من سماتها المميّزة عدم اشتمالها على فرضيات بل على تساؤلات تجيب عنها هذه الدّراسة.

تسمح أيْضًا بتقييم صلاحية الأدوات العيادية المنتقاة من طرف الباحث في دراسة الإشكالية المطروحة، و نواتج استخدامها في دراسات سابقة لتصبح في ظلّ الاستقصاء مصدر المعرفة.

أهمّ ما توفّره الدّراسة الاستطلاعية هو تدرُّب الباحث على تطبيق الاختبارات و التّقنيّات المختارة وَالمنهج الّذي ينوي استخدامه في دراسته، فيكتسب مهارة تطبيقها على مجموعة البحث الباقية. كما تسمح بتقدير الوقت الّذي قد تستغرقه الدّراسة الحالية لإنهائها و تقييم الجهود اللاّزمة لإجرائها.

كانت دراستنا أوّلا تأمّلية تتماشى و تردّدنا في اعتماد الرّسم مع الرّاشد خاصّة و أنّها أداة عيادية وَاختبار إسقاطي طفليّ. من هنا صعوبة تطبيقاته الأولى وَاقتراحه على الحالات، لكنّ اطّلاعنا على إحدى الدّراسات العلمية حول الصّورة الجسدية والصحّة الجنسية لنساء

يعانين من سلس البول بمقارنة نظرتهنّ لذواتهنّ بنظرة الآخر إليْهنّ (Weirich، 2009) شجعتنا على تجربته مع أولى الحالات الّتي استمتعت بالنّكوص وَجعلتنا نتشجع في عرضه على الأخريات، ما فتح رغبتنا وشهيّتنا الاستقصائية في الوقوف على الدّلالة النّفسية للمخطوطات الفنية اللاّشعورية. يعقب انتهاء الحالة من رسم شخصها طرح ثلاثة أسئلة تستقصي ما يختلجها من مشاعر حرّضتها رؤية الذّات من الداخل: "واش رأيك في نفسك؟"، "واش راهي تقول لك؟"، "واش تقدري تعطي لها؟".

1-أنواع الرّسومات الملاحظة عند مجموعة البحث

بعد جمعنا لرسومات الحالات لاحظنا تصنيفها إلى مجموعتيْن، أعمال خضعت للتّعليمة وأخرى أوجدتها ترميزيا، نوع من الامتناع و المقاومة الّذي يرى لها Clay(1978) نفس أثر البقعة وَالفراغ على ورقة الرّسم، حيث لم تتغيّر هذه الأخيرة كفضاء لوجود الأنا رغم قابليتها لذلك، بل محتواها؛ فالورق كما يقول Déotte لا يخضع إلى شروط المادة الصلبة البسيطة، ما حتّم ضرورة التّعريف بنوعية المحتويات وَتصنيفاتها من منظور فني. شغلتنا المجموعة الثّانية ففتحت علينا باب البحث في مدلولها خاصة و أن الحالات أثناء رسمها كانت تتحدّث عن وظيفتهن و موقعهنّ في العائلة، ارتباط بالماضي أضرّ بهنّ و يمنعهنّ من إدراك الحاضر لأنّهنّ يواصلن تأدية نفس الدّور السّابق، حيث استفهمت إحداهنّ عند إدراكها لواقعها: "أنا سماني بابا وسيلة، أُ صح كنت لهم وسيلة، وفرت لهم كلّش، خرجت هم من الفقر والضيق...دوك ما عنديش حتّى ولد صغير وَلاّ طفلة نربيها c'est trop tard".

رسمت حالة واحدة قصّة حياتها حيث جاء الشّخص في الجزء السّفلي من الورقة، وأحاطته بكلّ أحلامها و بعض فترات حياتها الماضية، لكن التساؤل الذي يدور بذهننا: ما الذي يدفعها لأن تشغل كلّ أماكن الورقة، حتى كادت لا تترك فراغا، شغلت كل زوايا الورقة، هل توترها من الفراغ (بياض الورقة) يدفعها إلى أن تشغله؟ أم أنّها تعكس حركية تؤكّدها في حبّها للتّجوال بين المحلاّت وَ في شوارع المدينة؟

أ-رسم الشّخص

هي الرّسومات الّتي سبق تعريفنا لها مع مدخل الفصل المنهجي. فلا حاجة للإعادة.

ب-الرّسم التّجريدي

كان أوّل مؤسّسيه Wassily Kandinsky (1866–1944). اِشتهر بتعامله مع الألواح كأنغام موسيقية تمنح اللّون طاقة تعبيرية تحدث التّناغم، التّضاد، والانعكاس الّذي تتضمّنه مشاعره، عواطفه، و انفعالاته النّاجمة عن الطّاقة الرّوحية الخاصة به.

يسمّيه بالتّجريدي لأنّه يجرّد الموضوع من تفاصيله الجزئية وَيركّز على العناصر المعبّرة عن الفكرة الجوهرية للشّيء المراد رسمه.

ينقسم إلى عدّة أنواع: الفن التجريدي الإنحنائي، و يظهر على شكل خطوط منحنية تمثل الدّوائر و الأنماط اللولبية (حالة نارمين). الفن التجريدي المرتبط بالألوان أو الضوء مثل أعمال Mooney . أمّا الفن التجريدي الهندسي، فيقوم على المربعات و المثلثات و مختلف الأشكال الهندسية. الفن التجريدي الإيمائي، ويعتمد على الطّريقة الّتي تُرْسَم بها اللوحة دون الاهتمام بموضوعها مثل أعمال Pollock. و آخرها، الفن التّجريدي البسيط و هو شبيه بالتجريدي الهندسي، إلى أنه يعتمد على استخدام الرّسم ثلاثي الأبعاد، فيكون العمل بسيطا للغاية.

يستوعب هذا الفن الاتجاه العقلي و العاطفي، لأنّه يشتمل على القاعدة، النّظام، التّناغم والبناء وَالروحانيّات لأنّه من الفنون الّتي تحقّق توازنا بين عقل الفنان و خياله بشكل يبتعد عن التّقليد مع احتواء كل تجديد يدعم التشكيل وَتفسير عقلي للتّوازن الّذي يوجده هذا الفنّ بين الشّعور الدّاخلي للفنان وَإسقاطاته على اللّوحة دون أن ننسى تناغم الألوان وَحتّى تباينها و إيحاءات الملمس الّتي تنمّ عنها فيظهر الرّسم متّزن الإيقاعات.

يلجأ الفرد إلى هذا الرّسم ما بعد سنّ 12. يظهر في مرحلة المراهقة على حواف الكرّاسات، أو الأوراق الفاصلة بين وحدات الدّراسة. يتصف بالتّلقائية، و السّريان الحرّ لليد على الورقة بعيدا عن كلّ إرادة شعورية. تحفّزه صراعات وجودية يعجز المراهق عن تجاوزها. يصفه بعض الفنّانين بالفنّ غير الموضوعيّ حيث لا يصف العمل كائنا معيّنا أوْ مكانا محدّدا، بل يشتمل على ضربات فرشاة وأشكال تحثّ النّاظر على إعطاء معنى خاصّا و ذاتيّا قد يخالف ما يرمي إليه الفنّان.

أنتجت بعض الحالات موضوعات رمزية ربّما حرّضتها تعليمتنا "أرسمي كيفاش تشوفي روحك"، تختزل فهْم المبحوثة لكينونتها الذاتية، وتكشف عن ميْل إلى السّلبية وَمقاومة الشّفافية الّتي يغذّيها شعور بالتّجنّب و سوء تقدير للذّات وَالآخر فيحتمي من الفشل أو أيّ انتقاد قد يضرّ به وَيضعف ثقته بنفسه.

2-عرض حالة الدّراسة الاستطلاعية

أ-تقديم الحالة و تحليل المقابلة العيادية

قدمت الحالة وَعلامات الأمل و التشبّث بخيوط النّجاة بادية على وجهها، و كأنّها تترجّانا بعينيها المتوسّلتيْن، طالبة منّا إنقاذها من انفصال محتوم إن لم تتمكّن من تجاوز العقبة التي تمنعها من مباشرة العلاقة الحميمية مع زوجها، و كأنّها تجد في تصرفها هذا غرابة لم تعرف مثله دونها من النساء الأخريات؛ لكن هيهات. ماإن طمأنّاها بوجود حالات شبيهة لها إلا و قد استرخت و استنار محيّاها، فهي أمام طريق النّجاة لا محالة.

بهذا الشعور و الإحساس بدأت في سرد حالتها و مشكلاتها الجنسية: فهي لا تقدر على تحمّل الحميمية رغم حبّها لزوجها، تقبل بكلّ الملامسات وَالعبارات التي تصحبها، لكن ماإن يحن أوان التّتويج، إلاّ و تنغلق كالصدفة التي يترصّدها خطر وشيك، مرددة: "ما نقدرش، ما نقدرش"؛ ما يثبّط عزيمة الزوج، يُخصى فيعزف عن كلّ محاولة، ملتفتا بعدها إلى التخفيف عنها، لتكفكف دموعها و تعود الابتسامة إلى وجه الصبية البريئة!

فعل يذكّرنا بعنوان كتاب "La cruauté au féminin" لجماعة من المؤلّفات Kristiva.J.، Cupa.D.، Galtier.B. وأخريات (2004): تخوّف الحالة من الخصاء أدّى إلى إخصاء شريكها، عقاب تجنّبه بإبعاد توظيف نزواته الجنسية على الموضوع الأوديبي ليتلقّاه من موضوع حبّه الثّاني! سوء اختيار أم اختيار لاشعوري يؤكد إخصاءه المبكر ومن تمّ عجزه الجنسي: عجز أمام موضوع راشد؟!

كم من ليلة و كم من لحظات عاشتها هذه الحالة، منذ زواجها الذي دخل شهره الثامن، مدّة طالت وَطال معها إخصاء الفالوس لتجنّب الإخصاء الأنثوي، توتر، بكاء وَمعاتبة للنّفس يجعلها تبدو حزينة غير قادرة على الابتسامة الحقيقية، لأنّ:"لو كان ما نشوفش تصاور تع زواجي، مانقولش قُع بلي تزوجت، زيد وين تروحي، لي يوشفك يقولك مازال ماراكيش enceinte؟، واش راكي تسناي؟". واقع لم تعهده من قبل، سيّر أحلامها الوردية، أوجاعا وأحاسيس جعلت يوميّاتها تتمحور حول "قادرة، ماشي مانيش قادرة، لازم واحد يكورجني"، يشجّعني على التّخلّي عن التماهي الذكوري لأجل التّماهي الأمومي.

هي امرأة في العشرينيات من عمرها إلتقيناها بمكتبنا بعد عدّة استشارات طب-نسائية خاصّة، وجّهتها نحونا إحدى هؤلاء الطّبيبات التي قصدناها شهورا من قبل لمساعدتنا في استجماع عدد من الحالات.

تحدّثنا في لقائنا الأوّل عن احتمالية العامل النّفسي في الإشكالية الجنسانية. أمر يتماشى وَتخميناتها لأنّها تقول، طرقت تقريبًا مختلف التّخصّصات الطبية من العامّ إلى الخواصّ، واقترحت عليها إحدى طبيبات أمراض النّساء والتّوليد تدخّلا جراحياً لكنّها وَ زوْجها رفضَا. طرحت على زوجها حلاّ كيميائيا يتمثل في الاستعانة بمخدّر أو أيّا كان من المحاليل لتتناوله وَيكون البناء بعيدا عن كلّ خوف و تهويل وإدراك لعملية الإيلاج. تفضيل لوضعية الإغتصاب مستعملة لفظة "كي نكون هكذاك مصروعة فاقدة للوعي، يفريها أومبعد نوض": مطالبة بالإستيلاء عنوة! هل هو تهرّب من الألم أوْ من الأحاسيس الجسدية، أوالأخذ والعطاء مع موضوع الحبّ، أم أنّها الطّريقة الوحيدة لجنسانية ممكنة؟

بعد حوارنا حول موضوع البحث وأسباب اختيارنا دراسته والأدوات المعتمدة، قبلت المشاركة بإمضاء وثيقة الموافقة، ثمّ إنتقلنا إلى تفسير خطوات العمل بتخصيص الحصّتيْن الأوّليّتيْن لتطبيق الاختباريْن، تتبعها حصص العلاج بلقاء كلّ أسبوع في مقابلات بسؤال مفتوح "أحك واش لي راه صاري معاك؟".

حضرت المرأة وَ زوجها بعد أسبوع في الموعد المحدّد، و أوّل ما شدّ انتباهنا هو المظهر الهادئ لكليْهما وَما يوحيان به من إنسجام وإدراك للمسؤولية المشتركة حول الوضعية الزّواجية المُعاشة الّتي كانت تظهر آثارها عليهم في شكل انشغالات وَ حيرة حول صعوبة الموقف الّذي وُضع كلّ منهما فيه. خاصّة مع إلحاحات أفراد العائلة و الأقارب تقول، وَاستفساراتهم عن تأخّر الإنجاب.

عجز الزّوجان عن البناء فالتفتا أخيرًا إلى الاستشارة النّفسية بحْثا عن فهم المشكلة العلائقية الجنسية. تنافر جسدي قد يرتبط بمكبوتات تجارب عاطفية مبكرة أو لاحقة.

هي جامعية تحتل المرتبة الثالثة في عائلة تتكوّن من الوالديْن و خمسة أبناء، ذكر و أربعة بنات. تزوّجت بقريبٍ لها من أسرة بعيدة للأمّ، جامعيّ أيْضًا يكبرها بأربع سنوات، بعد اتفاق والدتيْهما ومرور أكثر من خمس سنوات خطوبة. تصفه برجل متخلّق، وَمسؤول فقد تكفّل بعائلته ماديا بعد تأسيس تجارته الخاصّة.

هي شخصية قليلة الكلام لديها من الكفّ و الإمتناع عن الحديث ما يخلق صمتًا صراحة ثقيلا يدفعنا لسؤالها مرّة تلو الأخرى "في واش راكي تفكري؟". إجاباتها المختصرة جدّا، تحتّم عليْنا ابتداء المقابلة نصف موجهة لكن بأسئلة مفتوحة حول تاريخ اختبارها للواقع، بدءًا بعلاقتها الحالية مرورا إلى مرحلة المراهقة ثمّ الطّفولة و مسارها التّعليمي ومعاشها الأسري وعلاقاتها العاطفية. كنّا نمتنع أحيانًا عن طرح الأسئلة، لمساعدتها على إدراك أهمية مشاركة الآخر في مبادراته؛ ثِقل الصّمت دفعها لأن تقترح علينا طرح الأسئلة للإجابة عمّا نريد معرفته تقول، وَتساعدنا في بحثنا، و تملأ أيْضًا الفراغ الّذي يزعجها ويضعها أمام واقع الإشكالية الجنسية المعاشة. وإن بقيت إجاباتها فقيرة ومحدودة تتوقف

على النفي أوالتّأكيد إلاّ إذا طلبنا تفسيرا، فهنا تحاول الاسترسال لكن بصعوبة مقاومة وَشُحّ شرجيّ يفترض تخوّفها من الشّفافية واختراق الحيّز الشّخصي أساس كلّ علاقة ناجحة.

بفعل التّحويل وضدّه، أدركنا جانبًا من الواقع الّذي يعيشه الزّوج أمام انغلاق الزّوجة، خصاء وَعجز في اختراق عالم الآخر، تدعمه اعتراف المتشنّجات بعجز زوجها جنسيّا، أوْ أنّه يتخوّف على حدّ قوله من دخولها في نوبة صرخات تكشف وضعيتهما الزّوجية أمام والديْه. أمر قالت عنه باكية "يغيضني و الله يغيضني، كل يُوم ماشي اليُوم، نتهرّب... نبدا نبكي و نقولُ نخاف".

تنحدر الحالة و زوجها من عائلتيْن محافظتيْن جدّا، فرغم طول مدّة الخطوبة إلى أنّهما لم يتفسحا معا إلاّ بضع مرّات، فهو من العائلة تقول، وَلا يمكن الإكثار من التّجوال، فقد كانت المراقبة عليهما شديدة؛ كما اشترطت تحصيل الشهادة الجامعية ثمّ الزّواج. حفلة اِهتمّت شخصيّا بكلّ تحضيراتها دون تلقّي المساعدة وَإن تصادفت بالاختبارات الجامعية.

ترعرعت ضمن عائلة كانت فيها الأمّ غائبة تقريبًا، لم تكن لها سندًا بل قامت هي بهذا الدّور كلّما وقع سوء تفاهم بين أمّها وَجدّتها (أمّ أبيها). لم تكن تحتمل عدم مسايرة أمّها للجدّة في انتقاداتها، فتسارع هي لإرضاء هذه الأخيرة حتّى يخفّ التّوتّر "ما نحبش الشقلالة والزعاف، نخاف بزاف، نتهرب منها، نخاف نوجع...غِير يطيح اللّيل، نخاف على خاطر وقت les échanges corporelles"، دائما ما تتوقف أثناء تفاعلاتها الزوجية عند مرحلة الإنتشاء، ما يعني سلامة التنبيهات الجسدية و تبليغ الرسائل عصبيا، "ما نحبش نحس"...تصمت ثمّ تبادر "هي سْباب واش رانا فيه، غير تداوس يمّا مع جدتي وَخالاتي، تعزل روحها ما كنتش نحمل نشوفها هكذاك، نروح نهدر معاهم ما نحبش كي نشوفهم زعفانين". ما العلاقة بين الوضعيتيْن؟ ماإن يتوتّر الوضع و تزداد حدّته تتخوّف من فقدان السّيطرة عليه. ويؤكّد هذا في إحدى حصص الاسترخاء، بينما شارفت على

دخول مرحلة الاسترخاء الكلّيّ انتبهت فجأة وَأوقفت الحصّة "نخاف نخاف نطلق روحي!".

تتخوّف الحالة من التّماهي بالأمّ و تأسيس عائلة خاصّة بها، حتّى أنّها تربط إشكاليتها بالخوف من الولادة رغم أنّها تبكي كلّما تسمع إحدى قريباتها حاملا وَسوف تحضر طفلا "نخاف نفريها، نخاف نولد، نخاف الزّيادة (تبكي)".

كانت الحالة منذ صغرها مسؤولة عن الحالة العاطفية لأمّها متناسية ما تعيشه داخليا "ما عجبتنيش هذي حزينة، كحلة (Pl.V)، وَعند سؤالنا "واش لي يخليك حزينة؟" تردّ "ماعلى باليش"، حزن دون موضوع.

اتّخذنا يومًا قرار حضور الزّوج جلسات العلاج؛ وما استغربناه طلبها الخروج حتّى تتركنا مع بعضنا لنحاول فهْم طريقة تفكيره. تصرف رأيناه عند كلّ المتشنّجات يكشف عن توظيفهنّ لنزوة السطوة والتّحكّم في الآخر غير مدركات لمسؤوليتهنّ عن سلبية أزواجهنّ الّتي يفسّرنها بشذوذ لن يقبله أيّ رجل "عادي" آخر: "حبيت نعرف est-ce-qu'il est normal?"، كيفاه راه صابر أُو ما ياكلش[65]".

ب-تطبيق الاختبارات الإسقاطية و تحليل نتائجها

تمّ تطبيق الاختبارات الإسقاطية بدءًا بالرّسم ثم الرّورشاخ في اليوميْن الأوليّين من لقائنا بعد تعريفنا بأدوات البحث العيادية المعتمدة.

1-تحليل نتائج تطبيق اختبار الرّورشاخ

أثارت المقابلات عدّة استفسارات جعلتنا نتطلّع إلى معرفة نتائج الاختبارات الإسقاطية. مزيج من الانكار و الرفض لكلّ تماهي أنثوي بالأمّ ولّد قلق الأم الميّتة و عقد أخرى مثل عقدة الخصاء و الخوف من فقدان موضوع فيتيشيّ هو موضوع أمان لحدّ اللّحظة.

---

[65]- تذكرنا هذه العبارة بما يتداوله العامة من الناس في ثقافتنا و ما يقال عن النساء اللاّتي لم يحافظن على البكارة "كلاوها قبل الزواج".

اعتمدنا في تحليل إجابات الرّورشاخ في النّظام الإدماجي على القاعدة الرّقمية CHESSSS و عدد من الجداول المستخلصة أهمّها الملخّص الشّكلي التّالي:

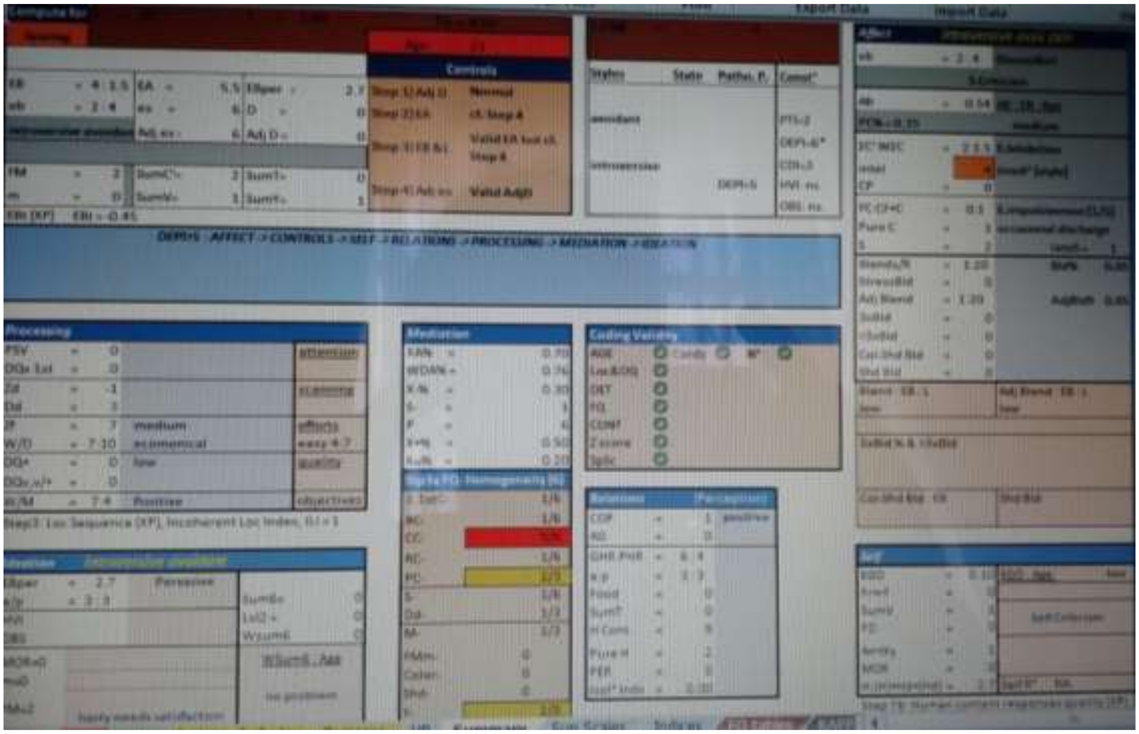

ب- الجدول رقم 8: الملخّص الشّكلي لحالة الدّراسة الاستطلاعية –

التحليل السّياقي حسب قيمة DEPI

تخضع استراتيجية تحليل الحالة للمراحل المبينة أدناه تبعا لقيمة DEPI الّتي تفوق 5:

DEPI>5 : AFFECT -> CONTROLS -> SELF -> RELATIONS -> PROCESSING -> MEDIATION -> IDEATION

نبتدئ بمجموعة العواطف المستثمرة ثم نمرّ إلى دراسة الرّقابة و التّوتر الموضعي، بعدها نتطرق إلى إدراك الذّات، إدراك العلاقات، و نختم تحليلنا بالسياقات المعرفية وَعمليّاتها الثلاثة: معالجة المعلومات، الوساطة و التّفكير.

1-العواطف

مع DEPI > 5 و CDI=3 هناك مشكل عاطفي هامّ يعيق تفاعل الحالة الاجتماعي قد يرتبط بالتّوتّر الّذي تعيشه في وسطها العائلي وَبإشكاليتها الجنسية. تنتج عنهما نوبات اكتئابية ومشاعر سلبية و حتّى نوبات بكاء تعتمدها كاستراتيجية دفاعية. تحتّم وفقا لنمطها الانطوائي التّجنّبي (EB=4 :1,5، L=1، EBper=2.7) فصل العواطف عن اتّخاذ القرارات وَتؤجّل تجسيدها إلى حين الإحاطة الشّاملة بكلّ الحلول الممكنة. وَ يكشف عن ذكاء اجتماعيّ منخفض مقارنة بتمتّعها بذكاء تطبيقي وعملي مرتفع (سامعي–حدادي.د.، 1994).

تعمد الحالة أيْضًا إلى تبسيط الوضعيات المعقّدة أوِالغامضة لخفض توتّرها وتعديل الانفعالات الناتجة عنها بلجوئها إلى سلوكات عكسية كالفكاهة مثلا عندما تتشاجر أمّها مع جدّتها وعمّاتها. أو قد تلجأ إلى الفكرنة كإنكار للواقع أو تشويه المعنى الحقيقي لأثر الوضعية الانفعالية بتوظيف قناعاتها الذّاتية بعيدًا عن التّغذية الرّاجعة من تجارب المحاولة والخطأ.

تتميّز الحالة إذن بحذر شديد يدفعها إلى التّحكّم في تعبيراتها الانفعالية و تتجنّب الإفصاح عن مشاعرها. فهي تفتقد إلى توظيف خصلة أنثوية، العفوية والمقاربة الفطرية للوضعيات المعاشة، فكلّها انتباه و يقظة شديدة تمنع الاسترخاء وتسبّب قلقًا يكشف عن حالات ضغط غير طبيعي ناتج عن الإشكالية الجنسية. قد يحدث أن تعبّر الحالة بحدّة عن انفعالاتها إذا ما تعرّضت قيمها الذّاتية للتّهديد.

2-التحكّم و تحمّل التّوتّر و الضّغط

الحالة من الشّخصيات الانطوائية التّجنّبية تمتلك قدرات على التّحمّل و تقبّل وضعيات التّوتّر. تظهر هشاشة إذا تخلّلت العاطفة معاشها تكشف عن محدودية مصادر معالجتها. تولّد الشّعور بالانزعاج و الميل إلى الاستبطان السلبي المتمركز حول الانشغال الهامّ

بالصفات السلبية من صورتها الذّاتية تنتج عنها الاستهانة بالنّفس و حالة اكتئابية و أفكار تدميرية تتّصل بمشاعر الذّنب أو الخجل من إحساسها بالعجز (DAJ=0، CDI=3، EA=5,5، eb=2:4).

3-إدراك الذّات

مؤشّر التّمركز حول الذّات (EGO) أقلّ من المعدل الطبيعي (0,33-0,45)، إضافة إلى صفرية الإجابات المرآتية (Fr+rF=0) يشير إلى ميل الشّخص إلى تقدير سلبيّ للذّات في مقارنتها بالغير. ما يحتمل التّقلّبات المزاجية و إتيان سلوكات جدّ مختلة.

يشير متغيّر التّظليل Vista=1 و FD=0 إلى انشغال سلبيّ بالخصائص المدركة والمشاعر المؤلمة الّتي تحسّها أثناء الاستبطان المبالغ فيه. وعليه، قد تولّد الوضعية المقلقة شعورًا بالذّنب "يغيضني، يغيضني بزاف، بصح ما قدرتش"، يرتبط بالتّخوّف من فقدان الحبّ، الفشل أو اختبار مشاكل مادية أو نفسية.

تكشف نتيجة الإجابات التشريحية (An+Xy=1) عن اهتمام طبيعي بالجسم. أمّا الإجابات الإنسانية بعلاقة (7:2) بارتفاع الجزئية منها عن الكلّية الشّاملة، تؤشّر على إدراك صورة الذّات من انطباعات خيالية وتصوّرات مستدخلة تأسّست على تشويه التّجربة الواقعية أقلّ من قيامها على تماهيات بموضوعات حقيقيّة.

مع Lambda أكبر من 0,99 و EB تجنّبي، تكشف الحالة عن ميْل واضحٍ إلى تبسيط المثيرات وإغفال التّعقيدات النّاتجة أو حتّى إنكار وجود العوامل الغامضة. هذا الإدراك الإنتقائي يتأكّد عبر النّوعية السّلبية للإجابات الإنسانية المرتبطة بمحدّدات التّظليل أو الألوان القاتمة والنّوعية الشّكلية السّلبية، ما يؤكّد انزعاج الحالة من تصوّرها السّلبيّ لذاتها.

يدلّ اِنعدام الإجابات التّفكّكيّة (MOR=0) على قدرة الحالة على التّغاضى عن الأخطاء المنطقية أو إصدار الأحكام، مع وعيها بذلك. قد يرتبط هذا السّلوك بالكّفّ أو كتمان

انفعالاتها، ما يفسّر الصّعوبات السّوماتية التي تعاني منها مثل آلام الرّأس، مشكلات هضمية معدية. أيضا تميل الحالة إلى تقديم إجابات بمحتويات مجردة، فنية أو تراثية (مزهرية، قناع، قلعة) تشير إلى تفكير قامع للمعاش العاطفي (Kuhn، 1957).

4-إدراك العلاقات الموضوعية

أسلوب المواجهة من نوع تجنبيّ يفسّر إمتناع الحالة عن استثمار العلاقة البحثية الّتي جمعتنا، وإدراكها للقناع في أوّل لوحة عند الإجابة الثّانية. يوحي تصرّفها بصعوبات في التّفاعل ضمن العلاقة الزواجية، علمًا أن الفرد التجنّبي يغفل اهتمام الآخر به لأنّه استدخل مبكرًا انعدام حقّه في المطالبة بالقرب الجسدي، فتعلّم بذلك على تحويل الانتباه لاهتمامات أخرى ثانوية "قايمة بداري ما تخصّ حتّى حاجة". من هنا نمطها الانطوائي مع توظيف ميكانيزم الكفّ (PureC=1) و التّفكير العقلاني التّكيّفي الّذي يقمع تدفقات انفعالية ظرفية (Intell.=4).

تتأكّد انطوائية الحالة أيْضًا في إظهار القدرة على الاستقلالية تؤكدها DAj المنعدمة و CDI=3، وانعدام معامل التّظليل SumT الّذي يعكس إعترافها بحاجات القرب وَالانفتاح على العلاقات العاطفية و/أو التّعبير عن حاجتها للتّواصل الجسدي مع الآخر بطريقة غير معتادة عند معظم النّاس، أساسها الاحتياط ($\sum C' = 2, \sum V = 1, \ \sum Y = 1$). أيضا، تهتمّ الحالة بفضائها الشّخصي و الحذر من روابط عاطفية و التّحفّظ من قربى الآخرين.

مع $\sum H=9$ و H=2، تكشف ميولات الحالة عن الخطأ في حقّ الآخرين وتفسير سلبي لسلوكاتهم العلائقية. هذا النقص في فهم الغير قد يدفعها إلى سوء التّصرّف على المستوى العلائقي يؤدّي إلى الرفض. بصفة عامّة، تصوّر الذات مبني على التّخيّل أو على تصوّرات مستدخلة لا تتماشى و الواقع.

تكشف الحالة عن انخفاض في الحيوية العلائقية لكنّها قد تؤتي سلوكات بين-شخصية مقبولة عمومًا لدرجة الإمتثال (GHR:PHR=4:6، P=6) تقوم على التعاون والمشاركة

لتوقّعها لتفاعلات إيجابية بين الأشخاص (COP=1، AG=0): (Pl.II: "ماعلى باليش...شغل جاوني زوج حيوانات هذو رجليهم، هنا أمْ شادّين حاجة، نيفهُمْ و لاّ..."؛ "Pl. VII زوج وجوه أمْ متقابلين، شغل هذي شعر أوْ واقف، هذو يدّين أمْ متقابلين...يدّيهم هكذايا للّور(في التّحقيق)")، علاقة مرآتية في إدراكها للموضوعات بهوية ذكورية فالوسية تصعّب العلاقة التناسلية الرّاشدة (تؤكّدها برسم شخص يداه وراء الظّهر: مظهر البنت المؤدّبة).

5-معالجة المعلومات

يحتّم نمطها الانطوائي التّجنّبي الميْل إلى الاقتصادية في جهودها و التوجّه نحو الحذر واليقظة أو التّحفّظ في معالجة المعلومات المنبثقة من المثيرات لتخوّفها من الفشل و الإحباطات يمنعها من اختبار الواقع (Zf=7، W:D:Dd=7:10:3، W/M=7/4).

6-الوساطة المعرفية

تعكس الحالة ازدراءها من المتطلّبات والتّوقّعات الاجتماعية (X+%=0,5، Xu%=0,2). فهي تميل إلى إهمال الخصائص المهمّة من المثير بالتّركيز على الصّفات الثانوية منه ما يكشف عن مشكلة في اختبار الواقع، يرتبط بتدخّل متغيّرات عاطفية أو وساطية مختلّة تسبب معالجة خاطئة للمعلومات تشوّه إدراكها للمثير وللواقع لأنّها تسقط عليه قناعاتها الشخصية أو الارتجال فيتعطّل استثمار الذات وتؤتي سلوكات غير نمطية لا تتلاءم والوضعية المعاشة (XA%=0,7، WDA%= 0,76، X-%=0,3، FQ-=6، FQS-=1، FQ+=0)، نتيجة توتّر الأنا وما يولّده دفاعيّا من اضطراب التّفكير واختزال دائرة الصّداقات، تقول الباحثة سامعي–حدادي.د.(1994).

7-التّفكير

تتوجّه الحالة بنمطها التّجنّبي الانطوائي نحو توظيف التّفكير في مظهره المتصلّب وَالمتشدّد خاصّة إذا أدركت أنّ قيمها و مواقفها الذّاتية صارت على المحكّ. فهي تتجنّب

التعمّق و تميل إلى السّطحية في نشاطاتها الاصطلاحية، تهمّش العواطف و توظّف أنظمة المنطق في علاج المشاكل لأنّها تتخوّف من الهشاشة عند امتزاج العواطف بالأفكار (Intell=4، M-=2).

رغم ذلك تمتلك الحالة بعض إمكانيات اللّيونة ما يعني أن التّجنّبية ليست طاغية على كلّ وضعيات الحياة اليومية. كما قد تظهر بعض الاستجابة المتسرّعة لخفض التّوتّر النّاتج عن تداخل أفكار هامشية متّصلة بحاجات تشعر بها، أو تلجأ إلى التّخفّي المبالغ في الهوامات استجابة للوضعيات المزعجة والمؤلمة، استراتيجية ما يُطلق عليه بمتلازمة الثلجة البيضاء تتجسّد أساسًا في تجنّب المسؤوليّات واتّخاذ القرارات يسبّب لها اعتمادية على الغير. للأسف هي شخصيات يسهل على الغير التّلاعب بها (Ma:Mp=1:3، a:p=3:3، eb=2:4).

2-تحليل رسم الحالة لشخصها

هي وضعية اِختبار للشّكل و الألوان، وضعية تمييز بين الأنا/الآخر، الخارج/الدّاخل، الّتي خضعت لها بعد تردّد طويل: اتّخذت وضعية تلميذة مجدّة، مطأطأة الرّأس و منحنية على الورقة برجليْن متصليْن، جلسة طفولية تعلو ملامحها بعض الحيرة و الانشغال، تصحبها مظاهر سلوكية استجابية و دفاعية مثل انطلاق ضحكات بين الحين و الآخر، طرح أسئلة و إدلاء بتعليقات تحاور بها نفسها "نديسيني روحي؟ ما نعرفش نديسيني! كيفاش؟ حتّى les couleurs؟ (تضحك) ماشي بالكريون برك؟ نشد الورقة هكذا (منظر طبيعي) و لاّ هكذا (طولا)؟ كيفاش راكي حابة هذْ لامرأة؟...استفسارات تعبّر عنّ التّوتّر من وضعية الاختبار: التلصّص، سلطة الباحثة على المبحوثة، استعراضية و خضوع، خوف من الانكشاف عند الأخيرة (Wernert et Durant de Bousingen، 1963)، انزعاج وَقلق من رؤية كليْنا تصوّرها لذاتها (Zazzo.R., 1969)، و نوعية تقديرها لذاتها تحت نظرات الآخر (الباحثة) الانتقادية.

ماإن أكملت الرّسم تسأل وَتقترح "ألونُ؟ بهذْ les couleurs؟" (تضحك)، تدخل يكشف عن نكوص وَيرتبط ربّما برغبة في إخفاء حزن المرأة المرسومة، بالأحرى وضع بعض التّبرّج علمًا أنّ الألوان هي أعمدة التّفكير الرّمزي (Chevalier.J., Gheerbrant.A., 1989). ماإن بدأت في التّلوين حتّى اِسترخت ملامح وجهها واستنارت بابتسامة توحي بسعادة النّكوص وَالتّواصل مع براءة طفلها الدّاخلي. ينطلق لسانها في تعبير تلقائيّ و مرح عن حبّها للألوان المختارة، مؤكّدة على أحمر الشّفاه، و بعض خصال الشعر البنية و الحمراء ذات المظهر القصير، تسريحة نسوية راشدة لطفلة مهذّبة تضع حذاء ذو كعب عادي وَتنّورة طويلة تكشف عن انتماء ثقافي تقليدي، محاولة استعراضية (Abraham Ada., 1992)، أوقفتها باستفهام ضاحك "نبان طفلة صغيرة (تضحك) أي تلعب...من زواجي ما عندي غير التّصاور لي يبينوا بلي جزت لمرحلة واحدة أخرى، بصح الحقيقة مازلت عاتق... هذي طفلة حزينة؛ لو كان جيت يماها نعطيها الحنانة!" تضيف، ثم تلوّن الجزء العلوي من الجسم و الحذاء بالوردي والتّنّورة بالأزرق، صدق من قال أنّ كثرة الضحك واستعمال الألوان تخفي حزنا دفينا!

ذكّرنا استفهامها بحاجة المرأة إلى الحنية لأسباب نرجسية، حسب Freud، تسبق مباشرة التبادلات الجسدية مع موضوع الحبّ. أمّا تخيّرها للّون الوردي يكشف عن ميْلها إلى العفّة، تقول "تعرفي، مازالني طاهرة، أُ لو كان ندير هذاك، نولّي ماعلى باليش؟ (تبتسم)، موسخة، نفقد الطّهارة تاعي". يعكس اختيار هذا اللّون يقول Petrie et al.(1962) وَSharpe(1974) قدرة الفرد على التّحمّل وَاحتواء الحزن وَالمعاناة بتخفيض شدة المنبه "ما نقدرش نفقد هذْ الطهارة، مانيش حابة نولد، راني خايفة (تبكي)".

أمّا لون التّنورة الأزرق، لون بارد و ذكوري، يشير في نظر Jewelewicz et Shortle (1986)، Masters et Johnson(1970)، Grafeille(1986) إلى التّوجّه المثلي عند النّساء المتشنّجات مهبليّا، و يعكس حسب أبحاث Napolis.P.-J. نقلاعلى لسان Anderson et Anderson(1965) تماهي المرأة الّتي تختاره بما يخالف الأنوثة و رفض جنسانيتها، مع

نقص في الإخلاص وحبّ المؤامرة. بينما يقول Katz(1935)، Schachtel (1943)، Kandinsky(1947)، Guptill et Sullivan (1963) أنّ اللّونيْن الأزرق والأخضر من الألوان المنفّرة و المُبْعدة، يؤكّد نمط الحالة التّجنّبي اقتناعها بقراراتها وتصرّفها الفراري.

يعرف جميعنا أنّ الشّعر عضو جنسيّ، بخصلات بنية و حمراء في شكل تموّجات قاتمة تؤكّد طبْعها القلق (Handler et Reyher، 1964) وَمزاجها الحزين (Lawler et Lawler، 1965) الظاهر في عيون الشّخصية المرسومة، فهي فرد نرجسيّ أوْ هاوي جنس حسب Machover (1970). يتأكّد قلقها في تموقعها بالمركز العلوي من الورقة (Handler et Reyher، 1964)، وهو أيْضًا محلّ أولئك الّذين يناضلون بجهد (Hammer، 1958).

يعكس شكل الرّأس الدّائريّ طفولية أو نكوصًا إليها (Berman et al.، 1958) نحو تثبيت في المرحلة الفمية. بأجزاء جسمية منفصلة وَخصر بارز في خطّ خشن يطبع انفصال الجزء العلويّ عن السّفليّ من الجسد مقارنة بخطّ التّنّورة الرّفيع (الموحد–الفاصل)، مرجعية هستيرية معطلة تفصل منطقتيْن تناسليتيْن، الصدر والحوض مع توظيف لنزوة السّطوة.

نسيانها للأذنيْن يكشف عن غياب استدخال هوية فردية سمعية، تربط بين الدّاخل/الخارج، الذّاتي/الموضوعيّ، القريب/البعيد في علاقة الأنا بالموضوع. و هو ما يُذكّرنا بما قاله Anzieu (1976) حول المرآة السّمعية أو البصرية الّتي تعكس للفرد ذاته عبر صدى طلبه و استياءه أو تقصّيه للمثالية ما يولّد انفصالاً نزويّا يسمح لنزوات الموت بالسّيطرة اقتصاديّا على نزوات الحياة؛ و تؤكّده تعابير الحيْرة و الحزْن في عينيْها الشّاخصتيْن وَالمرسومتيْن بخطّ رفيع جدّا.

يؤكّد قلقها و نكوصها أيْضًا أبعاد الرّسم الصّغيرة (Abraham، 1963) "طفلة صغيرة أي تلعب"، و تعلّق بالماضي يبرزه الخط الرّفيع جدّا (Royer). إشكالية باطنية ترتبط أيْضا بخصال فالوسية تأكّدت في الكعب العالي و اللّون الأزرق، يُسبّب إنكار الحالة لمكانتها كامرأة بالغة و متزوّجة ترجع لإشكالية جنسية يؤكّدها تشوّه رسم الأنف (Davido.R.،

1998) و تموضعه في نفس مستوى العينين بعيدا جدّا عن الفم المغلق جيّدا، و إزاحتها من أسفل رسم الشّخص إلى الأعلى.

وقفة صنمية بأطراف متخشبة، رأس كبيرة وَوجه عريض يفترض تضخما للأنا (Thomazi.J.، 1962)، لكنّ ملامحه العبوسة و تخطيطه المتوسّط يصنّف الحالة ضمن النّمط العصابي (Goldworth، 1950).

3-حوصلة عامّة

تستنكر العصابية لنزواتها الجنسية بكفّ الإشباع اللّيبيدي "نخاف من الوجع"، وَإزاحة تعبيراتها الشّبقية الجنسية وَالعدوانية نحو الفكرنة أو تجريد الموضوعات من نزواتها.

رمّزت الحالة لكبتها الشّبقيّ بمحتويات غامضة لكن أنثوية وَبدلالة أمومية حاوية من نوْعٍ جامد تفصلها عن المحيط مثل قولها "vase، قدرة"، وإدراك أقنعة أنثربولوجية ذات بُعد وراثي عبر جيلي أساسه كبْت وَقمْع يؤكّد نمط الشّخصية العصابية عند المرأة المتشنجة مهبليا مع هيمنة للأنا الأعلى، تتجسّد في توظيف ميكانيزمات التّفكير، العزل وَالإنكار، بإدراك محتويات فالوسية–عدائية في شكل موضوعات أسطورية مدبّبة (وحش، Dracula عندُ رجلين كبار، شعر طالع، لحية طويلة...) تعكس احتقارها للآخر، أوْ حيوانية جُزئيّة (قرون، نيف)؛ حتّى شكْل التنّورة في الرّسم جاء مثلثًا له علاقة برمزية الذّكوري–الفالوسي–الخاصي. وَتكشف الألوان وَآثار القلم في رسم الشّخص عن كنايات لغوية وصورة مرآتية لعَرَض يحمل سلسلة من الدّلالات عن قوانين الآخر الكبير محرّك تصوّر الأنا والآخر المتخيّل الّذي سيلتقي به مُستقبلا (Pinto.J.، 1978).

تواجه الحالة إشكاليتها بمزاج حزين يصحبه توتّر وقلق مرتبط بالخصاء وَبصورة تخريبية للذّات تنعكس في رسم مُكثّف لذات الحالة، وَسوء تقدير لها، يظهر في عدم دقة رسم الأطراف العلوية وَالسّفلية، وَلامركزيةٍ متّجهة نحو اليسار تدلّ على الانطواء وَالنّسيان (Millet، Micas-Joffre et Desclaux، 1975).

يعتمد هذا النّوع التّفاعلي بين الذات والآخر على مخلّفيْن من الصّراع الأوديبي: التّماهي بأحد النّموذجيْن الوالديّيْن لتأسيس الهوية الجنسية، وَطبيعة الموضوع المستثمر في الرّشد، كلاهما ذو قيمة نرجسية مثلية أوْغيرية شبقية.

فشل الدّينامية الأوديبية باستدخال زنا المحارم، يتجسّد خلال المرحلة التّناسلية في شكل باثولوجيات جنسية ترتبط برغبات محرمية تبقى ملحة على مستوى الخيال وَتمنع إزاحة اللّيبيدو نحو موضوع حبّ آخر بإزالة البصمة الجنسية عن الرّابط بالموضوع المبكر. يذكّرنا هذا بفكرة Lacan(1974) القائلة بأنْ ليس هناك فعل جنسيّ يعيشه العصابيّ لأنّ هناك تدخّل لزنا المحارم، حاجز ضدّ كلّ استمتاع في اِلتقاء الأجساد المجنّسة.

باختصار، يتّصل التّشنّج المهبليّ كاختلال وظيفي جنسي بعَرَض يستبدل قلق الإيلاج بحسد القضيب وكراهية الرّجال. ردّة فعل جسدية عنيفة تمنع استكمال الزّواج وَحدوث البناء، أمّا ما دون ذلك فتجد فيه الحالة استمتاعا يشوبه بعض التّوتّر.

قد يكشف هذا الاختلال أيْضًا عن نموذج عائليّ متصلّب وَتوريث جيليّ لطابُو الجنسانية الأنثوية وَفيتيشية العذرية، وَتارة أخرى تناقل لصورة سلبية عن التّفاعلات الحميمية بين الزّوجيْن، ضمن صراع غالبًا لاشعوريّ مكبوت تغذّيه الكراهية وَالتّمرّد الجسدي برفض استدماج موضوع غريب عن الذّات يولّد قلقا قويّا وَتوتّرا سببه سوء تقدير للأنا تعيشه العديد من النّساء المتشنّجات مهبليّا.

يمكننا تفسير هذه الإشكالية الجنسية بفرضيات أخرى ذات علاقة قويّة بالعصاب:

-التّعلّق الحميمي بالأب و صعوبة تقبّل المرأة لتغيير الموضوع وَالعضو خلال تطورها اللّيبيدي؛

-الصّراع النّفسي المرتبط بانزعاج المرأة من الرّجل عمومًا وَمن موضوع حبّها خاصّة؛

-الانزعاج من الأمّ والتّخوّف من التّماهي بها ما يدفع المرأة إلى إنكار أنوثتها: "أني خايفة نولد و نولي أمّ"؛

-صورة الأمّ الجيّدة والمثالية يجعل من الأمومة خطرًا؛

-يمكن أن يكون هذا العَرَض تماهيًا بشخص لم يوظّف هذا العضو الجنسي مثلما هو الحال في الهستيريا "ما نشفاش على يما فرحانة مع بابا، كانت دايْمن وحدها"؛....

أشار Sandler et Rosenblatt وَغيرهما من التّحليليّين إلى أنّ إدراك الموضوعات المتحابة لا يمكن أنْ يحدث دون تطوّر نفسيّ للأنا وَتصوّرات إيجابية للذّات وَالآخر وَعلاقتها به في اختبار الواقع وَالإشباعات اللّيبيدية والنّزويّة بيْن وَضمنفسية.

لا يوجد أفضل ما نختتم به من ملاحظة Lacan(1966) حول جسد المرأة الهستيرية الّذي يرى فيه جسدا مشكّلا، يُجسّده الدّال أكثر من (واقعيّا) تشريحيّته[66].

[66]- « le corps de l'hystérique est un corps constitué, donné par le signifiant et non par l'anatomie ».

خلاصة الفصل الرّابع

يقوم البحث العلميّ على منهجية تؤطّر خطواته وَتختبر نظريّاته وفق منهج يتماشى وَالإشكالية المدروسة. وعلى درب المنهج الوصفي وَدراسة الحالة باعتماد علم النّفس الإسقاطي سوف نستقصي المعاش النّفسي بنوعيْه الضّمنيّ والبينيّ لتفاعلات الأنا مع الغير.

استثمارنا للمقابلة العيادية غير الموجّهة وَرسم الشّخص واختبار الرّورشاخ في النّظام الإدماجي باعتبارها أدوات تحرّض التّداعيات الحرّة، تشخّص فرديّة الحالة وأصالتها بتحصيل نتائج وصفية وَحركية (Andronikof، 2003)، تعكس إسقاطاتها وَإدراكاتها حول الذّات وَالآخر وَللعلاقة الّتي تربطهما برغباتها وَصراعاتها اللاّشعورية.

يحمل الجسم ترميزات المجتمع لقوانينه وَعاداته (Clanet، 1993) في شكل بصمات تكشفها إدراكات الحالة لصورة الجسد الاجتماعي، الجسد الثّقافي، الجسد المقدّس، الجسد الطّقوسي، الجسد المحرّم، جسد كينونة الأنا وَالذات والآخر، الجسد النّزوي، جسد الحياة، جسد في تطوّر مستمرّ، جسد ليبيدي، جسد هوامي، جسد ساكن، جسد في حركة...كلهّا تصوّرات لاشعورية مستدخلة ثمّ مسقطة في اختبار بقع الحبر وَآثار القلم وَالألوان.

فالجسم إذن وَأيْضًا محلّ معاناة وَألم المتشنّجات مهبليّا أيْ جسد العصابيّات: يمتنع عن استثمار الذّات بإنكارها لكلّ معاش أنثوي وَرفض جنسانيتها تخوّفا من الإخصاء بإخصاء موضوع الحبّ، فتطمس نزواتها اللّيبيدية بميكانيزمات الفكرنة أوْ التّعالي مثلما أوضحته حالة الدّراسة الاستطلاعية وسوف نبحث فيه مع الحالات المتشنّجة الأخرى في الفصل الموالي.

الفصل الخامس: دراسة الحالات وتحليل أوّلي للنّتائج

ظالمة أنت و يا ويلتي   من دولة تطغى و لا تسمح

و أكبر الظلم لمن ذاقه   ظلم به مظلومه يسمح

قاسية أنت و لكنني   أقبل الكف التي تجرح

وأعظم القسوة تلك التي   يلهو بها المجروح بل يفرح

(العقاد)

V- عرض مفصل للحالة الأولى

1- المقابلة العيادية و تحليلها

جاءت العيادة رفقة قريبة لها لأنّها لا تعرف المدينة جيّدا. أطلّت عليْنا بمظهر كثير الزّينة، جميلة و شابّة لديها بعض البرود و كأنّها دمية يصطحبها الواحد للتفاخر بها، لا أكثر و لا أقلّ. قليلة الكلام كثيرة الضّحك وعند كلّ ملاحظة أو تعليق تحسّن خمارها، متأنّقة جدّا، بل استعراضية حقّا، تبحث عن آثار عند الغير وشدّ انتباههم "قع يقولوا لي مسرارة".

هي شابة عشرينية تقطن خارج العاصمة. هي صغرى العائلة وُلدت بعملية قيصريّة بعد ثلاث إخوة. توقفت عن الدّراسة في سنّ مبكّرة بدخولها السّنة الثّانية المتوسّط بعد تدخّل إخوتها و تخوّفهم من أن تصبح مثل من يرونهم من البنات. كفّ دراسي يجد فيه Gibello (2008)، باثولوجية تصحبها مشاعر اكتئابية و انعزالية عن الحياة تزيد من توتّر المراهق و دفاعاته الهوسية الّتي يتنكّر لها بالنسبة للحالة، بتفرّغها لنشاطات البيت و هوس الجسم المثالي.

عياديّا قد يتجسّد هذا النّوع من الكفّ طويل الأمد و قلق الفراغ في اضطرابات جنسية، شهية زائدة للعمل، يغمرها نوع من الإحباط يعيقها عن التّقدّم بسبب السلبية والخمول المفرطيْن.

تزوّجت بصديق للعائلة يكبرها بما يقارب 35 سنة. موضوع أبوي أوديبي تعلّله بحبّها للرّجال في سنّه. لم تتعرّف يوما على رجل غيره، فقد كانت تكتفي بحوارات هاتفية مسلية مع عدد من الشّبّان، حيلة جسّدتها إحدى صديقاتها أثناء زياراتها لها في البيت أحيانًا: "كنا نتمسخروا (تضحك)، هي عندها تليفون، أنا خاوتي ما حبوش".

بَنَت الحالة خريطتها الجنسية من حواراتها مع صديقاتها المتزوّجات بعد تخلّيهنّ عن الدّراسة "بزاف لبنات ما يكملوش عندنا قرايتهم يخافوا عليهم خاوتهم". أعراف و عادات متوارثة عبر–جيليّا تحتّم خضوع الأنثى لها. إخصاء ثقافيّ للأنثى يقضي على كلّ محاولة

إعلاء وَاستثمار نزوي راقي و يرسّخ أفكارًا أوالية قديمة لها من الأثر على الجنسانية وَإنكار لها ما يكشف عن جهل بماهيتها "قالي أنا ما جبتكش باش طيبي أو تخدمي الشّغل"، تماهي بالمرأة البدائية المغذّية. منذ توقّفها عن الدّراسة اهتمّت بتدابير البيت و لم تخرج منه أبدًا إلاّ عند زواجها بسبب منع إخوتها لها.

بعد مرور أسبوع من زواجها أخبرت أمّها وَخالتها بمشكلتها الجنسية، وَتهديدها بالطّلاق إذا لم ترض بالقرب الجسدي. في سؤالنا عن سبب تمنّعها تقول "ما نحملش نشوفُ هكذاك"؛ اِنزعاج وَتقزّز من زوجها بسبب تصرفاته في البيت، تكره أن تراه يتمشى دون خجل بملابسه الدّاخلية، و تودّ أن تراه في ثياب كلاسيكية، وعندما تلمح له بذلك يجيبها "راني في داري ندير كيما نحب". حرية و استدخال لصورة جسدية موحّدة ربّما تفزعها أو تزدري منها، تذكّرها بحواراتها مع صديقاتها عن أزواجهم و يعبّرْن لها عن استمتاعهن، علمًا أنّ أزواجهنّ شباب، فتقول: "ما نحبش نسمع هذْ الشوفات، وعلاش يحبّوا هذْ الشّيء؟ شواربك هكذا (تمثّل الوضعية) واش يصيبُ فيه؟" ثم تضيف:"jamais عرفت واحد من قبل و لا قابلتُ،jamais رحت مع واحد لكاش بلاصة ناكلوا، نمشوا، jamais، خاوتي ما يخلونيش نخرج من الدّار".

هنا نستحضر ما قاله Freud(1926) في مقارنته بين اكتمال العصابي نفسيّا بمقدرته على التّحكّم في الإثارة النّزوية، بينما يعاني من همْ أقلّ نضْجًا من خطر فقدان الجسم تحت وطأة استمرار القلق خاصّة ذاك المرتبط بالخصاء. يجد الأنا نفسه في حالة من الضّيق في مواجهة الطلب النزوي المتزايد باستمرار، ويرتبط حسب ذات العالِم بـأكثر الظّروف أصالة في تحديد هذا القلق.

هو رجل تبحث لديه و معه عن أب أوديبيّ تغيّب عن حياتها و تطوّرها النّفسو-اللّيبيدي، وتركها تحت المسؤولية الكاملة لإخوتها، خاضعة لقوانينهم وَأوامرهم. غياب يولّد بطريقة قاسية صورة بدائية للأب الخيالي في نفسية يتيمة تعيش وضعية صعبة، تعتمد فقط على نفسها، خائرة القوى أنهكتها النّزوة من الداخل والواقع من الخارج (Pascale Roger،

2014)؛ و منه تصبح محاولة الإرتقاء بالإدراك الحسّي إلى إدراك فكريّ ترميزي صعبة التّجسيد (Freud، 1939).

تعاود الرّجوع إلى إشكاليتها الجنسية متغيرة الملامح، فقالت "مرّة حوّست على الحنانة رقدت بين يديه حسّيت بالأمان، بصح خدعني، من تمْ وْلّيتْ نخاف ندير فيه confiance". إشكالية للأنا مع الهو في غياب تماهيات أنثوية بالأمّ، وَوظيفة أبوية ترصينية تفسّر ماهية الآخر و دوره في مرحلة الرّشد.

2-الإختبارات الإسقاطية

أ-اختبار الرورشاخ

أبدت الحالة بعض البرود و اللآمبالاة وَأوحت بعدم رغبتها دخول وضعية الاختبار رغم موافقتها الأولية ثمّ توقيعها في لقاء آخر على استمارة المشاركة. ماإن رأت اللّوحة الأولى حتّى تحسّسنا لديْها بعض الخوف وَالتّوتّر. لكن سرعان ما توافقت مع الوضع نظنّ مظهريّا، لأنّها لم تتوقّف عن تقديم التّعليقات حول إمكانية فهمنا للغة القبائلية فهي تجيد هذه الأخيرة و"العربية شوية مكسرة"؛ ثمّ أنّها تتخوّف من تأخّرها والإطالة في البحث رغم إبلاغنا المسبق لها تقديريّا بالوقت اللاّزم وَحضورها كما تواعدنا في الساعة الأولى من بداية العمل. ثمّ تحدّثت عن تخلّيها عن الدّراسة في سنّ مبكّرة جدّا فهي تفهم ما تسمع لكنّها لا تستطيع استعمال الكلمات العلمية مثل باقي المتعلّمين في الرّدّ...كانت تتأمّل اللّوحات كثيرًا بطريقة فيها نوع من الإزدراء و توظيف ميكانيزم الضحك عند كلّ إجابة، ما جعلنا نتساءل عن درجة التّوتر و كمية الحزن الّتي تتخفّى وراء هذه السّعادة الزّائفة وتأثير ذلك على إدراكاتها وَصلاحية إجاباتها الّتي جاءت قليلة وَمحدودة لا تبدي أيّ تفاعل معها و كأنّها تلقي بها كمن يستردّ طعاما غير مهضوم، ما أثار صراحة رغبتنا في تنقيط إجاباتها و تحليلها في النّظام الجديد للرّورشاخ.

طغت على البروتوكول الإجابات الجزئية ما يكشف عن نوع من الصّلابة و تمسّك بالتفاصيل. أمّا كثرة الاجابات الحيوانية فتعكس مستوى تعليميا و تثقيفيّا محدودا في قالب تصوّري فقير وَنمطية في التّفكير، تؤكّدها ارتفاع عدد الإجابات التّشريحية لتعويض العقدة التّعلّمية الّتي أحسّتها أثناء وضعية الاختبار وَتعاني منها في حميميتها. كما تنعكس في النوعية الشّكلية الّتي جاء نصفها سالبًا (-) أو غير مألوف (u)، إضافة إلى الصّياغة باستثمار السياقات الأوّلية الّتي فسّرتها بعدم تحكّمها في اللّغة العربية.

أمّا و إن انتقلنا إلى الملخّص الشّكلي المستخلص من النّظام الإدماجي (الجدول أدناه) نجد:

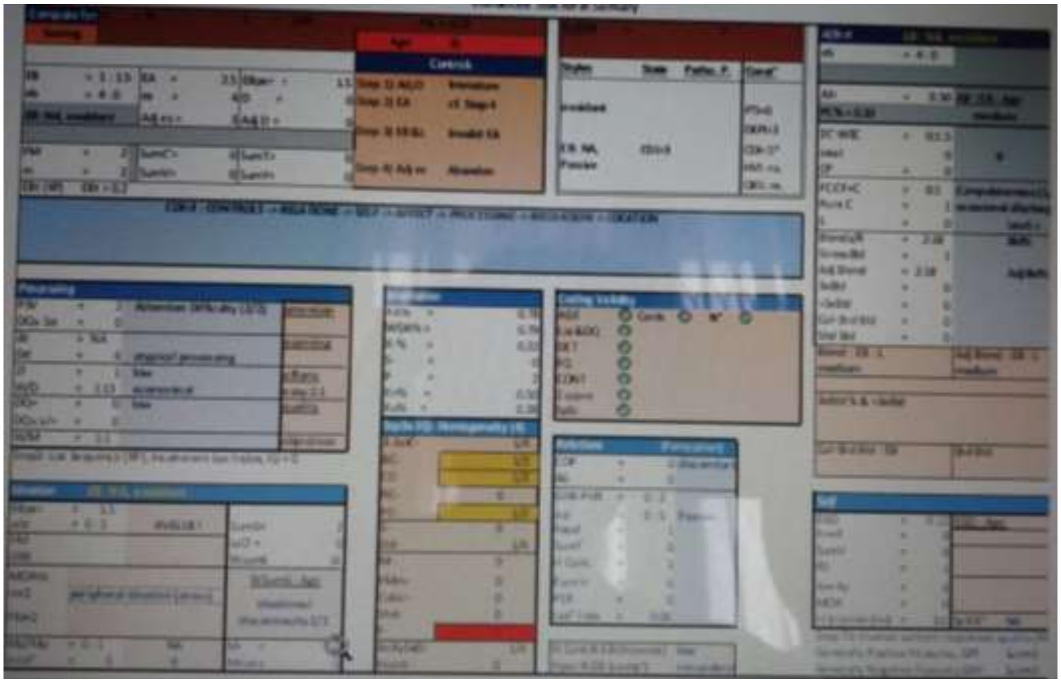

ت- جدول رقم 9: الملخّص الشّكلي للحالة المفصّلة الأولى –

جاء تحليلنا للحالة من خلال إجاباتها المسقطة باتباع الجدول التالي المستخلص من نظام CHESSSS و المؤشّر CDI المحدّد لطريقة التّناول في التّفسير:

CDI>3 : CONTROLS -> RELATIONS -> SELF -> AFFECT -> PROCESSING -> MEDIATION -> IDEATION

– **جدول رقم 10:** جدول حوصلي لاستراتيجية الحالة في التعامل مع الوضعيات العلائقية –

مع CDI>3 تكشف الحالة على أنّها أقل نضجا ممّا هو متوقّع لراشدة في مثل سنّها. كفاءاتها العلائقية محدودة جدّا تسبّب لها عددا من المشكلات وَصعوبات التّفاعل مع المحيط وَالأشخاص خاصّة. علاقاتها بهؤلاء عموما سطحية أكثر منها معمّقة، لا تسمح لها بأن تدوم زمكانيّا "تبقاي هكذا نطلقك"، و تؤكّدها علاقاتها الهاتفية بالجنس الآخر، إضافة إلى تخليها عن أقرانها بانسحابها من الدّراسة في السنة الثانية المتوسط.

إذن هي شخصية لا تندمج بسهولة مع الغير، منعزلة وَضعيفة الاستثمار للذات فلا تكثرت لحاجاتها وَرغبات الآخر.

1-التّحكّم و تحمّل التّوتّر و الضّغط

تعاني الحالة من هشاشة نفسية تعيقها عن تسيير متطلبات الحياة اليومية خاصّة في المجال العلائقي بسبب نقص في مصادر مواجهة التوتر الناتج عن التفاعل مع الغير (EA=2,5).

2-إدراك العلاقات الموضوعية

تجد الحالة صعوبات في علاقاتها بين-الشخصية بسبب تشوّه إدراكها للآخرين و نفورها من التقارب الجسدي العاطفي رغم حاجاتها للتبعية (Fd=1؛ Afr=0,5).

أهمّ ما تعاني منه الحالة هو نقص في كفاءات تأسيس و استمرار علاقات راشدة حميمية، تعطلها بالخمول و عدم المبادرة بتجنّب المثيرات التي تحتم التبادلات العاطفية (COP=0؛ AG=0؛ a :p=0 :5؛ Hpur=1).هي من الشخصيات المتحفظة، توظف ميكانيزمات دفاعية أهمّها الإنكار، القمع و التّحفظات الكلامية التي تكشف عن تردّد في سلوكاتها يدفعها إلى إهمال الاهتمام بحاجات و رغبات الآخرين فهي أقل حساسية بها، تتّخذ موقف المتحكّمة في الوضعية العلائقية باعتماد استراتيجية المناورة و التّلاعب ما يسبب النبذ من الغير، فقد أخبرها الزوج برغبته في الطّلاق إذا لم تكن زوجة فعلية معه.

غالبا ما تشعر الحالة على غرار مثيلاتها من الشخصيات بالغموض و العجز في مواجهة الوضعيات العلائقية، ما يشعرها بنوبات اكتئابية استجابة لفشلها في استثمار الذات.

قد يرتبط هذا الفشل بغموض في إدراك الهوية و العلاقات مع الأقران. فمحيط صداقاتها يقتصر على الأم و الخالة مع ابنتها ما يؤكد تبعيّتها و عدم بناء استقلاليتها كراشدة. أو قد يتصل بحذر شديد جعلها تضع حيزا شخصيا مبالغا فيه (SumT=0؛ SumV=0؛ SumY=0) لا يسهل القرب و الحميمية. أو أنها لا تمتلك مهارة معرفة الآخرين و تفهّمهم. و هو ما يفترض قلّة فعالية سلوكاتها مع الغير و توتر علاقاتها الزواجية بسبب نقص المقاربة الجسدية. ما يؤدي بالغير إلى اعتبارها من الأشخاص المنعزيلين و المنطوين على ذواتهم وممن يبقون على حواف التفاعلات الاجتماعية و الجماعية (Isol.Indx.=0,06).

3-إدراك الذّات

لم تبن الحالة نرجسية سوية (PER=0؛ Fr+rF=0؛ EGO=0,11) تسمح لها باستثمار الذّات في استكشاف المحيط و تأسيس علاقات موضوعية بداخله. يولّد تقديرها السّلبي وَالمتدنّي للذّات صراعا نفسيّا وَاضطرابات مزاجية وَسلوكية ترتبط بأحداث الوضعية الزواجية الحالية الّتي تدركها كتهكّمات من الزوج عليها تختلف عمّا تعوّدت سماعه "أنا شابة، قع يحبوني"، تجعلها ميالة لمقارنة ذاتها بالآخرين بالتركيز على صفاتها السلبية وَانشغالها الكبير بالجسم لدرجة التّوتر والانزعاج (An+Xy=6؛ FD=1؛ M=1) ترتبط باجترارية (PSV=2) تولد هشاشة نفسية في سلوك استبطاني تتخلّله اللاّمبالاة وَالبلادة تخلّ بجنسانية الحالة وَتسبب لها مشكلات تكيفية (P=2؛ Sx=6) تعكسها الإجابات الجنسية وَالجزئية الإنسانية والغذائية بنوعية شكلية (X-%=0,22) غير معتادة تفترض غموضًا في الهوية الجنسية و الصورة الذاتية تمنعها عن مراجعة الذّات في ظل انتقادات الغير مع إتيان سلوكات معادية للمجتمع (رسم لشخصها دون ملابس).

يتأسس إدراك الحالة لذاتها على صورة تشكلت على تماهيات خيالية أو تصورات بعيدة عن الواقع وعن وحدة الجسم(13: D=1: W ؛∑H=1). يكشف (EB=1 :1,5) عن شخصية ميالة لعدم الاستقرار وَعدم الفعالية في معالجة مشاكلها باتخاذ قرارات فاعلة وَاعتماد استراتيجية تجنبية بتبسيط درجة التعقيد أو الغموض الذي تدركه في وضعية معاشها الزواجي لدرجة إنكار حاجات الآخر. ما يدفعها إلى التّعامل معها بتحكم شديد وَتوظيف لأسلوب المراوغة والتلاعب بينما تفقد في حالات أخرى تلك السيطرة ربّما لأنّها لا تستدعي تقاربا جسديا يرعبها.

تعكس النتائج المحصلة عن نقص نضج الحالة و تساويه بما نلحظه عند عموم الأطفال، هشاشة نفسية تتخللها اضطرابات معرفية تصعب عليها مواجهة المشاكل و الانفعالات المتولّدة عنها فتعجز عن معالجة الوضعيات العلائقية.

خلاصة القول أنّ الحالة لم تجد ضمن العلاقة الموضوعية المبكرة تماهيات إيجابية و لا تفاعلات تدعمها نرجسيّا ولا حاوي يدربها على تجاوز وَاحتضان التوترات الناتجة عن مثل هذه العلاقات، فبنت صورة سلبية عن ذاتها ولّدت تقديرا ذاتيّا متدنّيا يدفعها إلى التّركيز على انتقادات الغير وَيشكّك في قناعتها الشّخصية على أنّها "شابة على هذي، وْقْع يحبوني".

4-العواطف

لا تلجأ الحالة إلى توظيف عواطفها (Afr=0,5) رغم حاجتها "لحنانة تاعو" لتتجاوز حرمانها القبلي منها، ما يسبّب تبعيتها للغير. هي من الشخصيات الّتي تجد صعوبة في التحكم في العواطف وَتجهل كيفية استثمارها لذلك تفضل تجنب الوضعيات الّتي تثيرها باعتماد استراتيجيات مراوغة "فالدار دايْمن شعري ملموم، يقولي ماكاش مشطة واحدة أخرى؟".

كانت لها إجابة لونية واحدة "الزاوش هذايا jaune أو قاعد"، يكشف توظيفها له عن ميلها للبساطة وَالسّذاجة، المرح وَالانبساطية يقول Karwoski et Lewinski (1938)، Schachtel(1943) و Wexner(1954)، Murray(1957)، Schaie (1961). في حين يرى فيه Bricks(1944) إشارة إلى العدوانية و الانزعاج و الحسد، عدائية حاولت إدراكها في اللّوحة الثانية بقولها في التّحقيق "حاجة الدم فيها" ألغتها بعبارة تحفّظية "ماعلى باليش". لكن قراءة إجابة اللّوحة الأخيرة يجعلنا نلحظ إقتصادية نفسية في بذل الجهد اللاّزم للتّغيير "الزّاوش قاعد رافد جناحتيه وحدة رفْدها وحدة حطها".

تعاني الحالة من مخاوف التقارب الجسدي في علاقاتها بين_الشخصية لأنّها تدركه مهدّدا فيه خداع "رقدت بين يديه خدعني"، فتخفي عواطفها تجنّبا لذاك التّقرب كأن تخفي جسدها في حضور زوجها تحت ثياب طويلة، لا تتبرج كثيرا، و لا تسرّح شعرها إلاّ مرات قليلة، تقضي معظم وقتها في أعمال البيت.

5-معالجة المعلومات

تقتصد الحالة في بذل الجهد اللازم لمعالجة المعلومات المنبثقة من وضعية اختبار الواقع العلائقي خاصة (Zf=1؛ W:D:Dd:= 1:13:4) فهي سطحية في معالجتها لدرجة اللاّمبالاة حتى أنها لا توظف استراتيجيات الذهاب و الإياب اللاّزمة لتفحّص غموض الوضعية المعاشة، بل تكتفي بتركيزها على خصائص معينة من البقع جاءت في بعض حالاتها سلبية أو غير معتادة. استراتيجية الشخصيات التجنبية تفترض حذرها من المشاركة في كلّ ماهو غامض.

تشير إجابات الحالة التكرارية إلى صعوبات دالة في الانتباه يغلب عليها التسرع وَالتّغاضي عن أهمّ مؤشّرات فهم الوضعية واتّخاذ القرارات لحلّ المشكلات لأجل التعايش معها. فهي متحفظة جدّا تتوخى الحذر إذا ما واجهتها وضعيات بمعلومات جديدة، تدفعها إلى السطحية في معالجتها، وَتكشف عن عدم نضجها لدرجة السذاجة.

6-الوساطة المعرفية

تعتمد الحالة وساطة تتناسب و إدراكها للوضعية المعاشة (XA%=0,78؛ WDA%= 0,79)؛ تحتضنها تشوهات إدراك الواقع ما يسبب اختلالها و عدم فعالية الاستراتيجية التجنبية الّتي تعتمدها في احتقار قوانين المجتمع و إتيان سلوكات لا تتوافق و قوانينه (Xu%=0,28).

مع (FQ+=0) يؤكد قلة حيرتها و تشير إلى نشاط وساطي معرفي يتّسم باللامبالاة كنوع من الدفاع المضطرب.

7-التّفكير

سيطرة النمط التجنبي يجعل التفكير أقل عمقا و النشاطات الاصطلاحية بسيطة فالحالة لم تتمكن من تسمية زوائد الكبش فقالت "tuyouettes تع الكبش".

يفترض هذا النمط أفكارا متصلبة تجد الحالة صعوبة في التخلي عن وجهة نظرها أو تغيير تصرفاتها وَسلوكاتها "يا لوكان نبقى هكذا 20 سنة". تميل أيضًا نحو استبدال الواقع بالهوام في وضعيات التوتر أكثر من المعتاد عند باقي الناس. قد يشكل ذلك استراتيجية دفاعية فعالة لا يمكن اعتبارها معيقة لتفاعلها، وميلها المفرط للنشاط الهوامي يزيد من تبعيتها وَاعتماديتها على الغير. هو ميل مرتبط بمعاناتها و شكاويها الحالية من علاقتها بزوجها.

يتخلل تفكيرها تقطعات وَاصطلاحات خاطئة تسبب تشوه إصدار الأحكام، بسبب غموض في التفكير يؤكّد عدم النّضج (CON=2).

ب-اختبار رسم الشّخص

بدأت اختبار الرّسم بتساؤلات على غرار غيرها من المتشنّجات، "نرسم ما على باليش كيفاش نشوف روحي، نشوف روحي عادي، جاتني bizarre نرسم كاش شريرة، يقولوا لي مسرارة (تتفحّص نظراتنا بحثا عن تأكيد ما يقوله الغير عنها)، لازم أنتِ لي ترسميني

(تؤكّد فرضيتنا)، أنتِ لي راكِ تشوفي كيفاش راني دايرة". اِنزعاج و خضوع لآخر كبير يزيد من توتر المبحوثة و غموض إدراك الهوية و الصورة الجسدية فتبحث على الارتكاز على آراء الغير فيها.

أمام صمتنا بادرت بالرّسم، فخطّت أوّل صورة عنها عارية، بإدراكها لذلك رفعت بصرها نحونا، تستفهم ضاحكة "رسمت روحي عريانة دوك نعاود"، كشف للذات، احتقار لها أم للآخر (هنا الباحثة؟). إسقاط في سياق أوّليّ لحالات الإستياء والآلام النّفسية ليس فقط ضد الحاوي الأمومي بل حتّى ضدّ الحدود، هجوم عليها يسمح لها باستعادة حقّ الملكية على الموضوع (جسدها) (Cupa.D.، 2004) ضمن حركية "dépeaussession" نحو "peaussession" فتسرع في تعديله بتدمير ما تراه تحت ذهاب وَإياب الممحاة لتسقط بعد عدّة محاولات متردّدة صورة مثاليّة: "شحال شابة (تذكر إسمها) في la photo، أني شابة هكذايا (مركّزة على الرّأس)"، ثمّ تمحو الرّسم "شايفة روحي أنا شابّة عليها c'est pour ça" وَتعيده مرّة أخرى بدءًا بالرّأس ثمّ الجانب الأيسر منه، تنتقل إلى الشّعر محاولة تحسينه قدر المستطاع "نقدر نكمل كيما جات normal؟!"؛ بيد خفيفة ثمّ ضاغطة تستعمل الممحاة كثيرا. تبحث عن مثالية تجهد في إيجادها، وَجمال يرى فيه Lacan على غرار "الجيّد" حاجزا ثانيا يضعنا خارج مجال الرّغبة، حيّز نزوات الموت و النرفانا، ليفتح رغبتنا على التّوهّم وَوظيفة الهوام. الجمال حضور للموضوع مع غياب جانبه الآخر، الاستمتاع بالوجود الذاتي؛ هو إطار للتّأمّل دون الانتباه لنوعية ملمسه الشّكليّ.

"شعري ماشي قع هكذا، قلبوزة و خلاص، راجلي يقولي ما كاش مشطة واحدة أخرى! نكره و نعيف، "أعق" كي يلبس les shorts، لمرأة كي تلبسهم يجوها شابين، رجليها مافيهمش الشعر، بيوضة، ماشي كيما هُماعلاش ما يلبسوش سراول طوال، كلاسيك": إهمال عمديّ للمظهر و إحباط لحاجات الآخر. إخصاء قاسي يقمع إثارة النزوات رغبة منها في المثالية و رفض كلّ تماهي بالأمّ: "قد ما نحاولوا ما نقدرش ما نقدرش نخلّيه (تبكي و ترتعش و تمدّ يدها لأمسك بها بحثا عن مساندة و دعم عاطفي)...غير نبداوْا

نبكي، يحبّس، و يقولي خلاص، ينوض زعفان، حتّى نولّي نبوس لُ في يدّيه و نقول لُ اسمح لي"، "l'élément possessif/agressif de la relation" يقول Ferenzci (1985)، وتصفها .Molinié.A(2004) ب"La vierge cruelle": "غير نشوفُ شدني من كتافي نولّي قْع نرتعد، نبدا نسوغ، نبعدُ، أنا ما شكيتش نفريها يا لو كان على 20 سنة، ما يهمنيش، كيفاش نخليه هذاك يدخلُ فيَ impossible (تبكي وَترتعش)".

رسمت مرة أخرى امرأة عارية مع التّركيز على صدر و حوض كبيريْن مقارنة بالجسم، نرجسية جسدية محبّبة لدى المراهقات، انشغالات شبقية جنسية و أخرى فمية اعتمادية تحاول السيطرة عليها بقمع جنسانيتها مع إمكانية انهزامها أمامها.

"واش نديرلها حوايج خليتها عريانة، واش رايحة نديرلها"؟ تصرّف باثولوجي و سلوك غير اجتماعي يؤكّد التّمرّد أو السّذاجة بدرجة البلادة أو تحقير و سوء تقدير للذات مع شعور بالدّونية. تمحو كلّ الرّسم مرّة أخرى و تعيد بشعر قصير بعدما كان طويلاً، تلبس شخصها فستانا طويلا أحمر "robe rouge، نحب tjrs...rouge منقية، نحب la taille bien dessinée، أنا شابة عليها، عجبتني هنا بزاف (تشير إلى الخصر)، مانيش حابة نجيب دراري مازالني صغيرة، هو كبير واش راحلي فيه، يقولي نحب الدّراري، ما رحليش فيه". ثياب يكشف عن معاناة كامنة في عجزها عن الشّعور بالوجود و الكينونة.

تعيش الحالة صراعا داخليّا يستنفذ كلّ طاقتها النفسية. فهي تجهد في البحث عن إشباع للنرجسية في العلاقات بين–الشخصية؛ تمنعها ميول نكوصية انطوائية تركّز على الماضي والبحث على العاطفة الطاهرة. فقد رسمت امرأة أنثوية لكن برغبات مراهقة منحتها وضعية ساكنة استعراضية إغوائية في مظهر أنثوي شبقي جدّا يبرز حسب النظرية الفرويدية تعويضية حسد القضيب و يوحي بشخصية هستيرية ركزت على الجزء العلوي من الجسم بتمويه الإكسسوارات و طول الرقبة وَنحافة الخصر.

تظهر ملامح وجهها باردة خالية من كلّ تعبير، تفترض علاقة مبكرة محبطة جعلتها تميل إلى السّيطرة والتّحكم في الآخر، و سهلت تماهيها الفالوسي الكامن الّذي تؤكده كثرة

الخطوط الحادّة التي توحي كذلك ببعض العدائية و المقاومة بحثا عن التّميّز. تتخلّل هذه الخطوط أخرى منحنية تتسرع في قمعها بالخطوط الأولى.

3-حوصلة عامّة

يقول Clay(1978) أنّ ما يُسقط على بياض الورقة هو مركّب للصّورة أمّا ما يُستقرأ منها فهو مؤشرات و آثار تتلاحم عليْها. فالرّسم مرجعية نقدية لما خُطّ على الورقة و على من خطّه. تدعم Escoubas(2007) هذه الفكرة بقولها أن الأعمى هو ذاك الّذي يتقدّم و نتقدّم معه في انتقاد فلسفة الوجود و الكينونة. مساءلة الآثر يتطلب منّا استقصاء الخلفية (Vaudène، 1997) و كيفية استثمار الرّاسم لها. فالآثر هو كلّ ما يوتّر الخلفية، يتميّز وَينبثق عنها، يعدّلها، يغيّرها أو يخفيها كلّية، فتصبح والأثر موضوعيْن للتّفكير و ليس فقط موضوعيْن للإدراك. فالثنائية أثر/خلفية، تدفعنا للتّفكير في موضوعات مركبة من أفقر العلامات الممكنة، بقعة، إنحناءة، الانسحاب، محو، اللاّشيء، البياض.

يرى Cournut (1996) أنّ استثمار الفرد العالي للّذّة، الحبّ العاطفي، للجسم والنّزوات الجزئية يكون عمومًا على حساب الجنسانية. فالتّعزيز الشّبقي للنزوات الفمية، الشّرجية، و خاصّة الفالوسية يؤدّي إلى كبت الجنسانية التناسلية و حتّى التصوّرات الّتي تثيرها وَالهوامات الّتي تنسجها. والمرأة في صورتها الاستعراضية المثيرة تخمد حتمًا كلّ رغبة في الفالوس و تكشف للرّجال عن وجود تخوّف من الخصاء الأنثوي.

في نفس السّياق تشير Bourdin(2004) إلى اِرتباط استعراضية الجسد بجنسانية قبل-تناسلية، وحتّى قبل سنّ التّحريم الأوديبي والوعي الواضح بالاختلاف الجنسي. استعراض بريئ للأجساد دون اضطراب ولا عقدة يتصل بمراحل مبكرة جدّا من الجنسانية الطفلية، حيث كان الطفل منحرفا متعدّد الأشكال، يستثمر أثناء اللّعب الحرّ نزواته الجزئية غير النّاضجة كلية و الّتي لم تتجسّد بعدُ لا على مستوى جسده الخاصّ أو جسد الآخر، حتّى نرجسيّته لم تنبنِ بعدُ في صورة ذاتية موحّدة، و لا عن الآخر كشخص

متميّز عنه. فكلّ ماهو جنساني يكون حتمًا منسيّا، تتنكّر له و اِنحرافي أكثر منه معاش وَمجسّد واقعيّا.

فعجز الحالة عن توظيف الآخر جنسيا و تناسليا إنّما يكشف عن عجز في استثمار جسدها كوحدة و لذاتها ككينونة متفردة منفصلة عن الآخر الكبير. "مازلت صغيرة" إنّما تؤكّد عدم نضجها و عدم تهيّئها لتجاوز المراحل لأن تصبح راشدة فهي مراهقة تعتز بالجسد الّذي تمتلكه و بمفعوله على الغير: علاقة بالموضوع مع الإمتناع عن استعماله.

فأن تكون بمواجهة راشد بسنّ أبيها إنما هو إزدراء له ولواقع يفوق قدراتها الاستيعابية. تتعلّق بصورة جسدية شابة تؤكد تخوفها من الخصاء وَيولد مشاعر الذنب تجعلتها تسرع إلى محو تلك الشّفافية ليحتويها رداء يجمع ساقيها و يؤكد نفورها من كل معاشرة جنسية لا تتوافق وَرغباتها، نرجسية أوّلا ثمّ جسدية أخيرا.

كفّ و قلق للخصاء مع غياب للتماهيات الضرورية في اكتمال بنية الجهاز النّفسي، تولّد اختلالات وظيفية جنسية ناتجة عن جهل بماهية الأنا، الذّات و الآخر. غموض في الهوية و الصورة الذاتية الخاصة بها و بالآخر.

VI- عرض مفصّل للحالة الثّانية

« Le jour où je suis né, ma vie changea du tout au tout ».

1-المقابلة العيادية و تحليلها

هي حالة قصدت مكتب تربّصنا بعد اِطّلاعها على إعلان قمنا بتعليقه بإحدى قاعات الانتظار بعيادة خاصّة. بادرت في لقائنا الأوّل بمساءلتنا حول سبب اختيارنا لمثل هذه الإشكالية و جرأة البحث فيها الّتي تمنّت إمتلاك غيري لها لطرح و مناقشة مثل هذه المشاكل الحياتية لأنّ هناك العديد من العائلات البائسة. ثمّ انتقلت لمحادثتنا حول حبّها للدّراسة و تحصّلها على شهادتيْن جامعيّتيْن و ترغب في التّماهي بنا لتحصيل شهادة أخرى في علم النّفس حتّى و إن تطلّب ذلك منها إعادة إجتياز البكالوريا، فهي تطالع كثيرا كتب هذا التّخصّص خاصة للمؤلّف Daco.

بعدها عرّجت على إشكاليتها في إيجاد صعوبات في إتمام علاقاتها الحميمية لما تشعر به من آلام حتّى قبل أن يلمسها فكيف لها أن تسمح له بالإيلاج!. فهي تمنع زوجها من ذلك لأن جسدها قد عانى آلاما كثيرة و كأنّه "رايح يوجعني و أنا corps تاعي قع معطوب"، تجربة جسدية حسية مبكرة خلّفت لالذّة تعيق إدراك ماهية اللّذّة (Burloux، 2004)، وتجعل من الألم حسبه، صادّا و حاميًا للنّفس من إثارات ذِكْروية منسية في حينها لكنّها مكبوتة سوماتيّا. ما يسبّب حسب فرضيّتنا إصابتها بمرض كرون[67]، مرض سوماتيّ يربطه كلّ من Jenkins, Hurst et Rose (1979) بأحداث علائقية قديمة جدّا، و يرى فيه Larsen(1992) نواتج اضطرابات مزاجية و حدّة مشاعر الاكتئاب.

تنتقل الحالة إلى الحديث عن فرحتها بالزّواج الّذي كان منذ 8 أشهر بعدما بلغت الثّلاثينيّات من عمرها "تزوجت كبيرة بصحْ المهمّ عندي أنّي تزوّجت" و فترة خطوبة

---

[67]- maladie de Crohn= هو مرض اِلتهابي مزمن يصيب المعي الغليظ من الجهاز الهضمي. من أهمّ أعراضها نوبات و آلام بالبطن، وَإسهالات متكرّرة قد تدوم أسابيع أو أشهر. يصحبها تعب، فقدان في الوزن و حتى في الشّهية و الرّغبة في الأكل. قد تظهر أعراض ثانوية مثل آلام في المفاصل، أمراض جلدية و نقص في البصر.

دامت عاميْن؛ فرحة تقترن خاصّة بقدرتها على تحقيق تحدّي فعليّ بدحض فكرة الآخرين عنها القائلة بعجزها عن التّعايش الزّواجي و بناء علاقة قُربى مع رجل. محيط استشعر عواقب طباع الحذر الشّديد والعزلة لديْها و سنّ قوانين العمل و عمل الغير بتشدّدها المفرط.

بعد شهريْن من زواجها أدركت وجود صعوبات في توافقها الزّواجي. تأكّدت من صعوبة تقبّل العلاقات الحميمية عندما قصدت طبيب النساء لأجل فحص طبّيّ لم تتمكّن من إجتيازه رغم إعترافها له بالعلاقة الجيدة مع زوجها. وجّهها الطّبيب بعدما افترض إصابتها بالتّشنّج المهبلي نحو القابلة للتّحاور معها عن أسباب إمتناعها و أصل مخاوفها بأن سألتها "هكذا ديري مع راجلك؟"، فأفصحت لها عن وجود صعوبات في جنسانيتها "je ne supporte pas l’atteinte, c’est normal نحسها comme une atteinte au corps, moi j’ai souffert على هذيك ما نحملش واحد يدنى ليَ...يا لو كان يمسني هكذايا (تشير اِتّجاهنا بإصبع)". ثمّ تواصل:"دوك مانيش متفاهمة مع زوجي، حبيت نروحُ vacances بعيد غير أنا و هو، هما خداوْا les congés و أنا قاعدة في الدّار لاقيهم باولادهُمْ، congé تاعي حبيت نجوْزُ بعيد عليهم وحدي، نحب وحدي والفت وحدي ما عنديش بزاف les amis عندي des problèmes في الخدمة مع responsable عمبالهُم أنا مريضة ما نتزوّجش".

تعترف الحالة بآلام جسدية تمنعها عن المقاربة الجسدية لأنّها تفسّرها بآلام و لالذّة أخرى على تقدر على تحمّلها فقد بدأت تجهد بعدما اِستنفذت طاقة نفسية عظيمة أثناء كفاحاتها منذ بلوغها ثلاث سنوات لأجل أن تبني استقلاليتها و عدم حاجتها للغير.

تربّت الحالة و هي صغرى الإخوة و الأخوات بين تسعة منهم دون الأمّ الّتي فرّت من البيْت عند بلوغها 3 سنوات. هربت هذه الأخيرة طلبًا للنّجاة من عنف الزّوج و معاملته القاسية لها و لأبنائه. أمّا ما يتداوله أفراد عائلتها أنّ أمّها مصابة بانفصام في الشّخصية.

انفصال في عزّ المرحلة الأوديبية الّتي أعاد الأب تأسيسها بزواجه من إمرأة أخرى. فُطام جسدي وحسي عنيف و فجائي استدمجت من خلاله أنّ الآخر موضوع غامض، موضوع خارجي سيّئ و استدخلت قلقًا انفصاليّا يحتّم على الأنا بذل جهود التّشبّث بالحياة باستثمار نزوات الحياة فابتكرت و تبحث في ابتكار موضوعات مثالية تخفّف من التّوتّر لدى الغير "مواقع التّواصل و الرّدّ على تساؤلاتهم" تقول نستغلها و إياها في مساعدة الآخرين، في الحقيقة تخفيفا لتوتّرها و قلقها الشّخصيّ. كما يفترض تولّد مشاعر الذّنب وَتطوير هوامات تدمير نحو الذّات. قلق انفصال تحوّل إلى مشاعر اكتئابية. أشارت إليها Klein في تكرار الشّعور بها عبر عدّة تجارب عاشتها بعدها إلى تحوّلها إلى عوامل قرارية تساعده في تجاوز مشاعر الاستياء و لوم الذّات من فقدان فعلي للموضوع، قلّص من تجارب استكشافها للمحيط و حذرها الشّديد من الآخر الغريب لدرجة الانعزال بسبب زيادة التّوتّر و حالة الضغط الّتي تدفعه إلى البحث عن هذا الموضوع الغائب بزيادة النشاط الهوامي بحثا عن إشباع للتّوقّعات المستحيلة (Lemay.M.، 1994).

اختفت الأمّ من حياة و تطوّر الحالة النّفسو–عاطفي ببلوغها مرحلة اشتهاء القضيب وَالإقبال على الأب كموضوع يؤكّد الاختلاف الجنسي و يمهّد لموضوع الحب المستقبلي، ما يفسّر صعوباتها العلائقية و الجنسية الحميمية. فهي على ورقة الرّسم متلفّتة نحو اليسار معرضة عن اليمين مجال الآخر لتعلّقها بالماضي و معاناتها أثناءه.

عاشت الحالة و هي في تحدّي دائم للمحيط و لذاتها فحقّقت عدّة تحدّيات أولاها تحصلها على شهادة البكالوريا ودخولها الجامعة مرّتيْن لتتخرّج بشهادتيْ ليسانس، بينما إخوتها وأخواتها لم ينجحوا دراساتهم. هي الوحيدة أيْضًا الّتي تحدّت الأب و منعته من ضربها ماإن دخلت الجامعة، شيء لم تجرأ عليه أخواتها. كما تمكّنت تقول، من حيازة غرفتها الخاصّة في البيت. ميول ذاتية إلى الإمتلاك و بناء حيّز شخصيّ يؤكّد تخوّفها من إساءات الموضوعات الخارجية، فقد تعرّضت كذلك إلى استغلال أخواتها لها بعد نهاية دراسات الليسانس الأولى في تربية أبنائهنّ و القيام على أعمال البيت. الأمر الّذي دفعها إلى

الالتحاق مرّة أخرى بالجامعة لتحصيل شهادة ثانية "كانت صعيبة عليّ قلت ماعليش"، استراتيجية اِعتمدتها للتّقليل من خدمة أخواتها و قطع اتّصالاتها بهنّ رغم وجودهنّ في بيت واحد.

تقول، لمّا هربت الأمّ من البيت أصيبت إحدى أخواتها بانهيار عصبي، اِكتئاب انفصاليّ يؤكّد تعلّقها الشّديد بموضوع الحبّ الأوّل. تصف نفسها بابنة "parents divorcés"؛ أحداث مؤلمة زادت من رجعيّتها و عزمها على النجاح و إثبات الذّات بتحدّي كلّ من وَما يواجهها حتّى تفرض نفسها و تصنع مكانا لها "دوك عندي بلاصتي في la famille تع راجلي، سمعت البارح عجوزتي تقول ما تدناوش لبيت....(تذكر اسمها) ما نخبيش عليك فرحت، j'ai réussi à avoir et à marquer ma place دوكه". تحديد شديد للحيّز الشّخصي تملأه شحنة انفعالية تدفعها لاستثمار الآخرين و الدّخول في علاقة معهم بالشّجار المستمرّ لبناء حدود فضاء خاصّ يحفظها من توتّرات تعجز عن تحمّلها. محاولة تجسيد للاستقلالية تعكس اِعتمادية كامنة على الغير. و تكشف عن وجوب ترميز شخصيّ للألم الّذي عاشته ضمن علاقة ثنائية بموضوع الحبّ الأوّل (Marin.C.، 2010).

2-الاختبارات الإسقاطية

أ-اختبار الرّورشاخ

يكشف البروتوكول عن تنظيم نفسي دفاعي أساسه ميكانيزمات التّفكير القائمة خاصّة على التّجريد AB. سياقات يفترض توظيفها خلال مرحلة المراهقة. تقوم على فصل الموضوع اللّيبيدي عن التّصوّرات النزوية التي تتحوّل معالجتها على مستوى الفكر تولّد نفي الجسم الواقعي و ليس في صورته الجسدية اللاّشعورية. هو أيْضًا نفي الذّاتية الانفعالية و إنكار الواقع بهدف الضّبط و التّحكّم في الموضوع النّزوي.

يصف Bohm(1951) الإجابات التّجريدية و التّجسيدية كظاهرتيْن تقعان على طرفيْ محور التّرميز فتمنعانه. أمّا Chabert(1987) ترى في التّجريد سياقا فصاميا تعرفه

كفكرنة مبالغ فيها تدفع إلى تفكيك الصور مولّدًا ضدّ كلّ بروز للصّورة الجسدية المشتّتة حوصلة فكرية زائفة تسمح بتجنب الحركيات النزوية و قوتها التّدميرية.

طغت على البروتوكول الإجابات التّشريحية المرتبطة بالإشكالية الجنسية المعاشة وَالمتّصلة أيضا بانشغالات بالصحّة الجسمية. أما لجوؤها إلى مدركات الثّياب و الملابس فهو نوع من التّخفّي الّذي أبرزته في اعتماد استراتيجية التّفكير بهدف التّجريد، و رفض للكائن البشري أيّا كان مظهره و تصغير له بإمكانية التّحكم و السّيطرة.

بادرت بالاختبار متردّدة بعد أن أمسكت باللوحة الأولى لم تجب عن إدراكاتها إلا بعد عدة حوارات أخرى خارجة عن موضوع الاختبار، آخذة باللوحة متدلية بين الإبهام و السبابة اليمنى، فتطلب لماذا لم أخبرها باسم الاختبار حتى تتهيّأ له.

لم تباشر الوضعية إلا بعدما طلبت منها العودة للوحة و إسقاط إدراكاتها. كانت لها مثل هذه الترفات بين الحين و الآخر تخرج من وضعية الاختبار بالحديث عن أمور أخرى، هنا نطلب منها في كل مرة تأجيل مثل هذا الحوار إلى ما بعد الاختبار، فتنفذ ذلك ثم تعاود الرجوع لسلوكها. مقاومة و متحدية.

بعد الانتهاء من الاختبار تأخذ اللوحة الأولى و الثانية ثم تقول: "الجسد تاعُ يبان، نبدا n'imagini هذ الأشكال n'imagini غول وحش elle est un monstre c'est comme cela qu'elle est ma mère effrayante". ثم تأخذ اللوحة الثانية "امرأة مغطية قع".

أنتجت القاعدة الرقمية لنظام CHESSSS بعد استدخال تنقيط إجابات الحالة فيه الجدول المختصر التالي:

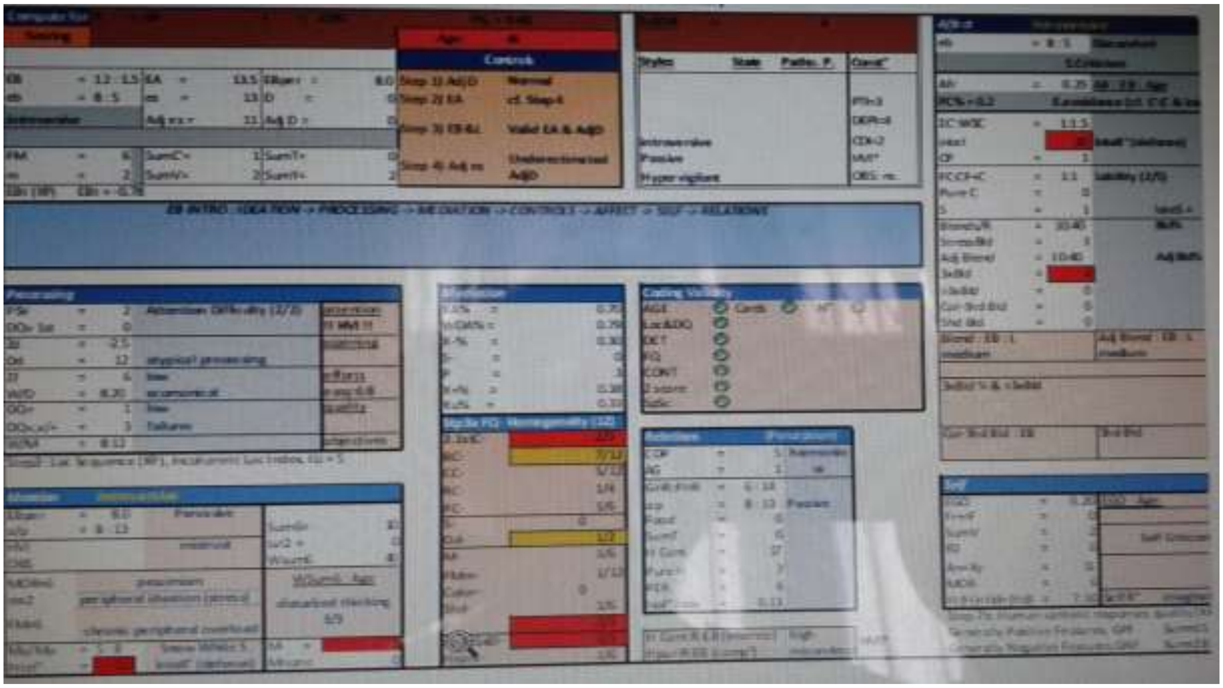

– **جدول رقم 11:** الملخّص الشّكلي للحالة المفصّلة الثانية –

سوف يتم تحليلنا للحالة وفقا للجدول التالي المستخرج من القاعدة الرقمية:

D<DAJ : CONTROLS -> STRESS THEN,   ***EB INTRO : IDEATION -> PROCESSING -> MEDIATION -> CONTROLS -> AFFECT -> SELF -> RELATIONS***

– **جدول رقم 12:** جدول تحصيلي لاستراتيجية الحالة في التعامل مع الوضعيات العلائقية –

تعيش الحالة وضعية توترية قد ترتبط بمشاكل نفسية أساسها أحداث مؤلمة ماضية تجعل قدرات التحمل أقلّ فعالية مع وجود ميْل للاندفاعية في حالة زيادة التّوتر و فشل ميكانيزمات التّحكّم و السيطرة الفكرية بسبب اِرتفاع التّعقيد النّفسي و الغموض الانفعالي الناتج (Bld%=0,25؛ D=0؛ DAJ=1).

تصنف الحالة ضمن فئات الشخصية الانطوائية (EB= 12:2). و من أهمّ خصالها الحذر و التّخوّف من اتّخاذ القرارات في ظلّ العواطف (Lambda=0,82). و عليه يكون تفسير إجاباتها حسب الخطوات التّالية:

1-التّفكير

عاشت الحالة عدّة أحداث مؤلمة أحست أثناءها بعجزها عن توقّع إجابات و استجابات الغير نحو سلوكاتها، و خاصّة العاطفية منها. ما يولّد شعورا باللاّأمن و هشاشة نفسية زادت من حذرها الشّديد في اتّخاذ القرارات. استراتيجية مواجهة تستنفذ منها طاقة نفسية أكبر، تدفعها إلى التّدقيق في كلّ الاحتمالات و التّوقّعات قبل اتّخاذ القرارات.

الحالة شخصية فكرية توظّف التفكير المفاهيمي، تعتمد على تقييماتها الدّاخلية المسبقة أكثر من اعتمادها على التّغذية الرّاجعة فهي تتجنّب كلّ تجارب المحاولة و الخطأ (Sum6=10؛ WSum6=40؛ R=40)، ما يفترض اختلالا في هذا التّفكير و أن اختبارها للواقع هامشي جدّا و سطحي، زيادة على أنّها تحاول قدر المستطاع أيْضا استبعاد العواطف لتأثيرها السّلبي على القرارات المتّخذة.

تعيش الحالة وفق منطق معيّن يقوم على نماذج تفكير مجرّدة جدّا و غير ناضجة، تتّصل بغياب توظيف الحدس ما يكشف عن صلابة فكرية يصعب تغييرها. هي ميالة لأن تنتظر و تراجع عدّة استراتيجيّات قبل اللّجوء إلى الفعل و التّنفيذ. حتّى أنّها طلبت منّا ماإن أمسكت بأوّل لوحة إعلامها باسم الاختبار لتبحث عن ماهيته قبل أن تخضع له فجأة اليوم (EBper=6.0؛ a :p=8:13؛ HVI إيجابي؛ Intell.Indx=21).

تشير النتائج أيْضًا إلى وجود توجّه تصميميّ يصبح فيه التّخفّي وراء الهوامات تكتيك معتاد في الاستجابة لوضعيات الألم و أنكار الواقع، و هو ما يتنافى و عدد الحاجات الخاصّة الّتي تشعر بها الحالة و تتخلّل تفكيرها كانشغالات دخيلة موتّرة تجعلها تتميّز بتجنّب المسؤوليّات و اتخاذ القرارات المستعجلة، فهي تحتاج إلى وقت و تريّث بسبب عدم ثقتها في استجابات الغير و ردودهم العاطفية تجاهها، و هو ما يُطلق عليْه بمتلازمة

الثّلجة البيضاء. فهي شكاكة و ينتابها الظّنّ و الغموض حول كلّ من تخالطهم و حتّى من أقرب النّاس إليْها، فقد تخلّت عنهم الأم و عمرها ثلاث سنوات.

تولّد هذه الاستراتيجية تبعية و اعتمادية على الغير. ما يجعلها تحت رحمة تلاعباتهم. وَهو ما يجعل الحالة ميالة لقبول مصطلحات مشوّهة و نشاطها الفكري المفاهيمي للاشياء غير واضح قد يكون مختلا بسبب عدم وضوحه و وجود تخمينات غير منطقية لدرجة أن قد يكون بارانويّا خاصّة إذا ما تخللته العواطف.

2-معالجة المعلومات

انطوائية الحالة و حذرها الشّديد (Lambda=0,82 ؛Zf=6) يجعلانها تبذل جهدًا كبيرًا في إنتاج أجوبة شاملة أو ذات نظام تطوّر موجب (+DQ). فارتفاع عدد الإجابات الجزئية وَالجزئية الصّغيرة (8:20:12=W:D:Dd) ما يذكرنا بقولها "أنا نحب les détails"، كما تعالج الحالة البقع بطريقة غير معتادة تكشف عن عدّة آليات ذهاب و إياب زائدة عن اللّزوم، مع تركيزها على تفاصيل دقيقة غير معتادة (8=Ddo99)، ما قد يدلّ على محاولة التّقليل من المشاركة في وضعية أدركتها غامضة. فشخصيتها الحذرة و المحافظة تعتمد أسلوبا مرحًا و تصفّحا بفعالية أثناء تحديد أهداف النّجاح (8:12=W:M ؛-2,5=Zd ؛ 2=PSV) قد يفوّت عليها دمج التّركيز و الانتباه عند انتقالها من وضعية إلى أخرى.

تشير النتائج أيْضًا إلى صعوبة في تخزين المعلومات و نكوص في النّشاط الفكري أثناء معالجتها إلى مستوى أقلّ نضجًا قد يكشف عن خلل معرفي هامّ.

3-الوساطة

تمتلك الحالة وساطة مناسبة (0,70=XA% ؛0,79=WDA%) تميل إلى اختلالها (-X 0,30=% ؛0,33=Xu% ؛3=P) بسبب خضوعها لاستجابة ذاتية أكثر من إستنادها للمطلوب اجتماعيا، ما يؤكدّ قولها بتحدّيها للجميع لأجل بناء مكانها في العائلة و المجتمع. قد تختل هذه الوساطة أيْضًا إذا ما تخلّلتها العواطف و الانفعالات فتحدث تماهيات خاطئة.

يتأكّد حذر الحالة و تحفّظها في نسبة الإجابات السّلبية الّتي ظهرت بعدد كبير و بتحديدات غامضة في اللّوحة الأولى ما جعلها تتلوّم علينا لعدم إعلامها باسم الاختبار و نوعيّته حتّى تبحث و تتهيّأ له فتكون إجاباتها أصحّ.

4-التّحكّم و تحمّل التّوتّر و الضّغط

تمتلك الحالة قدرات رقابة و تحمّل للضغط الناتج عن الوضعيات العلائقية مساوية لمعظم النّاس. لكن التّعقيدات النّفسية التي تعاني منها الحالة بسبب ما عاشته من أحداث يعكس طرق تفكير عشوائية و أقلّ ترابطية لأنها تنبثق عن زيادة في الحاجات المحبطة تغمرها فجأة فتعيق التّركيز و الانتباه و تزيد من سلوك الاستبطان السّلبي بتفحّص الصفات السّلبية من صورة الذّات فتتولّد مشاعر الانزعاج و الدّونية و حتّى اكتئابية متصلة بأفكار تعذيب الذّات لأجل الإحساس بمشاعر الذّنب أو الخجل (SumV=2؛ EA=14؛ FM=6؛ eb=8:5).

5-العواطف

تعيش الحالة اضطرابات عاطفية تتخلّلها فترات اكتئابية ومزاجية تولدها الضغوط وَالتوترات. تستبعد الحالة العواطف في اتخاذ قراراتها مفضلة تحكيم العقل حتى لا تتشوّش في اتخاذ قراراتها. فاستغناؤها عن العواطف و الحدس و توظيفها للنباهة وَالحذر يساعدانها على تشديد الرقابة و السيطرة حتّى لا تتألّم (EBper=6.0؛ DEPI=4؛ CDI=2).

ترفض الحالة توظيف العواطف حتى في التقرب من الغير، فهي تستنكر لوجودها كأساسية في التّبادلات العلائقية، فمشاعر العجز و الانتقاد المتكرّر للذّات يولد وضعيات مشحونة عاطفيا تنزعج منها تدفعها إلى توظيف ميكانيزمات قوية استثمار الفكر تسيّرها بها ما قد يعرّضها للعزلة أو أن تُصنّف ضمن جماعة التّجنّبيّين (SumY=2؛ Afr=0,25)، أو ضمن الفئات الّتي تعتمد سياقات هستريونية تتجاهل أو تغتصب بها الواقع بتشويهه أو

التّعامل معه سطحيّا أو تواجه الغير بطريقة حادة أو صريحة جدّا في التّعبير عن مشاعرها (FC:CF+C=2:1؛ Cpur=0؛ CP=1).

6-إدراك الذّات

تحتضن الحالة مشاعر عامة للشكّ و عدم اليقين بالغير يولّد سلوك تحدّي تجاه المحيط تبحث من خلاله على الحفاظ على اندماجها الشخصي، يدلّ على تقدير ذات سلبي يتأسّس على المقارنة بالغير ممّن تعتبرهم سببا في فشلها. فهي صورة مبنية على الخيال و أفكار و انتقادات الغير ليس لها علاقة بالواقع.

تركّز الحالة على الصّفات السّلبية من الذّات (EGO=0,20؛ Fr+rF=0) عبر اجترارها ضمن سلوك استبطان غير عادي (FD=6؛ SumV=2؛ PSV=2) يولّد آلامًا نفسية ناتجة عن ظروف حياتية قاسية بدْءًا بفقدان موضوع الحبّ وَعمرها 3 سنوات. إصابات قد تتحوّل إلى أعراض سوماتية يؤكّدها التّمركز الشّديد حول الذّات لدرجة الانشغال المفرط بالجسم المولّد للقلق و شعور بالهشاشة و العجز كما تولّد أفكارًا تشاؤمية حول الذّات (An+Xy=13؛ MOR=6).

تتأكّد هذه التّشاؤمية و التّقدير السّلبي للذّات عبر اِرتباط الإجابات الإنسانية (H:∑H=7 :10) بالنّوعية السّلبية و الغامضة و التّنقيطات الخاصّة السّيّئة (ALOG=5؛ AB=10؛ CON=1؛ MOR=6) تدلّ على انطباعات خيالية أو تشوّهات لاختبار الواقع تحتمل صورة للذّات تغذّيها مشاعر الضّعف و إمكانية الإصابة بعدم التّلاؤم في هذه الصورة. ما يدفع الحالة إلى محاولة إخفاء تلك الصّورة المشوّهة بمنحها قيمة فكرية ليس لها علاقة بالواقع "يا مْزيْنْ la vie en rose" ، خاصّة و أنّ Hx=7 تصحبها إجابات مجرّدة تدلّ على الجماد و قمع العواطف.

7-إدراك العلاقات و السّلوكات بين-الشّخصية

تبني الحالة علاقات بين-شخصية حذرة جدّا تتأكّد في تأخّر سنّ اِختيارها ثم اِرتباطها بموضوع حبّ دامت خطوبتهما سنتان "قع في الخدمة عمبالهم بلي ما نتزوجش على جال caractère تاعي". تعتمد في علاقاتها استراتيجية مواجهة مختلّة قائمة على توقع التناغم الّذي يدفعها إلى التّعاون مع الغير ما يجعلها محبوبة لديْهم و اجتماعية في نظرهم بنوع من التّحدّي (CDI=2؛ COP=5؛ AG=1)، مع الإشارة إلى أن إجابات التعاون و المشاركة جاءت متباعدة ظهرت أولها في الإجابة الثامنة لنجد أخرى في الإجابة السادسة وَالثلاثي، وَهي في معظمها مرتبطة بالعلاقات الحميمية الّتي تجد صعوبة في اكتمالها "هذا puisque c'est un contact هنا le coït كي يحبسْ لاخر هنا (تضحك)".

سلوكاتها مع الغير دقيقة و مدروسة إن لم نقل محسوبة، تنشغل كثيرًا بأهمية احترام الحيّز الشّخصي لها و تدافع عنه باستنفاذ طاقة نفسية كبيرة "فهمت قع عايلة راجلي ما يدناوش لحاجتي...أنا الوحيدة في دارنا لي عندها بيت تعها".

يصعب عليها الحفاظ على علاقات قرابة لشدّة ميلها إلى التّحكّم في فعاليّاتها حتّى مع زوجها فهي تعمد إلى تقنين التبادلات بالتغاضي عن رغباته، و للتّشكيك في نوايا الغير قد تميل إلى أن تصبح تصرّفات بارانوية.

نمط علاقاتها سلبيّ يدل على أدائها لدور غير فعّال خاصّة انطوائي مع تجنّب الخضوع للآخر. فهي تدخلها وفقا لتوقعاتها و استراتيجية مسبقة تعبر فيها عن حاجاتها الخاصة وإن كان بطريقة غير معتادة خاصة في وضعية التبادلات الحسية الجسدية الملمسية تكشف فيها عن الاستقلالية كخصلة راشدة تبرزها بالإلحاح على أهمية إدراك فضائها الشّخصي ما يخفي اعتمادية على آراء الغير فيها ضمن الحذر الشّديد و إتيان سلوكات غير متكيّفة مع الوضع المعاش (Fd=0؛ SumT=0؛ 14: PHR=6: GHR).

تتشكّك الحالة من تصرفات و سلوكات الغير نحوها ما يشعرها باللاّأمن في قربها الشديد منهم و تفسرها بتهكّمات يجب الاحتماء منها بالحذر و التّقليل من دائرة الصّداقة "ما عندي حتّى صديقة و لا زميلة في الخدمة، ندخل لخدمتي في وقتي، غير نكمل نحطها للمدير فوق bureau فواحد السلة ما نهدر معه ما يهدر معي" (PER=5؛ Isol.Indx=0,05 ؛ P=3)، تفاعل علائقي يخضع لقوانينها الشّخصية أكثر من متطلبات المجتمع دعمًا لأمانها.

تدرك الحالة العلاقات بين–الشخصية على أنّها موتّرة و مقلقة تتخلّلها نوايا سيئة من الآخرين تجاهها تجعلها تتوخّى الحذر و تجنّب استثمار العواطف مع ميلها إلى الانطوائية والاستبطان الاجتراري حول الصفات السلبية من الذّات ما يصعب القرب الحميمي وَيزيد من تعقيد العلاقة الزوجية الحميمية و اضطراب جنسانيتها.

ب-اختبار رسم الشّخص

بعد إعطاء التّعليمة و انتقال الحالة إلى موقع الاختبار، لم تنطلق في الرّسم إلاّ بعد مدّة من التّعليقات، ثمّ استفهمت "غير كيما درت الحجاب، نرسمُهُ لك ماشي هي، بلاش ماشي هي، الحجاب ما يوريش واش كاين". بعد انتهائها من الاختبار "ما عنديش يدّين (تضحك) بعيد الشّرّ "ما يدلّ على صعوبات استكشافها للمحيط و و تغييب التّواصل بين–الشّخصي وبناء التّكيّف الاجتماعي لعدم ثقتها بذاتها أو حذرها من المشاعر.

ترسم اليديْن بأصابع غير واضحة، ثم تستفهم "ما عرفتش كيفاش نرسمهم (تضحك). مسكينة عاقلة خاطيها المشاكل أي ديرلهُم واعلاش؟ (تضحك. تقصد وضعية اليديْن في الرّسم)، أي تقرّي بلاك! نحب نعلّم علابالك نقرّي". وضعية حركية تكشف عن الميل إلى الوعظ تماهيا بالأنا الأعلى يؤكّده سعيها في العمل إلى استحداث مواقع النّصح في جوانب الحياة؛ و تعكس غنى الحياة الهوامية "je suis riche de l’intérieur" و قولها في إحدى إجابات الرّورشاخ "la vie en rose".

تتأمّل رسمها "نعرف نرسم شويّ، ما يعطوكش قيمتك أومبعد on passe à côté لو كان ندير les couleurs نخسرُ خير le noir et blanc, le crayon أنا نحبْ بزّاف les détails كي نزعف نتخسر نفقد calme تاعي ما نحبش علابالك. واش رأيك فيَ...(تسمي نفسها)؟.

هي شخصية تستنفذ طاقة نفسية كبيرة في معايشة صراع ضمنفسي لأجل التّحكّم في نزواتها عبر استبعاد العواطف (غياب الألوان) و استثمار التّفكير المنطقي، بتحسين رسم الرّقبة و الخصر أو الحزام الفاصل بين الرّأس محلّ الأنا و المنطقتين الشبقيتيْن التناسلية و الفمّية، ما يؤثّر سلبًا على جنسانيّتها.

تمتلك الحالة قدرات فنّية لا بأس بها تؤكّده ملاحظتها عند انتهائها من الرّسم "نحبْ le dessin دخّلت بنت أختي les beaux arts elle n'a pas tenu le coup"، توظيف لميكانيزم الاستعلاء يبرز في شهادتيْ اللّيسانس المتحصّل عليْها كتحصين مفاهيمي أو اجتهاد في البحث عن الذّات أو اعتمادية على الغير لقلّة نضجها الانفعالي و مشاعر العجز المرتبطة بسوء تقدير الذات و عقدة الدونية.

يكشف لنا التّمعّن في رسْمها على غياب التّماهي الأنثوي الرّاشد رغم محاولة إبرازه برسم شخصية في سنّها، لكن بمظهر طفولي يدلّ على نكوص و تعلّق بماضي عانت خلاله من الحرمان و اضطراب العلاقة الموضوعية المبكّرة يزيد من اِستثمارها لسلوك الاستبطان ويؤكّد شخصيتها الانطوائية ما يسبّب اكتئابها بملامح الشّخصية الحزينة وَغياب الألوان و اختيارها للجزء السّفليّ و الجانب الأيسر من الورقة.

تظهر الشّخصية و هي ترتدي فستانا أنثويّا يعكس اعتمادها لغلاف حاوي حامي من الشحنات العاطفية الّتي يصعب التحكّم فيها "لابسين genre مغطّي قع روحو شعلت النّار بيناتهُم يا لطيف". كما قد تكشف عن سلوك تعويضي مع ميول استعراضية إغوائية "الحجاب ما يوريش واش كاين الداخل، المظاهر، تخبي بزّاف حاجات واش كاين الداخل ما يبان في المظهر". تَخَفّي يكشف عن انشغال شديد بكمال الجسم و تخوّفها من الخصاء

يزيد من اختلالات الوظيفة الجنسية خاصّة بوجود ميول فالوسية مع قوّة الإرادة وَالفحولة و ارتكازها على السمع و آراء الآخرين من حولها فيها.

3-حوصلة عامّة

تجد الحالة صعوبة في حياتها الحميمية بسبب اختلال الوظيفة الجنسية المتّصلة بالتّخوّف من الخصاء الّذي ترجع أصوله إلى المرحلة الأوديبية و أهمّيتها في بناء الجنسانية واختيار موضوع الحبّ.

صدمة ميلاد ثاني عاشته الحالة في علاقتها بموضوع حبّها الأوّل تختلف عن صدمة الإنجاب. تتّصل بخسارة هذا الموضوع و انفصال قاسي عنه و اِنفتاح على مأساة عظيمة أدّى بالأنا و الذّات إلى الانغماس في معاش صراعي ضمنفسي يعكس الجسد و الحياة الإدراكية آثاره على التّطوّر النفسو - اللّيبيدي.

إنّها ولادة تناقض أساسي ضمن العلاقة الموضوعية المبكّرة، نتجت عن اختراق لصادّ الإثارات جعلت الجهاز النفسي يصرف كمية كبيرة من الطاقة للإحاطة بالتّوتّرات الناتجة عن قلق الانفصال تولّد تناوبًا فوضويّا بين لحظات التحامية و أخرى اِنفصالية تتّصل بقلق الانهيار أو التّفكّك تكشف عليه اضطرابات الجهاز الهضمي المصاحبة لها (Letondal.J.، 2006)، ثمّ اختلالات الوظيفة الجنسية الّتي ترتكز بالنّسبة لهذ الحالة في صعوبة أيّ محاولة من الزّوج في دخول الحيّز الشّخصي الّذي أقامته لأنّها تعتبره اغتصابًا قد يولّد عدائية صاحبه (Hediger، 1955؛ Marler، 1956).

اِهتمّت الحالة بتحديد هذا الحيّز الشّخصي ضمن علاقاتها بين–الشّخصية لدرجة تقنينها لطرق مباشرة الزّوج لها. فضاء خاصّ يتطلّب، يقول Sommer(1969)، سلوكا مميّزا يضبطه بسياقات يشخصن بها مؤسّسه طرق التّفاعل لأنّها منطقة مشحونة انفعاليّا تمنع الدّخلاء من ولوجه حتّى في غياب صاحبه. يعرّفه Hall(1966) برسم الحدود؛ يُرمّز لها Leroy (1972) بالقوقعة الحاوية تكشف عن سلوك دفاعيّ حامي يضيف Sommer. فهو

أساسًا شخصيّ وَليس بين-شخصيّا، له صفة الدّيمومة و الوجود و الملكية(Pedersen، 1973؛ Sommer، 1969).

استثمرت الحالة آلامها في بناء الذّات و حاويها وإن كانت بآثار سلبية، فقد تجاوزت حالة الموضوع المتخلّى عنه بالإهمال إلى حالة الفاعلة الّتي تتحدّث عن إصابتها و تعتزّ بتوظيفها للإعلاء ضمن نزوات الحياة فدرست و طوّرت من ذاتها ثمّ دخلت ميدان العمل لتبني استقلالها الماديّ. استراجية إرجاعية تمنعها من الاستسلام لنزوات الموت و إن كان لأجل لحظات مع موضوع الحبّ تكتشف خلالها هويّتها الأنثوية وتجسّدها، ربّما لجهلها بماهية اللّذّة والتّخوّف من التّماهي بأمّ نابذة أو استشعارها للإصابة النّفسو-جسدية الّتي ورثتها عنها.

فالتّشنّج المهبليّ في حالتها هو ذكرى و ذاكرة جسدية ولّدت حيّزًا دفاعيّا يمنع تكرار صدمة الانفصال، و ورّثتها جسدا نزويّا صامتا و توحّديّا يرفض الصّحبة و القربى.

تسمح لها بالحفاظ على عالم كليّ القدرة لا يخضع لاختبار الواقع حيث لا محلّ للجسم وَنزواته. ما يعني تجريدها من مضمونها النزوي الانفعالي لتسهيل السيطرة عليها.

تجريد يؤدّي حسب Freud(1924) إلى الزّهد، ميول مازوشية و مشاعر لاشعورية بالذنب تمنع كل تعبيرات نزوية. ترتبط هذه الميول (Medlicott، 1969) بأنماط قبل تناسلية تعيق التّرميز و التّصوّر.

VII- عرض مفصّل للحالة الثّالثة

1-المقابلة العيادية و تحليلها

هي البنت السّادسة من بين عشرة أبناء، ذَكران و ثمانية بنات، تربّت بين أحضان عائلة بسيطة الطموحات و لا تولي أهمّية للتّحصيل العلمي رغم أنّها تصنّف نفسها ضمن "واحدة عندها ماجيستير و واحد طبيب"، إخصاء لم تحتمله ما غدّى طموحها لأن تدرس الطّيران هروبا من هذا الانحصار. لكنّ مشاعر الدونية و سوء تقدير الذّات "أنت في l'aéronotique أنتِ تسوقي طيارة، غير لي يحبطلك قيمتك" الّتي زرعها الأب في نفسيتها جعلها تعزف عن طموحاتها لتستقر بتخصّص فكري تبحث من خلاله عن اكتساب مهارة العدّ و الحساب، لكن "هذاك التّعب يقولك، واش قريتي، التّخش" حتّى أنّ تحصيلها للشّهادة مرّ في صمت و قد منعتها العائلة من مواصلة الدّراسات العليا. إستهانة و تحقير لمنتوجها الشّرجي يدعم الاعتمادية و يعكس نقص الثّقة بالذّات.

تكشف الحالة عن إلحاح في البحث عن الإشباع النّرجسي تلتمس منه كفاحا لأجل الوجود و الكينونة بين الطّبيب و الماجيستير، حيث اِعتمدت سائقا شخصيّا رغم مدخولها البسيط، بحث عن التّفرّد مع تبعية كامنة للآخر.

تزوّجت منذ عامين و نصف بالنّسبة لتاريخ اِلتقائنا أثناء بحثها عن حلّ لإشكالية عجزها الجنسي. تخوّف من اجتياز ليلة الزفاف رغم أن أخواتها الصّغار تزوّجن بعدها و تمكنن من المعاشرة الزوجية. صارحت أخواتها و أمّها بهذا العجز فنصحتها هذه الأخيرة بإغماض عينيها أو أن تضع كيسا أسود على وجهها، فكرة لم تتقبّلها لأنّها تدرك أنّها مع رجل مدمن "شديتها 30 سنة باش نمدها لواحد drogué؟ حاربت عليها، خدمتي نعسْ على la virginité كي عرفت بلّي drogué ما حبيتش نعطيلُ (تشير إلى موضعها الحميمي) الناس يضحكُ عليّ". بعد فترة صمت تقول: "Sexe ما يعجبنيش نعيفُ ماشي شباب".

نفور من الجنسانية و تقزّز من المعاشرة الجسدية لصعوبة في استثمار الذّات عبر المعايشة الفعلية الحسية لنزواتها الجنسية الّتي تكتفي بتفريغها و تجسيدها في الإغواء

ونزوة السّطوة الّتي تمارسها على الرّجال: "Jamais نعرف رَجل jamais. نشدها 30 سنة نعطيها drogué. كان prof في la fac كان كي يشوفني طلعت ل tableau آه واش يصرى فيه كنت رقيقة و عريضة من تحت كنت بلا حجاب. حاربت عليها شغل ما يستهلش". صدمة تستبعد منها مسؤوليتها الشّخصية في اختياره تكتنف بعضا من ميولات التّلاعب لمعرفتها بقدراتها على الإغواء باستثمارها لعضو نزوي أنثويّ شبقيّ محل الهوامات الذكوريّة بهدف إخضاع الرّجال بنزوة السّطوة وتوظيف استراتيجية أنثوية بدائية تتمثّل في تجسيد السّيطرة عبر إرادة واعية باستعراض مفاتنها الأنثوية لإخضاع فرائسها لها وتحرير للنّزوة، بدءًا بموضوع هو بديل الأنا الأعلى. تُصنّف الحالة على غرار مثيلاتها ممّن يمتلكن مورفولوجية أنثوية مفرطة ضمن النّوع الفالوسي، تتميّز جنسانيتها بالعدائية و البحث عن السّيطرة على الرّجل بجسدها أو بالأحرى بحوضها. يختار الرّجال هذا النّوع من النّساء للشّعور بالأمن أثناء الإشباع الجنسي و بسبب إيجادهم ضغارًا لصعوبة في الانفصال عن الأمّ و إثبات التّفرّد (Bonnet، 2012).

لجأت لنفس الإغواء مع أبي زوجها، مجاهرة بأنّه حاول عدّة مرّات الإعتداء عليها مدّعية ميله و حبّه للجنس الأنثوي، أمر استنكره الزّوج. يفترض أنّ الحالة طوّرت هذه المرفولوجية الأنثوية لإغواء الأب ضمن علاقة أوديبية وجدت صعوبة في الخروج منها و الانتقال إلى مرحلة تناسلية مع موضوع حبّ آخر بديل لهذا الموضوع الفالوسي. تجربة إغواء من نوع هستيريّ يختصرها مؤسّس التّحليل النّفسي Freud(1930، ص153): "Ce qui fut commencé avec le père s’achève avec la masse".

نفترض استثمار الحالة لهذا الجزء الشّبقي من جسدها، كبديل عن الوجه الّذي تغطّيه بتور في شكل حساسية تكشف عن بعض الخجل في دعم و مبادلة الآخر نظراته. انزعاج نتحسّسه وتفسّره برفض استعمال الغير لما يعود إليها من موضوعات خارجية، حدّ وعازل عن كلّ تبادلات تفترض نفورا من التّواصل مع الغير و اشمئزازًا من الاستثمار الحسّي لها: "ما نحملش حاجة ماشي تاعي و لاّ لي يمس لي حاجتي".

استجابة سوماتية جلدية تستجوب نظرات الأمّ إليها في المرحلة الفمية، وتفترض شعورًا بالفضول، التّقزّز، النّفور، أو الانزعاج و الخجل الّذي تعكسه نظرات الحالة فتتهرّب من نظراتنا ما يسبّب صعوبات علائقية هامّة علما أنّ الوجه هو العضو التّفاعلي الأوّل الّذي يفتح باب تأسيس العلاقات أو النّفور من هذه الارتباطات استنكارا للآخر تماهيا بردّة الأمّ تجاهها يؤكّده تقزّزها من العلاقة بأمّ الزّوج "كي نروح عند عجوزتي هي معفونة، ينوظ لي الحب في وجهي، عندي دواء بصح ما نحبش ناكلُ".

حدّثتنا ذات يوم عن فرضية أخرى لوجود الإشكالية الجنسية في التّشنّج المهبلي، و الّتي يؤكّد على ارتباطها بهذا الاختلال الوظيفي الجنسي كلّ من Masters et Johnson و هو غياب كلّي للمعرفة بالتّشريحية الجسدية ما يفترض غياب استثمار الذّات لطغيان الهويّة الاجتماعية على الهويّة النّفسية. بحثا عن تعديل في هذه المعرفة توجّهت يوما إلى طبيبة أمراض النساء و التوليد مطالبة إيّاها بتوضيحات في هذا المجال و حتّى بملامستها للتّحسّس جسديا من مكان حدوث الإيلاج "ذوك أنا نقول على روحي امرأة؟ ما نعرفش corps تاعي واش فيه؟!".

هل هو معايشة لجنسانية انحرافية تؤكّد هويتها الجنسية الثّنائية الّتي تتخفّى وراء البحث عن المعرفة الجنسية مع موضوع مثيل ظاهريّا لكنّها فالوسية في نوعيتها سريّا؟

إشكالية جنسية لم تجد لها مخرجا إلاّ أن تقضي معظم أيّامها عند الأهل دون استعجال الزّوج لها لأن تلحق به "ما عندُ ما يدير بي ما يقدرش معي على بالي بلي يروح مع نساء واحد أخرين". و الحقيقة هي نفورها منه و عدم إكتراثها لما يعيشه "شحال و أنا نحافظ عليها باش يديها إنسان هكذايا!؟ (تضحك)".

ما زاد من مخاوفها هو تأخّر عملية الوطئ إلى ما بعد 10 أشهر من ليلة الزّفاف، بسبب إجراء زوجها لعملية جراحية حول عرق النسا "هو لي ركب لي الخوف".

هو السّائق خاصّتها "كان chauffeur ديالي، وين نحب نروح يمشي معي يديلي cv تاعي، كي قال لي نتزوجوا قبلت". تجسيد لعلاقة تبعية و اعتمادية اِتّخذت قراره اِندفاعيّا و متسرّعا لم تُدرك عواقبه إلاّ ليلة الزّفاف، عندما اِكتشفت إدمانه إضافة إلى تاريخه الجنسي السّابق مع نساء أخريات، فقد قصدتها إحداهنّ أيّامًا قبل زواجها لتستفسر إقبالها على الارتباط بشخص قد اِعتدى عليها جنسيا. اِختيار موضوع حبّ دونيّ يفترض اِعتمادية و دونية متخفّية تعكس النّظرة الأبوية لها و أهمّيتها في تأكيد جنسانية الفتاة وحسن اختيارها لموضوع الحبّ. دون أن نغفل نوعية النّظرة الّتي ورثتها من الأمّ إليْها.

تقول عن زوجها: "راجلي ماشي قاري، باباه تع النساء، يقعد بالشهرين يبات في الحانوت أو ما يجيش عند امرأةُ عند أخت مطلقة، راجلي ما يحملهاش. مزعّف بزاف مع مَالِيه، ماشي مهنّي". لتنتقل بعدها إلى تاريخها النّفسي و التمركز حول الذّات "كنت مخطوبة قبلُ لواحد قاري، بصح ما يهتمش قع بيَ يحوّس غير علي باش يترقى، أنا مهملني، ما قبلتوش، هذا ماشي قاري بصّح يهدر معاك يناقشك كيفاش رجعتُ عجوزتي حارت...كان ميكروب برَى منّو المجتمع". اِستثمرت الرّابط بزوجها بإزاحته عن الإشكالية الأصلية إلى إشكالية الملكية المادية، إنتقال من التّناسلية إلى الشّرجيّة و نواتجها بحثا عن بعض القبول في نفسيته. سارت في خطوات تأسيس أعماله الخاصّة بفتح مؤسسة مصغّرة "كان ما يخدمش كان drogué مهمّل، معفّن، و لاّ يصلي نسمعُ ينصح لي يتكيفُ باش يحبسوها. لي يشوفُ ما يآمنش دوك و لاّ هو يتكبّر عليّ، يشوف روح عليّ، شغل رجلاوي".

يفسّر التّحليليّون هذا السّعي وراء تحصيل المال بتجسيد الحالة للتّصوّرات الاجتماعية المفروضة الّتي اصطدمت حينها بهوام اِتّخذ من هذه المادّة ممثّلاً محتملاً لرغبات وَتوترات الفرد المثارة في علاقته بموضوعات هوامية تتّصل بالعلاقة الموضوعية المبكرة و نوعية الإشباعات أو الإحباطات للحاجة إلى الحبّ، الأمن و اللّذّة.

جسّدت الحالة هذه التّصوّرات على مستوى الشّبقية الشّرجية، باعتماد تحصيل المال كموضوع نزوي فيتيشي وسيط سمح لها ببناء علاقة تفاعلية إيجابية توافقية مع زوجها

هدّنت الوضع، شريطة أن تمسك بالتّعاملات المالية بينما يتكفّل هو بالتّنقلات الخارجية. تجسيد للدّوريْن الأنثوي و الفحولي سهّل عليها إيجاد بديل عاطفي ما بين التّصرّف النّرجسي و ذاك الخاصّ بإرضاء موضوع الحبّ.

تضحّية ظاهريّا بنرجسيّتها لإسعاد موضوع حبّها، تخفي اِستعادة لتلك النّرجسيّة المفقودة بإدارة الخزينة المالية و تؤكّد على عناد يكشف عن ديمومة هذه الخاصية و صعوبة الاستغناء عن التّمتّع بالشّبقية الذّاتية و إثبات إرادتها الخاصّة: "حسيت روحي نجري مور الماديات و الحاجة لي يحتاجها corps ديالي هملتها، هذيك عندها valeur خيم من الخدمة، المال، الماكلة، حابّة نجيب الدّراري و لّيت agressive نقول لدراري أنا نعطي لكم أُو ما كاش لي يمد لي (تبكي)".

بعد تحسّن حالة الزّوج المادية أصبح يمنع عنها المال لأنّها تمنعه عن نفسها، إخصاء دون قيمة مضافة جعلته ينصرف نحو نساء أخريات يصرف عليهنّ أمواله ليجد معهنّ متاعه. ما عاود ظهور المشاكل العلائقية لتقوم على اختلال مقايضة النّقود بالمعاشرة الزّواجية، إشكالية أخذ و عطاء تنكص بها للإشكالية الجنسية الأصلية "ما يمدليش الدراهم، ما جبتش الدّراري، ما نقدر ندير والُ، نعرف غير ناكل و نشرب، نغسل. هذْ المشكل شغلني، لدرجة أنّي حبست الخدمة نظل نخمّم فيه، قلت كيفاش نروح نخدم هو شاغلّي بالي، دايلي قع التخمام، واش الفايدة في الماديات إذا ما قدرتش ندير الصح. أثّر عليّ بزاف".

رغم العائلة الموسّعة الّتي عاشت الحالة في كنفها إلى أنّها قضت طفولتها منعزلة تغيّب استثمار الذّات و الآخرين من الأفراد، تقول: "نقعد بزّاف في الدّار ما نخرجش بزاف بابا يجيب لي الألوان الترابية ورق تع صاشيات تع الدقيق أو نرسم، نستعملهم brouillon في maths، physique بابا يفرح. كنت نخبي الورق بيوضة و نكتب في هذوك لي يجيبهم لي بابا". اِبتزاز عاطفي مبكر يحتّم عليها تموقعًا دونيّا بالاستغناء عن أحقّيتها فيما هو أفضل. نرجسية مهدورة حاولت استعادتها في تحسين الوضعية المادية لزوجها باستثمار

الموضوع الفيتيشي الفالوسي الإطراحي الشّرجي كحلّ لأزمتها مع زوجها و الانتقال من الجنسانية التّناسلية إلى الجنسانية الشّرجية الانحرافية، لكن دون جدوى. ما يفترض صعوبات في استثمار الذات و الجسد في كلّيته في بناء صداقات مع الجنسين خلال مرحلة الرشد و يفسّر الإشكالية الجنسية المعاشة.

2-الإختبارات الإسقاطية

أ-اختبار الرّورشاخ

إن قراءتنا لإجابات الرورشاخ نجدها تكشف عن نوعية لا يكشف عنها النظام الإدماجي ربّما لخطإ إرتكبناه في التنقيط رغم لجوئنا لزميلة طالبة مثلنا سمية.ط. لتنقيط ثاني.

إعتمدت الحالة صياغة لغوية بسيطة تتخلّلها سياقات أوّلية تعكس قدرات معرفية محدودة تفسّرها بعدم حاجتها لها فقد تركت وراءها إلزامية الحفظ و مراجعة مثل هذه المعلومات لأجل الإمتحانات الدّراسية. كما تكشف نوعية تعبيرها عن هشاشة نفسية تصنّف الموضوعات المدركة ضمن الفئتيْن C و D من قائمة Tychey، ما يفترض اِختلالا وظيفيّا معرفيّا يعكسه ارتفاع عدد الإجابات الحيوانية و محاولة التّعويض عنه بإدراك محتويات العلوم، الفنّ، الشّخصيات والحيوانات الخيالية الّتي تعكس رفضها للكائن البشري بتضمينه هذه التّصوّرات الّتي تقلّل من خطورته عليها.

تفترض هذه الإجابات كذلك هوية ثنائية الجنسية مثل ما يطلق عليْه Jung بالأنيما وَالأنيموس، ميزة تركيبية محبّذة في شخصية كلّ فرد، هوام ينبني على رغبة إلغاء الفرق الجنسي و إنكار تلك الغيرية المستحيلة (McDougall، 1973). و أفضل من هذا، هي حسب Anzieu(1973)، و يجد له صدًا في أنفسنا، تماهي ثنائي، ذكوري فحولي نشط وَأنثوي خامل، سياق نفسي محض بعيدا عن التشريحية و اختيار موضوع الحب. تكشف عنه الحالة في قولها: "جاني papillon عندُ قرون الاستشعار؛ .Pl.V"، "خريطة إفريقيا

عندها الذّيل من الفوق؛...شكل نيفُ فمُ شكل لرسوم متحرّكة؛ مضيق جبل طارق؛ Pl.VII".

ثنائية جنسية مع غلبة ترميزية فالوسية أكثر منها أنثوية، ترتبط بموروث المخيال الثقافي لهيمنة الفحولة (Viderman، 1975) تتكشّف لدى الحالة في تقمّص و استدخال العدوانية المستوحاة لدى الرّجل، كقولها "هذي قمّة تع الجبل؛ Pl.I."، "رجْل تع الكبش هاوْ talon؛ Pl.III"، "واسمها تع البحر؟...les oursins؛ هذا يبان حذاء ضخم؛ Pl.IV."، "هذي نشوفها فنار هذاك الضوء لي يدور؛ نقدر نشوفها صليب...و نشوفها هذاك الشكل في المزارع...هي حطبة كي يجي الطير ما يحطش ما يخسرش المحاصيل الزراعية؛ Pl.VI"، "هذا بانلي scorpion تع البحر؛ Pl.X.". هو تماهي بالأب و الأمّ في آن واحد (Le Guen، 1975)، فالآخر هو من ليس أنا و من يختلف عنّي جنسيّا كذلك.

أمّا و إن بحثنا في الدينامية العلائقية وجدناها تتمحور حول وحدانية نادرا ما تدرك ثنائية "تحقيق الحدود .Pl.III: إنسان؟! ما عندوش talon تع حيوان وين هنايا؟! ما نقدرش نشوف إنسان أُو نيفو طويل حيوان على جال رقبتو طويلة...".

طغى على إجاباتها التّقابل المحوري المرآتي ما يفترض شخصية نرجسية و يعبّر حسب قائمة Tycheyعن عدوانية بارزة في وضعيّات دالة على العنف نحو الموضوعات الخارجية: "إنسان هذُ يدّيه رافدهُم..(التّحقيق) رافع يدّيه إلى أعلى و تهجّم عليّ و تخنقني؛ نشوف فيلم تع les vampires الضّرب القوّة؛ Pl.I."، "هذا تقدر يبان أسد متسلّق قمّة الجبل مبصّح أسدان متقابلان؛ Pl.VIII.".

أمّا الإجابات ذات التّرميزات الأنثوية فنجد صياغات كناية جيّدة كقولها: "الورود لي جايّين في أعماق البحر، (التّحقيق) هنايا وردة مطبوعة شابّة الواجهة...الأسماك هكّا تالق روحو جاتني هكّاك. exemple نشرحلك كي ديريها ف l'espace شادّة روحها في الماء تولي تاخذ شكل آخر...تتبدّل genre كي ندخلُ ف la piscine نثقالوا برّة واقفين، Pl.IV."، نكوص لمرحلة رحمية اِلتحامية مع إحساس بالخمول و الاستسلام لدرجة تجرّد

الموضوع من نزواته "وردة مطبوعة شابّة" ليتّخذ مكانة الأنا المثالي. تؤكّد هذه الوضعية من الخمول و الاستسلام في آخر اللّوحات بقولها "نبتة مثمرة، زهرة خرجت الربيع ديالها، الورود لي في أعماق البحر تالقة روحها، .Pl.X"، نكوص مرّة أخرى لنفس المرحلة ربّما تعبيرا عن افتقادها لحالة النرفانا الّتي تميّز هذه المرحلة.

أمّا في اللّوحة السّابعة فقد تمكّنت من الوقوف على الرّمزية الجنسية الأنثوية بقولها: "هذا المضيق حتّى سمّيتُ مضيق جبل طارق... ما يجوز والُو ضيِّق بزّاف، (تحقيق اللّوحة Pl.VII)" واصفة في سياق ثانوي قيّم عن التّشريحية الأنثوية مرمّزة بطريقة جيّدة.

تكتنف الإجابات على رغبات في التّغيير و تحسين الوضعية المعاشة تؤكّدها ديناميةعاطفية كامنة و مقموعة تظهر في اللّوحة الأولى "حاجة رايحة طير في الأحلام ماشي حقيقة...فراشة هي لي عندها جناحتيها رابطتهُم". قد يمنعها الإخصاء و الكفّ الّذي طغى على صياغاتها كأن قالت في إحدى المقابلات "جيت بين العلماء، لي كبيرة عليّ عندها ماجيستر و خويا في الطبّ"؛ أو قولها في إجابات الرّورشاخ "كبش هاوْ رجلُ، مرسوم منزوع الجزء الآخر منزوع الذيل، Pl.III"، "الورود لي جايّين في أعماق البحر، (التّحقيق) هنايا (D3) وردة مطبوعة شابّة الواجهة"، " يبان حذاء، حذاء ضخم... يديروه في la publicité حذاء ضخم باش يبيعوا السلعة ماشي للبيع، (التّحقيق) سباط تع publicité، ماهوش هكّا مسقّم ماشي لْلّبسَة ليس للاستعمال، .Pl.IV"، "كي شغل واقف هكّا شتّي شجرة كي n'coupiwelha كي نطايوها نزبروها بانلي الجذع الجذور في التراب تحت التراب، (تحقيق Pl.VII"، "هذي هذا لي باش باش لي يقطعوا بيه الشجر المقص لي يقطعوا بيه، .Pl.X".

جاءت معظم إجاباتها شكلية تارة سلبية و أخرى غير مألوفة تقترن بمواقع جزئية تكشف عن صورة جسدية مشتّتة ارتبطت في معظمها بمحتويات جامدة مجرّدة من النّزوات تؤكّد غياب استثمار الذّات، و من تمّة تغييب بلورتها و إدماجها في وحدتها الّتي ظهرت ضمن إجابات شاملة ذات نوع غامض في نصفها (9/4).

أمّا و إن اِنتقلنا إلى الملخّص الشّكليّ للنظام الإدماجي، وجدنا تأكيدا لهذه الملاحظات وَتفصيلا لها ضمن الجدول أدناه، و الّذي يكشف عن:

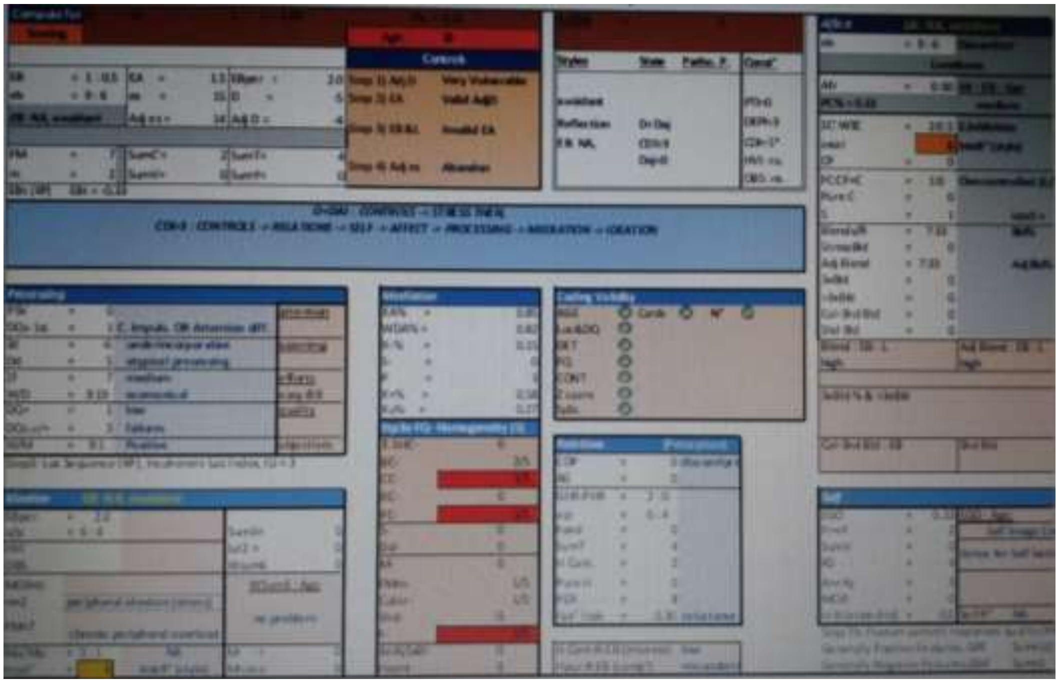

– **جدول رقم 13:** الملخص الشّكلي للحالة المفصّلة الثالثة –

يعتمد تحليلنا للحالة على الجدول التالي المستخرج من القاعدة الرقمية الخاصّة بها:

D<DAJ : CONTROLS -> STRESS THEN,
CDI>3 : CONTROLS -> RELATIONS -> SELF -> AFFECT -> PROCESSING -> MEDIATION -> IDEATION

– **جدول رقم 14:** جدول تحصيلي لاستراتيجية تعامل الحالة مع الوضعيّات العلائقية–

1-التّحكّم و تحمّل التّوتّر و الضغط

تتجنّب الحالة الوضعيات الغامضة الموتّرة لعجزها عن تحمّل فقدان السّيطرة لأنّه يجعلها تنكص لتوظيف أحكام خاطئة بسبب اختلالات عاطفية سابقة تولّد سلوكات غير متكيّفة مع الوضع المعاش ($D< DAJ$، DAJ=-4، CDI=5).

يزداد توتّرها بوجود تعقيدات نفسية ترتبط بزيادة الانشغال بالحاجات المحبطة الّتي تعيق التّفكير السّليم و الانتباه (FM=7، eb=9:6، ∑C'=2)، و قد تسبّب اضطرابات سوماتية "زيادة الوزن و عسر الهضم"، ترتبط بفشلها العاطفي الحالي و اِنفصالها عن خطيب سابق، إضافة إلى لجوء زوجها لنساء أخريات لإشباع حاجاته اللّيبيدية.

يدفعها ضعفها النّفسيّ إلى توظيف استراتيجية التّفكير للتّحكّم في شدّة العواطف المثارة، فهي لا تجد راحتها إلاّ في أوساط روتينية و منظمة جدّا.

2-إدراك العلاقات

مع CDI=5 تكشف الحالة عن عدم نضج علائقي و انعدام الكفاءة في هذا المجال، ترتبط بصعوبة في تأسيس علاقات موضوعية راشدة و الحفاظ عليها رغم حاجتها لها. شخصية نرجسية يصعب عليها المحافظة على علاقات موضوعية بين-شخصية معمّقة و دالّة.

هي أيْضًا من الشخصيات التجنبية، ضعيفة التفاعل و الاهتمام بحاجات و رغبات الغير. فوضى اجتماعية و علاقات محبطة، استراتيجية حياة انعزالية تعيق تحقيق رغباتها العلائقية (a:p=6:4، PER=8، Isol.Indx=0,30، ∑H=2)، ما يسبّب لها نوبات اكتئابية (S-CON=5، ∑C':∑C=2:0,5).

تبني الحالة علاقات متمحورة حول ذاتها (Fd=0، PER=8) تزيد من شعورها بالوحدة وَالانطوائية بسبب غياب الاستثمار النزوي للآخر (COP=AG=0، Isol.Indx=0,30)، وتوظيفها لميكانيزم التفكير و اعتماد موضوعات جامدة تقمع العواطف و تفقد الموضوعات شحنتها النّزوية لضبط الموقف و السيطرة عليه. ما يمنع استثمارها لذاتها وَنضجها.

3-إدراك الذّات

غياب المؤشّريْن HVI و OBS يفترض نوعا من السّطحية و اللاّمبالاة في التّعاملات ما يؤشّر بتضخّم في مشاعر القيمة الشخصية لدرجة الغرور و "التّعجرف".

يولّد تمركزها حول الذات (EGO=0,33، Fr+rF=2، FD=4، An+Xy=3) صراعا داخليّا أساسه انشغال زائد بالصورة الجسدية لدرجة توليد شكوك حولها تسبب اضطرابات مزاجية، تجعلها تبادر بالحديث عن مظهر وجهها، موضوع يتوسّط العلاقة و يقيّدها. ربّما هي استجابة سوماتية دفاعية لاستبعاد الآخر نظرا لإدراكها وجود هشاشة نفسية يصعب على الأنا تقبّلها. ما يفسّر توظيفها لميكانيزمات التفكير و التّجريد و عدوانية مقموعة "سباط تع la publicité ماشي للّبسة ليس للاستعمال". و تضيف في اختبار الرّورشاخ: "أنا كلّي الأنبوب ضيق ما قدرت ندخّل حتّى حاجة". و قد أطلقت على هذا الأنبوب تسمية إعلائية "مضيق جبل طارق" مضيق جغرافي بسبب شكله، موقعه، هو المضيق الفاتح الّذي يمنح الحكم الذّاتي، من يسيطر عليه يسيطر على واحدة من أهم النّقاط الإستراتيجية الهامة على الإطلاق في الجسم "حاربت على جالها 30 سنة".

4-العواطف

تصنف الحالة ضمن الشخصيات التّجنّبية الانعزالية لدرجة الوحدة لاستبعادها العواطف في اتّخاذ القرارات (EB=1:0,5، L=1,06، Afr=0,5) أو إخضاعها للتّفكير (محتويات جامدة Art، Ge، Sc، Ay).

قد ترتبط هذه الاستراتيجية العلائقية بتجربة عاطفية سابقة محبطة ولّدت الحاجة إلى العاطفة و كفّا عاطفيا يجنّبها إعادة معايشة نفس الإحباط (eb=9:6، SumC’=2، SumT=4).

تعتمد الحالة في علاقاتها الموضوعية استراتيجية التعامل الفكري مع المثيرات الانفعالية، استراتيجية تجريد الموضوع من تصوّراته النزوية بمعالجتها فكريّا للتّحكم في تلك الموضوعات. ينتج عن ذلك إنكار للواقع و نفي للجسم يصعّب عليها توافقها الزّواجي، فهي تضحك لجهلها بكيفية التعامل مع زوجها ثمّ تبكي لصعوبة تحمل الموقف و مشاعر العجز (FC:CF+C=1:0) ما يزيد من آلامها المتعلّقة بصورتها الخارجية.

5-معالجة المعلومات

تميل الحالة إلى الاقتصاد في الجهد المبذول و تجنّب التّعقيد. استراتيجية حذرة أو متحفّظة تتماشى و نمطها التّجنبي الانعزالي (Zf=7، W:D:Dd=9:19:5، W:M=9:1). لذلك فهي تجد صعوبة في إتمام الأشياء و تحقيق الأهداف ما يفترض غياب اللّذّة في اختبار الواقع، ويؤدّي إلى إلقاء نظرة متسرعة على المثيرات ما قد يفوّت عليها الانتباه لعوامل هامّة من مجالها. فقد كانت الحالة تتثاءب بين الفينة و الأخرى أثناء تمرير اللّوحات لتقول ضاحكة: "شتّي هكا يصرالي كي نعي تتخلّط لي".

سلوك طفوليّ يفترض وساطة مشوَّهة تولّد سلوكات أقلّ فعالية و مستعجلة تستغرق وقتًا مطوّلا في استيعاب المثير و المعلومات الّتي يحرّضها (DQ+=1، DQv/+=1، Pl.VIII. "أسد متسلّق الجبل"). بدأت اللّوحة الأولى بإجابة شاملة لكنها غامضة، ثمّ أدركت أجزاء غير مألوفة Ddo99 في ذات اللّوحة ثمّ في الثّانية و السّادسة و الأخيرة. ما قد يكشف عن اندفاعية معرفية تزيد من صعوبة الاحتفاظ بالصّورة في الذّاكرة قصيرة المدى، ما كان يدفعنا أثناء التحقيق إلى إعادة التّذكير بالإجابات رغم قراءتنا لها.

6-الوساطة المعرفية

تتميّز الوساطة باختلال وظيفي سببه اعتراض العواطف السلبية و تخلّلها تفكيرها (X-%=0,15، FQ-=5، m-، FMu). فنشاطاتها الذهنية السطحية ناتجة عن تجارب و حاجات عاطفية محبطة يؤكّد ظهورها باللّوحات الجنسية و الأمومة (VI، VII، IX) المتّصلة بإشكاليتها الحالية والّتي عالجتها فكريّا يطغى عليها تعقيد و كفّ تسبّبه عقدة الخصاء "شجرة كي نطايوها أو نزبروها" و ما توحيه من استثمار لنزوات الموت.

قد يرتبط اختلال الوساطة المعرفية باعتماد الحالة على معارفها الشّخصية و ميلها إلى الفردانية في معالجة المعلومات مستبعدة المتداول اجتماعيّا "أنا ما نحشمش" (P=3، L=1,06، FQ+=0) و يكشف عن كيفية دفاعية و مضطربة لا تكترث بالعواقب ما يجعلها

تتّخذ قرارات وساطية تنكر متطلّبات و توقعات المجتمع. مقاومة ترتبط بصراع مع المحيط و/أو نظام القيم القائم عليه ربّما لأنّها تدرك الغير مهدّدا يشترط كثيرا و لا يكافئها على جهودها "التعب هذاك، يقول لي بابا و راجلي، واش قريتي التّخش، واش من مهندسة راجعة للدّار".

7-التّفكير

توظف الحالة استراتيجية التفكير في علاقاتها الموضوعية لتقمع النّزوات و تتمكّن من التّعامل مع الآخر بأمان أكبر. تتميّز هذه الاستراتيجية بقلّة عمقها تهتمّ بعدد من الجوانب في نفس الوقت متجاهلة لبّ المشكلة قبل اتّخاذ القرار، مع توظيف نشاطات اصطلاحية بسيطة و مشوّهة تكشف عن هشاشتها و عدم لجوئها إلى وضعيات المحاولة و الخطأ لإقتناعها بآرائها الفردية. ما يفترض نوعا من الصلابة و صعوبة في تغيير الأفكار (a:p=6:4 ،Intell=6).

قد ترتبط هذه السطحية بوجود حالات من الحاجات الدّاخلية (FM=7 ،eb=9:6) تثير مستوى هامّا من النشاط الذّهني المحيطي ما يحتمل تأثيرها على الانتباه و التّركيز بسبب التّوتّر و يدفعها إلى الهوام (Mp=1) كطريقة دفاعية تزيد من استراتيجية التّفكير لضبط العواطف و الشّحنة الانفعالية المصاحبة للوضعية الموتّرة.

ب-اختبار رسم الشّخص

بدأت الحالة الاختبار باستفهام يوحي بغرابة الطّلب والاستهانة بالتّعليمة و أهمّيتها في الكشف عن الإشكالية الجنسية الّتي تعاني منها: "آه نرسم؟ المشكلة ما نعرفش نلحق الفكرة. نرسم شخص؟ ما نعرفش نرسم". لتمتثل بعدها من تلقاء نفسها للوضعية مع تأكيد اِزدراءها و استغرابها من الوضعية الّتي دخلتها بخطّ رسم بمظهر كاريكاتوري أبرزت فيه الرأس بدائرة واضحة كبيرة تشير إلى مشكلة جمالها الحالية و ترمز إلى تضخّم الأنا و امتلاكها لشخصية نرجسية أكّدها ارتفاع الإجابات الشّخصية و المرآتية في اختبار

الرّورشاخ: "تعجبني روحي حمدة ربّي على واش أعطاني في visage و لاّ الأفكار malgré مريضة من وجهي نشوف روحي هايلة même كي سمنت، لازم نعيش متفائلة". خاصية تفترض وجود علاقة موضوعية مبكرة مضطربة عانت خلالها من رفض الأمّ وَالتفاتها للإشباع الشّبقيّ الذّاتي والبحث عن الإشباع النّرجسي في العلاقات الّتي تؤسّسها. منحت الثّياب بعض الانتفاخ للاحتماء من فتور المشاعر و البرود العاطفي.

يظهر رسم الشّخص في وسط و أعلى الورقة بخطوط منحنية و رفيعة تعكس اكتساب هوية أنثوية يعيق تجسيدها تعلّق بتجارب ماضية عاطفية محبطة "نحب واحد يكون حنين عليّ".

تظهر الشخصية في وقفة تمثالية ميكانيكية توحي بالاستعراضية تعكس تأخّرا في النّضج الجنسي و وجود خمول في المبادرة يزيد من النشاط الهوامي. مظهر جسمي و كأنّه كتلة واحدة تفصل الرّقبة بين النّشاطات الفكرية و النّزوات الجنسية. ما يولّد إحباطات عاطفية و طابعًا حادّة مع ميل للعجلة ترتبط بمشاعر العجز الناتجة عن الاختلالات الوظيفية الجنسية، و غياب العلاقات العاطفية الحاوية. تبذل الحالة جهدا لأجل الوجود و بعض السطحية: "لازم نجوّز المشاكل نحب حاجة standard نحب حاجة naturelle ما نحبش حاجة ماشي في بلاصتها".

تعيش الحالة غيابا في التّواصل و الحوار مع الغير بسبب تمركزها حول ذاتها و عجزها عن السّيطرة على نزواتها ما يزيد من توتّرها. لذلك جعلت أكتاف الشّخص المرسوم مستقيمة لتمنحه نوعا من القوّة و "التّعجلف" كما قالت في الرّورشاخ أمام اللّوحة الرّابعة، تعويضًا عن قلّة ثقتها بنفسها و بقدراتها الاجتماعية في الحفاظ على العلاقات التّفاعلية.

3-حوصلة عامّة

يقول Einstein أنّ هناك قوّة أعظم من الطّاقة الذّرية، و هي الإرادة. خصلة تتميّز بها الحالة و وظّفتها في محاولة تعديل التّوافق الزّواجي بالانتقال به من المنطقة التّناسلية نحو

منطقة المقايضات العضوية الشّرجية، مع اشتراط تسيير المعاملات التّجارية. استبدال للقضيب ثمّ الفالوس بالمال عبر عملية الأخذ و العطاء تُخضِع فيها الآخر باستثمارها لنزوة السّطوة الّتي تميّز النّساء الفالوسيات عمومًا. تكشف استراتيجية الحالة في تجاوز إشكالية التّشنّج المهبليّ عن تماهي أبوي فالوسي، وتماهي آخر بالأمّ، لكن بتوظيف أنوثتها عبر هويّة جنسية ثنائية في الاستهواء و إغواء الجنس الآخر.

استثمرت الحالة المال كموضوع نزوي وسيط يمثّل الرّغبة في الطّفل كما يقول Freud ضمن علاقة محرّمة مع الأب. و يرى فيه E.Enriquez(1999) بديل الفالوس الّذي يبحث الجميع عنه دون أن يتحصّلوه. يسمح تحصيل المال بإنكار الإخصاء الرّمزي مع إعادة توليد و بعث لهوام السلطة المطلقة بدعْم الدّيمومة النّرجسية. الرّغبة نفسها لدى الحالة بأن تشرف على الخزينة ممثّلة العضو الأنثوي الّذي يستقبل العضو الذّكري و قبض المال ما يؤشّر على المرحلة الحشيّة، و يكشف من جهة أخرى تماهيا بالفالوس و رغبة في امتلاكه، هوامات أصلية تتمثّل على السّاحة الاجتماعية لعجز في بلوتها نفسيًا.

تفترض استراتيجية تحصيل المال حسب Reiss-Schimmel تجاوز حداد فقدان الموضوع الفالوسي تتولّد عنه تصوّرات توهّم القدرة على الوجود الدّائم و تحقيق الاتحاد مع الموضوع البدائيّ. ما عدا ذلك فهي اعتراف بالإخصاء الأمومي و مكانة الأب المفروضة. أمّا Ch.Dejours(1996) فيربطها بتجسيد الهوية الذّاتية ضمن المجال الاجتماعي، ذاتية لم تمنح عند الولادة بل حصّلتها كموضوع مقابل نشاط مارسته ضمن تجربة معاشة.

سمحت هذه الاستراتيجية أيضًا بتأسيس فضاء تواصل بين الحالة و الزّوج، لكن سرعان ما زال التّوافق بعد تحقيق الإشباع ليظهر النّقص مرّة ثانية فيشبعه الزّوج خارجًا بالسلطة الّتي استعادها من التّحصيل المادي، بعدما كان عاجزا في البداية "كنت نتمسخر به نقولُ ماشي التمة". اِكتسب المال بذلك دور الطرف الثالث شبيه بدور الأب الّذي يؤدّي وظيفة

ضرورة الانفصال لبناء الاختلاف و الغيرية، موضوع يسمح للفرد بالكينونة ضمن تفاعلات أعادت مراجعة القيمة.

ترتبط الإشكالية الجنسية للتّشنّج المهبلي لدى هذه الحالة بشخصية هستيرية تتجسّد في تجاذب بين الإغواء و التّمنّع، تناقض، صراع ضمنفسي يعيق استثمار الذّات و الآخر في علاقات جنسية راشدة. تعكس صعوبات الانفلات من عقدة الأوديب و بقاياها الجنسانية في نفسية الحالة على شكل رغبات غير محقّقة؛ فزواج الأوديب من أمّه سبّب له العمى، دمّر موضوع حبّه، و تورّمت قدماه فرارًا من تأنيب الضّمير و المجتمع لتخطّيه قانونا جمعيّا مقدّسا.

VIII- جدول تحصيلي يختصر الحالات الباقية

جاءت حوصلتنا لنتائج الحالات وفق ما عملنا به مع الحالات المفصلة:

الحالة	اختبار الرّورشاخ	اختبار رسم الشّخص	المقابلة العيادية
1	-صورة ذاتية سلبية سببها انشغال هامّ بأجزاء معيّنة من الجسد و تضخم في مشاعر تقدير الذّات. -حياة هوامية نشطة وميل للاستبطان يولد صراعا ضمنفسيّا تصحبه مشاعر الانزعاج والهشاشة وأزمات اكتئابية. -محدودية في الكفاءات العلائقية تعرّضها للرفض و فشل التفاعل. -الحذر بإقامة حيّز شخصيّ في وضعيّات التقارب الحسّ-جسدي. -إقامة علاقة اعتمادية مع من يشبع حاجاتها. -علاقة تناظرية مرآتية تسودها العدوانية والميل إلى السيطرة بتجريد الموضوعات من تصوراتها النزوية لإنكار الواقع و الجسم.	-ميول نكوصية وانطوائية مع سوء تقدير للذات قد يولّد نوبات اكتئابية و تعكّر في المزاج. -تعلّق بموضوعات انتقالية ذاتية تعويضية لخفض التوترات النزوية. -انعزال كلي بسبب صراعات ضمنفسية تولّد عدائية سببها غموض في الهوية والكينونة الوجودية. -صعوبات علائقية لنقص في النضج الانفعالي والجنسي مع سذاجة و بغض للذّات وتغييب التواصل والحوار مع صلابة فكرية تفترض خمولا تامّا وإهمالا للاعتبارات الاجتماعية تنقاد وراء نزواتها باعتماد سلوكات تولّد شعورا بالذّنب جنسيّ. -نقص في النضج الانفعالي و اكتئابية سببها حرمان عاطفي مبكر منحت الجسم مظهر كتلة بيضوية تفتقد الحيوية.	-متمركزة حول الذات مع قمع للمشاعر. تجنّب للصراع بالنكوص إلى تصرفات طفولية و استثمار الوالديْن في معالجة المشكلات الزواجية. -استثمار جنسي انحرافي للذات في ظروف موترة و غير لائقة مع الحرص على الموضوع الفيتيشي الثقافي صعّب عليها استكمال العلاقة الزوجية.
2	-انشغال هام بالجسم و الصّورة الذّاتية في خاصيتها الجنسية، مع تقدير سلبي للذات وإمكانية الاكتئاب. -ميل إلى الاستبطان و نشاط الحياة الهوامية و وجود صراع ضمنفسي.	-رسمها ترميزي يختصر دورها في المحيط فهي زهرة موضوع أنثوي شبقي و عدواني ميال للإغواء و بكل ماهو من التابوهات المتصلة بالجسد. -"هي قلب" يحمل ثلاثة ألوان يولد امتزاجها	-تماهي بموضوع الحب المبكر:"أنا غابة والناس حطّابة الشمعة ضوّي تحرق روحها؛ "je suis le cœur". -تعلّق بالأب و صعوبةالحميمية مع الزوج: فشل في المرحلة الأوديبية: إخصاء فعلي

	-صورة عن الذات غامضة تغلب عليها انطباعات خيالية و تشوّهات التجربة الواقعية. -سياق هستيرويدي تتجاهل أو تنتهك به الواقع -بناء علاقات موضوعية مع الحذر في الحفاظ على الفضاء الشخصي، خاصة في وضعيات التّقارب الحسّ-جسدي. -حذرة تتجنب المشاركة العاطفية مع التّحكّم في الوضعيات العلائقية بتجريد الموضوعات من تصوراتها النزوية لمعالجتها فكريا. مع إنكار للواقع و الجسم. -تمتلك كفاءات علائقية وقدرات الاهتمام بالغير مع تجنب التعمّق معهم في وضعيات تفاعلية.	شخصية ميالة إلى السيطرة و التّملّق وتصرّف متغطرس ملفت للنظر مع مثالية وانعزال يزيد من القنوط و الحزن قد يصعب من التكيّف العلائقي. -أساسها شخص يظهر في مخطط مكتمل لكنه طفولي يتصل بنضج فكري محدود، أمّا منحها إياه اللون الأخضر فهو تماهي ذكوري رجولي فيه من العدوانية المفرطة مع الشّكّ و ميل إلى الإستقلالية السيطرة مع قابلية التّحمّل و تحقيق الذّات بالإمتلاك.	يجسد العلاقة المحرمة و هوامات الإغواء يُكسبها سياق هستيري: :"ربطني بابا كي كان عمري 14 سنة"، بإشرافه على إخصاء ثقافي فعليّ وَ رمزي من الأب إلى ابنته. -تأخّر في الزواج سببه إخصاء ثاني:"بابا فسخ الخطبة تاعي زوج مرات، قالي ما نحبش بنتي تتغرب" مع ترسيخ للعلاقة المحرمة والخاصية الهستيرية.
3	-صورة ذاتية جزئية سلبية تصحبها كبرياء ظاهريّا و نظرة تشاؤمية للذات أساسها تجارب عاطفية سابقة محبطة تولّد إهمال حاجات الآخر و فشل في بناء علاقات راشدة معمقة و دائمة زمكانيا مع احتمالية أزمات اكتئابية. -دور خامل في العلاقة و اقتصاد في الجهد و مسؤولية ايجاد حل للمشكلة المعاشة. -حياة هوامية نشطة وميل للاستبطان مع وجود صراع ضمنفسي يولد اضطرابات مزاجية واختلال وظيفي سلوكي. - شخصية تجنبية توظف استراتيجية التفكير بتجريد الموضوعات من تصوراتها النزوية للتحكم فيها. -نقص في النضج و الكفاءة العلائقية التفاعلية تولّد الشعور باللاأمن و العدوانية لدرجة	-تخوف من الشفافية مع التحكم في التعبيرات النزوية بتوظيف ميكانيزم التمويه و تركيز الانتباه حول المنطقة الفكرية من الجسم. -اعتمادية وتبعية تعكس نقصا في النّضج الانفعالي و الجنسي يجد في موضوعات الذات المضافة تعويضا عن فقدان القدرة على التّحكّم في الواقع و ما يولده من صراع داخلي يزيد من الكفّ و الشعور بالخصاء. -ميل إلى التماهي الفالوسي الذكوري بالقوة والفحولة لإثبات الوجود. -ميول للعلاقات تعيقها تعلقات بالماضي والنكوص لانشغالات فمية بتغييب التواصل لوجود صلابة نفسية. -شخصية عدائية ميّالة للمقاومة والتّميّز و التّفرّد وتغذية مشاعر الإزدراء من الغير مع	-علاقة عائلية متوترة "بابا ويمّا يضاربوا بزاف، كان واعر النفس ما كاش". -صراعات مع الأب و الأخ و تحقير للأنوثة: "كان بابا يجبذ شفارتي باش يشوف إلى دايرة غِسيل، كنت خارجة فيهم أنا الوحيدة لي ندير الماكياج وما نخرجش صفرة". -غياب التماهي الأنثوي بالأم و تماهي إسقاطي بالموضوع الميّت: "ماما ما تبينش حنانتها كي تهدر تجرح وأنا بزاف sensible، ما نيش حابة نجيب الدراري، ما نحبهمش". -إهمال كبير لرغبات الآخر و استثمار الذات وَقمع للعواطف والتعبير عن المشاعر للتقليل من طلبات الزوج ما يزيد من غيابه عن البيت "ملّيت ما نمشطش ما نلبسش ما نغسلش، نخاف نوجع، حسيت دا حاجة منّي، حاجة

	الرفض من الآخر. -انشغال اجتراري هامّ بالتشريحية الجنسية للذات يولد هشاشة وانزعاجا مع مشاعر العجز. -الحذر من التقارب الحس-جسدي في العلاقات مع ميكانيزم الكف و أهمية الحيز الشخصي مع تجنب المشاركة العاطفية مع الآخر.	أهمّية الأنا الأعلى. -افتراضية اضطرابات جنسية تركز على منطقة التغذية الفمية على حساب المنطقة التناسلية.	كبيرة بزاف، حاجة منّي نقصت". تخوّف من الخصاء الأنثوي. -علاقة عاطفية أولى فاشلة بسبب رغباته الجسدية لم تتقبل خسارته. -شهدت و هي مراهقة ولادة أحد أخويّها، صعبت التماهي الأنثوي بالأم.
4	-صورة ذاتية سلبية مع سوء تقدير للذات تؤدي إلى الانعزال. -نقص في الاهتمام بالوعي بالذّات مع وجود سذاجة هامّة. -انشغال اجتراري هامّ بالتشريحية الجنسية لدرجة الانزعاج والهشاشة النفسية. -قلّة نضج علائقي مع محدودية في الكفاءات التفاعلية تجعل العلاقات محبطة و تفشل في استمراريتها زمكانيا قد تولّد أزمات اكتئابية. -شخصية تجنبية تحتاج إلى الاتصال بالغير و الاهتمام بهم إلاّ في حالة بناء العلاقة وفقا لخصائص شخصية. -تشارك في العلاقات الّتي تتوقع فيها تفاعلات إيجابية بين أفراد العلاقة. -استراتيجية الحذر و ميكانيزم الكفّ في وضعيات التّقارب الحسّ-جسدية مع أهمّية الحيّز الشّخصي و الشّعور باللاّأمن.	-شخصية نكوصية لها ميول اعتمادية وتبعية تولّد قلقًا شديدا و نوبات اكتئابية بعدائية ناتجة عن خصاء فاصل بين القدرات الفكرية والنزوات الشبقية مع سوء تقدير للذات ونظرة تشاؤميّة . -تماهي ذكوري وسعي لإثبات الذات بالميل إلى الحركة في وجود شخصية أنثوية تتماهى بالأمّ البدائية. -انعزال اجتماعي وعقدة الدونية مع مزاج عصبي ميال إلى العجلة وتغييب الحوار ما يولد صراعا ضمنفسيّا يؤدي إلى نوع من التّمرّد وقمع للتّعبيرات النزوية مع سعي إلى امتلاك موضوع فالوسي يعيقه شعور بالذنب جنسي يتصل بالمحرّم والتّابوهات المرتبطة بالجسد غير الطّاهر.	-تقدير سلبي للذات ناتج عن علاقة عائلية متوترة، شتائم و استصغار مع قيامها بأعمال البيت، سبب تأخر الزواج لكن برجل معاق حركيا ذو مستوى مادي متدنّي فرارا من المعاناة النفسية في العائلة. -حياة جنسية راشدة أساسها الاستمناء بسبب إعاقته، و هي فرارا من الألم النفسي الّذي تعيشه من تعنيف أفراد العائلة. طريقة إشباع انحرافية صعبت استثمار كلّ منهما للآخر في العلاقة الزوجية.
5	-صورة ذاتية تشكلت على خصائص سلبية و إدراك تشاؤمي للذّات يولّد انشغالا اجتراريّا هامّا جدّا بالصورة الجسدية في خاصيتها	-رسم في شكل مشهدي يتضمّن موضوعات جد الحالة صعوبات في التّواصل معها. يفترض الرّسم سذاجة و مشاعر الإذلال و	-ترعرعت وحيدة ضمن عائلة لأب عنيف جدّا، يضربها منذ كانت صغيرة إلى حدّ الآن: عقدة أوديب متمحورة حول هوام الضّرب " On bat un enfant" يولّد مازوشية وتماهي

	الهضمية. -تقدير سلبي للذات و تدني في قيمتها يولد نوبات اكتئابية و هشاشة نفسية مع مظاهر السذاجة تعرّضها للتلاعب من الغير. -حياة هوامية نشطة مع ميل إلى الاستبطان و الوحدة. -إدمان على العلاقات سببه الوحدة و اعتمادية عاطفية، محدودية الكفاءات العلائقية تؤدّي إلى فشلها مع شعور باللاّأمن والانزعاج و العجز. -علاقات سطحية، هشة و محبطة قائمة على الكفّ، الحذر واحتباس عاطفي بفرض الحيّز الشخصي. -استراتيجية دفاعية بالتفكير وتجريد الموضوعات من تصوراتها النزوية للتحكم فيها.	سوء تقدير الذّات بسبب انشغالات هامّة بالصورة الجسدية و بحث عن الإشباع النّرجسي الّذي افتقدته في علاقتها المبكرة بالأمّ. تتميّز الحالة بميول نكوصية انطوائية تفترض صراعات ضمنفسية مع وجود خصاء وخمول ينشط الحياة الهوامية لكن بصفات سالبة تركز على الدونية و الإدراك المشوّه للصورة الذاتية:"عيّانة، نكره نشوف روحي في المراية، هذي أنا؟ أعق، هذي كرشي ما ولدتش، نردها بزاف للبكاء...". هوية الحالة فيها من الغموض و الميل إلى التّقمّص الفالوسي لتحصيل بعض القوّة للسيطرة على نزواتها.	بالأب المعتدي:"بابا لو كان نلقى نكرازيه". -فقدان رعاية الأمّ و انفصال اكتئابي عنها مع تعلّق بموضوع حبّ بديل: "عمرها ما ناضت طيّب لي الحليب، تمشط لي شعري، ماني هي لي تحامي عليّ و نقولها jamais نهيتيني". -تزوجت بعد فشل خطبة أولى استبدلها بقريبة لها. سوء تقدير للذّات و تقزّز من المعاشرة الحميمية: "بارد في بارد، على هذيك ما عنديش الخاطر باش ندنّى ليه، كلّ واحد في بيت". -مشاركة ابنها المتبنّى الغرفة، إشباع بديل للنزوات الليبيدية في علاقة محرمة.
6	-صورة ذاتية مبنية على بعض الخصائص السلبية من تجارب قبلية تولّد نظرة تشاؤمية حول الذّات. -إدراك مشوّه للآخر و لعلاقتها به تولّد العدوانية كعامل تفاعلي طبيعي سببه اللاّأمن و هشاشة نفسية تعيق اندماجها علائقيا. -استراتيجية دفاعية بالتفكير وتجريد الموضوعات من تصوراتها النزوية للتحكم فيها تولّد سلوكات علائقية لا تتناسب و الوضعية المعاشة. -قد تكون طرق تفاعلها و تعاملها متعلمة ومقصودة تخلو من العفوية و التلقائية تساعدها	-شخصية بملامح طفولية مع محاولة منحها صفة راشدة بقص شعرها، فعل عدواني بمزاج قلق وسوء تقدير للذات. -شبقية قائمة على إشباعات فمية مع خصاء وقمع للتعبيرات النزوية وشعور بالذنب يتصل بالمحرّم و التابوهات الجسدية. -بحث عن الإشباع النرجسي في العلاقات بوجود تماهي ذكوري بالقوة و الفحولة مع نقص في النضج الانفعالي والجنسي يفترض انطواء حول الذات وصراعا ضمنفسيا مع تمركز حول الماضي.	-ترعرعت في عائلة تقليدية وحيدة بين ثمانية ذكور تنكر أنوثتها:"مجتمع مهبول ما يرحمش المرأة، غير هي لي تتحاسب لو كان تغلط تولّي منبوذة في المجتمع". -مشاعر الدّونية و سوء تقدير الذّات:"اختُ يشري لها الدواء، أنا ما يصرفش عليّ ما على بالوش بي". -تعلّق التحامي بالأب:"ملّي مات بابا نحس روحي تع الصّح وحدي، نخاف من حاجة ماكاش شغل ما نعرفش ندافع على روحي". -زواج متأخّر من رجل مطلّق يتحسّر على طليقته و هي على حبّ حياتها الّذي رفض

	على الحفاظ على العلاقة. -خمول مبالغ فيه لتجنب المسؤولية أو هو استراتيجية للتلاعب بالآخر. -حياة هوامية نشطة و استبطان ذاتي غير معتاد يعينها على التعامل مع المثيرات المشحونة انفعاليا. -نضج معرفي محدود و نمطية في التفكير.		أخوها زواجها به. -تقزّز من المعاشرة و توتّر مع الزّوج:"كنت ندير له الكاشيات تع النعاس في كاس jus بش يرقد أو ما يجيش عندي". تصفه بالرجل غير النّظيف. -إسهال لفظي متمركز حول أحداث يومية تبدو فيها ضحية.
7	-انشغال اجتراري هامّ بالصورة الذاتية في تشريحيتها الجنسية يولد تقديرا سلبيا للذات مع نوبات اكتئابية. -صورة ذاتية غامضة تحتمل إدراكا مشوّها للذات أساسها تجارب سابقة مع الآخر تولّد ميلا إلى التمظهر تعويضا على الهشاشة النفسية. -سياق هستيرويدي تتجاهل أو تنتهك به الواقع. -حياة هوامية مع ميل للاستبطان مع تمركز حول الذات وتغييب حاجات الآخر. -استراتيجية دفاعية بالتفكير و تجريد الموضوعات من تصوراتها النزوية بانكار الواقع و الجسم للتّحكّم فيها. -نضج معرفي و علائقي محدود مع علاقات سطحية فاشلة ترفض الآخر وتشعر بالانزعاج من تعمّق التفاعل. -خمول و انطوائية و أحكام مسبقة في العلاقات لتجنب المسؤولية في اتخاذ القرارات و إيجاد حلّ للمشكلة. -شعور بالوحدة واللاّأمن والعجز في إشباع	-اعتمادية وتبعية مع ميول نكوصية وانطوائية متعلقة بالماضي تولد صراعا ضمنفسيا ومزاج اكتئابي. -بحث عن إشباع نرجسي في علاقاتها بين– الشخصية تعيقه عدائية وتماهي فالوسي بالفحولة والقوّة للسّيطرة على العجز ومشاعر اللاّأمن. -شخصية بها خصاء يولد ميولا تمويهية استعراضية تعويضية عن مشاعر العجز والحزن: " La vie psychique est une vie dans le temps". -علاقة مثلثية تصعب الحميمية و الإشباعات الجنسية. مع وجود استراتيجية هستيرية تستبعد المنطقة التناسلية بالتّمويه.	-علاقة عائلية عنيفة تولّد فشلا دراسيا و عاطفيا. -مقاومة للآخر واستنكار له مع الميل إلى السيطرة (الأب، الأخ و الزوج): "كالقط و الفار ما نتفاهموش". -استجابة هستيرية لوضعيات العنف و الشجار"كي نزعف نفقد الكلام 4 أشهر مرات أكثر داوني للطبيب، يروح صوتي". -هشاشة نفسية كامنة و صلابة ظاهرية تعويضية لمواجهة اللاّأمن: تقمص ذكوري: "أنا هكذا سروال et en avant حتّى بنتي ما نلبس لهاش الروب" استراتيجية للتّحكم والتّخفّي "تعرض إحدى الصديقات للإغتصاب". -برود عاطفي جسدي مع نقص في الوعي بالذات أو تخوّف منه "معاه حطبة". -تغيب للتّماهي الأنثوي: "يعيطوا لي دحمان، نحب دحمان الحراشي".

	رغبة القربى يولّد تهيّجا نفسيّا تعويضيّا. -هشاشة في مواجهة المشكلات العاطفية تولّد قمعا للمشاعر وصعوبة في التغيير لإجل التوافق الاجتماعي.		
8	-هشاشة نفسية لا تتحمّل فقدان السيطرة و الاضطراب تحت التوتّر. - انشغال بالصورة الذاتية وتمركز حول الذات يولّد صراعات ضمنفسية وبينشخصية مع تساؤلات حول الهوية الذّاتية والتماهيات لأجل التّغيير. تعيش أحداثا يومية على أحكام مشوهة، اضطرابات عاطفية وسلوكات غير مناسبة. تتوافق أكثر في وضعيات روتينية و منظّمة. -حياة هوامية نشطة وميل للاستبطان الذاتي و الخمول مع دفاعية قوية في الوضعيات العلائقية باعتماد سرد المعلومات للاندماج فيها و التصدّي لتحدّي الآخر. -نضج معرفي و علائقي محدود يولّد صعوبات تفاعلية. علاقات سطحية و فاشلة. تتجنّب العلاقات بسبب الكفّ والعجز وغموض هذه الوضعيات بالنسبة لها. -الحذر الشديد في علاقات القربى مع شعور بالانزعاج وقمع التّعبير عن العواطف وأهمية الحيز الشخصي. -نزوات حياتية مع عجز في التعامل معها.	-شخصية بها من الشبقية والميل إلى الاستعراضية الإغوائية مع الفصل بين العواطف و اتخاذ القرارات. وجود صعوبة في السيطرة على النزوات، تولد مشاعر اكتئابية وزيادة التّوتّر. تتّسم بقمع للعدوانية والتّمرّد مع مشاعر الإزدراء بالغير يعكس ميولا اعتمادية نكوصية تزيد من النشاط الهوامي وتغيّب التواصل لإنجاح العلاقات بين الشّخصية. هوية أنثوية ببعض الصفات الفالوسية واضطرابات جنسية سببها قلق الخصاء وقمع للعواطف والنزوات اللّيبيدية. تنتابها مشاعر الشّكّ و سوء الظّنّ و عدم التّصديق تولّد نقص الثّقة بالنّفس والآخر: "نشوف روحي مهبولة على وجه الأرض".	-مظهر اكتئابي مع نوبات من البكاء تتخلل المقابلات. متلازمة calimero: رثاء دائم أو متكرر وعتاب مع مزاج سيئ غاضب يئن، يشتكي، تشاؤم، تفسيرات سلبية واستياء دائم. -تعلّق شديد بالأمّ سبب تأخر زواجها: "كنت بزّاف attachée ليمّا". -تقزّز من الحميمية: "ما نحس بوالو، كي الحطبة معاه".
9	-صورة ذاتية سلبية مع انشغال اجتراري بها في خصائصها الجنسية مع سوء تقدير للذات ونظرة تشاؤميّة.	-رفضت الرّسم مبرّرة ذلك بعدم معرفتها.	-أخت صغرى لأربعة ذكور. متزوجة مرتان تماهيا بالأب، ميالة للمقارنة بين الزوجيْن: الأول قصة حبّ لكنه خانها مرّتيْن؛ الثاني

	-صورة عن الذات و قيمتها مبنية على انطباعات خيالية أو تشويهات لواقع التّجربة. -انشغال اجتراري بالصورة الجسدية و الذات تولد مركزية ذاتية و إهمال لحاجات الآخر مع أهمية الحيز الشّخصي. -استراتيجية دفاعية بالتّفكير و تجريد للموضوعات من تصوراتها النزوية للسيطرة عليها و خفض التوتر. -حياة هوامية نشطة مع ميل إلى الاستبطان الذاتي. -ميل إلى النشاط في العلاقة بالآخر وفق خصائصها الشخصية بإتيان سلوكات توافقية وتوقعاتها حول الوضعية المعاشة، لكن تصبح حذرة في حالة القربى و التفاعل الحس-جسدي. -تخطيط سلطوي دقيق للعلاقات تجنّبا لمشاعر اللاّأمن فيها و صعوبة اندماجها لصلابة في السياقات مع صعوبة التغيير تولّد نوبات اكتئابية و تدمّر من الضّيق مع تقلبات مزاجية و تهيّج نفسي ناتج عن قمع للتعابير العاطفية و آثارها بالحد من التّعقيد. -رفض للآخر في واقعيته و تحقيره بإسقاطه في موضوعات خيالية يطبعها التّخوّف و العدوانية للتقليل من شأنها أو بتجميدها. - حذر وتجنّب علاقات القربى و التفاعلات الحس-جسدية،		أصغر منها سنّا، عنيف لدرجة الإعتداء عليها وابنته، جمعتهما عرضية الخيانة الزّوجية الّتي عاشها مع والديهما ثمّ بنفسيهما. -نظرة فوقية للزوج لكنها سلبية باطنيّا نحو ذاتها يصحبها شعور بالذّنب: "نحس الناس ما يحبونيش، جاب لي ربي غضبان عليّ بزّاف"، استدانت لشراء بيت الزوجية. -يصفها الأب بالإغوائية:"هذي تخرج لك قع الرجال يحوسوا عليها". قالت في زلّة لسان:"أنا ما نتآمنش". -تقزّز من الجنسانية معه لطبعه الغليظ "غير يجي يدنّى لي نطبعُ" و ندمها على طلاقها من الأوّل.
10	-صورة ذاتية سلبية و سوء تقدير للذات مع انشغال اجتراري قلق بالصورة الجسدية في	-ميول نكوصية مع اعتمادية واضحة و ميل إلى الانطوائية.	-مشاعر اللاّأمن و التّهديد من الآخر بالتّعدّي جعلها تتوقف عن الدراسة الجامعية: تخوّف

	تشريحيتها الجنسية تولّد نظرة تشاؤميّة للذات وصراعا ضمنفسيا هامّا حول هذه الصورة و مشاعر العجز، قلق و نوبات اكتئابية مع تقلبات مزاجية. -صورة مبنية على تجارب واقعية ضمن علاقات تفاعلية سلبية و نقص في الوعي بالذات. -سياق هستيرويدي تتجاهل أو تنتهك به الواقع. -استثمار جزئي للذات وفقا للنظرة السلبية مع قمع للتعبيرات العاطفية و تهيج نفسي. -قدرة على التفاعل والتعبير عن حاجات القربى الجسدية مع صعوبة في تفهم الآخر و تأسيس لها وفقا لخصائصها الشخصية لوجود شعور باللاأمن في صعوبة الاندماج فيميل دفاعيا إلى السيطرة وتسيير حركيات العلاقة. صلابة و ضيق الأفق قد تفشل العلاقات. -تمركز حول الذّات مبالغ فيه يعيق تطور العلاقات. شخصية نرجسية و تقدير عالي للذات قد ينتج عن شعور بالإحباط. -حالة توتّر مزمنة مع قلة فعالية كفاءات تسييره وميل للاندفاعية. -استراتيجية دفاعية بالتّفكير و تجريد للموضوعات من تصوراتها النزوية للسيطرة عليها و خفض التوتر. -حياة هوامية نشطة مع ميل إلى الاستبطان الذاتي. -شعور باللاأمن في الوضعيات العلائقية.	-ميول إلى التحكم في تعبيراتها النزوية بقمعها عبر السيطرة الفكرية، مع فصلها عند اتخاذ القرارات يولد صراعا ضمن-نفسي وعدائية كامنة. -صفات هستيرية بمحاولة تشتيت الانتباه مع انشغال بكمال الجسم في تماهيات فالوسية بالقوّة والفحولة تؤكد البحث عن السّيطرة تماهيا بالأنا الأعلى. -ملامح رجالية أكثر منها أنثوية، و صلابة فكرية صعبة التغيير (عناد). -سعي جادّ لأجل الوجود وإثبات الذّات يولد نوبات اكتئابية وقلق. -فشل في العلاقات لوجود خصاء، خمول، اندفاعية، انعدام النضج العاطفي و الجنسي مع تغييب التواصل والتمركز حول أحداث الماضي تولّد اختلالات وظيفية جنسية.	من النّجاح، التغيير والرفض، سوء تقدير الذات، شعور بالذّنب من تجاوز الأهل، غضب ومقاومة لرغباتهم في تسيير حياتها. -تدمير ذاتي ليبيدي سببه كراهية كامنة ورفض التبادل و المقايضة مع نكوص إلى مرحلة اعتمادية التحامية مع الأمّ: "نحب لي يجيب لي حقي ماشي أنا نجيبُ". -تقزز من الجنسانية سببه قلق التّفكّك الّذي تعيشه الحالة نتيجة مرض كرون، واستعراضية ذكورية عاشتها كاغتصاب للحيز الشّخصي ولّدَا برودا جنسيا حادّا. -عرضية تعكس انتقالا من التماهي النّرجسي (التخلي عن استثمار الموضوع) إلى تماهي هستيري مواصلة استثمار الآخر و تماهي الأنا بالموضوع المفقود، ما يكشف عن تغييب استثمار موضوع حبّ آخر، خمول وتدمير ذاتي: "نحب واحد يجيب لي حقي ماشي أنا نجيب حقّي" يفترض عدوانية و غضبا من التماهي بخمول الأمّ في هوام المشهد البدائي.

11	-انشغال هامّ بالصّورة الذّاتية في بعض خصائصها السلبية تشكلت عبر التجربة. -شخصية بخصلة نرجسية لتضخم في مشاعر الفخر والقيمة الشخصية ف العلاقة بالغير تسيطر على إدراك المحيط وتولد الاعتمادية الكامنة. -حياة هوامية نشطة و ميل إلى الاستبطان نتيجة الشعور بالوحدة و العجز تولّد توترا و مشاعر عجز تؤثر على الانتباه و التّركيز. -إنكار للعواطف والمثيرات الانفعالية الموترة والمؤلمة، واستبدالها بشعور إيجابي لا يناسب وضعية التفاعل توّلد علاقات سطحية. -سياق هستيرويدي تتجاهل أو تنتهك به الواقع يولّد هشاشة في مواجهة المشكلات العاطفية يصعب التوافق الاجتماعي واستمرارية العلاقات زمكانيا. -استراتيجية دفاعية بالتفكير و تجريد الموضوعات من تصوراتها النزوية للسيطرة عليها مع صعوبة التّحكم و ميل إلى الاندفاعية الفكرية أو السّلوكية. -بناء علاقات تستثمر الذات و الآخر لإشباع حاجات محبطة ترتبط بخيانة زوجية و شعور بالوحدة قد تجعلها محل تلاعبات الغير. -علاقات أساسها الخمول و التّخفّي أو الاستعراضية وحتّى التّخلّي تؤكد قلة نضج علائقي و نقص في الكفاءات العلائقية والبحث عن حلول أو إتيان سلوكات جديدة.	-اعتمادية و تبعية تولدت عن الانفصال الوالدي. مع ميول نكوصية و انطوائية تزيد من النشاط الهوامي وَصراع ضمن-نفسي و شعور بالذّنب جنساني. -تماهي فالوسي فحولي مع محاولة إبراز بعض الصفات الأنثوية بطريقة استعراضية و تصرّف متغطرس عدواني ملفت. -شخصية عبوسة، حزن وقنوط تبحث عن الإشباع النّرجسيّ مع التّميّز والميل إلى الإستقلالية و توظيف أفكار اندفاعية تخريبية. -صعوبات علائقية بها خمول تامّ، نفور من الجنسانية تغيّب التّواصل مع صعوبة السّيطرة على نزواتها وَ رغبة في البقاء طفلة.	-حياة عائلية مشتّتة و متشرّدة "بتنا بزاف في الزنقة"، أفرادها ذو سوابق، غياب الحاوي و الحامي. -تعرّضت للخيانة الزوجية فأصبحت تخونه: تقمص إسقاطي في شكل عدواني. -ميالة إلى المعاشرة والمقايضة النقدية: تثبيت شرجي. -إستغواء هستيري لا يصل إلى حدّ الاتصال الجسدي "نحوس لحنانة"، قائم على شبقية لفظية إغوائية تعويضية تعكس توترا و إحباطا ليبيديا: يذكرنا بأولى حالات Freud الهستيرية «le corps se mêle à la conversation »، ويكشف عن المكبوتات بتجسيد هوام الامتلاك المازوشي تماهيا نرجسيا بالموضوع المحتقر وما يفترضه من متعة أنثوية و تأكيدا للخصاء.

12	-للعاطفة دور هام في التفكير واتخاذ القرار باعتماد استراتيجية المحاولة والخطأ، و إظهار مشاعرها بطريقة اندفاعية تعكس تنظيما نفسيا غير ناضج. -تتجنب الوضعيات الانفعالية لدرجة الوحدة و القمع العاطفي لصعوبة تعديلها. -استراتيجية دفاعية بالتفكير و تجريد الموضوعات من تصوراتها النزوية للسيطرة عليها و تجنب الهشاشة خلال الوضعيات المقلقة. -صورة ذاتية تكونت باختبار الواقع مع تقدير سلبي و نظرة تشاؤمية للذات. -نشطية علائقية مع تجنب لوضعيات العدوانية و التقارب الحس-جسدي باستصغار الآخر و محاولة استبدال التوتر بعاطفة إيجابية. صعوبة في فهم الغير وتفسير سلوكاتهم العلائقية. -إحساس بمشاعر اللاّأمن لصعوبة اندماجها في الوضعيات العلائقية ما يولد استراتيجية دفاعية للسيطرة. -حياة هوامية نشطة و استبطان ذاتي وانشغال اجتراري بالصورة الذاتية في خاصيتها الجنسية يولّد نوبات اكتئابية.	-رفضت اختبار الرّسم يفترض تخوّفا من الشّفافية، عجزا عن معالجة التّوتّر الّذي واجهته الحالة بعد سماع التّعليمة. و قد يفترض وجود مقاومة لتوتر ناتج عن فقدان السيطرة. عذرها: "مانقدرش نطول بابا ما تعرفيهش و الله يقلب الحالة بالعياط لو كان نعطّل".	-عشرينية تنمّ عن حركية مرتبطة بتوتّر و فرط حركيّ: اندفاعية و نهم علائقي يخلومن العواطف. -سيطرة أبوية بخفايا شبقية ليبيدية:"وين نروح يكون معي، يخاف كاش ما ندير". قمع و إخصاء تخوفا من الانفصال مع إغواءات شبقية توحي بتأسيس لشخصية بخصائص هستيرية. -تخوّف فوبيّ من العلاقات الجنسية، وبحث عن علاقة عاطفية مراهقة بعيدا عن التّناسلية قد ترتبط بفشل العلاقة الأوديبية.

– **جدول رقم 15:** جدول تحصيلي يلخص الحالات الإثني عشر الباقية-

IX- مناقشة أوّلية لنتائج هذه الحالات

تسفر الأدوات العيادية المعتمدة في بحثنا عن تداعيات حرّة للمكبوتات اللاّشعورية حول ثلاثية: الذّات، الآخر والعلاقة الموضوعية الّتي تجمعهما. تتمّ مناقشتنا لهذه النّتائج حسب تصنيفنا لها في الجدول أعلاه بعد التّعريج على نتائج الحالات المستخلصة من القاعدة الرقمية Data Base من CHESSSS لتسعة عشر حالة من التشنج المهبلي تحصلنا عليها نتيجة رغبة في تقصي خاصية هذا الاختلال الوظيفي من خلال معدلات هذه القاعدة، والّتي التجأنا إليها بعد دراسة سابقة لنا لأجل يوم دراسي حول الرورشاخ في نظامه الجديد نظمته الأستاذة حدادي مع فرقة البحث التّابعة لمخبرها LAPCM. كما أسفرت هذه الدّراسة الإسقاطية عن مقاليْن منشوريْن في بوابة .Academia.edu الأوّل بعنوان الأطروحة باللّغة الفرنسية "perception de soi et des relations dans le vaginisme"، وآخر باللغة العربية "الإشكالية العلائقية للمتشنّجات مهبليّا –دراسة نظرية في إدراك العلاقات الموضوعية–، وثالث باللغة الفرنسية " vaginisme et narcissisme, qu’en dit le Rorschach ?".

جاءتنا هذه الفكرة لانشغالنا بتقصّي فرضية تعرّض الحالات لصدمة جنسية داخل العائلة أو خارجها لم تفصح عنها هاته النساء وتنبّهنا إلى احتمالية وجودها بفضل إحدى الحالات الّتي التقيناها مرّة و هي حامل رغم عذريتها تقول، وتصرّ على الإنجاب بعملية قيصرية يرفضها الأطباء، فأهمّ مخاوفها هو تجنّب رؤية الدّم الّذي يذكّرها بمذبح أخيها أمام أعينها خلال العشرية السّوداء.

أمّا الحالات الأخرى وإن اعتمدنا على المقابلة غير الموجّهة إلى أنّ قلّة عددها إضافة إلى الكفّ و الامتناع عن الاسترخاء والاستسلام للاشعور (أساس الإشكالية الجنسية) يؤكّد الثبات على الوعي الكلّيّ بما يحدث توخّيا للحذر وتفاديا لكلّ فلتات لسان قد تندم عليها فيما

بعد: "كي فطنت بديت نبكي و نعيط وْنقول لهم واش نحيتوا لي رجعوه"؛ "هذا قناع تع الإفريقي..."[68].

عرضية سوماتية نواتها نفسية تتجسّد في اضطراب الحياة الحميمية للزّوجيْن بالشّكوى من الأوجاع أو التّشنّجات العضلية..أساسها التّحسّس من الألم الّذي يكشف عن الخضوع لمدّة طويلة منذ سنّ مبكّرة لضغوطات التّوتّر النّاتج عن العنف الزواجي أوالحرمان العاطفي وَالانفصال بالأخصّ عن الأمّ. أحداث نفسو–جسدية تُختزن في شكل صدميّ هستيري (Louka.J.-M.، 2006؛ Bélaïsch.J.، 2003؛ Audebert.A.، 2006) يتأكّد كبتها في ارتفاع معدّل ستّ مؤشّرات من اختبار الرّورشاخ نظام إدماجي، تحدّدها Souffront (1987) في مجموع (Bl، An، Ge)، m، FC :CF+C، X+%، EB؛ يضيف إليها كلّ من Shalit(1965) وModlin(1967)، Salley et Teiling(1984)، Kolk et Ducey (1989)، Swason, Blount et Bruno(1990)... إجابات التّظليل وَمحتويات تتصل بإشكالية الحالة المدروسة.

فقد كشفت حالاتنا عن ارتفاع هائل في معدّل الإجابات التشريحية (16/4,21) والدموية (12 /1,16) بنظرة دونية تتبعها تلك الخاصّة بالجنسية (13/3,89) لتكشف عن توقع للسلبية في علاقتها بالغير(X+%=19/0,47)، وَانطواء مع استبطان مؤلم (SumV=4,25؛ SumC' =2,05) وعجز عن المبادرة والحركة (m=14/1,79) واستجابة باندفاعية للوضعيات الضاغطة (FC:CF+C= 0,42:1,4، DAdj=0,63-)، تحتّم تجنّب التفاعلات المقلقة (MOR =11/1,42) مع تعظيم للحيّز الشّخصيّ (PER=4,26) وَتمركز سلبيّ حول الذّات باجترارية (PSV=0,58) سببها إدراك مشوّه للصورة الجسدية يمنع التّقارب الحسّ–الجسدي وَيشجّع توظيف استراتيجيات وميكانيزمات تقاوم النّزوات اللّيبيدية بديناميتيْها العدوانية وَالشّبقية، تفترض آثار صدمية مكبوتة وشخصية نرجسية.

تستثمر الحالات إذن ميكانيزمي الكّفّ والقمع خاصّة، يولّدان استجابات عدائية تعكس دفاعية سببها القلق والاكتئاب وتكشف عن هشاشة نفسية وغموض في الهوية الأنثوية

---

[68]-«Le masque est la sécurité d'un visage qui se ferme » (Kuhn.R., 1957).

وحتّى رفض لها يصعّب التّكيّف العلائقي و التوافق الزواجي (Crosby، 1988؛ Forest، 1983؛ Hunt et Hunt، 1977؛ Sabourin et al، 1995)، ويؤكّد استدخال المتشنّجات للاعتبارات الاجتماعية الثّقافية القائمة على فيتيشية الموضوع الجنسي.

إنّ أهمّ ما يشدّ انتباهنا في تفاصيل نتائج الحالات الرورشاخية هو شيوع الاستثمار المفرط لاستراتيجية التّفكير وتحكيم العقل بتجريد الموضوعات من تصوّراتها النزوية لإحكام السّيطرة والسّطوة على الحياة النزوية الفطرية لتخفيض تأثيراتها عليهنّ فتتولّد مشاعر بالعجز، الخوف و اللاّأمن مع سوء تقدير للذّات وَنظرة تشاؤمية لها.

تنكشف هذه الاستراتيجية في عدد من المحتويات الجامدة الدّالة على قمع التعبيرات العاطفية وَتحريضات الموضوعات الشبقية، كقولهنّ: "قناع تع الإفريقي؛ هذي قدرة بانتلي؛ بانلي vase ثاني، أُو شغل شباح تاعو على برّة؛ شغل tapis؛ يبان مقام الشّهيد؛ une tache de sang؛ نقدر نشوفها صليب؛ وردة مطبوعة شابّة الوجه فوقاني...". فيتيشية تقمع استثمار الذّات كراشدة بسبب نرجسية لا حاجة لها بموضوع نزوي خارجي.

أمّا وإن فشلت الاستراتيجية الأولى، تدرك المتشنّجات موضوعات ميتافيزيقة أو أسطورية تعكس إنكارها للآخر برفضه و تحقيره أو حتّى تصغيره، عدائية سببها الضّبط النّزوي الذّاتي لتحريضاته اللّيبيدية، كأن قالت بعضهنّ: "يبانلي شغل dracula كبير؛ يبانو des masques؛ هذا غول، وحش؛ deux nounours؛ وحش c'est un monstre، dinosaure؛ تشوفي deux monstres زوج غضبانين؛ masque تع وحش واحد واعر؛ شغل ميكي مُرعبْ؛ خريطة برك ما عندها حتّى شكل مقابلتها برك...". اقتصاد في الجهد و استنزاف للطّاقة مع رفض لتغيير الوضعية المعاشة وإيجاد حلّ للمشكلة الجنسية التي تواجهها، تعكس صلابة فكرية و غياب المرونة.

أفرطت الحالات أيْضًا في إدراك الموضوعات ذات الرّمزية الجنسية الفالوسية، تفترض تماهيات بالفحولة و القوّة وعلاقة مرآتية بالآخر للتعويض عن مشاعر اللاّأمن و العجز الّذي يعتريهنّ أمام قلق الخصاء: "وحيد القرن؛ زوج كرابّات؛ شغل حنش؛ منّا العقرب لي

تشد حاجة؛ تقولي les antennes تع triciti؛ أوْ يبان la Tour Eiffel؛ شغل هذي شعر أوْ واقف، هذو يدّين أمْ متقابلين؛ هذا شيخ، عينيه، لحية ديالُ، نيفُ؛ رْجل تع الكبش تع العيد، هاوْ talon؛ شوفي يبان حذاء، حذاء ضخم؛ سباط تع publicité ماشي لْلّبسَة ليس للاستعمال؛ papillon عندُ قرنيْ الاستشعار؛ المقص لي يقطعوا بيه؛..." قد نفسّر هذه التّماهيات المرغوبة باتّصال حسد القضيب لدى المتشنّجات مهبليّا بتوظيف نزوة السّطوة لاستمرار الاستمتاع الشبقي والهوامي بالرغبة في موضوع لا تحتمل فقدانه، ما يوحي بنقص في النّضج العاطفي وَالجنسيّ وتثبيت شرجي هوسي.

تنمّ هذه الإدراكات عن ميولات عدائية مقمعة في معظمها، مع محاولات كينونة الندّ للندّ بين الذّات وَالآخر، يزيد من التّمركز حول الأنا بإهمال رغبات و حاجات الآخر. كما توحي إجابات الحالات بنماذج تعلّق مبكرة غير آمنة (Anderson، Beach et Kaslow، 1999؛ Davila، 2001؛ Whiffen et Johnson، 1999)، إمّا تناقضية، تجنّبية أو مضطربة كلية مثل الحالة الثالثة المفصّلة أو الحالة الأولى الظاهرة بالجدول أعلاه (Ainsworth et al، 1980). كما تكشف بعضها عن فشل في العلاقة الأوديبية مع افتراض إغواءات ولّدت شخصيات هستيرية في خمسة منها(أنظر التّفاصيل في الجدول أعلاه). تميل هذه الأخيرة إلى توظيف سياق هستيرويدي تتجاهل أو تنتهك به الواقع لشعورها بالانزعاج من محدودية قدراتها في تعديل العواطف السلبية فتميل إلى تشويه الواقع حتّى تتجنّب مواجهة ما تدركه أو تتوقعه مؤلما في الخارج. وقد نجد إثنيْن منهنّ قد اعتدت على الجسد بالإيذاء "الإصابة بمرض الكرون" كاشفة عن حالة من الاحتقان و التّوتّر الشّديديْن طويلة الأمد.

تشترك الحالات في خاصية ترتبط بهوام الضّرب[69]؛ هي نسوة إشتكيْن من معاملة الأب القاسية حتّى و هنّ راشدات "كان يضربني بسبتة خشينة وْمن جهة لحديد، كان يوجعني؛ كان كي يشوفني خارجة بالمكياج، يمسحه لي وْيقول لي ما تخرجيش هكذا؛ وين نحب

[69]- Fantasme de fustigation “On bat un enfant’’.

نخرج يروح معي، يقول لي مانديرش فيك confiance..."، و استغراب غياب حماية الأمّ من سطوته، ما يفترض تقمّصا إسقاطيّا يصيّرها سادية مع زوج تخصيه فيصبح مازوشيا.

و عليه، تبني المتشنجات علاقات موضوعية على أساس توقّعات أن يكون الغير أكثر تسامحا وتفهّما لحاجاتها و شروطها العلائقية و هو ما يؤكد شخصيتها النّرجسية مع الميل إلى الإزدراء والخمول بسبب ميزة الاعتمادية. فقد أقدمن علينا يترقّبن حلّا سحريّا منّا، علمًا أنّهنّ تجنّبيات، انطوائيّات، اندفاعيات، استراتيجيات، بهنّ كفّ يحتّم استثمارهنّ للحيّز الشّخصي كحامي حاوي تغذيه مشاعر الحذر من شدّة المثيرات العاطفية بسبب هشاشة نفسية كامنة تدرك العلاقة بالآخر تهديدا للصورة الجسدية والذاتية يزيد من الانعزال وتغييب استثماره وَالذّات في استكشاف المحيط.

يقوم إدراك معظم الحالات للآخر على أحكام ذاتية أكثر منها واقعية تغيّب تجارب المحاولة والخطأ للحذر الّذي تغذيه في اختبار الواقع، فقد اقترنت كلّها بأوّل شخص تعرّفت عليه تجسيدا للمعتقدات الاجتماعية السائدة.

أمّا و إن اِنتقلنا إلى معالجة الرّسومات، فهي تؤكّد نتائج اختبار الرّوشاخ في كون الحالات شخصيّات عصابية قلقة و متوتّرة أكثرت من استعمال الممحاة، الشّطب الّذي يخفي حزْنًا واِكتئابًا سببه ألم جسميّ مصدره المنطقة الشّبقية الأنثوية و مقاومتها لرغبات الآخر (Goldworth(1950)؛ Vernier(1952)؛ Berman(1953)؛ Hoyt et Baron(1959)؛ Lewinsohn(1964)؛ Gray et Pepitone(1964)؛ Handler et Reyher(1964)؛ Debray(1980)؛ Eskelinen et Ollonen (2010)؛ Bouak et Bouteyre(2010)) تكشف عن صراع نزوي بين مبدأي اللّذّة وَالواقع يظهر في إدراك مجزّأ للذّات في صورة تنقسم مادّيّا إلى ثلاثة أقسام منفصلة عن بعضها (الرّأس، الجذع والحوض)، نظرة انشطارية إخصائية، تولي أهمية للقدرات الفكرية والاعتبارات الاجتماعية كما أوضحته إجابات الرّورشاخ. فالرّأس محلّ الأنا والاعتبارات السسيو–ثقافية مع اهتمام كبير بتحسين شكله و تحديد انفصاله عن باقي الجسم بالتّركيز على الرّقبة كمحلّ للصراعات الضمنفسية

في محاولتها الفصل بين الفكر وَكلّ ماهو شبقي. تتبعها أهمية الصّدر كمنطقة للتّبعية وتحريض التماهيات بالأمّ البدائية حتّى أنّ بعضهنّ منحها اللّون الوردي، بينما زيّنتها أخريات بعقود أو بخطّ خاصي مانع للاستمتاع الجسدي اللّيبيدي، وَأثقلته أخريات بالأزرار و تحسين منطقة الخصر تشبّثا منهنّ بالصورة الجسدية الطفولية وهوامات الانشغال بها في مرحلة المراهقة. صورة جسدية ممثلنة تمنع استثمار آخر منطقة من الجسم وهي المنطقة التّناسلية وكأنّها لم تتبلور بعد في تكوينها النفسي وَتطورها اللّيبيدي؛ حتّى أنّ من اعتمدن الألوان من الحالات منحتها لونا أزرق أو أخضر، أو تركتها أخريات بيضاء بينما ظلّلتها البعض منهنّ بالأسود في شكل خطوط تشطّب هذه المنطقة وتحيك حولها شبكة تفترض إنكار وجود العضو الأنثوي و استثماره في المرحلة التّناسلية.

وجد .Katz.A أنّ الألوان الدّافئة (الأحمر، البرتقالي، الأصفر) تلقى استحسانا لدى أصحاب الأمراض العضوية، بينما تلقى الألوان الباردة (الأزرق، الأخضر، البنفسجي) استحسان الشّخصيات الهستيرية إلى حدّ كبير.

بسبب كلّ هذه المخاوف تتّخذ المتشنّجات على غرار ما كشف عنه اختبار الرّورشاخ، إحدى زوايا الورقة كمكان للتّواجد، متلفّتة و إن بادرت بالوسط بحثا عن الإشباع النّرجسيّ نحو اليسار ما يعني تثبيت على صدمات الماضي و ميول نكوصية إليها. أما أخريات فظهر رسم الشّخص في وقفة تمثالية في زاوية وصفها العلماء ممّن سبق و أن أشرنا إليهم بمكان الذّكور و رمزية الفحولة. يوحي هذا التّموقع من المحيط على ميل للتّماهي الفالوسي كتعويض عن المفقود بعد الخصاء الفطري ثمّ الثّقافي، و ما يتبعهما من نظرة سلبية للذّات وتقديرا سيّئا لها مع نظرة تشاؤمية ضمن علاقة "أنا مثلك وندّ لك".

أمّا وإن انتقلنا إلى المقابلات العيادية، فإنّ المستمع لحديث الحالات يجده يتمحور حول الآن وحينا بعيدا عن كلّ ما يتّصل بالماضي ونزعاته، وأهمّ ما يستعرضنه نزاعات مع الزّوج، فرار، تملّص، اختفاء، حتّى يُتخيّل إلينا أنّها علاقات زواجية مؤسّسة على ثنائية (هجوم/دفاع) تنذر بعدم استمرارها زمكانيّا، فقد تعرّضت حالتان منهنّ للتّهديد بالطّلاق

بعدما دامت الإشكالية أكثر من 8 أشهر، اِنزعاج يكتنف مشاعر الغضب تولّدت عن الإحباط النزوي اللّيبيدي. في حين تعرّضت أخريتان للخيانة الزّوجية.

أمّا باقي الأزواج، فهُمْ يعزفون عن اتّخاذ القرار بالانفصال لتأسيس علاقة أخرى، بل سعوْا و الزّوجة إلى إعادة إحياء أو تجسيد العلاقة المثلثية الأوديبية في رمزيتها بالبحث عن طرف ثالث للمساعدة بدْءًا من الدّاخل بأمّ الزّوجة ثمّ أبيها، و بعدها انتقال للخارج بدءًا بِراقي ثمّ أطبّاء التّوليد و نادرًا الطّبّ النّفسي وَمتخصّصوه، أولوية للتّقليد وتسخير العُرف بعيدًا عن العلم ومستجدّاته (سامعي–حدادي.د.، 2012، 2018).

يكون الإجهار بالإشكالية بعد الاستفسارات الملحّة من المحيط عن تأخّر الولادة و الإنجاب بما لا يتماشى والمعتاد، دون إشعار بالمشكلة الزّواجية الحقيقية وفق ما يحتّمه التابو الاجتماعي والحِمْل السسيو–ثقافي من ملاوم و تأنيبات تدحض الشّبقية و تشجّع الإنتاجية لأجل استمرارية المجتمع.

يفرض هذا الصّمت أيْضًا سكوتا عن طرق تعايش حميمية انحرافية: مطالبة بالتّخذير الجزئي أو الكلّي ما يذكّرنا بمعاشرة الموتى(la nécrophilie)، هوام تتجاوز به النزوة الجنسية بعض المقاومات الّتي تستشعرها الحالة كرفض الآخر جسديا، الإشمئزاز، التّقزّز وَالعفّة المفرطة وَالألم ليتجسّد في مرور إلى الفعل غير معقول يحرّر هذه المرأة من الحاجة إلى الخوف، تُخضِع موضوع الحبّ إلى مقاربتها بعيدا عن الجسد كشاهد على أفعالها وَتفاعلاتها. أوْ قد يطالبها بالإتيان من الدّبر لتفعيل هُوام المنطقة الحشية الطّفوليّ... تقنيات مواطأة أساسها خفض التّوتّر النّزوي تغذّي عجزا ذكوريّا فحوليّا وَتخوّفا أنثويّا من الخصاء وحتّى رهابا من إفساد و تخريب جسدي للصّورة الهوامية عن الذّات المثالية.

عجز عن الفعل وَآخر عن العطاء يفترض تثبيتا في المرحلة الشّرجية، يولّد جُرحًا نرجسيّا للموضوع يتأكّد في الاستجابة إيجابيّا لحدود (مبدأ الواقع) فرضتها الأنا الأنثى، يعكس صعوبة دخول المرحلة التناسلية لفشل في طقوس الانتقال على حدّ قول Freud (1924) وَصدمة تشكيك الأنا فيما استدخلته سابقا من إدراكات حول صورتها الجسدية، وَإلزامية

إعادة النظر في حقيقة هذا الجسد مع ضرورة الفصل بين الجسد النّفسي و الجسم البيولوجي–الاجتماعي.

تولّد هذه الحقائق الطقوسية حسب Laufer (2000)، مقاومات وميولا نكوصية للتّغلّب على مشاعر اللاّأمن و قلق الغريب الّذي يولده الإدراك الجديد للجسم، فيصبح أوّلا وقبل كلّ شيء جسدا اجتماعيّا تناسليّا إنتاجيّا تصبّ جنسانيته في حدود ثقافية تُخصيه بالرباط لتأطير و تقديس حياة الأنا النزوية ضمن دلالة أخرى قد يعيق إدراكها الانتقال إلى مرحلة الرّاشدين و"الكْبَار". ويعطّل التّفرّد وبناء الهوية الذاتية و الجنسية مع إنكار لواقع التّوريث عبر الجيلي لهذه المعتقدات وتمرّد عليه يُحَكّم سطوة العلاقة الالتحامية بإنكار جسد الآخر والجسد المجنّس أيْضًا و مَا يستجدّ عليه من حاجات فيزيولوجية شبقية خاصّة (Cadoret، 1998)؛ فتتولّد مشاعر اكتئابية، حداد، حزن و تعكر للمزاج مع اضطرابات رابط الأنا بالجسد يثير آلاما فيزيائية أوْ حتّى أمراضا سوماتية يمكن تفسيرها بميكانيزمات دفاعية لمواجهة الأدوار الثقافية الّتي تفرض إعادة إدماج جسدية، صورة فيتيشية تناسليّة و جنسية حتّى قبل أن يكسب الفرد ماهية الجنسانية بالأخصّ في مجتمعاتنا العربية التقليدية.

يجد الفرد نفسه أمام إشكالية جديدة ثلاثية الأبعاد تتوجّه به نحو الباثولوجية أو السواء وَتأكيد نجاح طقوس الانتقال: النرجسية، التماهي الأنثوي و الجنسنة المنتجة.

خلاصة الفصل الخامس

ماذا أسقطت المتشنّجات مهبليّا؟ إنّ تفحّصنا لإنتاج الحالات السيكومتري في طبيعته اللّفظية و غير اللّفظية تحتويه افتراضات تفسّر إشكاليتها الجنسية على مستوييْن: نوعية العلاقة بالموضوع المبكر واستثمار الذّات في اختبار الواقع.

إن بدأنا بالأولى وجدنا أنّ معالمها الحس_حركية وَأبعادها الزمكانية الّتي تتخلّل الإشباعات اللّيبيدية في إستنادها الفيزيولوجي بتوظيف مختلف الفتحات الجسدية و خاصّة الجلدية تستفسر نوعية استجابة الأمّ لرغبات ابنتها خلال المراحل اللّيبيدية وَتسريع الفطام والإخصاء الفميّ، ثمّ نظرة الآخر الكبير إلى كلّ ما يخرج من جسم طفلتها فتقيّمه قذرًا، دنسًا وَقبيحًا يُخجل منه وتجب إحاطته بالسرية و التّطهّر السّريع منه، أو أنّه هدية مفرحة تثبت نجاحات ابنتها الفردية تتقبّل هذه الأخيرة لأجلها خصاء جزء من جسمها لتقدّمه لموضوع حبّها تؤكّد إمكانية الإبداع لديْها. تليها الصراعات الضمنفسية وبين_الشّخصية لتحريم العلاقة بالأب و إرادة الفتاة في الفوز بإعجابه، فتخصيها الأمّ معنويّا وتحتّم عليها كبت رغبتها فيه فتتعلّق به كموضوع فريد لا مثيل له، دفع ببعض الشعوب إلى توكيله بفض بكارة ابنته يوم زواجها.

تولّد هذه الوقائع على كلّ مستويات استثمار المناطق الشبقية عدوانية و نزعة إلى السّطوة و امتلاك الموضوع المرغوب. تظهر في شكل ساديّ وميل إلى إخصاء الآخر تبرز في مقاومة الأنا للجنسانية واستمتاع المتشنجة مهبليا بالتّماهي الإسقاطي بالقوة والكفاءة وَالفحولة في تعويض المفقود و المرغوب.

أضف أنّ سلبية هذه التّفاعلات سوف تتحكّم لاحقا حتّى في الكفاءات العلائقية والقدرات التفاعلية في استثمار الذّات والآخر، أوْقد تسبّب أنواعًا من الكفّ والقمع تتخفّى وراء علامات الخجل، الخوف وعدم الثّقة تولّد برودا جنسيّا وَحتّى التّشنج المهبلي. فالتّحريضات الشبقية لمختلف مناطق الإشباع الشهوية في علاقة الفرد الحميمية بالآخر تسترجع تلك

الصورة المستدخلة سابقا لتصبح نموذجا للتّعبير عن الإشباع الجنسي في الحياة الراشدة لاحقا (Freud، 1905).

إدراك نوعية علاقة الذّات بهذا الموضوع في قُرْبها الحسّ-جسدي على أنّه مليئ بالتّابوهات تصبح أنماطا أصلية للسلوك الجنسي الرّاشد تفسّر أصل النّظرة التّطهرية للجنسانية و ارتباطها بالعفة و الإبقاء على العذرية لدى حالاتنا.

سلوك هستيري إغوائي بنواة نرجسية محضة يربطه Reik بضروب من الكفّ والقلق وأعراض العصاب الناتجة عن الإخفاق في تحقيق إشباع متزامن لنزوة التسلط و السطوة ومطلب الحبّ واستمرار الفصل واستحالية الجمع بين الموضوع الجنسي والشخص المحبوب. وَعليه، ينجم العصاب عن تبديد الجهد الفردي المبذول لجعل الجنس والحب وَشهوة السلطة في انسجام؛ فهو إخفاق في الحياة الحبية و ليس الجنسية أصل شكاوي حالات بحثنا. فخوفها من الجنس و قلق الخصاء الّذي يؤسّسه مع الشّعور بالإثم النّاجم عنه يحول و حياة حميمية مشبعة.

و عليه، جاءت علاقات المتشنّجات مهبليّا الموضوعية ميّالة إلى السطحية في معظمها تمنع عن الآخر تجاوز حدود الحيّز الشّخصيّ و التّعمّق معه ضمن تفاعل إيجابي يستثمر الذّات في الواقع. فقد طالبت معظمهنّ إقتناء الزّوج للمخذّر الطبّي الماديّ الّذي يفسّر التّخذير الرّمزي عبر تجريد الموضوعات المدركة في اختبار الرّورشاخ من تصوراتها النّزوية لتسهيل السطوة.

تجربة فراغ أو موت حسّ-نفسي مؤقّت تقول، تعكس خللا على مستوى العلاقة الأولى بالموضوع الخارجي، و تماهيا به في الإنكار: إنكار للواقع و إنكار للجسم و حاجاته بالنّسبة للذّات و أيْضًا للآخر؛ عجزت الآن راشدة عن إيجاد تفسير لها "ما على باليش علاش ما نقدرش نكون كيما النساء الأخرين!؟". تجربة حسية مبكرة صادمة عجزت المتشنّجات عن ترميزها و عقلنتها و بقيت واقعية مؤلمة.

يُكنّ Green هذه التّجربة بعلاقة الأنا مع أمّ ميتة تتجسّد في صفة بلّورية غلّفت بها جسد ابنتها فتعزله عن الإحساس، فيحلّ التّخذير مكان اللّذّة، و يفشل تحويل المناطق الشبقية عن وظيفتها الفيزيولوجية نحو لذّة ليبيدية تستشعرها في هذه المناطق. ورثّتها في ذلك هشاشة توظيفها النّفسي كراشدة، هواماتها، عصابها الطّفولي وحتّى تاريخها في حوار لاشعوريّ صامت سجّلها أنا الطّفلة الجلدي في شكل بصمات حسية أحدثت شرخًا صدميّا و غموضًا مبكرًا يجد له استجابة سوماتية في الرّشد. وهنا تفسير إدراك الحالات قيد البحث للفعل الجنسي مع الآخر على أنّه مقزّز لأنّه دنس وَ قذر يولّد حركة نكوصية ضدّ تطوّرية تفشل معها طقوس الانتقال من مرحلة طفولية إلى أخرى تناسلية راشدة، تخذر النضج العلائقي واستثمار الذّات "Retour de l'affectivité originaire et inquiétante étrangeté". كما تحرّض تشنّجات موضعية مهبلية كميكانيزم سوماتي دفاعيّ يقاوم تعبيرات الآخر الشّبقية الّتي تُدركها كتهديدات للوحدة الجسدية و الصّورة الذّاتية.

نستحضر هنا مقولة لأب التحليل النفسي Freud (1908) حين وصف كلّ شخص يتقزّز من الوضعية الجنسية الشّبقية بالهستيري، مكنّيا عن ذلك بتلك المرأة الّتي تمسك بفستانها على جسدها متمنّعة عن موضوع الحبّ، لكنّها في نفس الوقت تمزّقه باليد الأخرى متقمّصة شخصية الرّجل الرّاغب فيها.

في عام 1931، أكّد Freud على أن الشخصيات الهستيرية تشترط الحبّ، وتبحث عن اهتمام الآخر وعلى علاقات حميمية شبقية خاصّة. اتّصال جسدي آمن، حاوي و حامي أكثر منه اغتصابي تهديدي. من هنا تماهي هذه الشّخصيات بالقوة و السلطة تعويضا عن حسد القضيب و فقدانه لديها. و أشار أيضا إلى معاناتها من مستوى مرتفع من القلق مع إظهار الخجل و الشّعور بالذّنب. كما تبدي الهستيريات تحويلا للنزوات إلى أعراض سوماتية جسدية. فتشنّج اليد مثلا هو رغبة في الاستمناء و امتناع عن فعله، يقول.

يلخّص Freud هذه الحالة بتعميم الهستيريا لكلّ شخصية تكشف عن أعراض سوماتية أو غيرها تجد في الانتشاء الجنسي تقزّزا. أمّا Reik فيربطها كعصاب بضعف الثّقة في النّفس

و النّفور من الذات، و إظهار مشاعر الإثم والإحساس بانعدام الشّأن. و عليه يقول: ليست المصاعب الجنسية سوى تعبيرات واضحة عن مصاعب أخرى، عن شرّخفيّ، إخفاق في محاولة توحيد الجنس وَنزوة السّطوة و العاطفة.

الفصل السّادس: التّحليل العام للنّتائج

تتّصل الجنسانية الأنثوية في المخيال الذّكوري بالسلبية، حسد القضيب والعرض الهستيري. تبحث الدّراسة الّتي باشرناها في تأكيد أو دحض هذه الفرضيات في جنسانية المرأة الجزائرية وتشنّجها المهبلي وفق ثلاث متغيّرات إفترضنا تفاعلها وتأثيرها المتبادل على بعض، فجاء تساؤلنا حول مدى ارتباط التّشنّج المهبلي كاختلال وظيفي جنسيّ أنثوي بكيفية إدراك الذّات والعلاقات الموضوعية.

تباحثنا هذه الإشكالية في ظلّ الاختبارات الاسقاطية و المقابلة العيادية، فأسفرت النّتائج عن كمّ هائل من العوامل الكامنة المرتبطة بهذا الاختلال الوظيفي يمكن تبويبها إلى ثلاثية: ثقافية تتمثّل في عادات وتقاليد الرّباط و التّصفيح؛ اجتماعية عُرفية تعدّ الفتاة الجزائرية لدورها الأنثوي في المجتمع بإتيان طقوس علائقية معيّنة بالآخر و"حشومة" الحديث في موضوع الجنسانية؛ وآخرها نفسية تتضمّنها فرضيات دراستنا.

"ابنتي حيط و ابن النّاس خيط" عبارة طقوسية تجسّد انتقال البنت الجزائرية من مرحلة طفولية إلى أخرى راشدة تناسلية، تطالبها الحاجّة (...) أثناءها بترديد كلمات تحصّن عذريتها من كلّ احتمالية اغتصاب أو اعتداء، وحتّى حماية من كلّ إمكانية انسياق البنت وراء شهواتها، فهي حائط يصعب اختراقه من خيط لا مفعول له أمام متانة جدارها.

تتعرّف الفتاة على هذا "chaman"، شيخا كان أو عجوزا يؤسّسها للحياة الجنسية، بإخصائها ذاتيّا بضبط نزواتها فيُحرّض إنكار الحاجات الجسدية لأنّها مضرّة؛ وإخصاء غيريّ يؤكّد لها حقيقة أنّ الآخر مهدّد، يؤذي، ويتعرّض لوحدة صورتها الذّاتية.

تعميد حتّى قبل أن تنضج عاطفيّا وعلائقيّا، تتعلّم منه أنّ كلّ ماهو نزوي خطر يستلزم الإمتناع عن استثمار الذّات، وأنّ العلاقة بالآخر مدنّسة تلطّخ شرف العائلة فيحبّذُ تجنّبه قدر المستطاع و إن كان الجلوس بجانب أحد الأقارب الشّباب.

على النّقيض، نجد في مقولة شعبية أخرى "عَنقْ أُو بوس و لا تمس مكان لعروس"، إيحاء بتوظيف مبدأ اللّذّة مع تحكيم مبدأ الواقع بالانتباه والتّركيز على حفظ ما يسائل عنه المجتمع ولا يغفر فقدانه ويكون جزاؤه القتل: فقدان الغشاء الفيتيشيّ.

تتجلّى هذه التّعليمات كذلك حتّى رمزيّا وفي إحدى أغرب الحلويات التّقليدية الجزائرية إسمًا "بوسُ لا تمسُ"، تشترط توخي الحذر عند تناولها لهشاشتها: تسمح بالقبلة واستثمار جزئيّ علويّ فميّ بعيدا عن التّواصل الجسدي التّناسلي الّذي يشترط إطارا اجتماعيّا مقيّدا.

تشجّع هذه المقولات و غيرها على استثمار فصامي للجسد، بتركيز هستيريّ على ما فوق الخصر و إنكار شبقية الجزء السّفليّ؛ الأوّل فميّ إطعاميّ والثّاني ثقافي إخصائي، علمًا أنّ الفمّ بديل المهبل تكتشف الفتاة شبقيته عند تغييرها لموضوع الحبّ خلال المرحلة الأوديبية.

تقنين لفظيّ لجنسانية المرأة يؤكّد به السّسيولوجيّون على خضوع هذه الأخيرة لتدريب وتلقين اجتماعي حول أسُس استغلال جسمها والمحظور عنها من أفعال ونشاطات لأجل الارتقاء الحضاريّ (Bozon، 1999). أمّا Van Gennep(1909) فيميّز فيها طقوس المرور إلى مرحلة راشدة: انفصال يطبع القطيعة مع الحالة السابقة، ودخول فترة هامشية تتكيّف المرأة خلالها مع الحالة الجديدة لتسهيل الإدماج والتّرسيم ضمن جماعة الإنتماء.

يطبع هذا التّعلّم حسب دراسة الباحثة Guedj.F.(1994) تمركزًا على الداخل من الجسد يفسّره الإسقاط الكبير للإجابات الجنسية الّتي تؤكّد التّأطير الثّقافي بعادات الرعاية الصّحية للجسم لأنّه مصدر الأجيال السليمة. الأمر الّذي التمسناه في حالات التّشنّج المهبلي خاصّتنا، فأقلّ عدد من هذه الإجابات كان بإثنيْن وأكثرها عشر، تقترن في معظمها بإجابات تشريحية.

يبني هذا التّمركز حول الجسد إشكالية نرجسية نجدها طاغية في مرحلة المراهقة تولّد عنها نقص في النّضج الجنسي و تناقض في الهويّة يرتبط بتقمّص مظهر امرأة أجنبية في جسد–ثقافي متوارث من خلال الماترياركا الكامنة تحت ظاهرية المجتمع الفالوسي.

تتفاقم في ظلّ هذه الأفكار المتناقضة الإشكالية الجنسية الأنثوية وتتعقّد الحياة الزواجية وتسوء الصّحّة النّفسية والجنسية للأنا والآخر بما يحتّم البحث عن طرف ثالث، موضوع إنتقالي يتدخّل لتخفيف التّوتّر ومساندة الطرفيْن في تقبّل الوضعية الجديدة والتّكيّف معها باختبارها عبر وضعيات الاسترخاء واسقصاء أصل المشكلة بمعايشتها تصوّريّا سواء من جانب طبيّ عضويّ وحتّى جراحي أو نفسي هوامي.

أمّا وإنْ ناقشنا نتائج دراسة إشكالية الجنسانية الأنثوية للمرأة الجزائرية عبر ثلاثية تفاعلية لمتغيّرات التّشنّج المهبلي، إدراك الذّات، إدراك العلاقات أثناء المواقعة والبناء، وجدناها تتلخّص في أشباح الماضي الّتي تدخل غرفة نوم الزّوجين كلّما وَلَجَاها، فتسقطهما في أصل العلاقة الثنائية ثمّ الأوديبية أمّ/ابن وَ أب/بنت وتنافسية الموضوع الفالوسي، فتعيق استثمار كلّ واحد منهما للآخر.

في حين تكشف مناقشة نتائج دراستنا من خلال فرضيّاتها المصاغة، عن تأكيد الفرضية الرّئيسية على التّرابط بين تشوّه إدراك الذّات وَما يولّده من مشاعر سلبية في تزايد تعقيدات التشنّج المهبلي واختلال العلاقة التناسلية الزواجية. ففي دراسة أجراها M.-P.Gagnon-Girouard, O.Turcotte, M. Paré-Cardinal, D. Lévesque وآخرون عام 2014 بجامعة Laval الكندية حول اِرتباط الإشباع الجنسي الزّواجي بمختلف مركبات الصّورة الجسدية والمشاعر المصاحبة لها، توصّل الباحثون إلى أنّه كلّما تشوّه إدراك المرأة لذاتها وكانت معارفها عنها سلبية ومحدودة قلّ استثمارها لذاتها ونقصت علاقاتها الموضوعية وَ زاد إحباطها الجنسي الزّواجي.

في تفصيلنا لهذه الفرضية ربطنا الإدراك الموحّد للذات بانخفاض حدّة التّشنّج المهبلي لدى المرأة وغياب الاختلالات الوظيفية التناسلية الزواجية. و هو ما افتقدناه في 13 حالة

أظهرت اكتسابها للمخطّط الجسدي و إدراكها لوحدة الذّات بنوعية تطورية (o) لكنّها اِتّصلت بنوعية شكلية (-) أو (u) مع إضافة حالة واحدة للتّنقيط MOR يعكس تشاؤمية ونظرة سلبية للذّات.

قد تسقط الحالات زيادة على ذلك محتويات فنية أوْ موضوعات أسطورية تكشف عن تحقيرها للآخر وتوظيف نزوة السّطوة للانضباط نزويّا(.Canivet.N، 1956)، وحتى تجريد تلك الموضوعات من تصوّراتها النّزوية للتّحكّم فيها (Sanglade-Andronikof، 1993) وفيما ينتابها كامرأة متشنّجة من إثارات .

تظهر المتشنّجات نوعًا من الاهتمام بالمظهر الخارجيّ يعكس أنوثة إغوائية تؤكّد التّمركز حول الذّات في صورة هستيرية. أشارت الاختبارات لما لاحظناه عليها من عناية و صرامة في تناسق الألوان يتأكّد بتوظيف صريح لخمس حالات منها لسياقات هسترويدية (CP=1) تكشف عن مظهر جسدي فالوسي تعويضي عن حسد القضيب واستمتاع أنثوي بإثارة الآخر رغم رفضها التّقرّب الحميمي واستثمار الذات في العلاقة الموضوعية (Florencia Farìas، 2010؛ Blaquière، 2014).

إمتناع هستيري يرجع حسب التّفسير التّحليلي الفرويدي إلى مكبوتات وفشل خروج الأنثى من العلاقة الأوديبية لوجود تثبيت قبل–أوديبي يربطه Freud بالتحامية بالأمّ واتّخاذها لابنتها كفالوس شخصيّ؛ أوْ فشل في تغيير الموضوع و المنطقة الشّبقية: حيث تكون المرأة رجلا مع الأمّ في الحالة الأولى، ثمّ تلتفت إلى الأب لتصبح امرأة. حتّى أنّ إحدى الحالات قالت مفاخرة بانتقاد أبيها لعجز زوجها عن إكمال الفعل الجنسي رغم بنيته الجسدية الرّياضية "تضرب الحيط بدبزة طيحُ ما قدرتش لابنتي!".

رغم الإدراك الموحّد و المكتمل للذّات إلى أنّ الحالات تجد صعوبة في الحياة الزّواجية ما يشترط الوقوف على نوعية الإدراك الّذي جاء سلبيّا يدحض الفرضيّة المُصاغة ويؤكّد ما يصطلح عليه Hensel، Fortenberry، O'Sullivan، Orr(2011) بتقدير الذّات الجنسي الإيجابي الغائب لدى الحالات. يتجسّد في أهمية تقييم المرأة الإيجابي الذّاتي

لجنسانيتها، من حيث طبيعة الأفكار المبلورة عن الذات ومشاعر الحبّ أو الكراهية الّتي تغذّيها تجاهها والسّلوكات الناتجة عنها أثناء الفعل الجنسي وما يتّصل به من إدراكات للجسد أثناء الوضعية الحميمية. يعرفه Andersen et Cyranowski(1994) بالأنماط الجنسية الشّخصية الّتي تنتج عن تجارب حسية سابقة اِمتزجت بآثار الموروثات الاجتماعية بما يسهّل أو يعطّل التفاعل الجنسي بتجنب العلاقة بالغير و تغييب استثمار الذات. أضاف James (2007) تأثير جماعة الأقران والتجربة الشّخصية على اكتساب تقدير ذات جنسي إيجابي أو سلبي.

أكّدت عدّة دراسات عن الارتباط الوثيق بين الصورة الجسدية و نوعية إدراك المرأة لذاتها في تسهيل علاقتها بالغير وإيجاد القبول اللاّزم بينهم، أو حدوث اختلال في الوظيفة الجنسية و رفض من الآخر، Zeanah et Conrad Schwarz(1996)، Wiederman et Hurst (1998)، Mayers, Heller et Heller (2003)، Heinrichs, MacKnee, Auton-Cuff et Domene (2009)، Dany et Morin (2010)، Erbil (2013)...

تأكّدت هذه النّظرة في الفرضية الجزئية الثّانية والّتي تشير إلى التّرابط القائم بين تشوّه إدراك الذّات وتأثيره على العلاقات بين-الشّخصية بقِلّتها و انخفاض استثمار الذّات مع اختلال العلاقة التّناسلية في وجود التّشنّج المهبلي وطول أمده، وطرق الإشباع الجنسي التّعويضية الّتي تؤكّد شخصيتها العصابية و لو كانت في بعض الأحيان تتّسم بالانحرافية (15/2) تعكس فرضية المرحلة الحشية والتّقزّز من الجنسانية في اختلاط توظيف الفتحتيْن: الشّرج والمهبل، الإطراح والولادة.

ما يدفعنا إلى مساءلة الفرضية الثالثة الّتي تحصر التّشنّج المهبلي في تثبيتات فمية وشرجية سادية قبل أوديبية، تظهر في هوس التّحصيل العلمي أو المادّي للحالات وفي التحامية صعبت الانفصال عن الأمّ و تجلّت ظاهريّا في اصطحابها للحصص العلاجية بدلا عن الزّوج، ما يفترض اِرتباط الإشكالية الجنسية بهذا الموضوع-العرض ومواصلة

تمثيلها لدور الموضوع الفالوسي عجزت بسببه عن الالتفات نحو موضوع الحبّ التناسليّ الحالي لصعوبة اِلتفاتها سابقا نحو الأب للتّخلّص من الأمّ.

يفترض هذا التثبيت على الأمّ استدماج واستدخال الفتاة الجزائرية للرّجل كموضوع سيّئ يعيق تجسيد الأنوثة، يُبقي هذا الفحل كلا-أنا يصعب الالتحام معه في وجود مُدركات "قرون، مقام الشّهيد، أنياب..."، موضوعات اِستقرّت داخل الأنا تتحوّل بها من استثمارها كموضوع حبّ خارجي عنها إلى التماهي بها، تُدرك كامتداد للأنا و ليس كموضوع داخليّ متميّز عنها يفترض اختلالا في التّصوّر الفضائي لعلاقات الأنا بهذه الموضوعات، شكل من التماهي بديل علائقي نكوصي يتّخذ من ابتلاع الموضوع و"هضمه" نموذجا.

لذلك إذا ما رأته خارجا عن ذاتها انتابها الخوف من اللاّتمايز والانفصال عن الأمّ. فهو يُفترض أنّه داخلي وجزء من ذاتها، يضمن لها التحامية جديدة بموضوع الحبّ الأوّل أثناء الفعل الجنسي فيتعذّر الإيلاج ومن ثمَّ إقامة الذات لحدود التّخوّف المكاني في الفضاء النّفسي.

و يفترض أيْضًا تحوّل الهوامات التناسلية المبكرة إلى هوامات ذات طبيعة شرجية تفسّر التّشنّجات العضلية المهبلية كدفاعات ضدّ تمثّلات اتّصال القضيب-فضلات صلبة بالمهبل-الشرج وانقباضات الغشاء المخاطي المعوي كحاوي على هذا الموضوع كمحتوى مستقلّ و تابع للجسد، إذا أعطاه الطفل فهو مطيع، وإذا رفض إهداءه فهو عنيد: "ما عرفناش وين و كيفاه، رحنا عند الطبيبة ما فهمتناش مليح".

إذا استدمجنا المرحلتيْن، تحوّلنا إلى المرحلة الحشية والنظرة المبكرة للحمل: أثناء الفعل الجنسي يستدخل الموضوع "ياكل" ليطرح "تلد"، انتقال من شبقية فمية نحو شبقية شرجية، تؤسّس لتناسلية تكبت المهبل كعضو تناسلي أنثوي وتنكّر للأنوثة لدى المتشنّجات مهبليّا، خاصّة وأنّ الأمومة تبدو كمؤشّر مهمّ للإيلاج المهبلي.

تتلخّص إشكالية المتشنّجات مهبليّا إذن في النظرية القائلة بتأكيد إنكار وجود المهبل واصطدام القضيب عند الإيلاج بآخر ابتلعته الأنا فيفشل حينئذ اكتمال الفعل الجنسي تخوّفا من الخصاء وقلق الانفصال مع إخصاء للفالوس.

أمّا إذا أردنا تلخيص هذه الفرضيّات فيكون في ثلاثية من خصائص إدراك الذّات والعلاقات اِنبثقت من نتائج الأدوات الإسقاطية والعيادية المعتمدة:

-النظرة التّشاؤمية للصّورة الذّاتية و سوء تقدير الذّات؛

-أهمية الحيّز الشّخصي و تجنّب التّقارب الحسّ-جسدي (في هذا الأخير ألم)؛

-توظيف سياقات هسترويدية واستراتيجيات التفكير وميكانيزمات تجريد الموضوع من تصوّراته النزوية لتوظيف نزوة السّطوة.

يرتبط إدراك الذات بثلاث مركبات أساسية: موضوعية أنطولوجية (استمرارية وجودها اجتماعيا وثقافيا)؛ ذاتية نشاطية (اِستثمارها مع الضبط الذاتي) وأخيرا، معرفية إدراكية (الوظائف والتصوّرات عن حقيقة الذّات الأنثوية).

ترتبط النّظرة التشاؤمية و السلبية للذّات لدى حالات التّشنّج المهبلي بالفشل في اجتياز الامتحان كما قالت إحداهنّ، وهو ما يطلق عليه René Laforgue (1969) بعصاب الفشل، أو الثّمن الّذي يدفعه أيّ عصابي كعَرَض عن عقاب الذّات وتقييد إمكانات الشّخص و صدّ جزئيّ لطاقته اللّيبيدية تمنعه عن توظيف ما يقدّمه الواقع لتحقيق الإشباع فيتولّد إحباط داخليّ يظهر في شكل اكتئاب (اِرتفاع إجابات AB) يفسّره Klermann (1979) بطبيعة الاستجابة للوضعية المؤقتة المرتبطة بحدث اِضطربت له الأنا لأنّها لم تتمكن من تجاوزه، و يزيد من الانشغال المبالغ فيه بالجسم وبالتشريحية الأنثوية من منظور الاستثمار الذكوري اللّيبيدي يُصنّفُ ضمن الهستيريّا التّحويلية نتيجة تابوهات مجتمعية. يقول فيها Morin أنّها الاسم العادي للتمثيل الاستعراضي، فهي ليست بمعناها السريري لا خدعة ولا اصطناعًا، بل تحوّل من حالة نفسية إلى عرضية جسدية. وأكّد

Green(1997) على إمكانية تخفّيهاعبر التّنظيمات الطبعية، أو بحالات من الاكتئاب، أو على رغبات بمستوى التثبيتات الفمّية أو الشرجية في العلاقة بالموضوع، دون أن ننسَ علامات الثنائية الجنسية.

أمّا Donnet(1986) فقد أشار إلى أهمّية التفاعل اللّفظي أمام فشل اللّغة الجسدية في الهستيريا ($25< R < 46$) يُحكَم عليه بالاكتفاء التعبيري الذي يدّعي إعادة إيجاد علاقة موضوعية قبل لغوية سليمة، لكنّه يعكس فشلا جزئيّا أثناء المرور إلى الجسم بوجود الموضوع الأصلي، يفترض تباينا بين الشّبقية المُطلقة، المثالية و/أو الاضطهادية للعلاقة بالأمّ.

"ثرثرة" دفاعية، توظّفها المتشنّجات مهبليّا كميكانيزم عقلنة أو فكرنة تحاول من خلالها إعطاء صياغة منطقية للصّراعات الضمنفسية المعاشة، تسمح حسب Sapisochin (2010) بالتّخلّي عن المفهوم المكاني للبنية النفسية ليُعاد ابتكارها مرّة أخرى في اِلتقاء الذّواتيْن (الباحثة والحالة) اللّتان تشغلان العلاقة الزّواجية الحالية بسياقاتها التّحويلية وضد–التّحويلية. فتطفو إلى السّطح صفة الفحش الّتي تتّصل بالنّشاط الجنسي لدرجة تصبح معها البذاءة مخادعة. و من هنا ما أشار إليه Bloch بظهور علامات الانتكاس والنّكوص إلى كلّ الانحرافات التّصحيحية ظاهريا، لكنّها تبعد الطّرفان عن الهدف الجنسي الأصلي: إنكار التّناسلية لأجل الإنتاجية مع مقاومة المرأة لوظيفتها ودورها الأنثوييّن خاصّة. فهي إذن، حالات جنسانية طفولية أكثر منها انحرافية، ترتكز على الشّبقية الجزئية بعيدا عن الاتّحاد الجسديّ.

نصنّف هذه النّوعية من التّفاعلات كنواتج لحسد القضيب وقلق الخصاء والبحث عن التماهي بالفحولة يضع المتشنّجات مهبليّا في فئة العصاب حسب تنظير Adler، هي أقرب إلى النّرجسية الأصلية منه إلى العلاقة الموضوعية. كما يتخفّى وراءها حقد ومرارة المرأة المعادية للرّجال تحرّضها على تقمّص المظهر التّحرّري، يقول

Ferenczi، ينعكس في نقص النّضج الجنسي الأنثوي: سلوك حميمي خامل واستجابة انتقامية ومتناقضة لفضّ البكارة مع وجود آثار للبرود الجنسي.

تشنّج إذن، أوّلا ثقافيّ مجتمعيّ يخصي المرأة و الرجل حتمًا، و ثانيا يدفع كلّ منهما إلى تمثّل دور الآخر الكبير "أنا نعَيْط لُ بابا، وهو بنتي ولاّ ماما"، فيصعب الوطأ و يتعذّر الانتقال إلى الاكتمال بالغيريّ.

تعجز المتشنّجات عن الحبّ في غياب البلورة النّفسية للنزوة وَوجود تماهيات معقّدة ومتناقضة خلّفت نرجسية متذبذبة وغير مستقرة مع اختلالات جنسية سببها علاقات والدية عنيفة وأمّ غائبة نفسيا أو ميّتة تدفعها إلى التّركيز على نزوات البقاء، يصبح معها الآخر ضروريّا لإنقاذ الأنا شريطة أن لا يبرز اختلافه الجنسي فيتصيّر مهدّدا وموضوعا سيّئا (Bick.E.، Green.A.؛1968، Begoin.J. ؛1988، Kaës.R. ؛1989، Decherf.G. ؛1989، 1997)، يستهدف الرابط الزواجي به يذكّر Kaës، تعديل التّواجد سويّا الأصلي وتعويض تجربة الحزن بالحماية و تجنّب الانفصال[70].

تكشف إشكالية التّشنّج المهبليّ عن اِرتباطها أيْضًا بالصّدمة وحتمية الحيّز الشخصيّ، أي مشكلة تصادم بين حيّزيْ الأنا والآخر وإلزامية تنظيم المسافة بين الفرديْن. هو نظام حماية واستراتيجية دفاعية دائميْن (Sommer، 1969؛ Horowitz, Duff et Stratton، 1965؛ Tucker، 1973؛ Pedersen، 1973) تجسّدهما حدود نفسية و انفعالية خفية تحيط بجسد الأنا وتمنع الدّخلاء من تجاوزها، و إذا ما حدث عكس ذلك فهو اعتداء واغتصاب للملكية الخاصّة. هو إقليم محمول يحلّ أينما حلّت الذّات لتضع الغير خارجه حينها، يتّخذ شكل"bulle" تحيط بجسد الأنا و تفصله عن الأجساد الأخرى (Hall، 1966) ضمن

70-«aucun lien ne s'établit sans que soit visée la tentative de rétablir l'être-ensemble des origines..., d'opposer à l'expérience de la détresse celle du secours et du recours dans le maintien de la non-séparation ».

تفاعلية وتواصل مقنّنيْن: "الفوق ماشي التحت؛ لو كان نشروا l'anesthésie ماشي خير؟! نخلوا للمرّة الجايّة...". قوقعة تشكّل مساحة شبه جسدية (Leroy, Bedos et Berthelot، 1972) يعتبرها Hall (1959؛ 1966) امتدادًا للأنا. مسافة جسدية بين-شخصية تعكس المسافة الاجتماعية الّتي تورّثها المعتقدات والعادات والتّقاليد بين الأفراد والجنسيْن خاصّة (Burns، Hutte et Cohen، 1964؛ Schwebel et Cherlin، 1972؛ Levinger et Gunner، 1967؛ Walberg، 1969)، حتّى أنّ Duke et Nowicki(1972) يريان فيها مركبة من مركبات الشخصية يرسّخها التّعلم الاجتماعي.

و قد لاحظ Argyle et Dean(1965) في تجربة أجرياها حول تقلّص قطر الحيّز الشّخصي وَبروز العينيْن، أنّه تجحظ هذه الأخيرة إذا ما زاد التّقارب الجسدي بين شخصيْن لا يتعارفان، يفسّره أحدهما أو كلاهما بمشاعر تهديد الطّرف الآخر عليه وَتُفسّر الحميمية معه بالإعتداء والإغتصاب. هي الحالة ذاتها الّتي تداولتها المتشنّجات مهبليّا، فقد صرّحت جميعها بالشعور بالتّهديد كلّما اقتربت ساعة عودة الزّوج إلى البيت تتضاعف معها ضربات القلب، وتشخص الأبصار فتلجأ إمّا إلى البكاء، التّوسّل بالتّوقّف أو إبعاده بعنف إذا ما حاول التّقرّب منها عند حضوره.

حميمية الآخر هي غزو للحيّز الشّخصي (Sommer،1969)، تسبّب تقييدا للنشاط الجنسي وإحباطا في حاجاته سببه تقنين للّمس والتّقارب بسبب الإنجذاب-تجنّب الآخر أصل التابوهات (Argyle، 1969؛ Cheyne et Efran، 1972؛ Barefoot et coll، 1972)، علمًا أنّ الدّفاع عن هذا الغزو هي خاصية ذكورية (Hartnett et Gibson، 1972).

تؤكّد المتشنّجات مهبليّا رفضها للإيلاج فيما أظهرته من شفافية في حديثها عن إشكاليتها ومبالغة في استعمال كلمات خامّ و سرد مطوّل تتخلّله تعبيرات التّقزّز و النّفور تفترض صراعا حدوديّا وهشاشة بين الدّاخل والخارج من أجسادها، يعكسه تهرّبها من العالم الدّاخلي بالإسقاط خارجا لكلّ ما يتعلّق بجنسانيتها، تتحصّن منها بتوظيف سياقات الصّلابة الظاهرة في الفكرنة الّتي تثبت طابعها التّجنّبي في العلاقات الموضوعية.

إنّ تحليلنا النّهائي للحالات وفق الوجهات الفرويدية التّحليلية الثّلاثة يكشف في وجهة نظر ديناميكية على صراعات ضمنفسية هامة تتمحور حول الانشغال بالجسم و الصّورة الذّاتية السّلبية، مع تناقض في التّماهيات و الهوية الجّنسية تولّد حياة هوامية بمؤشّرات سلبية و نظرة تشاؤمية للذّات. أمّا من وجهة نظر موقعية، نجد على مستوى الشعور ـقبل الشّعور الحذر التّوتّر من الغريب، أمّا على مستوى اللاّشعور فهناك كبت و كفّ هامّان لتجارب الأنا السّابقة وَتوظيف النّزوات الجنسية وتحريضاتها اللّيبيدية الشّبقية مع إنكار للخصاء وقمع للعواطف، ما يتطلّب من وجهة نظر اقتصادية صرف طاقة نفسية هائلة في تجريد الموضوعات من تصوّراتها النّزوية و/أو توظيف ميكانيزم التّفكير لتعديل هذه الإثارات الّتي بقيت شعورية يصحبها توتّر ينزاح إلى مستوى معرفي لتسهيل السّيطرة عليه بتجنّب التّفاعل الحسّي معه. تصبح العلاقات الموضوعية على إثره سطحية، مقنّعة خالية من المغامرة وإدراك شبقية المناطق الذّاتية للإكتفاء بوظيفتها الفيزيولوجية.

إنّ مساءلة الجنسانية الأنثوية للمرأة الجزائرية في الحقيقة هو استفسار للتصوّرات الثقافية، الاجتماعية، والنفسية تصيغ مبادئ شخصية تتماشى و قناعات جماعية تسيّر استثمارها للذات وتأسيس علاقاتها مع الموضوعات الخارجية بتوظيف طاقة ليبيدية تصرفها لتحقيق عضويتها ضمن جماعة الإنتماء، و الخضوع لنظرة الآخر في تقييمها لذاتها وإدراكها لعلاقتها به.

لكن الحياة التّناسلية تحتاج وتستلزم تفرّدا و بناء للذّات في علاقة مع الآخر بالتناوب بين الالتحامية والاستقلالية.

خاتمة عامّة

الجنسانية تعمير. وظيفة كلّ المخلوقات. تتّصل بصفة الإرتقاء في حالة البشر فتتعلّق بالأخلاق والطّهارة تحتّم توظيف نزوات الأنا و ميكانيزمات الإعلاء يسقط الفرد في موضوعاتها مكبوتاته اللاّشعورية الجنسية، و تشترط على الفتيات تطبيق طقوس انتقالية قامعة مانعة للشهوانية كانت ومازالت إلى يومنا.

تحريض على الجنسانية قبل التّعرّف على وجودها كنشاط راشد، تثير الفضول لارتباطها بالممنوع والعقاب مثل الّذي تلقاه أبونا آدم بأن طُرد من الجنة بسبب حواء! والإشمئزاز من الفعل الجنسيّ لاتّصاله بكلّ ماهو دنس، مقزّز يرتبط بالوظائف الفيزيولوجية الإطراحية.

موروثات و معتقدات تخلّف اختلالات وظيفية جنسية اِتّخذها التحليل الفرويدي مطيّة تؤسّسه علاجا نفسيّا فعّالا لكلّ سلوك جنسي عصابيّ و خاصّة هستيريّ تكشف عنه نساء تجد صعوبة في تقبّل الآخر حميميّا والتّحوّل عن الأب، موضوع حبّها الأوّل: برود، تعطيل، كفّ، اضطرابات اِنفعالية، نفور واعتراض...أعراض وسّعت دائرة دراسات المحلّلين والمختصيّن النّفسانيّين والجنسانيين إلى طرق التّصريف النّزوي و ما قد تحتمله من انحرافات توجّه الأنظار نحو الإستمناء و المثلية...

وإن كان اهتمامنا بالجنسانية الأنثوية ومساءلتها حول استثمار المرأة النّاضجة لقدراتها التناسلية فهي أيْضًا استفسار حول إدراكها للعلاقة بالآخر. بذلك يتحوّل تساؤلنا إلى عصابية هذه المرأة بالبحث في تشنّجها المهبليّ. اختلالات وظيفية تصنّفها التّحليلية الفرويديّة من نفس مستوى الاضطرابات الغذائية و السّلوكات ضد–المجتمعية الّتي يؤسّسها القمع، وتختصره الحالات قيد الدّراسة في عبارة "بصّح"؟

تردّد المتشنّجات مهبليّا كلمة رباعية الحروف تتخلّل استرسالها في سرد أحداث حياتها في ظلّ هذه الإشكالية الجنسية. كلمة تكتنف استفسارات و استفهامات حول عجزها الجنسي.

"بصّح"، تعني في اللّغة العربية الفصحى "و لكن" الاستدراكية. أمّا مدلولها المعتقدي فيتوقّف على التّعجّب و الاستغراب من تصرّفها كامرأة، غرابة وضعيّتها الزّوجية و مسايرة الزّوج لها مع التّشكيك في فحولته.

"بصّح"، تحتّم عليها التّظاهر بالتّوافق الزّواجي و إن غابت عنه الجنسانية أساس التّوظيف النّفسي والرّابط أنا-آخر، تخفي أسرارًا و تابوهات اجتماعية تولّد علاقة محرّمة "نْعَيّطلُ بابا، و هو مرّات ماما و مرّات بنتي"!

"ما قدرتش بصح...الفرد يحسّ بالنّقص عندما يبقى وحيدا"، لأنّ الثّنائية أنا-آخر تحقّق إشباعا نرجسيّا وإكتمالا لنقائص وإحباطات مبكّرة وتوقّعات يسقطها كلّ واحد منهما على الثّاني. هي أيْضًا توكيد للهوية الجنسية وتأسيس للكينونة الفردية و الإجتماعية قد تحتّم توظيف سياقات تعويضية تجعل من أحدهما الموضوع الّذي ينتظره الآخر.

"ما قدرتش بصح..." تخفي اِعتمادية مقنّعة ونجاحًا في الخروج من الصّراع الأوديبي بتغيير موضوع الحبّ والانتقال إلى موضوع تناسلي راشد، لكنّها تعكس رفض تغيير المنطقة الشبقية التناسلية من فالوسية إلى أنثوية، و عجز عن تجاوز ودحض زنا المحارم.

"ما قدرتش بصح..." تكشف عن صعوبة التّماهي بالصّور الوالدية مع توظيف مشاعر الكراهية أكثر من حبّ الأنا للآخر الغريب، اللاّأنا.

"ماقدرتش بصح النساء les normales قدروا، واش عندهم de spécial؟". يفترض "بصح" هنا توازنا ديناميّا و تفاعلا طبيعيّا بين كلّ زوجين بعد إبرام القران يجسّده عقد وفق معادلة الأخذ و العطاء باحترام حقوق وَ واجبات كلّ طرف نحو الآخر لتحقيق التّوازن والأمن، الإنتماء بتأدية الأدوار الاجتماعية الموكلة لكلّ منهما عن قناعة فردية، تشترط قمعا للاختلافات و بذل جهد للتكيّف وإجبارية الإلتزام لتجنب العقاب. كلّه ممكن إلاّ في جنسانية تجسّد هوام المشهد البدائي ونزوة السطوة تجعل من الآخر فاعلا و من المتشنّجات موضوعه النّزوي. وضعية ترفضها هذه الأخيرة لأنّها دوّامة تتخبّط حينها

بين الوجود و أن تفقد هويّتها بأن تكون لاشيء، وضعية فوبية محيّرة "أين أنا؟ ومن أكون عندما يستمتع الآخر؟". مقاومة تشكّك الآخر في ذاتيته و تقضي على هيمنته "لن تكون في وجودي"، تخصي الأب من خلاله و تقتله.

"ماقدرتش بصح ما نطلقوش ما نلقاش كيما هو"؛ رابط يقوم على مقولة "توأم الرّوح" يخفي انجذابا لاشعوريّا نحو شريك شبيه يحتّمه طغيان الجسد النّفسي على الجسم السّوماتي، طرفاه فاعلان معرفيّان و ليس موضوعان نزويّان، ابتكرًا نموذجًا للتّعايش الثّنائي يميل نحو الانتقائية الإخصائية تمنع التّطوّر و تحرّض الصّلابة الفكرية لدرجة التّضخيم و تعطيل الانتقال إلى مرحلة الرّشد والتّناسلية. يفترض على خلاف الرّابطيْن السابقيْن التدمير و الموت بسبب تعطّل التّفاعل بين طرفيْه وعدم توافقهما إلاّ جبرًا.

"بصّح..." كلمة تتضمّن عددا من المخاوف و الفوبيا الأنثوية، تخوّف من الحمل والولادة أو من سلوك الزّوج العنيف تستلزم توظيف سياقات الكفّ وَنكوصات إلى تثبيات قبل- أوديبية كانت فيها موضوع الأمّ الفالوسي، أو إلى استجابات قديمة لطرق الإشباع الطفولية مع رجحان قيمة البظر الشبقية.

"بصّح..." تسائل الغلاف الهستيري للمتشنجة مهبليّا و تكشف عن جسد نزوي تلقّى تحريضات شبقية غامضة من الأمّ اختلطت لديها بالتّعبيرات اللّفظية تحقّق به التّواصل النّفسي دون السّوماتي، تمنحه للرؤية فقط لا للّمس.

"بصّح..." تكشف عن التّخوّف من الألم و حتمية التّعرّض للخطر ضمن العلاقات الموضوعية، يهدّدان وحدته الجسدية و يعكسان خاصية الغرابة و التّهديد في إدراكاته الإنسانية و استدخالا لصور والدية أوّلية ضمن غموض بين الفاعل و الموضوع.

"بصّح..." تكشف عن تماهي بأمّ ميتة تعكّر مزاجها بمشاعر الحداد تولّد فتاة عاجزة عن الحبّ، ممنوع عليها التبادل الحميمي و العاطفي لا تجد إشباعا في حياتها الجنسية الراشدة...

"بصّح..." تؤكّد الآثار اللاّحقة للعلاقة الموضوعية المبكرة على العلاقات التناسلية الرّاشدة و استثمار الذّات في اختبار الواقع مع الآخر.

قائمة المراجع المعتمدة في البحث

إبراهيم ع.السّتّار، (1985)، **الإنسان و علم النّفس**، الكويت: دار عالم المعرفة.

أحمد الودرني، (2007)، **نظريّة المعنى**، تونس: مركز النّشاط الجامعي.

أحمد ع.الحليم عطية، (1997)، **جدلية الأنا والآخر**، مصر: مكتبة مدبولي الصّغير.

أحمد محمّد ع.الخالق، (2000)، **أسس علم النّفس**(3)، مصر: دار المعرفة الجامعية.

أدلر.أ.، (2005)، **الطّبيعة البشريّة** (ترجمة: عادل نجيب بشرى)، مصر: المجلس الأعلى للثّقافة.

إس.كون،(1993)،**علم نفس الجنس** (ترجمة: محمد شحود)، اللاّذقية، سوريا: دار الحوار للنشر.

أسعد.ر.، (1987)، **موسوعة علم النّفس**(3)، بيروت، لبنان: المؤسسة العربية للدّراسات و النّشر.

الأصبهاني.ر.، (1902)، **محاضرات الأدباء ومحاورات الشّعراء والبلغاء**(1)، مصر: مطبعة الهلال.

أكرم.ر.، (2010)، **كيف تبنون بيتا سعيدا**، مصر: مؤسّسة ألفا للنّشر و التّوزيع.

أنجرس.م، (2004)، **منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية**، الجزائر: دار القصبة للنشر.

إنجلر.ب.، (1990)، **مدخل إلى نظريات الشخصية**(2) (ترجمة: فهد بن ع.الله بن دليم)، الطّائف، السّعودية: دار الحارثي.

باتلر–باودون.ت.، (2012)، **من نحن، كيف نفكّر، ماذا نفعل؟** (ترجمة: مكتبة جرير)، السّعودية: مكتبة جرير.

باسكال كينيار،(2007)، **الجنس والفزع** (ترجمة: روز مخلوف)، سوريا: دار ورد للطباعة والنّشر.

بتلر.ج.، (2014)، **الذّات تصف نفسها** (ترجمة: رحيم فلاح)، بيروت: دار التنوير.

البحيري ع.الرّقيب، (1987)، **الشّخصية النّرجسيّة–دراسة في التّحليل النّفسي–**، مصر: دار المعارف.

برافين.أ.ل.، (2010)، **علم الشّخصيّة**(2) (ترجمة: محمود السّيّد)، القاهرة، مصر: المركز القومي للتّرجمة.

بِل.ك.، (2017)، **الفنّ** (ترجمة: عادل مصطفى)، المملكة المتّحدة: مؤسّسة هنداوي.

بلاكمور.س.، (2016)، **الوعي** (ترجمة: مصطفى محمد فؤاد)، مصر: دارهنداوي.

بن حتيرة.س.، (2008)، **الجسد والمجتمع**–دراسة أنثربولوجية لبعض الإعتقادات والتّصوّرات حول الجسد–، تونس: دار محمّد علي للنّشر.

بن عبد الله.ز.، (2005)، الجمال والجسد الأنثوي–تمثّلات وممارسات–، **مجلّة إنسانيّات،** (29/07-30)، 29-47.

بن قادة.أ.، (2013)، **أفكار خارج المزاج**، الجزائر: دار القصبة.

بن محمّد الضّيفاوي.س.، (2014)، **ميثولوجيا آلهة العرب قبل الإسلام**، المغرب: المركز الثقافي العربي.

بوحديبة.ع.الوهاب، (2000)، **الجنسانية في الإسلام**، تونس: سراس للنشر.

بوزيدي.ه.، (2018)، تجلّيات الحضور الذّكوري في الخطاب الرّوائيّ النّسويّ، **مجلّة علوم اللّغة العربية وآدابها،** (14/06)، 166-185.

بومان.ز.، (2016)، **الحبّ السّائل** (ترجمة: حجاج أبو جبر)، بيروت، لبنان: الشّبكة العربيّة للبحث والنّشر.

بونوا.ه.، (2002)، **التّحليل النّفسيّ والميتافيزيقا** (ترجمة: عبد الله عاصم)، المغرب: إفريقيا الشّرق.

بيرين.ف.، (2017)، **الألوان والإستجابات البشرية** (ترجمة: صفية مختار)، المملكة المتّحدة: مؤسّسة هنداوي.

بيومي خليل.م.م.، (2000)، **سيكولوجية العلاقات الأسرية**، القاهرة، مصر: دار قباء.

پاليا.ك.، (2015)، **أقنعة جنسية** (ترجمة: ربيع وهبة)، القاهرة، مصر: المركز القومي للتّرجمة.

الترمانيني.ع.السّلام، (1984)، **الزّواج عند العرب في الجاهلية و الإسلام**، الكويت: دار المعرفة.

تركي.ر.، (1984)، **مناهج البحث في علوم التربية و علم النفس**، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

توماس.ه. وَأحمد.ج.، (2010)، **الأجساد الثّقافية–الإثنوغرافيا والنّظريّة**–(ترجمة: أسامة الغزولي)، القاهرة، مصر: المركز القومي للتّرجمة.

ثيموتي ج.ترول، (2006)، **علم النّفس الإكلينيكي** (ترجمة: فوزي شاكر طعيمة داود، حنان زين الدّين)، الأردن: دار الشّرق.

جابر ع.الحميد.ج.، كفافي ع.د.، (1995)، **معجم علم النّفس و الطّبّ النّفسيّ**(5 و7)، القاهرة، مصر: دار النّهضة العربية.

جبرون.أ، (2015)، **انشقاق الهوية**، الرّباط، المغرب: دار طوب بريس.

جرجي.ز.، (2012)، **علم فراسة الحديث**، القاهرة، مصر: دار الهنداوي.

جوان ليبمان.س. وَ ناردي إيجان.ج.، (2010)، **إشارات الجسد** (ترجمة: زين العابدين)، السّعودية: مكتبة جرير.

جون سي ماكسويل، (2009)، **أساسيّات العلاقات** (ترجمة: مكتبة جرير)، السّعودية: مكتبة جرير.

حرب.س.، (1994)، **الأنا والآخر والجماعة**، بيروت، لبنان: دار المنتخب العربي.

حسن نعمة، (1994)، **ميثولوجيا وأساطير الشّعوب القديمة ومعجم أهمّ المعبودات القديمة**، بيروت، لبنان: دار الفكر اللّبناني.

حسين.ف، (2004)،**علم النفس المرضي**، مصر: مؤسسة طيبة للنشر.

حمزة.ع.ع.الحليم، (2003)، **الجنس و أبعاده**–جدل القداسة والإغواء والعنف–، بيروت، لبنان: دار رياض الرّيّس.

حمود.م.، (2013)، **إشكالية الأنا و الآخر**، الكويت: دار عالم المعرفة.

الحنفي.ع.المنعم، (2002)، **الموسوعة النّفسية الجنسية**، مصر: مكتبة مدبولي.

خضر.ع.، (2013)، الأنا والآخر–بين الفلسفة والسيكولوجيا–، **مدوّنتي الإلكترونية**، (1)، 11– 28.

خليل أحمد.خ.، (1982)، **المرأة العربية و قضايا التّحرّر–بحث اجتماعي في تاريخ القهر النّسائي**، بيروت، لبنان: دار الطّليعة للطّباعة والنّشر.

دافيدوف.ل.، (1992)، **مدخل علم النّفس**(3) (ترجمة: عمر محمود، نجيب خزام)، القاهرة، مصر: الدار الدولية للنّشر.

داماسيو.أ.، (2010)، **الشّعور بما يحدث** (ترجمة: رفيف كامل غدّار)، لبنان الدّار العربية للعلوم.

الدبّاغ.ف.، (1983)، **أصول الطّب النّفساني** ، بيروت، لبنان: دار الطّليعة للطّباعة و النّشر.

الدسوقي.م.، (2006)، **اضطرابات صورة الجسم**، مصر: مكتبة الأنجلو–المصرية.

دوبار.ك.، (2008)، **أزمة الهويّات** (ترجمة: رندة بعث)، لبنان: المكتبة الشّرقية.

دوبوفوار.س.، (2015)، **الجنس الآخر–التّجربة الحياتية–**(2)(ترجمة: سحر سعيد)، بغداد: دار الرّحبة للنّشر والتّوزيع.

دوبوفوار.س.، (2015)، **الجنس الآخر–الوقائع والأساطير–** (ترجمة: سحر سعيد)، بغداد: دار الرّحبة للنّشر والتّوزيع.

ديورانت.و.و.، (1988)، **قصّة الحضارة** (ترجمة: محمود زكي نجيب)، بيروت، لبنان: دار الجيل.

راجح.أ.، (1999)، **أصول علم النّفس**، مصر: دار المعارف.

رايك.ث.، (1992)، **الدّافع الجنسيّ** (ترجمة: ثائر ديب)، سوريا: دار الحوار.

رايك.ث.، (2000)، **الحبّ بين الشّهوة و الأنا** (ترجمة: ثائر ديب)، سوريا: دار الحوار.

رشاد علي ع.العزيز موسى، (2008)، **الجنس و الصحة النفسية** ، القاهرة، مصر: عالم الكتب.

روا.أ.، (2012)، **الجهل المقدّس–زمن دين بلا ثقافة–** (ترجمة: صالح الأشمر)، بيروت، لبنان: دار السّاقي.

روزنتال.م.، يودين.ب.، (2018)، **الموسوعة الفلسفية** (ترجمة: سمير كرم)، بيروت، لبنان: دار الطّليعة.

رولو.م.، (1993)، **البحث عن الذّات** (ترجمة: عبد العلي الجسماني)، بيروت، لبنان: المؤسّسة العربية للدّراسات والنّشر.

الزاهي.ن.الدّين، (2011)، **المقدّس و المجتمع**، المغرب: دار إفريقيا الشّرق.

زايد.أ.، (2006)، **سيكولوجية العلاقات بين الجماعات**، الكويت: دار عالم المعرفة.

زيمل.ج.، (2017)، **الفرد و المجتمع** (ترجمة: حسن أحجيج)، مصر: دار رؤية للنّشر والتّوزيع.

سامعي-حدادي.د.، (2014-2013)، محاضرات في الفحص العيادي، LAPCM، 1-80. http://www.lapcm.univ-alger2.dz/pdfs/articles/

السّباعي.خ.، (2011)، **الجسد الأنثويّ و هويّة الجندر**(2)، بيروت، لبنان: دار جداول.

السرجاني.ر.، (2009)، **قصّة العلوم الطبيّة في الحضارة الإسلامية**(2)، القاهرة، مصر: مؤسّسة إقرأ.

سعد.ر.، (2008)، **علم النّفس والعلاج النّفسي من منظور إسلاميّ**، القاهرة، مصر: دار ابن الجوزيّ.

السعداوي.ن.، (1990)، **المرأة والرّجل في المجتمع العربي**(2)، بيروت، لبنان: المؤسّسة العربية للدّراسات والنّشر.

السّعداوي.ن.، (2017)، **الأنثى هي الأصل**، المملكة المتّحدة: مؤسّسة هنداوي سي آس سي.

السّعداوي.ن.، رؤوف عزّت.ه.، (2000)، **المرأة و الدّين و الأخلاق**، دمشق، سوريا: دار الفكر.

سلامي.ن.، (2001)، **المعجم الموسوعي في علم النّفس** (ترجمة: وجيه أسعد)، دمشق، سوريا: منشورات وزارة الثّقافة.

سيرنج.ف.، (1992)، **الرّموز في الفنّ والأديان وَالحياة** (ترجمة: عبد الهادي عبّاس)، سوريا: دار دمشق.

شبل.م.، (2010)، **الجنس والحريم-السّلوكات الجنسية المهمّشة في المغرب الكبير**-(ترجمة: زارو عبد الله)، المغرب: دار إفريقيا الشّرق.

شحاته.ح.، (2008)، **الذات والآخر في الشّرق والغرب**، مصر: دار العالم العربي.

شرابي.ه.، (1993)، **النّظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي**(2) (ترجمة: محمود شريح)، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.

شكشك.أ.، (2008)، **علم النّفس العام-القوى النّفسية المعرفية والقوى النّفسية المحرّكة للسّلوك-**، سوريا: دار النّهج.

شلنج.ك.، (2009)، **الجسد والنّظريّة الاجتماعية** (ترجمة: منى البحر،نجيب الحصادي)، الإسكندرية، مصر: دار العين.

شيفلر.إ.، (2016)، **العوالم الرّمزيّة-الفنّ والعلم والطّقوس** (ترجمة: ع.المقصود ع. الكريم)، مصر: المركز القومي للتّرجمة.

صفوان.م.، (2016)، **التّحليل النّفسي-علما، علاجًا و قضيّة-** (ترجمة: مصطفى حجازي)، بيروت، لبنان: مطبعة كركي.

صلاح صالح، (2003)، **سرد الآخر**، المغرب: المركز الثقافي العربي.

صن.ه.د.، (2007)، **أسرار العلاج بالألوان** (ترجمة: فاتن صبح وَسيلفا مقبل)، لبنان: دار الفراشة.

ضاري مظهر.ص.، (2012)، **دلالة اللّون في القرآن و الفكر الصّوفي**، سوريا: دار الزّمان.

ع.المنعم حنفي، (2005)، **المعجم الموسوعي للتّحليل النّفسي**، بيروت، لبنان: دار نوبليس.

عادل مصطفى، (2017)، **دلالة الشّكل-دراسة في الإستطيقا الشّكلية وقراءة في كتاب الفنّ-**، المملكة المتّحدة: مؤسّسة هنداوي.

عبّاس محمود العقّاد، (2014)، **الصّديقة بنت الصّدّيق**، مصر: مؤسسة الهنداوي.

عبّاس.ف.، (1996)، **التّحليل النّفسي والاتّجاعات الفرويدية**، بيروت، لبنان: دار الفكر العربيّ.

العبيدي.ح.م.، (2008)، **من الآخر...إلى الذّات**، بيروت، لبنان: دار الطليعة.

عدنان.ح.الله، (2004)، **التّحليل النّفسي للرّجولة والأنوثة من فرويد إلى لاكان**، بيروت، لبنان: دار الفارابي.

عفيفي ع.الله، (1982)، **المرأة العربية في جاهليّتها و إسلامها**(2)، بيروت، لبنان: دار الرّائد العربيّ.

العقّاد.م.، (2005)، **المرأة في القرآن**، القاهرة، مصر: دار الهلال.

عكاشة.أ.، عكاشة.ط.، (2013)، الطب النفسي المعاصر(16)، مصر: مكتبة الأنجلو-المصرية.

عواد م.، (2011)، **معجم الطّبّ النّفسيّ و العقليّ**، الأردن: دار أسامة للنّشر و التّوزيع.

الغزالي.أ.، (1970)، **إحياء علوم الدّين**، القاهرة، مصر: المكتبة التّجارية الكبرى.

الغزالي.أ.، (1970)، **كتاب آداب النّكاح**، القاهرة، مصر: دار الشّعب.

فرانك.ف.، (1983)، **فلسفة العلم** (ترجمة: علي علي ناصف)، بيروت، لبنان: المؤسّسة العربية للدّراسات والنّشر.

فرج ع.القادر طه، م.السيّد أبو النيل، ش.عطيّة قنديل، حسين ع.القادر محمّد، م.كامل ع.الفتّاح، ؟، **معجم علم النّفس و التّحليل النّفسي**، بيروت، لبنان: دار النّهضة العربية.

فرحات.ي.، (1995)، **المشاكل الجنسية وعلاجها**، بيروت، لبنان: دار الطليعة.

فرنان.ج.ب.، فيدال–ناكيه.ب.، (2001)، **أوديب وأساطيره** (ترجمة: سميرة ريشا)، بيروت، لبنان: المنظّمة العربيّة للتّرجمة.

فرويد س.، (1982)، **الأنا و الهو**(4) (ترجمة: محمد عثمان نجاتي)، بيروت، لبنان: دار الشّروق.

فرويد.س.، (1978)، **الجنس و أثره في السّلوك الإنساني** (ترجمة: ؟)، بيروت، لبنان: منشورات حمد.

فرويد.س.، (1994)، **ما فوق مبدأ اللّذّة** (5) (ترجمة: إسحاق رمزي)، بيروت، لبنان: دار المعارف.

فرويد.س.، (2002)، **مراجع الشّخصية_الهو، الأنا والأنا الأعلى، دراسة في التّحليل النّفسيّ_** (ترجمة: أسعد وجيه)، دمشق، سوريا: منشورات وزارة الثّقافة.

فرويد.س.، (2017)، **الغريزة والثّقافة** (ترجمة: حسين الموزاني)، العراق: منشورات الجمل.

فؤاد كامل، (2014) ، **الغير في فلسفة سارتر**، مصر: دار المعارف.

فوكو.م.، (2004)، **تاريخ الجنسانية_إدارة العرفان_**(ترجمة: محمد هشام)، المغرب: إفريقيا الشرق.

فوكو.م.، (2017)، **تاريخ الجنسانية_إرادة المعرفة_**(ترجمة: سليمان حرفوش)، القاهرة، مصر: دار التّنوير.

فيشر.ه.، (2015)، **لماذا نحب؟ طبيعة الحبّ و كيمياؤه** (ترجمة: فاطمة ناعوت، أيمن عبد الشافي حامد)، مصر: المركز القوميّ للتّرجمة.

قنيفة.ن.، (2017)، الجسد الأنثوي ودلالاته الرّمزية في قراءات أنثربولوجية متعدّدة، **مجلّة التّغيّر الاجتماعيّ و العلاقات العامّة بالجزائر** (4/11)، 461-476.

كامل.ف.، ؟ ، **الغير في فلسفة سارتر**، مصر: دار المعارف.

كونيهان.ك.، (2013)، **أنثربولوجيا الطّعام والجسد_النّوع، المعنى والقوّة_**(ترجمة: سهام عبد السلام)، القاهرة، مصر: المركز القومي للتّرجمة.

كوهن.إ.، (1992)، **البحث عن الذّات_دراسة في الشّخصية وَوعي الذّات_** (ترجمة: غسان نصر)، دمشق، سوريا: دار معد.

كينيار.ب.، (2007)، **الجنس و الفزع** (ترجمة: روز مخلوف)، سوريا: دار ورد للطباعة و النّشر.

لابلانش ج. و بونتاليس ج.-ب.، (1987)، **معجم مصطلحات التّحليل النّفسيّ**(2) (ترجمة: مصطفى حجازي)، بيروت، لبنان: المؤسّسات الجامعية للدّراسات و النشر.

اللبواني.ك.، (2000)، **اقتصاد السّعادة**، دمشق، سوريا: دار الشّموس للدّراسات و النشر.

لوبروتون.د.، (1997)، **أنثربولوجيا الجسد والحداثة**(2) (ترجمة: محمد عرب صاصيلا)، بيروت، لبنان: مؤسّسة مجد الجامعية.

لوبروتون.د.، (2017)، **تجربة الألم بين التّحطيم والانبعاث** (ترجمة: فريد الزاهي)، المغرب: دار توبقال.

لوبون.غ.، (2014)، **الآراء و المعتقدات** (ترجمة: عادل زعيتر)، مصر: دار هنداوي.

مجدي محمد الدسوقي، (2006)، **اضطرابات صورة الجسم**، مصر: مكتبة الأنجلو_المصرية.

محمّد السّيّد ع.الرحمان، (2001)، **نظريّات الشّخصية**، القاهرة، مصر: دار قباء.

مرسلي.ع.، (2015)، **"نمط التعلّق و اختيار موضوع الحبّ في العلاقة الزوجيّة"**، (مذكرة الماستر، جامعة الجزائر2).

المرنيسي.ف.، (2004)، **هل أنتم محصّنون ضدّ الحريم؟** (ترجمة: نهلة بيضون)، مصر: المركز الثّقافي العربيّ.

المرنيسي.ف.، (2005)، **ما وراء الحجاب_الجنس كهندسة اجتماعية**_(5)، (ترجمة: فاطمة الزهراء أزرويل)، المغرب: المركز الثّقافي العربي.

مسعود.س.ل.، (2005)، العلاقات الأسرية، **مجلة إنسانيات**، (29-30)، 11-28.

مسّيْكة برّ.ف.، (1996)، **حواء وَالخطيئة في التوراة والإنجيل و القرآن الكريم**، بيروت، لبنان: مؤسّسة المعارف.

موكيالي.ر.، (1988)، **العقد النّفسية** (ترجمة: موريس أسعد شربل)، بيروت، لبنان: دار عويدات.

نابوزوكا.د.، إمبسون.ج.، (2013)، **الثّقافة والنّموّ النّفسيّ** (ترجمة: ليلى كرم الدّين)، القاهرة، مصر: المركز القومي للتّرجمة.

النّقّاري.ح.، (2016)، **مفاهيم علم الكلام المنهجيّة**، بيروت، لبنان: المؤسّسة العربيّة للفكر والإبداع.

ويسترمارك.إ.، (2001)، **موسوعة تاريخ الزّواج_دراسة أنثربولوجية**_ (ترجمة: مصباح الصمد، صالح صلاح وَ هدى رطل)، بيروت، لبنان: المؤسّسة الجامعية للدّراسات.

ويلسن.ك.، (1986)، **أصول الدّافع الجنسيّ**(3) (ترجمة: يوسف شرورو وَسمير كتّاب)، بيروت، لبنان: دار الآداب.

ياروسلاف.س.، (2005)، **العرب والغصن الذهبيّ** (ترجمة: سعيد الغانمي)، المغرب: المركز الثقافي العربي.

Abraham.A., (1963), *Le dessin d'une personne-Le test de Machover-*, Paris: DeLachaux et Niestlé.

Akaka.J. et al., (2013), *Diagnostic and Statistical Manual of Mental Disorders* (5th ed), USA:APA.

Albu-Leost.S. et Belamich.G., (2011), Quand le fantasme fait trauma : Etude de cas d'une patiente présentant une symptomatologie hystérique. *Cliniques*, (2), 66-78.

André.C., Lelord.F., (1999), *L'estime de soi–S'aimer pour mieux vivre avec les autres*, Paris, France : Odile–Jacob.

André.D.R, A. Bouillaguet, (1997), *L'analyse de contenu*, Paris, France : PUF.

André.J. et al., (2002), *Fatalités du féminin*, Paris, France : Petite Bibliothèques de Psychanalyse.

André.J., Lanouzière.J., Richard.F., (1999), *Problématiques de l'hystérie*, Paris, France :Dunod.

Andronikof-Sanclade.A., (1990), La représentation de Soi: un concept fécond pour la psychologie clinique et projective. *Bulletin de la Société du Rorschach et des Méthodes Projective de Langue Française*, (34), 9-15.

Angelergues et al., (1975), *Psychologie de la connaissance de soi*, Paris, France : PUF.

Ansermet.F., (2015), Art, science et psychanalyse: trois modes de relation à l'impossible. *Hermès*, (72), 132-138.

Anzieu.D. et al., *Féminin et maternel*, (1995), Paris, France : Dunod-Revues.

Anzieu.D. et Chabert.C., (2007), *Les méthodes projectives*, Paris, France : PUF.

Anzieu.D., (2007), *Psychanalyse des limites*, Paris, France : Dunod.

Auble.J.-P. et al., (1991), *Les représentations de soi-Développement, dynamique, conflits-*, Paris, France : Privat.

Baldy.R., (2005), Dessin et développement cognitif. *Enfance*, (57/1), 34-44.

Balmès.F., (2007), *Dieu, le sexe et la vérité*, Paris, France : Érès.

Baravalle.G., (2007), On bat une femme: Interprétation et pulsion. *La clinique lacanienne*, (12/1), 181-188.

Bastien.D., (2002), Un peu, beaucoup, à la folie, plus du tout. *Cahiers de psychologie clinique*, (19/2), 107-118.

Baton.Y., Abraham.K., (2000), "A côté de la véritable explication". *Les feuilles du Courtil*, 1-11.

Bénazéraf. C, (1994), *Les chagrins de la peau*, Paris, France : Grasset.

Bergeret.J., (2000), *La violence fondamentale*, Paris, France : Dunod.

Bergeret.J. et Houser.M., (2002), Le sadisme…à travers ce qu'il n'est pas. *Revue française de psychanalyse*, (66/4), 1269-1284.

Bergeret.J., Soulé.M., Golse.B., (2006), *Anthropologie du fœtus*, Paris, France : Dunod.

Bernard.M. et al., (1986), *Le corps et sa mémoire*, Paris, France : Doin.

Bernat.J., (2012), Existe-t-il une connaissance précoce du vagin ?. *Documents et débats*, (80), 1-16.

Berthoz.A. et al., (2010), *Le corps en Acte*, Paris, France : PUN.

Bettelheim.B., (1969), *La forteresse vide* (Humery.R., trad.), Paris, France : Gallimard.

Bienvenu.J.-P., (1995), La relation d'objet et le travail analytique. *Trans*, 91-104.

Binet.A., (2005), *L'âme et le corps*, Paris, France : L'Harmattan.

Blanchard.A.-M. et Decherf.G., (2002), Sexualité narcissique, sexualité génitale. *Le divan familial*, (9), 61-70.

Blanchet.A., (1991), *Dire et faire dire –L'entretien-*, Paris :Armand Colin.

Boekholt.M., (1983), Mécanismes de régulation narcissique au Rorschach. *Pf*, (28/2), 124-128.

Bonaparte.M., (1967), *La sexualité féminine*, Paris, France : PUF.

Bonnaud.H. et al., (2013), *L'inconscient et le corps*, France : Univ. De Rennes.

Bonnet.G. et al., (1993), *Les troubles de la sexualité*, Paris, France : PUF.

Bouatta.C., (2013), *Des corps et des mots–sexuation, genre et violences conjugales*, Alger. SARP.

Bouchard.M.-A., (1995), La relation d'objet et la structure psychique, *Trans*, 173-202.

Bouchrara.T.Z., (1994), *Les lieux du corps en Islam*, Paris, France. Publisud.

Bourdieu.P., (2001), *Sociologie de l'Algérie*, 58è éd.-, Paris, France. PUF.

Bourgès.S., (1992), Place des techniques projectives dans la lecture psychanalytique d'un dossier, *Bulletin de psychologie*, (XLV/406), 373-385.

Bousseyroux.M., (2007), Réalité, fantasme et réel. *L'en-je lacanien*, (2/9), 139-158.

Bozon.M., (1999), Les significations sociales des actes sexuels. *Actes de la recherche en sciences sociales*, (6/128), 3-23.

Brachfeld.O., (1945), *Les sentiments d'infériorité*, Genève, Suisse, du Mont-Blanc.

Brault.N., (1985), Relation entre le concept de soi et la satisfaction sexuelle, (Thèse de doctorat, Univ. Québèc).

Breulet-Foulard, (1994), L'expression du fantasme narcissique au T.A.T. *Bulletin de la Société française du Rorschach et des méthodes projectives*, (38), 55-66.

Brian-Malenfant.R., Lecours.S. et Descgenaux.E., (2010), La capacité d'ètre triste: implications pour la psychothérapie psychanalytique. *Psychothérapies*, (30/4), 191-201.

Broustra.J., (2006), Le miroir meurtrier. *Revue-sud-nord*, (1/21), 119-124.

Brun.A., Chouvier.B., Roussillon.R., (2013), *Manuel des médiations thérapeutiques*, Paris, France : Dunod.

Burlox.G., (2004), *Le corps et sa douleur*, Paris, France : Dunod.

Caillé.P., (1991), *Un et un font trois*, Paris, France : ESF.

Caïtucoli.D., (2005), Winnicott : voler, détruire, l'appel au secours, ou la tendance anti-sociale. *Filigrane*, (9/14), 33-54.

Canault.N., (1998), *Comment paye-t-on les fautes de ses ancêtres-L'inconscient transgénérationnel*, Paris, France : Desclée de Brouwer.

Cantonnet.L, (2009), Amour et désir. *Exposé aux après-mi-dits du groupe régional de psychanalyse*, 1-9.

Castanet.D., (2007), Fantasme et réel. *L'en-je lacanien*, (2/9), 101-118.

Castarède.M.-F., (2002), La passion amoureuse à l'opéra. *Cahiers de psychologie clinique*, (2/19), 153-164.

Causse.J.-D., (2017), L’identité et l’identification : deux sœurs ennemies ?. *Psychanalyse*, (11/41), 105-114.

Chabert.C., (1981), *Le Rorschach en clinique adulte*, Paris, France : Dunod.

Chabert.C., (1986), Narcissisme au Rorschach. *Bulletin de la Société française du Rorschach et des méthodes projectives*, (33), 15-40.

Chabert.C., (1987), *La psychopathologie à l’épreuve du Rorschach*, Paris, France : Dunod.

Chabert.C., (1989), *Psychanalyse et méthodes projectives*, Paris, France : Dunod.

Chabert.C., (1993), Narcissisme et relations d'objet à l'adolescence: apport des épreuves projectives. *Bulletin de la Société française du Rorschach et des méthodes projectives*, (37), 183-194.

Chabert.C., R.Kaës, J.Lanouzière, F.Neau, R.Roussillon, A.Schniewind, (2009), *Narcissisme et dépression*, Paris, France : Dunod.

Chabrol.H., (2005), Les mécanismes de défense. *Recherche en soins infirmiers*, (9/82), 31-42.

Chagnon.J.-Y., (2005), Latence du corps, corps de la latence. *Le Journal des Psychologues*, (5/227), 31-34.

Chasseguet-Smirgel.J., (1964), *La sexualité féminine-Recherches psychanalytiques nouvelles-*, Paris, France : Payot.

Chast.M., (2002), *Les douleurs-Les comprendre, les soulager-*, Paris, France : ESF.

Château.J., (1972), *Les sources de l’imaginaire*, Paris, France : Universitaires.

Chebel.M., (2004), *Le corps en Islam*, Paris, France : PUF.

Chervet.B., (2006), Le point de vue topique et les relations d’objet régressives. *Revue française de psychanalyse*, (5/70), 1323-1334.

Chiland.C., Cournut.J., Cournut-Janin.M., Kohut.H., Kristeva.J., Lechevalier.B., Le GuenA., Leuba.J., Oppenheimer.A., Perron.R., (1991), *Angoisse et complexe de castration*, Paris, France : PUF.

Christian.G., (2009), L’inhibition et ses liens avec le père primaire. *Revue française de psychanalyse*, (2/73), 369-384.

Christophe André, (2005), *La psychologie de la peur–craintes, angoisses et phobies-*, Paris, France : Odile Jacob.

Clavreul.J., (2011), *La clinique à l’épreuve de la psychanalyse*, Paris, France : Hermann,.

Collado.C., (1991), L’angoisse dans les Rorschach d’enfants-Etude critique des indices classiques et analyse des contenus-. *Bulletin de psychologie*, (402/XLIV), 487-503.

Collier.F., Cour.F., (2013), En pratique, comment faire devant une femme exprimant une plainte sexuelle ?. *EM: Progrès en urologie*, (23), 612-620.

Costalat-Founeau.A.-M., Liplansky.E.-M., (2008), Le sujet retrouvé. *Connexions*, (1/89), 7-12.

Couchard.F., (1995), Le fantôme de la mère morte, un exemple de problématique de deuil à l’adolescence. *Psychologie clinique et projective*, (1), 43-55.

Couchard.F., (2003), *Emprise et violence maternelles-Etude d’anthropologie psychanalytique* (2è éd.), Paris, France : Dunod.

Cruchon.G., (1963), *Initiation à la psychologie dynamique-La personne et son entourage-*, (6è revue), France : Mame.

Cyrulnik.B., (2000), *Les nourritures affectives*, Paris, France : Odile Jacob.

David-Ménard.M., (2002), Les pulsions caractérisées par leurs destins: Freud s’éloigne-t-il du concept philosophique de Trieb?. *Revue gérmanique internationale*, (18), 201-219.

De Calan.R., (2003), La caractéristique empiriste : La théorie de la relation de Hume à Ehrenfels. *Les études philosophiques*, (64), 53-63.

De Coulon.N., (2006), Feux croisés sur la relation d’objet. *Revue française de psychanalyse*, (5/70), 1569-1575.

Debray. R, Dejours. C, P.Fédida. C, (2005), *Psychopathologie de l’expérience du corps*, Paris, France : Dunod.

Dechaud-Ferbus.M., (2009), Les inhibiteurs de l'excitation dans la genèse du fonctionnement psychique: de la décharge à la liaison. *Revue française de psychanalyse,* (2/73), 331-347.

Dechaud-Ferbus.M., (2012), Œdipe et le destin de l'inscription corporelle. Un chemin d'endurance de la néoténie à « l'être humain ». *Revue française de psychanalyse,* (5/76), 567-1573.

Dejours.C., (2002), ''Les rapports domestiques entre amour et domination''. *Travailler,* (2/8), 27-43.

Descombes. V, Brezis. D, Blévis. M, Pichot. A, Barbaras. R, Ildefonse. F, (2004), *L'intériorité*, Paris, France : PUF.

Diguer.L., Laverdiére.O. et Gamache.D., (2008), Pour une approche empirique des relations d'objet. *Santé mentale au Québec*, (1/33), 89-114.

Dollander.M. et De Tychey.C., (2002), ''Un marqueur fondamental'' Ratages ou marquages œdipiens et destins du lien amoureux. *Dialogue*, (4/158), 96-108.

Dolto. F, (1981), *Au jeu du désir – Essais cliniques –*, Paris, France : du Seuil.

Dolto. F, (1984), *L'image inconsciente du corps*, Paris, France : du Seuil.

Dolto. F, (1985), *Solitude*, France: Ergo Press.

Doray. B, Louzoun. C, (1997), *Les traumatismes dans le psychisme et la culture*, Paris, France : Érès.

Dougoud.J.-F., (1972), Art et psychanalyse. *Echos de Saint-Maurice*, (68), 56-60.

Dubreuil.M., (2009), L'objet, de la relation « avec » à la relation « à », chez Freud. *Figures de la psychanalyse*, (2/18), 55-75.

Duccini.B., (2014), Compte-rendu d'un concept de l'épistémologie freudo-lacanienne: Le fantasme. *Academia*, (4), 1-11.

Dumet.N., Broyer.G., (2002), *Cliniques du corps,* Paris, France : PUL.

Dupre.M., (2009), ''Les fonctions du couple''. *Elsevier-Masson, SAS, France,* (9/18), 198-202.

Duruz.N., (1985), *Narcisse en quête de soi,* Bruxelles, Belgique : Mardaga.

Edmond.M., (2005), *Psychologie de l'identité-Soi et le groupe*-, Paris, France : Dunod.

Edmond.M., Picard.D., (2008), *Relations et communications interpersonnelles* (2è éd.), Paris, France : Dunod.

Eryoruk.Z., (2009), Tabou de la virginité et suture de l'hymen. *Forum du champ lacanien de Liège*, (9), 1-6.

Exner, J.-E, (1995), *Le Rorschach : Un Système Intégré*–Théorie et Pratique–, (Andronikof.A., trad.), Paris, France : Frison-Roche.

Exner, J.-E, (2003), *Manuel d'interprétation du Rorschach pour le Système Intégré*, (Andronikof.A., trad.), Paris, France : Frison-Roche.

Exner, J.-E, (2001), *Manuel de cotation du Rorschach pour le Système Intégré*(4ème ed.), (Andronikof.A., trad.), Paris, France : Frison-Roche.

Fabregat.M., (2009), Défauts de transmission symbolique dans la migration. *Dialogue*, (2/185), 29-42.

Fédida.P., (1978), *L'absence*, Paris, France : Gallimard.

Ferenczi. S, (1966), *Thalassa : Psychanalyse des origines de la vie sexuelle*, France : Petite bibliothèque Payot.

Ferhati.B., (2007), Les clôtures symboliques des algériennes: la virginité ou l'honneur social en question. *Clio. Femmes, genre, histoire*, (26), 1-11.

Fernandez.L., Finkelstein-Rossi.J., Lecointe.P., Bartolomé, (2011), Approche de l'image du corps chez un fumeur atteint d'un cancer pulmonaire par les dessins de l'arbre et du bonhomme. *Thechniques projectives*, (12), 241-266.

Ferragut.E., (2004), *Emotion et mémoire –Le corps et la souffrance*-, Paris, France : Masson.

Ferrari.L., (2000), Le temps, psychanalye et orientation professionnelle. *Revues de l'ACOPF*, (1/63), 1-12.

Filloux.J., (2002), La peur du féminin: de la tète de méduse (1922) à la féminité (1932). *L'Esprit du temps « Topique »*, (1/78), 103-117.

Fischer.G.-N., (2006), Vivre avec les autres quels enjeux psychiques. *Journal des psychologues*, (3/237), 72-75.

Fontaine.O., Cottraux.J., Ladouceur.R., (1992), *Thérapie comportementale et cognitive*, Paris, France : Masson.

Freud.S., (1916), *Introduction à la psychanalyse* (Jankélévitch.S., trad.), Paris, France : Payot.

Freud.S., (1969), *La vie sexuelle* (Berger.D., trad.), Paris, France : PUF.

Freud.S., (2010), *Le Malaise dans la civilisation* (Lortholary.B., trad.), Paris, France : Point Seuil.

Freud.S., (2012), *Trois essais sur la théorie de la sexualité* (Géraud.M., trad.), Paris, France : Points.

Freud.S., (1918), Le tabou de la virginité. *Atramenta.net*, 1-19.

Frolich.M., Goddard.E.S., Baldwin L .K., Ross.M., Schwab.S., TompkinsH.J., (1952), *Diagnostic and Statistical Manual of Mental Disorders* (1st Ed.), USA: APA.

Gallano.C., (2007), L'Être raté du fantasme-Lecture du séminaire: désir et interprétation. *L'en-je lacanien*, (2/9), 9-42.

Gárate-Martinez.I., (2001), La joie et sa fonction, limite à la jouissance. *Figure de la psychanalyse*, (2/5), 65-73.

Garcia-Fons.T., (2002), Invention du dessin dans la cure psychanalytique de l'enfant. *La lettre de l'enfance et de l'adolescence*, (2/49), 43-50.

Gaudriault.P., (1990), L'illusion de récurence dans les tests de taches d'encre. *Bulletin de psychologie*, (XLIII/396), 758-762.

Gaulejac.V., (2002), Identité. *Vocabulaire de psychosociologie*, 174-180.

Glas.J., (2008), Narcissisme originaire et organisation spéculaire. *Revue Française de Psychanalyse*, (4/72), 1081-1098.

Gleyse.J., Bernard Michel, (2000), La chair et le verbe. *Corps et Culture*, (5), 1-23.

Godelet.D., (1997), *Les représentations sociales*, Paris, France : PUF.

Godelia. M, Hassoun. J, (1996), *Meurtre du père, sacrifice de la sexualité–Approches anthropologiques et psychanalytiques*, Paris, France : Arcanes.

Goldbeter-Merinfeld.E., (2005), Attachement et Intersubjectivité: premiers liens de l'enfant. Introduction. *Cahiers critiques de thérapie familiale et de pratiques de réseaux*, (2/35), 5-12.

Golse.B. et Simas.R., (2008), Du Moi-corps freudien à la construction du Self en passant par l'image du corps-La place de l'attention de l'adulte envers la liberté motrice du bébé. *Revue Contraste*, (1/28-29), 129-138.

Green.A., (1973), *Le discours vivant-La conception psychanalyse de l'affect-*, Paris, France : PUF.

Green.A., (1983), *Narcissisme de vie narcissisme de mort*, Paris, France : de Minuit.

Grossen.M., (2014), La parole de l'autre dans l'entretien clinique. *Travaux neuchâtelois de linguistique*, (60), 97-107.

Gruenberg.E.M., Richard L. Jenkins, Lothar B. Kalinowsky, W.R. Slenger, Morton Kramer, Robert L. Spitzer, Lawrence C. Kolb, Edward Stainbrook, (1968), *Diagnostic and Statistical Manual of Mental Disorders*(2nd ed.), Washington, USA, APA.

Guedeney.A. et Guedeney.N., (2002), *L'attachement-Concepts et applications-*, Paris : Masson.

Guelfi.J.D., Crocq.M.-A., (2000), *Manuel Diagnostique et Statistique des Troubles Mentaux* (4è éd. Rév.), Paris, France : Masson.

Guérin.F., Famose.J.-P., (2005), Le concept de soi physique. *Bulletin de Psychologie*, (274/58(1)), 1-17.

Guillerault.G, (1996), *Les deux corps du Moi–Schéma corporel et image du corps en psychanalyse*, Paris, France : Gallimard.

Guillot.M., (2016), L'image du corps, une représentation de soi. *Santé mentale*, (12/213), 12.

Guillot.M., (2018), Le complexe comme modèle de relation aux autres. *Santé mentale*, (5), 1.

Heenen-Wolff.S., (2008), Le sexuel dans la psychanalyse comtemporaine: histoire d'une disparition?. *Revue française de psychanalyse,* (4/72), 1155-1171.

Heraudet.J.D., (2005), L'objet transitionnel et l'objet de relation. *RSI, La médiation de l'écrit*, (1), 2-6.

Hermant.G., Aucouturier.B., Baudet.M., Benporat.A., Busan-Meyer.M.E., Coulon.N et al, (1986), *Le corps et sa mémoire,* Paris, France : Doin.

Horney.K., (1967), *La psychologie de la femme*, Paris, France : Payot.

Houzel.D., (1998), *L'aube de la vie psychique-Etudes psychanalytiques-*, Paris, France : ESF.

Houzel.D., (2002), *L'aube de la vie psychique-Etudes psychanalytiques-*, Paris, France : ESF.

Houziaux.A., (2008), L'idéal de chasteté dans les débuts du christianisme, pourquoi?. *Topique*, (4/105), 17-45.

Hybler.I., (1990), Le Rorschach et l'image du corps dans les traumatismes crâniens sévères, In: *Bulletin de psychologie*, (XLIII/396), 720-725.

Ionescu.S., Jacquet.M.-M., Lhote.C., (2005), *Les mécanismes de défense-Théories et clinique-*, Paris, France : Armand Colin.

Irigaray.L., (1974), Psychanalyse et sexualité féminine, *Les cahiers du GRIF*, (3), 51-65.

Irigaray.L., (1974), *Speculum de l'autre femme*, Paris, France : de Minuit.

Israël. L, (1977), *L'hystérique, le sexe et le médecin*, Paris, France : Masson.

Itten.J., (2004), *Art de la couleur*, Allemagne : Abrégée.

Jacobson.E., trad. par Besnier.A.-M., (1975), *Le soi et le monde objectal*, Paris, France : PUF.

JoGodefroid, (2007), *Psychologie- Science humaine et science cognitive-*, Bruxelles, Belgique : de bœck.

Jones.E., (1973), *Psychanalyse, folklore, religion* (Pathé.N., trad.), Paris, France : Payot.

Jones.E., (1997), *Théorie et pratique de la psychanalyse* (A.Stroncke, trad.), Paris, France : Payot et Rivages.

Joschua de Paiva, Merleau-Ponty, (2015), Les relations avec autrui chez l'enfant. *Note de lecture*, 1-11.

Junker-Tschopp.C., (2017), Psychomotricité et neurosciences : la place du corps dans la représentation. *Revue suisse de pédagogie spécialisée*, (4), 40-46.

Kadri.N., Mchichi Alami.K., Berrada.S., (2010), La sexualité au Maroc: point de vue de sexologues femmes. *Sexologies*, (19), 53-57.

Kahr.B., (2009), Psychanalyse et sexualité. *Dialogue*, (1/183), 11-24.

Kaïs.R., (2000), *L'appareil psychique groupal*, Paris, France : Dunod.

Kaluaratchige.E., (2008), Le principe de nirvana et la jouissance. *Le courrier des addictions*, (3/2), 24-26.

Kamieniak.I. et Kaswin-Bonnefond.D., (2009), Inhibition. *Revue française de psychanalyse*, (2/73), 325-330.

Karnas.C., Vanandruel.M., (1980/1981), Représentations sociales du soi en interaction avec autrui-Analyse binaire classique du soi, du soi idéal et du soi social. *Bulletin de psychologie*, (XXXIV/348), 57-64.

Khan.M., (1974), *Le soi caché* (C.Manod,Trad.), Paris, France : Gallimard.

Killinger.J., (1983), *La solitude de l'enfant* (T.Carlier, Trad.), Paris, France : Robert Laffont.

Klein.M, Rivière.J, (1968), *L'amour et la haine*, Paris, France : Payot.

Klein.M., (1968), *Envie et gratitude* (V.Smirnoff, S.Aghion, M.Derrida, Trad.), Paris, France : Gallimard.

Kraff-Ebing von.R, (1895), *Psychopathia sexualis* (L.Emile et C.Sigismond, Trad.), (8è éd), Paris, France : Carré.G..

Kristeva.J., Cupa.D., Rouquet-Brutin.K., Bompard-Porte.M., Galtier.B., Molinié.A.,

Lacan.J, (2011), La relation d'objet et les structures freudiennes. *Bulletin de psychologie*, (11/12/64 (6)/516), 503-518.

Lacan.J., (1994), *La relation d'objet*, Paris, France : du Seuil.

Langis.P., Germain.B., (2015), *La sexualité humaine*(2è éd.), Canada : de Boeck.

Laplanche J. et Pontalis J.-B., (1996), *Vocabulaire de la psychanalyse,* Liban : Delta.

Laplanche.J., (1970), *Vie et mort en psychanalyse*, Paris, France : Flammarion.

Laplanche.J., (1980), *Castrations symbolisations*, Paris, France : PUF.

Le Bodic.C., (2009), Masturbation et thérapeutique : l'exemple du traitement des auteurs d'agressions à caractère sexuel. *Revue Européenne de Sexologie et Santé mentale*, (12/ 18), 291-296.

Le Khôdja.O.Haleby, (1893), *El Ktab des lois secrètes de l'amour* (P.de Régla, Trad.), Paris, France : Carré.G..

Lecigne.A. et Tolve.R., (2013), ''Normativité et mesure de l'estime de soi''. *L'orientation scolaire et professionnelle*, (39/2), 219-240.

Lecordier.D., (2009), Le corps : concept ethnosociologique mobilisé dans le soin. *Recherche en soins infirmiers*, (98), 32-35.

Lecourt.E., (1982/1983), Le sonore et les limites du soi. *Bulletin de psychologie,* (XXXVI/384), 577-582.

Lefèbvre.S., (1991), Sur le rapport sexuel, la féminité. *Psychanalyse*, (67), 1-5.

Lerner.P.-M. et Thompson.C., (1996), Inférer d'une étude de l'affect les aptitudes aux relations d'objet. *Psychologie clinique et projective*, (1/2), 143-149.

Lucchelli.J.-P., (?), Qu'appelle-t-on fantasme en psychanalyse ?. *Conférence Antenne clinique de Genève*, 1-13.

Maes.J.-C., (2009), «Ceux qui ne pensent pas comme nous sont des con-» Petite typologie relationnelle. *Cahiers critiques de thérapie familiale et de pratiques de réseaux,* (1/42), 43-66.

Mahler.M.S, (1977), *Psychose infantile* (P.et J.Léonard, Trad.), Paris, France : PBP.

Mannoni.M., (1983), *Le symptôme et le savoir*, Paris, France : du Seuil.

Marbeau-Cleirens.B., (1987), *Le sexe de la mère et les divergences des théories psychanalytiques*, Paris, France : PUF.

Marc. E, Picard. D, (2008), *Relations et communications interpersonnelles*(2èéd.), Paris, France : Dunod.

Marchand.F., (2003), *La preuve par soi–Chances, mirages et dérivés des autorités-*, Paris, France : Dexlée de Brouwer.

Marcilhacy.C., (2011), *Le dessin et l'écriture dans l'acte clinique – De la trace au code-*, Paris, France : Elsevier-Masson.

Mareau.C., Sahuc.C., (2006), *La sexualité chez l'enfant et l'adolescent*, France : Study-parents.

Martuccelli.D., (2002), *Grammaire de l'individu*, Paris, France : Gallimard.

Marzano.M., (2011), *La philosophie du corps*, Paris, France : Point Delta.

Massaert.L., (2016), L'impropriété du dessin. *Appareil*, (17), 1-16.

Matesanz.E., (2016), Le stade du miroir à l'origine de la fonction narcissique, premier détachement de soi. *info.psy.be*, (12), 1-3.

Mayer.N., Blanchet.A. et al, (1987), L'entretien dans les sciences sociales. *Revue française de sociologie*, (28/1), 160-164.

McDougall,J., (1996), *Eros aux mille et un visages*, Paris, France : Gallimard.

Melman.C., (2000), *La nouvelle économie psychique-La façon de penser et de jouir aujourd'hui*, Paris, France : ÉRÈS.

Mendel.G., (1968), *La révolte contre le père-Introduction à la sociopsychanalyse*-(3è éd.), Paris, France : Payot.

Merleau-Ponty.M., (1945), *La phénoménologie de la perception*, Paris, France : Gallimard.

Mieville.C., (1992), Dépendance et abandonnisme. *Échos de Saint-Maurice-Edition numérique-*, (88), 172-180.

Mijolla-Mellor.S., (2004), *La cruauté au féminin*, Paris, France : PUF.

Minkowski.E., (1999), *Traité de psychopathologie*, Paris, France : Broché.

Mitchell.J., (1975), *Psychanalyse et féminisme* (F.Basch, F.Ducrocq, C.Léger, Trad.), Paris, France : des Femmes.

Monbourquette.J., (2002), *De l'estime de soi à l'estime de Soi*, Canada : Novalis.

Montanni.C. et Ruffiot.M., (2009), L'image du corps à l'épreuve de la démence. *Cliniques méditéranniennes*, (1/79), 103-116.

Moscovici.S., (2000), *Psychologie sociale des relations à autrui*, Paris, France : Nathan.

Moser.G., (1994), *Les relations interpersonnelles*, Paris, France : PUF.

Moussa.F., Masmoudi.B., Barboucha.R., (2009), Du tabou de la virginité au mythe de « l'inviolabilité»-Le rite du r'bit chez la fillette dans l'Est algérien-. *Dialogue, Recherches cliniques et sociologiques sur le couple et la famille*, (3/185), 91-102.

Muchembled.R. et Tapia.C., (2006), Sexualité, régression, transgression. *Le Journal des Psychologues*, (5/237), 61-63.

Muldworf.B., (1970), *Sexualité et féminité*, Paris, France : Sociales.

Neau.F., Roussillon.R., Chabert.C., Lanouzière.J., Kaës.R., (2009), *Narcissisme et dépression*, Paris, France : Dunod.

Nevid.J., Greene.B. et Rathus.S., (2009), *Psychopathologie*(7è.éd.), Paris, France : Pearson-Education.

Nguyên.A., (2007), La nuit du fantasme (Bataille-Quignard). *L'en-je lacanien*, (2/9), 43-83.

Nguyen.K.C., (1992), Les épreuves graphiques : méthode d'évaluation méthode d'investigation. *Bulletin de psychologie*, (XLV/406), 449-544.

Noël.R. et Cyr.F., (2009), Le père entre la parole de la mère et la réalité du lien à l'enfant. *La psychiatrie de l'enfant*, (2/52), 535-591.

Oldenhove.E., (1989), Principe de plaisir-Principe de réalité. *Le bulletin freudien*, (11/13 -14), 1-9.

Onnis.L., (2009), Lorsque la psyché est le reflet du corps: une nouvelle alliance entre les neurosciences et la psychothérapie. *Cahiers critiques de thérapie familiale et de pratiques de réseaux*, (2/43), 65-91.

Oppenheimer.A., (2010), Le retour de l'identité dans la psychanalyse : perspective historique et critique. *L'Esprit du temps*, (2/58), 9-22.

Oppenheim-Gluckman.H. et Oppenheim.D., (2006), Transmission du trauma, de l'identité et des valeurs. *Le Journal des Psychologues*, (6/238), 73-76.

Parat.H., (2012), Au cœur de la rencontre entre anthropologie et psychanalyse : l'Œdipe et ses interdits. *Revue française de psychanalyse*, (5/76), 1707-1712.

Parmentier.S., (2009), Les objets kleiniens. *Figures de la psychanalyse*, (2/18), 13-22.

Pommier.G., (2010), *Que veut dire « faire » l'amour*, Paris, France : Flammarion.

Potamianou.A., (2002), Fixations psychiques, liages somatiques. *Revue française de psychosomatique*, (2/22), 151-174.

Prates.A.L., (2004), Du symptôme hystérique à l'autre jouissance « du roc au tremblement de terre ». *L'en-jeu lacanien*, (1/2), 45-53.

Puget.J., (2001), Mémoire sociale et sentiment d'appartenance, mémoire sociale, mémoire singulière. *Violence, trauma et mémoire*, 131-151.

Quinchant. P, (1980), *Impuissance et frigidité–causes et traitements*, Paris, France : Andrillon-Soissons.

Racamier.P.-C., (1992), *Le génie des origines-Psychanalyse et psychoses-*, Paris, France : Payot.

Reid.W., (2002), Freud, Winnicott: Les pulsions de destruction ou le goût des passerelles. *Revue française de psychanalyse*, (4/66), 1157-1166.

Reith.E., (1997), Quand les psychologues étudient le dessin…*Médiation et information*, (7), 130-151.

Richelle.J. et Tychey.C., (2017), *Manuel du test de Rorschach*(2è éd.), Bruxelles, Belgique : de Boeck.

Rioux.A., (2011), Défi et découverte: Le siècle de la schizophrénis et de la psychanalyse. *psycho-ressources.com*, 1-11.

Roger.P., (2014), La disparition du père: de l'affaissement du symbolique à l'angoisse du réel. *Filigrane*, (1/23), 67–82.

Rosolato.G., Maraud.M., Khan.R., Fédida.P. et al, (1971), *Lieux du corps*(3), Paris, France : Gallimard.

Roussillon.R., (2001), *Le plaisir et la répétition*, Paris, France : Dunod.

Safouan.M., (1976), *La sexualité féminine dans la doctrine freudienne*, Paris, France : du Seuil.

Safouan.M., (1979), *L'échec du principe du plaisir*, Paris, France : du Seuil.

Samai-Haddadi.D., (1994), «De la régression psychosomatique à la régression sociale ». NAQD, (1/6), 30-35. https://www.researchgate.net/publication/337383056. http://www.cairn.info/revue-naqd-1994-1-page-30.htm.

Samai-Haddadi.D., (2004), Avatars du lien psyché-soma. *Jam*, (5-6/XIII), 225-230.

Samai-Haddadi.D., (2009), L'investissement des limites dans les maladies somatiques-Illustration clinique-. *Revue Sciences Humaines*, (31/A), 5-20.

Samai-Haddadi.D., (2010), *L'équilibre psychosomatique dans les dermatoses: Etude clinique*, France : EUE.

Samai-Haddadi.D., (2010), *Psychologie et psychopathologie des traumatismes et des maladies somatiques* (tome 1et2), Alger :OPU.

Samaï Haddadi.D., (2012), La passion amoureuse entre psychothérapie et médecine prophétique. *Insaniyat*, (37), 1-11.

Samai-Haddadi.D., (2018/6), Conformisme social religieux et résilience entre vie privée et vie publique en Algérie. Livre en ligne du CRIRES, Québec, 129-135. https://lel.crires.ulaval.ca/oeuvre/resilience-et-culture-culture-de-la-resilience.

Sanglade-Andronikof.A., (1993), L'abstraction au Rorschach comme mécanisme d'anti-symbolisation: réflexion autour du protocole d'une adolescente suicidaire. *Bulletin de la Société française du Rorschach et des méthodes projectives*, (37), 71-91.

Schaeffer.J., (2008), Peur et conquête du féminin à l'adolescence dans les deux sexes. *Controverses dans la psychanalyse de l'enfant et l'adolescent*, (2), 1-18.

Séchaud.E., (1995), De l'attache à la tache. Grand-mère et petite fille: un lien singulier. *Psychologie clinique et projective*, (1/1). 97-106.

Siksou.J., (2001), L'effet-mère de Dominique Guyomard, l'entre-mère-et-fille ; du lien à la relation. *Revue française de psychanalyse*, (3/75), 898-901.

Sillamy. N, (1996), *Dictionnaire de la psychologie*, Paris, France : Larousse.

Simard.C., (1987), Le miroir s'est brisé : Œdipe a vieilli Amorce d'une réflexion sur le vieillessement et l'altérité. *Santé mentale au Québec*, (12/1), 47–54.

Sommantico.M, Boscaino.D, (2007/1), Génogramme et choix du partenaire en thérapie psychanalytique de couple, In : *Le divan familial*, n˚18, 81-92.

Sournia.J.-C., (1997), *Du corps humains*, France : Privat–de Santé.

Stryckman.N., (2000), Les pulsions du point de vue de Freud. *Le bulletin freudien*, (1/35 -36), 1-18.

Stryckman.N., (2001), Féminité sexuelle et féminité maternelle. *Le bulletin freudien*, (8/37-38), 11-22.

Sultan.S., Andronikof.A., Fourque.D. Lemmel.G., Mormont.C., Réveillère.C., Saïas.C., (2004), Vers des normes francophones pour le Rorschach en Système Intégré. *Revue Psychologie Française*, (49), 7-24.

Tersigni.S., (2001), La virginité des filles et ''l'honneur maghrébin'' dans le contexte français. *Vies de familles*, (7/8/1232), 34-40.

Thibaudier.V., (2004), À l'article de l'amour…*Cahiers jungiens de psychanalyse*, (1/109), 39-50.

Thibierge.S., (1999), *L'image et le double-La fonction spéculaire en pathologie-*, Paris, France : Erès.

Tordjman. G, (1971), *L'aventure du couple*, Paris, France : Denoël.

Trudel.G., (2003), *Les dysfonctions sexuelles–Evaluation et traitements par des méthodes psychologiques, interpersonnelles et biologiques-*, (2èéd.), Québec, Canada : Presse de l'Université de Québec.

Tysebaert.E., (2002), Quand l'analyste écoute aux portes de la scène originaire. *L'Esprit du temps*, (1/78), 51-64.

Vanier.A., (2009), « À propos de l'objet A ». *Figures de la psychanalyse*, (2/18), 39-48.

Virole.B., (2016), Théorie des attracteurs psychiques. *benoitvirole.com*, 1-7.

Weismann-Arcache.C., (2005), Incidence des destins de la libido sur la pensée, chez une fille et un garçon dits surdoués. *Psychologie clinique et projective*, (11), 177-203.

Werebe.M.-J.G., (1980/1981), Principaux courants d'étude de la sexualité humaine. *Bulletin de psychologie*, (XXXIV/348), 137-152.

Wilber.K., (1987), *Les trois yeux de la connaissance-La quête du nouveau paradigme-* (P.Couturiau, Trad.), Paris, France : du Rocher.

Winnicott.D.W., (1975), *Jeu et réalité* (Monod.C. et Pontalis.J.B., Trad.), Paris, France : Gallimard.

Zemmour.Z.E., Jeune fille, (2002), famille et virginité-Approche anthropologique de la tradition-. *Confluences Méditérranée*, (2/41), 65-76.

Zioui.A., Samai-Haddadi.D., (2020/8), Le Consentement éclaire dans l'étude normative algérienne du Rorschach en Système Intégré. Applications et limites. *ResearchGate*. 1-17. https://www.researchgate.net/publication/343887798.

Zwang.G., (1998), *Sexologie –Abrégés*-(5è éd.), Paris, France : Masson.

فصل الملاحق

الملحق رقم 1

استمارة الموافقة على المشاركة في البحث العلمي[71]

أنا الممضية أسفله: السّيّدة...

القاطنة ب...

أقبل المشاركة في البحث القائم حول إشكالية التّشنّج المهبليّ، في إطار الدّراسات العليا درجة دكتوراه في علم النّفس العيادي، من قِبل الطّالبة عائشة مرسلي تحت إشراف الأستاذة دليلة-سامعي حدّادي مديرة مخبر علم النّفس العيادي و القياس النّفسي (LAPCM) بجامعة الجزائر 2، ابو القاسم سعد الله (بوزريعة).

لقد شرحت الباحثة وَوضّحت لي، امتلاكي الحرية التّامة في قبول أو رفض المشاركة متى أردت.

كما تحصّلت و فهمت المعلومات التّالية:

1-مشاركتي تتمثّل في...

2-يمكنني الحصول على المعلومات المتوصّل إليها من خلال البحث؛

3-المعطيات الخاصّة بي تبقى سرية ولا يمكن استغلالها إلاّ بكيفية تحفظ هويّتي.

تمّت الموافقة ب...

يوم:...

إمضاء الطّالبة المشرفة على البحث　　　　**إمضاء المعنية**، مسبوقة بعبارة "قُرئ ومصادق عليه"

[71]- Déduite du consentemant éclairé utilisé par le Pr Samai-Haddadi.D. et le Pr Zioui, lors de son étude normative algérienne du Rorschach Système Intégré (2015).

الملحق رقم 2

Formulaire de consentement éclairé

Je soussigne : Mme ……………………………………….

Adresse :………………………………………………………………………………………

…………………………………………………………………………………………

Accepte de participer à une recherche portant sur : **la problématique du vaginisme**, dans le cadre d'un Doctorat en Psychologie clinique, préparée par la doctorante : **Morsli Aïcha**, et dirigée par : **Mme Haddadi-Samaï Dalila**, docteur en psychologie clinique, et responsable du laboratoire de psychométrie **LAPCM** à l'Université d'Alger- Abou El Quassim Said ALLAH- (Bouzaréah).

Il m'a été précisé, que je suis libre d'accepter ou de refuser cette participation à tout moment.

J'ai reçu et j'ai bien compris les informations suivantes :

*je pourrai obtenir une information en retour à l'issue de la recherche ;

*les données qui me concernent resteront confidentielles et ne pourront être exploitées dans le cadre d'une publication qu'à condition qu'il y ait un strict respect de mon anonymat.

Fait à……………………………………..

Le…………………………………

Signature de la doctorante menant la recherche

Signature de l'intéressée précédée de la ''lu et approuvé''

الملحق رقم 3

Grille de cotation du dessin du bonhomme

ASPECT GLOBAL

a) Situation du dessin sur la feuille

- Utilisation de l'espace global du dessin ☐
- Haut-Gauche ☐
- Haut-Centre ☐
- Haut-Droite ☐
- Centre-Gauche ☐
- Centre ☐
- Centre-Droite ☐
- Bas-Gauche ☐
- Bas-Centre ☐
- Bas-Droite ☐

b) Dimensions :

Taille globale ☐

Tête (sans les cheveux) ☐

Tronc (épaule/entre jambes) ☐

Bras (épaule/doigts) ☐

Jambes (entre jambes/pieds) ☐

c) Proportions :

1.5 = Tronc/Tête= 2.4 ☐

1.25 =Bras/Tronc= 2.0

0.75 =Jambe/Tronc= 1,2

d) Tracé:

- Tracé continu
- Tracé discontinu
- Tracé appuyé
- Tracé léger
- Tracé sûr, direct
- Tracé repris
- Pointillisme
- Stries, ombres, quadrillages
- Estompages, grisailles
- Ratures, gommages
- Lignes courbes
- Lignes droites
- Lignes brisées, anguleuses
- Boucles
- Accentuation ligne centrale verticale
- Accentuation de l'horizontale
- Taches et noircissement
- Aspect sale, barbouillé
- Excès de précision dans les détails
- Parties laissées en blanc
- Autre

Degré d'accomplissement du dessin: + +/- -

Présentation de la silhouette: Face Profil

	Bras	Jambes
Position des membres :	☐	☐

	Avec	Sans
Mouvement:	☐	☐

Symétrie:

- absence de problème ☐

- prob. Mineurs ☐

- prob. Majeurs ☐

Expression :

- Souriante	☐	- Placide	☐
- Triste	☐	- Étrange	☐
- Peur	☐	- Autre	☐
- Agressive	☐		

<u>ASPECT DÉTAILLÉ</u>

o = omission d'un élément

1 = pas de détails soulignés de manière particulière

2 = élément travaillé avec minutie

3 = détail accentué d'une manière spéciale (par le trait ou la forme)

4 = détail très bizarre

Cheveux	☐	Menton	☐
Tête	☐	Cou	☐
Expression du visage	☐	Tronc	☐

Sourcils	☐	Tailles, fesses	☐
Yeux	☐	Bras	☐
Pommette	☐	Mains	☐
Nez	☐	Doigts	☐
Bouche	☐	Jambes	☐
Oreilles	☐	Pieds	☐
Barbe, moustache	☐	Autres	☐

Sexuation :

Aucune	☐	Accessoires	☐
Cheveux	☐	Vêtements	☐

Ajouts:

Vêtements	☐	Objet de la peur	☐
Accessoires	☐	Personnes	☐
Éléments de la nature	☐	Autre	☐

Remarques:

Adaptation de la grille de cotation Jourdan-Ionescu & Lachance Par C. Valérie Moore 2000.

الملحق رقم 4

<u>ملحق الدّراسة الاستطلاعية</u>

– استمارة الموافقة على المشاركة

أقبل المشاركة في البحث القائم حول **إشكالية التشنج المهبلي**، في إطار الدراسات العليا **درجة دكتوراه في علم النفس العيادي**، من قبل **الطالبة مرسلي عائشة**، تحت **إشراف الأستاذة دليلة سامعي - حدادي**، مديرة مخبر علم النفس العيادي و القياس النفسي (LAPCM) **بجامعة الجزائر2، أبو القاسم سعد الله** (بوزريعة).

لقد شرحت الباحثة و وضحت لي، امتلاكي الحرية التامة في قبول أو رفض المشاركة متى أردت.

كما تحصلت و فهمت المعلومات التالية:

1 - مشاركتي تتمثل في........................

2 - بمكاني الحصول على المعلومات المتوصل إليها من خلال البحث.

3 - المعطيات الخاصة بي تبقى سرية و لا تمكن استغلالها إلا بكيفية تحفظ هويتي.

تمت الموافقة ب.....12.....12.....2016

يوم........................

إمضاء الطالبة المشرفة على البحث:

إمضاء المعنية، مسبوقة بملاحظة "قرئ و مصادق عليه":

2-رسم الشخص

3-شبكة تنقيط إجابات الرّوشاخ في النّظام الإدماجي

Pl	N°	Loc & DQ	Loc N°	Déterminants & Qualité Formelle	(2)	Contenus	P	Z	Cotations Spéciales
I	1	Wo		Fo		A	P	ZW	
	2	Wo		FC'o		Hd,Ay		ZW	PHR
	3	Wo		Fu		A		ZW	
II	4	Do	6	FMa.Cu	2	A			
III	5	Do	9	Mao		H, A, Hh	P		GHR
	6	Do	7	F-		Hh			
	7	DdSo	24	Fu		Hh			
IV	8	Do	7	Fo		(H)	P		GHR
	9	Do	7	FVo		(H)	P		GHR
V	10	Wo		FC'o		A	P	ZW	
VI	11	Do	1	FYo		Hh			
	12	Do	3	F-		Hd			PHR
VII	13	Do	2	Mpo	2	H			GHR
VIII	14	Wo		F-		An		ZW	
	15	Do	1	FMao		A			COP, GHR
IX	16	Wo		Fo		(Hd), Ay		ZW	GHR
	17	Wo		Mp-		Hd		ZW	PHR
X	18	DDSo	22	Mp-		Hd,Ay			PHR
	19	Do	1	Fu		A	P		
	20	Ddo	21	F-		Ay			

الملحق رقم 5

<u>رسم الشّخص لحالات العرض المفصّل</u>

الحالة الأولى

الحالة الثانية

الحالة الثّالثة

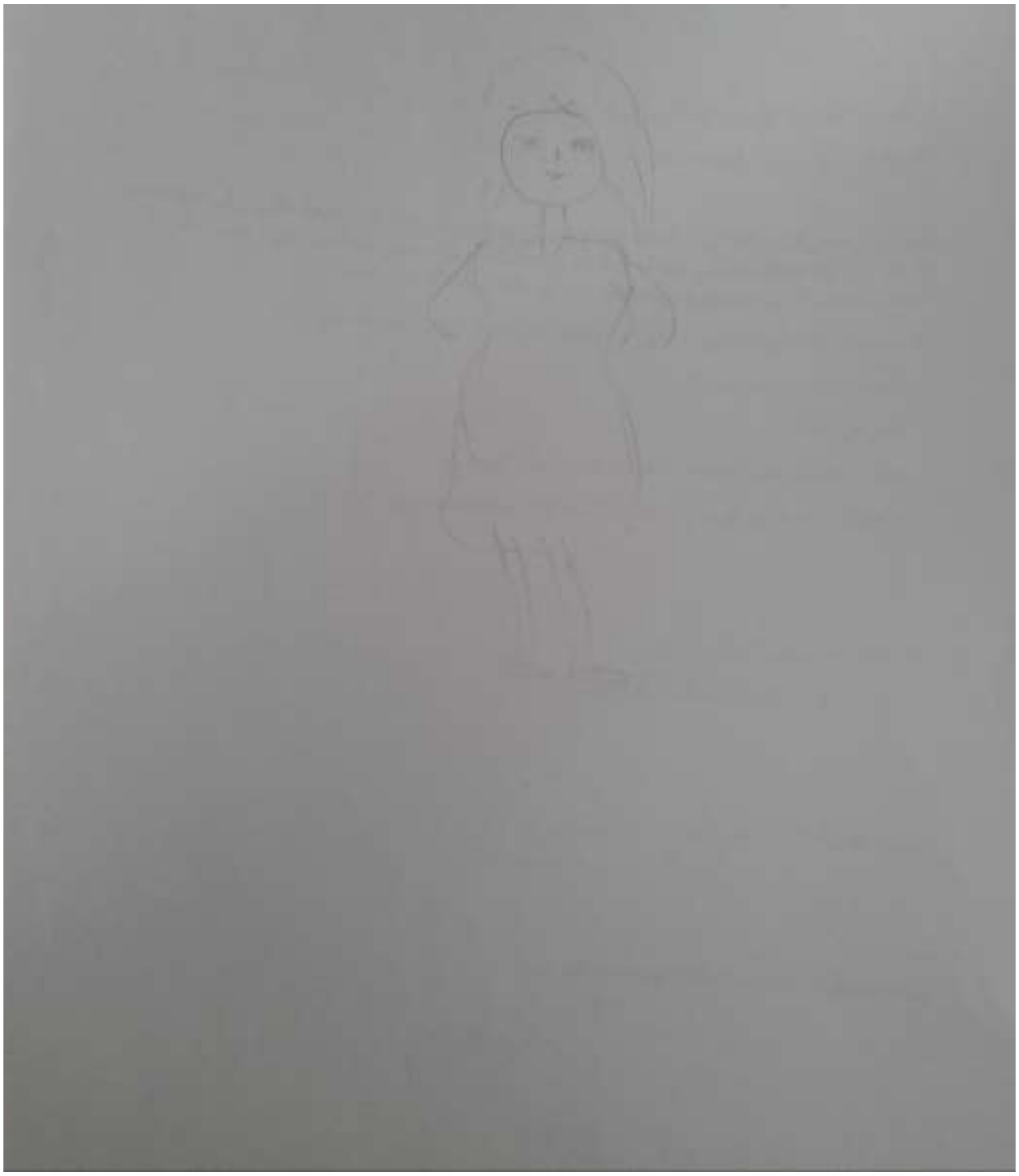

الملحق رقم 6

شبكات تنقيط الرورشاخ في النّظام الإدماجي لحالات العرض المفصّل

الحالة الأولى

Pl	N°	Loc & DQ	Loc N°	Déterminants	FQ	(2)	Contenus	P	Z	Cotations Spéciales
I	1	Do	4	F	o		A	P		
	2	Do	7	F	o		A			
	3	Do	1	F	-		A			
II	4	Do	3	m'p	o		An,Sx,Bl			
	5	Do	6	FMp	o	2	A			
III	6	Do	7	F	o		An,Sx			
	7	Do	3	F	o		A			
IV	8	Do	3	m'p.FD	u		Bt,Fd			
V	9	Wo		FMp	o		A	P	ZW	
VI	10	Ddo	99	F	-		A			
VII	11	Do	2	F	o	2	A			
	12	Ddo	99	F	u		A,Hd			CON
VIII	13	Ddo	23	F	u		An,Sx			
IX	14	Ddo	35	F	u		An,Sx			PSV
X	15	Do	9	F	-		An,Sx			
	16	Do	10	F	u		An,Sx			PSV
	17	Do	15	C.Mp	o		A			CON
	18	Do	12	F	-		A			

الحالة الثانية

Pl	N°	Loc & DQ	Loc N°	Déterminants	FQ	(2)	Contenus	P	Z	Cotations Spéciales
I	1	Wo		F	u		(H),Hx,Art		ZW	AB
	2	Do	7	FD	-		Ad			
	3	Ddo	99	F	-		(A)			PER
	4	Ddo	24	FY	-		An,Xy			
	5	Ddo	31	F	-		A			
	6	Do	7	F	o		A			
	7	Wv		FY	-		Bl			CP
II	8	Ddo	99	FMa	o	2	A			COP
	9	Do	2	F	-	2	Hd,Cg			
	10	Do	2	F.FD	u		H,Cg			

	11	Do	3	m'a.	o		Bl,An			MOR
	12	Ddo	99	Ma	-	2	A,Bl,Hx			AG,INC,AB
III	13	Ddo	32	Mp	o	2	Hd			
	14	Do	3	CF	o		Cg			
	15	Dv	2	FC	o		Bl			
	16	Do	2	Ma-p	o		H,Hx			AB
	17	Do	7	Mp	u		(H),Cg			MOR,INC
	18	Ddo	99	F.m'p	-		An,Sx			
	19	Ddo	27	FMp	o	2	A,H,Sx			INC
IV	20	Wo		FV.FD.FMp	o		(H)	P	Z W	MOR,PER
V	21	Wo		FMa.C'	o		A	P	Z W	
	22	Do	10	FMp	u		Ad			
	23	Do	9	F	-		An,Sx			
	24	DdSo	99	Mp.FD	u		H,An,Sx			
VI	25	Wo		F	o		A		Z W	MOR
	26	Do	3	F	u		Ad			MOR
	27	Ddo	33	F	u		An,Sx			PER
VII	28	Do	1	Mp	o	2	Hd,Hx			AB,ALOG,
	29	Do	3	Mp	u	2	(H),Hx			AB,ALOG
	30	Wo		F	-		An,Sx		Z W	
	31	Do	2	Mp.V.FD	u		H			AB,ALOG
	32	Do	3	F	u		A,Hd			AB,CON
VIII	33	Do	1	F	o		A	P		
	34	Ddo	99	F	-		An,Sx			PSV
	35	Do	6	F.Ma	u		(Hd),H			AB,ALOG
IX	36	Do	1	FMp	o		A,Cl,Hx			AB,ALOG,COP
	37	Do	99	F.Mp	-		H,An,Sx,Sc,Hx			AB,COP,MOR,INC
	38	Ddo	99	Ma.FD	u		An,Sx,Hd			PSV,COP,PER
X	39	W+		F	o		Bt,Na		Z W	PER
	40	Wv		F.Ma	u	2	Sx			COP,PER

الحالة الثالثة

Pl	N°	Loc & DQ	Loc N°	Déterminants	FQ	(2)	Contenus	P	Z	Cotations Spéciales
I	1	Wv		Fr	o		Art			PER
	2	Do	7	F	u		Ls			
	3	Ddo	99	FMa	o		Ad,Art			
	4	Do	4	Mp.C'	o	2	(H),Art			PER
II	5	Ddo	99	Fr	o		An,Sc,Sx			PER
III	6	Do	5	F	o		(Ad)			
IV	7	Wo		F	o	2	A		ZW	
	8	Do	3	F	u		Bt			
	9	Wv		FMp	o		A			
	10	Wv		F	o		Bt			
	11	Wo		F	u		A		ZW	
	12	Do	6	F.FD	u		Cg,Sc			
V	13	Wo		F	o		A	P	ZW	
	14	Wo		F	o		A		ZW	
	15	Wo		FMa.C'	o		A	P	ZW	PER
VI	16	Do	3	m'a	-		Sc			
	17	DdSo	99	F	o	2	Ay			
	18	Do	3	FMp	o		(H)			
	19	Do	1	TF	u		Na			
VII	20	Do	6	F.FD	o		An,Sx			
	21	Do	2	F	-		Ge			
	22	Do	2	F	o	2	Art			PER
VIII	23	D+	1	FMa	o	2	A	P	ZA	
	24	Ddo	23	F.FD	u		An			PER
	25	Wo		TF	o		Art		ZW	PER
IX	26	Do	3	FC	-		A			
	27	Do	1	F	-		Ge			
	28	Do	5	F	-		Bt			
X	29	Do	10	F	u		Sc			
	30	Do	15	m'a	o		Bt			
	31	Do	7	TF.FD	u		Bt			
	32	Do	8	FMp.TF	o		A			PER
	33	Ddo	99	FMa	u		A			

الملحق رقم 7

استمارات الموافقة على المشاركة في البحث لحالات العرض المفصّل

الحالة الأولى

أقبل المشاركة في البحث القائم حول **إشكالية التشنج المهبلي**، في إطار الدراسات العليا **لدرجة دكتوراه في علم النفس العيادي**، من قبل **الطالبة مرسلي عائشة**، تحت إشراف **الأستاذة نبيلة سامعي - حدادي**، مديرة مخبر علم النفس العيادي و القياس النفسي (LAPCM) **بجامعة الجزائر2، أبو القاسم سعد الله** (بوزريعة).

لقد شرحت الباحثة و وضحت لي ، امتلاكي الحرية التامة في قبول أو رفض المشاركة متى أردت.

كما تحصلت و فهمت المعلومات التالية:

1 - مشاركتي تتمثل في..

2 - يمكنني الحصول على المعلومات المتوصل إليها من خلال البحث.

3 - المعطيات الخاصة بي تبقى سرية و لا يمكن استغلالها إلا بكيفية تحفظ هويتي.

تمت الموافقة بـ غرداية

يوم 2016/08/14

إمضاء الطالبة المشرفة على البحث.

إمضاء المعنية، مسبوقة بملاحظة "قرئ و مصادق عليه".

الحالة الثانية

…………

Accepte de participer à une recherche portant sur : **la problématique du vaginisme**, dans le cadre d'un Doctorat en Psychologie clinique, préparée par la doctorante : **Morsli Aïcha**, et dirigée par le Professeur **Dalila Samaï-Haddadi**, Directrice du laboratoire de psychologie Clinique et Métrique (**LAPCM**) à l'Université d'Alger- Abou El Quassim Said ALLAH- (Bouzaréah).

Il m'a été précisé, que je suis libre d'accepter ou de refuser cette participation à tout moment.

J'ai reçu et j'ai bien compris les informations suivantes :

1. Ma participation consiste à ……….
2. je pourrai obtenir une information en retour à l'issue de la recherche ;
3. les données qui me concernent resteront confidentielles et ne pourront être exploitées que de manière anonyme.

Fait à Chevalley

Le 22/08/2016

Signature de la doctorante menant la recherche

Signature de l'intéressée,

Précédée de la mention lu et approuvé

الحالة الثالثة

أقبل المشاركة في البحث القائم حول **إشكالية التشنج المهبلي**، في إطار الدراسات العليا **درجة دكتوراه في علم النفس العيادي**، من قبل **الطالبة مرسلي عائشة**، تحت **إشراف الأستاذة دليلة سامعي - حدادي**، مديرة مخبر علم النفس العيادي و القياس النفسي (LAPCM) **بجامعة الجزائر2، أبو القاسم سعد الله** (بوزريعة).

لقد شرحت الباحثة و وضحت لي ، امتلاكي الحرية التامة في قبول أو رفض المشاركة متى أردت.

كما تحصلتُ و فهمتُ المعلومات التالية:

1 - مشاركتي تتمثل في..

2 - يمكنني الحصول على المعلومات المتوصل إليها من خلال البحث.

3 - المُعطيات الخاصة بي تبقى سرية و لا يُمكن استغلالها إلا بكيفية تحفظ هويتي.

تمت الموافقة [illegible] الوالد..............

يوم 2016/10/05..............

إمضاء الطالبة المشرفة على البحث.

إمضاء المعنية، مسبوقة بملاحظة "قرئ و مصادق عليه".